كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد الثامن

دار كنوز إشبيليا

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد الثامن

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦١٦ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

١-٠٢-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٨)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

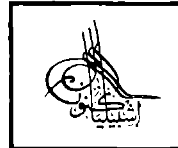
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

١-٠٢-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٨)

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨– ٤٧٧٣٩٥٩ – ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠ .

E-mail: eshbelia@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٧ - باب القناعة والعَفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود: ٦]، وقال تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[البقرة: ٢٧٣]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[الفرقان: ٦٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[الذاريات: ٥٦ - ٥٧].

وَأَمَّا الأحاديث، فتقدم معظمها في البابينِ السابقينِ، ومما لَمْ يتقدم:

الحديث رقم (٥٢١)

٥٢١ - عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

العَرَض: المَالُ[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقوم على النفي، والاستدراك لتقرير المعنى، لأنه يعمد إلى مفهوم راسخ في أذهان الناس فيبطله ثُم يقرر المفهوم الصحيح، وهو لون من ألوان تصحيح

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٤٦، ومسلم ١٠٥١/١٢٠ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١٤.

(٢) رياض الصالحين ٢٤٦.

المفاهيم في الحديث النبوي الشريف، والمعنى الذي نفاه (لَيْسَ الغِنَى عَن كَثْرَةِ العَرَض) نفى لكون الغنى عن كثرة العرض، والعرض هو مختلف أشكال المال، ثم استدرك لتصحيح المفهوم (وَلكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ) والجناس يقرر أن الغنى إحساس نابع من داخل الفرد، قل ما معه أو كثر، وإن فقد هذا الإحساس وملك الدنيا فهو في نفسه فقير يدافع هذا الإحساس بمزيد من النهم في جمع المال فيصير كالعطشان الذي يشرب الماء المالح كلما ازداد شربا ازداد عطشاً.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي والإثبات.

ثانيًا: من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم وبيان الحقائق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على القناعة والرضا.

رابعًا: من آداب المدعو: عدم التطلع إلى ما في أيدي الناس.

أولاً - من أساليب الدعوة: النفي والإثبات:

حيث جاء في الحديث: "ليس الغنى" وهذا نفي "ولكن الغنى" وهذا إثبات ومما لا شك فيه أن أسلوب النفي والإثبات من أساليب الدعوة، وهو يلفت انتباه المدعو، ويشد تركيزه إلى المنفي والمثبت من الحديث وهو من التنويع في عرض قضايا الدعوة.

ثانيًا - من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم وبيان الحقائق:

إن المجتمع قد تظهر فيه بعض المفاهيم الخاطئة، والرؤى المخالفة للشرع، وهنا يبرز دور الداعية في إيضاح الحقائق وتصحيح المفاهيم، ويتضح هذا من الحديث في قوله ﷺ: "ليس الغنى عن كثرة العرض..."، حيث بين النبي ﷺ أن الغنى الحقيقي ليس في كثرة المال وعرض الحياة الدنيا، ولكن الغنى الحقيقي هو غنى النفس وقناعتها ورضاها، قال ابن حجر: (قال ابن بطال: معنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال لأن كثيرًا ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازدياد، ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير لشدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى

بما أوتي وقنع به ورضي ولم يحرص على الازدياد ولا ألح في الطلب فكأنه غني)[١].

ومن صور تغيير وتصحيح المفاهيم الخاطئة ما جاء في الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟)) قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لاَ يُولَدُ لَهُ. قَالَ: ((لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ. وَلكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا)) قَالَ: ((فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟)) قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لاَ يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قَالَ ((لَيْسَ بِذلِكَ. وَلكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))[٢].

قال النووي: (ومعنى الحديث: إنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعًا؛ بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه يكتب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه، ويكون له فرطًا وسلفًا وكذلك تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال بل يصرعهم وليس هو كذلك شرعًا بل هو من يملك نفسه عند الغضب فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قلّ من يقدر على التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول)[٣].

وقال ابن الأثير: (والرقوب في اللغة: الرجل والمرأة إذا لم يعش لهما ولد، لأنه يرقب موته يرصده خوفًا عليه فنقله النبي ﷺ إلى الذي لم يقدم من الولد شيئًا، أي: يموت قبله تعريفًا أن الأجر والثواب لمن قدم شيئًا من الولد، وأن الاعتداد به أكثر، والنفع فيه أعظم، وأن فقدهم وإن كان في الدنيا عظيمًا فإن فقد الأجر والثواب على الصبر والتسليم للقضاء في الآخرة أعظم، وأن المسلم ولده في الحقيقة من قدمه واحتسبه، ومن لم يرزق ذلك فهو كالذي لا ولد له)[٤].

والداعية الموفق الحصيف هو الذي يستطيع القضاء على المفاهيم الخاطئة في المجتمع ويصححها، ويبين حقائق الدين الصحيحة للمدعوين دون أن يصطدم بهم وإنما يسلك سبيل الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٧٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٠٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٥٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٦٩ - ٣٧٠.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحث على القناعة والرضا:

إن القناعة والرضا من الأمور الهامة التي ينبغي أن يتخلق بها المسلم حيث تولد لديه السكينة والطمأنينة النفسية والسعادة القلبية، ويأتي التوجيه إلى هذا من خلال الحديث في قوله ﷺ: (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس)، قال النووي: (والعرض المراد به متاع الدنيا ومعنى الحديث: الغنى المحمود غنى النفس وشبعها وقلة حرصها لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة؛ لأن من كان طالبًا للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غنى)[1].

إن الغنى أنواع، وأن أفضله ما يثنى على الإنسان به ألا وهو غنى النفس، والمقصود بذلك أن يرزق الإنسان القناعة بما رزقه الله تعالى من الحلال، فهذا لا تدفعه نفسه إلى المطامع . قال القرطبي: (معنى الحديث: إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزّت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه)[2].

وفي الحديث عدم اعتبار أن كثرة المال دائمًا هي الغنى، وذلك لأن كثيرًا ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه لحرصه فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله ويكثر من يذمه الناس ويصغر قدره عندهم فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل[3]، فهذه صفة فقير النفس، لكونه لا يقنع بما أعطي بل هو أبدًا في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه، لأنه لم يستغن بما أعطي فكأنه ليس بغني.

وفي الحديث اعتبار أن الغنى غنى النفس دائمًا وفي كل حال، لأن غنى النفس هو من استغنى بما أوتي وقنع به ورضي ولم يحرص على الازدياد ولا ألح في الطلب، ولا ألحف في السؤال، بل يرضى بما قسم الله له، فكأنه غني.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٦١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٥/٧.

(٣) المرجع السابق ٣٥/٧.

أن على من كان يملك المال الإنفاق منه، لأن غنى النفس لمن كانت هذه حاله أن ينفق مما رزقه، قال ابن حجر: (فإن كان في نفسه غنيًا لم يتوقف في صرفه في الواجبات والمستحبات من وجوه البر والقربات، وإن كان في نفسه فقيرًا أمسكه وامتنع من بذله فيما أمر به خشية من نفاده، فهو في الحقيقة فقير صورة ومعنى، وإن كان المال تحت يده؛ لكونه لا ينتفع به لا في الدنيا ولا في الآخرة بل ربما كان وبالاً عليه)[١].

وهذا الحديث يحث المسلم أن يكون قانعًا راضيًا بما آتاه الله وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ. وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ. فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللّهِ))[٢]، والقناعة من كمال الإيمان وحسن الإسلام، "والقانع تعزف نفسه عن حطام الدنيا رغبة فيما عند الله. والقنوع يحبه الله ويحبه الناس، ولو قنع الناس بالقليل لما بقي بينهم فقير ولا محروم وقد قيل في القناعة:

اضرع إلى الله ولا تضرع إلى الناس ... واقنع بيأس فإن العز في الياس

واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... إن الغنيَّ من استغنى عن الناس[٣]

قال ابن القيم: (حقيقة غنى القلب: تعلقه بالله وحده، وحقيقة فقره المذموم تعلقه بغيره، وغنى النفس هو استقامتها على المرغوب، وسلامتها من الحظوظ وبراءتها من المراءاة)[٤].

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "ما يضر عبدًا يصبح على الإسلام ويمسي عليه ماذا أصاب من الدنيا"، وعن الحسن أنه قال: (ما من مسلم يرزق رزق يوم بيوم ولا يعلم أنه قد خير له: إلا عاجز أو قال غبي الرأي)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٦٠، ومسلم ٢٩٦٣ واللفظ له.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٣١٧٤/٨.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٠٥/٢.

(٥) كتاب الزهد، عبدالله بن المبارك، ص ١٩٠.

وقال ابن القيم: (ومتى عرف العبد أن الله سبحانه هو الذي يتولى تدبير أمور العباد بموجب علمه وحكمته ورحمته سكن في الدنيا قبل الآخرة في جنة لا يشبه نعيمها إلا نعيم جنة الآخرة فإنه لا يزال راضيًا عن ربه، طيب النفس بما يجري عليها من المقادير التي هي عين اختيار الله له وطمأنينتها إلى أحكامه الدينية وهذا هو الرضا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً)[١].

رابعًا - من آداب المدعو: عدم التطلع إلى ما في أيدي الناس:

إن النفس البشرية متى استشرفت وتطلعت إلى ما عند الغير من متع ومباهج فإنها لا تنفك تؤلب صاحبها، وتورثه الحزن والحسرة على ما لم يحصل، والمسلم الحق يربي نفسه على الرضا بعطاء الله، والزهد فيما في أيدي الناس، ويتضح هذا من عموم الحديث فإن كان الإنسان قانعًا راضيًا فإنه لا يتطلع لما في أيدي الناس بل يزهد فيه: (لقد كان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد، وقال بعضهم: ازهد بما عند الناس يحبك الناس، وارغب فيما عند الله يحبك الله، وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك، وقيل لبعض الحكماء: ما مالك؟ فقال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس)[٢]، وقال السعدي: (وإذا علم العبد أن الله تعالى عنده جميع مطالب السائلين وبيده خزائن الخيرات من عرف هذا حق المعرفة اضطرته إلى تعليق الأمور كلها على الله، وتعلق القلب به وانقطاعه عن الخلق وعلم العبد أنه كلما تعلق بالله أتاه من الخير والبركة وطيب الحياة ما لا يخطر له على بال)[٣].

وقد علّم الله نبيه ﷺ أن لا يتطلع إلى زهرة الحياة الدنيا وزينتها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٤].

---

(١) الفوائد، القاضي عياض ص ١٣٩.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٣١٧٣/٨.

(٣) الرياض الناضرة، السعدي ص ١٨٨.

(٤) سورة طه، آية: ١٣١.

قال ابن كثير: (يقول تعالى لنبيه ﷺ: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم وما هم فيه من النعم فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور، وقال مجاهد: "أزواجًا منهم"، يعني: الأغنياء فقد آتاك الله خيرًا مما آتاهم، وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله ﷺ في الدار الآخرة أمر عظيم لا يُحد ولا يوصف، وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه حين آلى منهن، فرآه متوسدًا مضطجعًا على رمال حصير وليس في البيت إلا صُبْرة من قرظ[1] وأهب[2] معلقة فابتدرت عينا عمر رضي الله عنه بالبكاء، فقال رسول الله ﷺ: ما يُبْكيكَ؟ فقال: يا رسولَ الله، إنَّ كِسْرى وقيصَرَ فيما هما فيه، وأنت رسولُ اللهِ؟ فقال: ((أوَ فِي شَكٍّ أنْتَ يا ابنَ الخَطّابِ أولَئكَ قومٌ عُجّلَتْ لهُمْ طَيّباتُهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا))[3]، فكان صلوات الله وسلامه عليه أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها، إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله، ولم يدخر لنفسه شيئًا لغد)[4].

---

(١) الصبرة: الطعام المجتمع كالكومة، والقرظ: الجلد، وصبرة من قرظ، أي: مجموعًا قد جعل صبرة كصبرة الطعام. انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ص ٥٠٧.

(٢) أهب: جلد، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤٩١٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/٣٢٦ - ٣٢٧.

الحديث رقم (٥٢٢)

٥٢٢ - وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((قَدْ أفْلَحَ مَنْ أسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً، وقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[٢]

---

(١) برقم ١٢٥/١٠٥٤، أورده المنذري في ترغيبه ١٢١٨.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥١١).

الحديث رقم (٥٢٣)

٥٢٣ - وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه، قَالَ: سألتُ رسول الله ﷺ فأعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: ((**يَا حَكِيم، إنَّ هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أخَذَهُ بإشرافِ نَفسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**)).

قَالَ حكيم: فقلتُ: يَا رسول الله، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أرْزَأُ أحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدْعُو حَكيمًا لِيُعْطِيَه العَطَاء، فَيَأبَى أنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا[1]، ثُمَّ إنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَه فَأَبَى أنْ يَقْبَلَهُ[2]. فقالَ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ[3]، أُشْهِدُكُمْ عَلَى حَكيمٍ أنّي أعرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَهُ اللهُ لَهُ في هَذَا الفَيء فَيَأبَى أنْ يَأخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأْ حَكيمٌ أحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النبي ﷺ حَتَّى تُوُفِّي[4]. متفقٌ عَلَيْهِ[5].

ترجمة الراوي:

حكيم بن حزام: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٩).

غريب الألفاظ:

خَضِرٌ حلوٌ: محبوب مستلذ ومرغوب فيه[6].

بسخاوة نفس: بكرمٍ وجود، من غير طمع في الشيء[7].

---

(١) (شيئًا) لا توجد عند البخاري برقم ١٤٧٢، وإنما عنده برقم ٢٧٥٠.

(٢) هذا اللفظ عند البخاري برقم ٢٧٥٠، وفي ١٤٧٢: (أن يقبل منه شيئًا).

(٣) هذا في رواية الأوزاعي برقم ٢٧٥٠، وفي رواية يونس برقم ١٤٧٢: (إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم).

(٤) من بعد قوله: (يا حكيم) إلى هنا عند البخاري برقم ٢٧٥٠.

(٥) أخرجه البخاري ١٤٧٢، و٢٧٥٠، ومسلم ١٠٢٥/٩٦ والسياق للحميدي في جمعه ٢٨٤/٣، رقم ٢٨٦٥. أورده المنذري في ترغيبه ١١٩٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٥.

(٧) رياض الصالحين ٢٤٦، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س خ و).

إشراف النفسُ: تطلُّعها وطمعها في الشيء[١].

لم يرزأ: لم يأخذ من أحد شيئًا، وأصل الرزء: النقصان، أي: لم ينقص أحدًا شيئًا بالأخذ منه[٢].

العطاء: ما يستحقه من المغنم[٣].

الفيء: الخراج والغنيمة تنالُ بلا قتال[٤].

الشرح الأدبي

جاءت عبارته ﷺ: (وإن هذا المال خضر حلو) لتجلّي أبعاد أكثر مباهج الدنيا خطورة وهو المال وتبيّن وجه الانتفاع به فبدأ العبارة بأسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة ولعل السبب في هذا التوكيد يرجع إلى تمكُّن الرغبة للمال وحبه في نفوس الناس وانشغالهم عن خطره فجاءت هذه المؤكدات عناية بالأمر وتنبيها إلى خطره، ولأن حكيم كرر السؤال كثيرا والرسول ﷺ كرر له العطاء كما ذكر(سألتُ رسول الله ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ) كما تشير ثم التي سبقت القول إلى فترة زمنية قبل أن يقول له هذا القول، وتعريف الرسول ﷺ للمسند إليه بالإشارة (هذا المال) لكمال العناية وتمييزه أكمل تمييز أو للتنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف جدير لأجل تلك الأوصاف التي وصفه بها من خضرة وحلاوة تبعثان الرغبة فيه، وقوله ﷺ: (المال خضر حلو) (ليس هو صفة المال، وإنما هو للتشبيه كأنه قال: المال كالبقلة الخضراء الحلوة) ووجه الشبه إقبال النفس عليه وسرورها به، وهو تشبيه بليغ حذف منه الوجه والأداة مما أعطى المعنى تأكيداً يفيد شدة التشابه في الصفة بين المشبه والمشبه به، وقد قابل بين قوله (فمن أخَذَهُ بِسَخَاوَةِ

---

(١) المرجع السابق ٢٤٦.

(٢) المرجع السابق ٢٤٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٩٥.

(٤) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ي أ).

نَفسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ) وبين قوله: (وَمَنْ أَخَذَهُ بإشرافِ نَفسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ) ليوضح أثر العامل النفسي، والإحساس القلبي على حدوث البركة في المال من عدمها حتى يبحث كل إنسان في نفسه عن شكل إحساسه به، ويحذر سيطرة المال على قلبه، وقوله (وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى)قابل العليا بالسفلى، ليصور الفارق بين الاثنين بالمدى المحسوس بين الجهتين ارتفاعا في سمو بمحاسن الأفعال، وانخفاضا، وانحطاطا بذل السؤال، وحتى لا ينظر إنسان لعلو اليد، وانخفاضها من ناحية القوة، والضعف أو من ناحية الغنى، والفقر، وقد كان لهذه المعاني بالغ الأثر في نفس حكيم رضي الله عنه حتى قال للرسول صلى الله عليه وسلم (وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَداً بَعْدَكَ شَيْئاً حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا) أي لا آخذ شيئا من أحد حتى أموت، وقد صدق رضي الله عنه، كما دل باقي الحديث .

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١ - جواز تكرار السؤال ثلاثًا، وجواز المنع في الرابعة.

٢ - سؤال الأعلى ليس بعار، وأن رد السائل بعد ثلاث ليس بمكروه.

٣ - أن السائل إذا ألحف لا بأس برده وتخييبه وموعظته، وأمره بالتعفف وترك الحرص على الأخذ.

٤ - أنه لا يستحق أحد أخذ شيء من بيت المال إلا بعد أن يعطيه الإمام إياه، وأما قبل ذلك فليس ذلك مستحقًا له[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: جود وكرم النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النداء، والكناية والتمثيل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاستغناء والتعفف عن المسألة.

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢٧/٣، وشرح ابن بطال ٤٨/٦.

أولاً - من موضوعات الدعوة: جود وكرم النبي ﷺ:

إن الله عز وجل منح نبيه ﷺ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره، ومن ذلك ما حباه الله به من سخاء اليد، وكرم النفس، والجود بالقليل والكثير، وقد جاء في الحديث ما يبين هذه المعاني، ومن ذلك قول حكيم بن حزام رضي الله عنه: "سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني" ولقد كان ﷺ أجود الناس وأكرم الناس قال الكفوي: (الكرم يكون مسبوقًا باستحقاق السائل والسؤال منه والجود صفة ذاتية للجواد ولا يستحق بالاستحقاق والسؤال والجواد يطلق على الله تعالى دون السخي)[1].

ومما يدل على كرم وجود النبي ﷺ ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ((كَانَ رسُولُ اللّهِ أَحْسَنَ النَّاسِ. وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ))[2] وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: ((كانَ رسولُ اللَّهِ أجودَ النَّاسِ، وكانَ أجودَ ما يكونُ في شهرِ رمضانَ وحينَ يلقاه جبريلَ. وكانَ جبريلُ يلقاهُ في كُلِّ ليلةٍ مِنْ رمضانَ، فيُدارِسُهُ القرآنَ، فَلَرسُولُ اللَّهِ حينَ يلقاهُ جبريلُ أجودُ بالخيرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ))[3] وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لاَ))[4] وعن أنس رضي الله عنه ((أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. فَأَتَىٰ قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا. فَوَاللّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءَ مَا يَخَافُ الْفَقْرَ))[5] وعن صفوان رضي الله عنه قال: ((وَاللّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللّهِ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ. فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ))[6] وعن

---

(١) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٣٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٢٠، ومسلم ٢٣٠٧.

(٣) أخرجه البخاري ٥، ومسلم ٢٣٠٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٣٤، ومسلم ٢٣١١.

(٥) أخرجه مسلم ٢٣١٢.

(٦) أخرجه مسلم ٢٣١٣.

جبير بن مطعم ﵁ قال: ((بينما أسيرُ معَ رسولِ الله ﷺ ومعه الناسُ، مَقفلَهُ من حُنَينٍ، فَعَلِقَتِ الناسُ يسألونَه حتّى اضطَرّوه إلى سَمُرَةٍ فخطِفَتْ رِداءه فوقفَ النبيّ ﷺ فقال: أَعْطوني رِدائي، لو كان لي عدد هذهِ العِضاهِ نَعمًا لقَسمتهُ بينكم، ثمَّ لا تجدوني بَخيلاً ولا كذوبًا ولا جَبانًا))(١).

قال محمد الخضري: (وأما الجود والكرم والسخاء فكان ﷺ لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى، وصفه بهذا كل من عرفه. ولقد قالت خديجة ﵂ في صفته ﷺ مخاطبة له: ((إِنَّكَ تَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ))(٢). وحسبك شاهدًا في هذا الباب ما فعله مع هوازن من ردِّ السبي إليها، وما فعله يوم تقسيم السبي من إعطاء المؤلفة قلوبهم عظيم الأعطية، وحمل إليه عليه الصلاة والسلام تسعون ألفًا، فوضعها على حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها. والأخبار بجوده وكرمه عليه الصلاة والسلام كثيرة)(٣).

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النداء، والكناية والتمثيل:

١ - النداء: حيث جاء في الحديث "يا حكيم" وأسلوب النداء من أساليب الدعوة وهو يشعر المدعو بالقرب من الداعية لاختصاصه بالنداء وفيه شد لانتباه المدعو.

قال القاسمي: (والنداء تنبيه للمنادى ليسمع ما يلقى عليه بعد النداء من الكلام ليعمل بمقتضاه، ولذلك كثر النداء في القرآن والنداء بوصف الإيمان فيه الحث على ما يأمر به وينهى عنه بعد النداء، فإن الإيمان موجب للطاعة والإذعان وفيه أيضًا إكرام المؤمنين بندائهم بأشرف أوصافهم وأحبها فيحثهم ذلك الإكرام على لزوم الطاعة والإذعان)(٤).

٢ - الكناية والتمثيل: حيث جاء في الحديث "إن هذا المال خضرٌ حلوٌ" قال النووي: (شبه المال في الرغبة فيه والميل إليه، وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٣، ومسلم ١٦٠.

(٣) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ١٧٤-١٧٥.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٥٥/١.

فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده والحلو على انفراه فاجتماعهما أشد)[١] وقال ابن حجر: (وفيه ضرب المثل لما لا يعقله السامع من الأمثلة لأن الغالب من الناس لا يعرف البركة إلا في الشيء الكثير، فبين بالمثال المذكور أن البركة هي خلق من خلق الله تعالى وضرب لهم المثل بما يعهدون)[٢]. ومما لاشك فيه أن أسلوب الكناية والتمثيل من أساليب الدعوة النافعة التي تقرب المعنى إلى الأذهان، وتجعل الصورة المعنوية واضحة لدى المدعو بالمثل المحسوس.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاستغناء والتعفف عن المسألة:

إن مما يغرسه الإسلام في نفوس أتباعه ويربيهم عليه هو عزة النفس والأنفة والتعفف عما في أيدي الناس ويتضح هذا من الحديث "فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى، قال النووي: (وفي هذا الحديث الحث على التعفف والقناعة والرضا بما تيسر في عفاف وإن كان قليلاً، والإجمال في الكسب وأنه لا يغتر الإنسان بكثرة ما يحصل له بإشراف ونحوه فإنه لا يبارك له فيه)[٣].

وفي فضل الاستغناء والتعفف جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ومَن يَستعفِفْ يُعِفّهُ اللّهُ، ومَن يَستغنِ يُغنِهِ اللّهُ))[٤] قال السعدي: (ومما يوجب للعبد الاستعفاف والاستغناء علمه بأن افتقاره إلى الخلق وتعلقه بهم واستشرافه لما بين أيديهم أو سؤالهم يجلب الهم والغم والأكدار والقلق وأن استغناءه عنهم وعدم تعلقه بهم يوجب راحة القلب وروحه وطمأنينته وكلما قوي طمع العبد بالله وقوي رجاؤه لربه يسر الله كل عسير وهون عليه كل صعب ورزقه من حيث لا يحتسب وكفاه الهموم كلها)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٠٥٣.

(٥) الرياض الناضرة، السعدي ص ١٩٠.

ولقد طبق الصحابة الكرام رضي الله عنهم هذا التعليم النبوي فشرفت نفوسهم وعزّت، ولم تتطلع إلى ما في أيدي غيرهم ولا أدل على ذلك من موقف حكيم بن حزام رضي الله عنه من رفضه قبول العطاء من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حيث جاء في الحديث "والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا". قال ابن حجر: (وإنما امتنع حكيم من قبول العطاء مع أنه حقه لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئًا فيعتاد الأخذ فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده ففطمها عن ذلك، وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وإنما أشهد عليه عمر لأنه أراد أن لا ينسبه أحد لم يعرف باطن الأمر إلى منع حكيم من حقه)[1]. ومما لا شك فيه أن هذا يدل على شرف نفسه رضي الله عنه وعلو همته. قال الماوردي: (وأما شرف النفس فإن به يكون قبول التأديب واستقرار التقويم والتهذيب، لأن النفس ربما جمحت عن الأفضل وهي به عارفة، ونفرت عن التأديب وهي له مستحسنة. وإذا شرفت النفس كانت للآداب طالبة وفي الفضائل راغبة فإذا مازجها صارت طبعًا ملائمًا، فنما واستقر وقال بعض الشعراء:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها ... هوانًا بها كانت على الناس أهونا

فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن ... عليك لها فاطلب لنفسك مسكنا

وإياك والسكنى بمنزل ذلةٍ يُعَدُّ ... مسيئًا فيه من كان مُحْسِنا[2]

وفي الدروس المستفادة من الحديث قال ابن أبي جمرة: (ظاهر الحديث يدل على أن أخذ المال بسخاوة النفس بركة فيه، وأخذه بإشراف النفس عدم البركة فيه) أي أن المال تنزع البركة منه إذا أخذه الإنسان بإشراف النفس.

فعلى الإنسان أن يكون زاهدًا في أخذه للمال؛ لأنّ ذلك من أسباب البركة فيه، لأنّ سخاء النفس هو عين الزهد.

وعلى الإنسان أن يتجنّب الحرص الشديد على المال، لأنّه ينزع البركة منه ، وهو

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩٤.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٣٠٧، ٣٠٨.

المقصود بإشراف النفس، لأنّ هذا الإشراف يورث التعب لصاحبه لعدم قناعته بما رزقه الله إياه، ولأنّه يولّد بين من هذه صفتهم الحسد والضغائن والغيبة والشح بمنع الحقوق كلها أو بعضها أو توفيتها.

الحديث رقم (٥٢٤)

٥٢٤ - وعن أَبي بردة، عن أَبي موسى الأشعري ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رسول الله ﷺ في غَزاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَت أقدامُنَا وَنَقِبَت قَدَمِي، وسَقَطت أظْفَاري، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أرْجُلِنا الخِرَقَ، فَسُمِّيَت غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَى أرْجُلِنَا مِنَ الخِرَقِ، قَالَ أَبُو بُردَة: فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الحَدِيثِ، ثُمَّ كَرِه ذَلِكَ، (وقال: مَا كُنْتُ أصْنَعُ بِأنْ أذْكُرَهُ !)[١] قَالَ: كأنَّهُ كَرِهَ أنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أفْشَاهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

غزاة: غزوة[٣].

نعتقبه: أي يركبه كل واحد منا نوبة[٤].

فنقبت أقدامنا: قرحت من الحفاء[٥].

الخِرقة: القطعة من الثوب الممزق، والجمع خرق[٦].

غزوة ذات الرقاع: وهي التي كانت في محرم ٥هـ، وقد سار النبي ﷺ في ٤٠٠ من أصحابه يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان الذين تجمعوا لمحاربته وسميت ذات

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم، وهي في الجمع للحميدي ٣٠٤/١، رقم ٤٤٩ وكذا عند البخاري.

(٢) أخرجه البخاري ٤١٢٨، ومسلم ١٨١٦/١٤٩ واللفظ له، إلا الزيادة، فهي لفظ البخاري، وجمعه الحميدي في جمعه بين الروايتين، وتبعه عليه المؤلف.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٧٩.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ر ق).

الرقاع لعصب المسلمين أرجلهم بالخرق، ولقد كان كل ستة نفر على بعير يعتقبونه، فدميت أرجلهم وجرحت وهي عند نخل شمال خيبر. وقيل على بعد ١٠٠ كم فقط شمال المدينة المنورة[١].

نعصب على أرجلنا: أي نشد على أرجلنا[٢].

أفشاه: أي أظهره ولم يكتمه[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى ضيق الحال من جهة، ويشير من جهة أخرى إلى صلابة الصحابة رضوان الله عليهم، وقوة تحملهم في سبيل الله وقول الراوي (وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ) يشير إلى قلة المؤن، وقلة العدد، وقلة السلاح، لكنهم كانوا على يقين بالله يستمدون القوة منه مع ما لديهم قل، أو كثر، والتعبير بالفعل (نعتقب) تصور تتابعهم على البعير يركب أحدهم مسافة، ويسير خمسة أو ستة أضعافها مما سبب لهم التعب، والمعاناة والذي صورها الفعل (نقبت) أي تشققت من وعورة الأرض وطول المسير، يزيده توكيدا أنه أضاف الأقدام إلى ضمير الجماعة (أقدامنا)، ثم فصَّل ما حدث له (وَنَقِبَت قَدَمِي، وسَقَطت أظْفَاري) ونسبة النقب والسقوط للأقدام، والأظافر من المجاز بنسبة الفعل لمفعوله مبالغة في قوة الأثر الذي نقب القدم وأسقط الأظافر، وقوله (فَكُنَّا نَلُفُّ على أرْجُلِنا الخِرَقَ، فَسُمِّيَت غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ) والتعبير بضمير الجمع يدل على عموم الأثر الذي ضم الجميع مما يشير إلى قوته، وقول أبي موسى رضي الله عنه (مَا كُنْتُ أصْنَعُ بِأنْ أذْكُرَهُ ؟ !) استفهام لوم، وعتاب لنفسه مع ما يوحي به من ندم لأنه ذكره وقد فسَّره الراوي بقوله (كأنَّهُ كَرِهَ أنْ يَكُونَ شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ أفْشَاهُ) لأنهم كانوا أشد الناس إخلاصا، وأحرصهم على إخفاء أعمالهم.

---

(١) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٧٩. وهناك أقوال أخرى في تحديد تاريخ غزوة ذات الرقاع، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨١/٧ - ٤٨٢.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ع ص ب).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٧٩.

فقه الحديث

من الفقه في هذا الحديث:

١ - جواز ركوب جماعة بالنوبة، بأن يركب هذا قليلاً ثم ينزل، فيركب الآخر بالنوبة، حتى يأتي على سائرهم، إذا لم يضر بالمركوب.

٢ - استحباب إخفاء الأعمال الصالحة، وما يكابده العبد من المشاق في طاعة الله تعالى، ولا يظهر شيئًا من ذلك إلا لمصلحة مثل بيان حكم ذلك الشيء، والتنبيه على الاقتداء به فيه ونحو ذلك. وعلى هذا يحمل ما وجد للسلف من الإخبار بذلك[(١)].

المضامين الدعوية

أولاً : من وسائل الدعوة: الغزو.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم وتحملهم للمشقة والعناء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة : الصبر وتحمل الشدائد.

أولاً - من وسائل الدعوة: الغزو:

إن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ولابد أن تنتشر في بقاع الأرض، وإذا اعترض مسيرة الدعوة معترض، أو وقف في طريق انتشار الإسلام أحد فلا مناص من الجهاد تحقيقًا لعالمية الدعوة، وتبليغًا للرسالة ومن هذه الغزوات التي غزاها رسول الله ﷺ غزوة ذات الرقاع حيث جاء في الحديث "خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة"، والمراد بالغزاة، غزوة ذات الرقاع قال ابن عبدالبر: (وفي السنة الرابعة من الهجرة غزا رسول الله ﷺ نجدًا يريد بني محارب وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، وسميت هذه الغزوة ذات الرقاع، لأن أقدامهم نقبت فكانوا يلفون عليها الخرق وقيل: لأنهم رقعوا راياتهم فيها، وقيل غير ذلك، وفي هذه الغزوة "جاء رجل من بني محارب ليفتك بالنبي ﷺ فأمسك السيف وقال: من يمنعك مني يا محمد؟ قال: الله، فرد السيف في غمده)[(٢)].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، ٦/١٢/١٦٥-١٦٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٤٢١.

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبدالبر ١٦٦، ١٦٧

ومما لا شك فيه أن الغزو والجهاد وسيلة من وسائل الدعوة لتبليغ كلمة الله إلى الناس أجمعين (ولما كان الجهاد من فرائض الإسلام فقد عظمت به الوصية واشتدت إليه الحاجة وأصبح من لوازم الحياة الكريمة، حيث يبذل المسلم ماله ونفسه وجميع ما يملك لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى امتثالاً لأمره جل وعلا، والجهاد يضمن بقاء الأمة الاسلامية قوية مهابة الجانب، يحسب لها الطامعون ألف حساب، والجهاد له أثر فاعل في الدعوة إذ يفلح مع ممن لا ينقادون لأوامر الله سبحانه إلا بالقوة، والقوة مرحلة من مراحل الدعوة)[1]. والناظر المتأمل في غزوات الرسول ﷺ وجهاد الصحابة رضي الله عنهم يراها كلها دفاعًا عن بيضة الإسلام، والذبّ عن حياضه، وكف المناوئين له، المعادين لرسالته (فحقيقة موقف الإسلام من القتال إنما هو موقف معتدل شجاع لا هو إلى الجبن ولا هو إلى التهور، وإنما هو بين سلبية الدفاع ضد العدوان البادئ من العدو، وإيجابية نشر الدين البادئة من المسلمين، ومنه يبدو أن الإسلام قد يبدأ الحرب حينًا، وقد يكون مثنيًا حينًا على أنه مهما بدأ أو ثنى فقد أوجب على نفسه ألا يسترق الظفر أو ينتهب النصر، بل عليه أن يدعو عدوه أولاً إلى الإسلام وأغراضه الصالحة وكذلك يرى الإسلام أن يدعو قبل القتال، ولكنه بعد أن يكون قد استعد وقوي ثم يرسل دعوته، حتى لو كان على رؤوس القوم، ومن ثم صار الجهاد فريضة في الإسلام بغية الأمرين: نشر الدين ورد المعتدين، والأُهبة للأمرين على الدوام.

ومسؤولية المسلمين نحو دينهم من حيث إنه دين الكافة، ومن حيث إنهم مكلفون بالدعوة له ورد المعتدين عنه إلى يوم القيامة مسؤولية ذات خطر وبال، والعالم كله متدينه وعاطله مفطور على قبول الحجة القوية التي هي من صنع الداعي وحيلته، ولذا وجب على المسلمين متابعة ما بدأوا به من دعوة كل إنسان إلى ما دعا إليه الإسلام منذ البدء، فإما إلى الإسلام، وإما إلى السلام)[2].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٢٤١-٢٤٢

(٢) سماحة الإسلام، د. عمر بن عبدالعزيز قريشي، ص ١٤٨-١٤٩.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم وتحملهم للمشقة والعناء:

إن الدعوة إلى الله والجهاد والغزو بحاجة إلى مزيد من الجهد والمصابرة وتحمل المشقة والعناء، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم مثالاً عاليًا في التضحية والصبر على شدة الحياة في سبيل الدعوة وتبليغ كلمة الله، ويتضح هذا من الحديث "ونحن ستة نفرٍ بيننا بعيرٌ نَتعقبه، فنقِبَت أقدامُنا ونقبت قدمايَ وسَقَطتْ أظفاري، فكنا نلفُّ على أرجُلنا الخرَق". ولا شك أن كل هذا يدل على فضل الصحابة وجهادهم رضي الله عنهم.

قال د. سعيد البوطي: (وفي غزوة الرقاع صورة واضحة عن مدى ما كان يتحمله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالة ربهم والجهاد في سبيله، ولقد تبين أنهم كانوا فقراء لا يجدون حتى الظهر الذي يمتطونه لجهادهم وغزواتهم، ولكن الفقر لم يعقهم عن أداء رسالتهم حيال دينهم والجهاد في سبيل نصرته، فقد تحملوا في سبيل ذلك كل النتائج، وكل ألوان المحن نقبت أقدامهم، وتساقطت أظافرهم، وتعرت أقدامهم، ومع ذلك فما ضعفوا وما استكانوا واستهانوا بكل ذلك في جنب عظم المسؤولية الملقاة على أعناقهم، منذ أن أصبحوا مسلمين)[1]، ولقد كان الصحابة الكرام يتمثلون قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾[2]، ولا أدل على ذلك مما جاء عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسًا من شدة الضرِّ الذي به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة[3].

(١) فقه السيرة، ص ٢٩٢-٢٩٣

(٢) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٣) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، ص ١٥٨.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة : الصبر وتحمل الشدائد:

إن الصبر من الخِلال الطيبة للمؤمن والتي تعينه على مواجهة العقبات والشدائد وفي الحديث ما يدلل على تحمل الصحابة وصبرهم. ويتضح ذلك من مضمون الحديث وسياقه حيث يدل على صبر الصحابة رضي الله عنهم على المشقة والعناء، وقد جاء الأمر بالصبر في القرآن قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾[2]، وأثنى الله على الصابرين فقال جل شأنه: ﴿ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[3]، وأخبر أنه يحبهم فقال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[4]، وأرشد أن الصبر خير فقال سبحانه: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾[5]، وأطلق البشرى لهم فقال عز وجل: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[6].

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "... والصبر ضياء..."[7] وبين ﷺ أن الصبر خير فعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ. إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ. وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ. إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ. فَكَانَ خَيْرًا لَهُ. وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))[8].

قال ابن القيم: (والصبر نصف الإيمان فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٤٦.

(٥) سورة النحل، آية: ١٢٦.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٥٥.

(٧) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٨) أخرجه مسلم ٢٩٩٩.

شكر، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له، قال ابن تيمية: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[١]، ولذا فالصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش[٢].

إن (الصبر: خلق نفسي فطري أو مكتسب من آثاره القدرة على الدأب في الأعمال الظاهرة أو الباطنة، وعلى تحمل المشقات النفسية والجسدية مما يخالف أهواء النفس وشهواتها ورغباتها في فعل ما تكره فعله أو ترك ما تحب فعله، وهو خلق يمكن من يتحلى به ويضعه في المواضع الملائمة له من الظفر بأفضل النتائج التي يريد الحصول عليها، مما يقوم به من أعمال ظاهرة أو باطنة والصبر من أجل الصفات النفسية، ذوات الأثر في السلوك الباطن والظاهر، وذوات القيمة الثمينة مما يتحلى به العقلاء ذووا الإرادات القويات، والأنفس العاليات الزاكيات وهو من صفات الله جل جلاله فمن أسمائه تبارك وتعالى "الصبور" وهو يحب الصابرين، وهو مع الصابرين، وهو يبشر الصابرين بالنتائج التي يحبونها، وبالأجر العظيم عنده يوم الدين)[٣].

---

(١) سورة السجدة، آية : ٢٤.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/ ٤٢٤.

(٣) فقه الدعوة إلى الله تعالى، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ١/ ١٢٥.

الحديث رقم (٥٢٥)

٥٢٥ - وعن عمرو بن تَغْلِبَ - بفتح التاء المثناة فوق وإسكان الغين المعجمة وكسر اللام - رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ أُتِي بِمالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَّمَهُ، فَأعْطَى رِجَالاً، وَتَرَكَ رِجَالاً، فَبَلَغَهُ أنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ أثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ((**أمَّا بعْدُ، فَواللهِ إنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أدَعُ أحَبُّ إلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنِّي إنَّمَا أُعْطِي أقْوَامًا لِمَا أرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأكِلُ أقْوَامًا إلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهم مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، مِنْهُمْ**[1] **عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ**) قَالَ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ: فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أنَّ لِي بِكَلِمَةِ رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعَم. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

عمرو بن تغلب: هو عمرو بن تغلب النَّمَري - بفتحتين - ويقال العبدي.

كان من أهل جُواثا - قرية من قرى البحرين - لما سمع بالإسلام قطع المسافات الطويلة وتحمل العناء والتعب الشديدين مهاجرًا إلى الله ورسوله، فأعلن إسلامه وحُسن وصدق فيه، لذا استحق ثناء الرسول ﷺ أمام أصحابه كما في الحديث المذكور.

نزل العراق فسكن البصرة وعاش إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان، وروى عنه الحسن البصري[3].

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (فيهم) والمثبت لفظه برقم (٧٥٣٥).

(٢) برقم (٩٢٣).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٠٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٨٨/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٦١، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٩٦/٥)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٥٨/٣)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٤٠٠/٢).

غريب الألفاظ:

السبي: نساء وصغار الكفار المحاربين المأخوذون في الحرب[١].

عتبوا: العتاب: مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموْجِدة[٢].

الجزع: الخوف[٣].

الهلع: أشدُ الجزع وقيل: الضجر[٤].

وأكلُ: أترك[٥].

حمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه[٦].

الشرح الأدبي

قوله (فَأعْطَى رِجَالاً، وَتَرَكَ رِجَالاً) طباق يشير إلى المفارقة بين العطاء للبعض، ومنع البعض مما أثار حفيظة من لم تتكشف له الحكمة في فعل النبي ﷺ، وبداية الرسول ﷺ بـ(أما) التفصيلية التي تفيد توكيد ما بعدها ثم القسم بالله الذي يحقق الترهيب وحرف التوكيد (إن) واللام ليزيل ما في القلوب المعترضة من عتب وما تظن في تصرف الرسول، وأن العطاء ليس دليل محبة ولا المنع دليل كره، ولذلك (إنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أدَعُ أحَبُّ إلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي) ويدل عليه تعبيره بـ(أدع) الذي يشير إلى ترك في لين، ثم تعبيره بأفعل التفضيل أحب التي تشير إلى حقيقة الدافع

---

(١) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢١٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ت ب)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٩٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ز ع).

(٤) رياض الصالحين ٢٤٧.

(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (و ك ل).

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٧١.

العطاء، والمنع، وأسلوب القصر الذي يقصر العطاء على أقوام صفتهم الجزع (إنَّمَا أُعْطِي أقْوَاماً لِمَا أرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ)، وتنكير الأقوام للستر عليهم، وقول الرسول ﷺ (لما أرى في قلوبهم) يشير إلى نفاذ بصيرته ﷺ وتفقده لمن حوله حتى يعامل كل واحد منهم بما يصلح شأنه والتعبير بالهلع بعد الجزع يشير إلى نوع مسيطر من الخوف، ومزلزل للإيمان في قلوبهم مما ينتج عنه هلاكهم، ولذلك ألف قلوبهم، وسكن جزعهم بما أعطاهم من مال، وقد اتخذ موقفا مخالفا مع أصحاب الإيمان الراسخ في قوله (وَأَكِلُ أقْوَاماً إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبهم مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ) وقد رفع لهم من هؤلاء قدوة في هذا المجال فقال: (مِنْهُمْ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ) بينما ستر على أهل الجزع، والهلع، حتى يستقر الإيمان في قلوبهم، وبذلك يصلح الجميع، ويكون المال حماية لهم جميعا.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم التأليف على الإسلام: اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنابلة وبعض المالكية إلى أن أحكام المؤلفة باقية، فيجوز التأليف لمن لم يرسخ إيمانه، وذهب الحنفية والمالكية في الراجح والشافعية إلى أنه قد انقطع سهم المؤلفة بعد رسول الله ﷺ فلا يعطى أحد تأليفاً بحال، ورجح بعض المالكية أن التأليف جائز لبقاء حكمهم غير ألا يعطوا إلا وقت الحاجة[1].

---

(١) العناية على الهداية ١٨٩/٣، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٨١/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ١٩٧/٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٥٦/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حكمة النبي ﷺ في إعطاء بعض الصحابة رضي الله عنهم وعدم إعطاء البعض.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: تأليف القلوب.

رابعًا: من واجبات الداعية: تطييب قلوب المدعوين ومدحهم بما فيهم.

أولاً - من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن وسائل الدعوة تتنوع وتتعدد، وتبقى الخطبة لها أثرها ودورها الفعال من بين الوسائل الدعوية لارتباطها بالجانب التعبدي في حياة المسلم، خاصة فيما يتعلق بخطبة الجمعة، وخطبة العيد، وخطبة عرفة، وقد أشار الحديث إلى وسيلة الخطبة في قول عمرو بن تغلب رضي الله عنه "فحمد الله ثم أثنى عليه ثم قال أما بعد" والخطبة وسيلة هامة من وسائل الدعوة قال محمد الغزالي: (ودعمًا للحق في أنحاء الجماعة جعل الله الخطابة من شعائر الإسلام ففي كل أسبوع يحتشد المسلمون في المسجد الجامع، ليسمعوا داعية إلى الله يذكر بربه ويعلم دينه، وفي كل عيد يجتمع المسلمون ليسمعوا التوجيه المناسب بعد صلاة العيد، وفي كل موسم جامع للحجيج تلتقي وفود الأمة الإسلامية لتستمع إلى خطاب عرفة، فالخطابة في الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر، وذاك هو السر في أن نبي الإسلام كان يخطب كل أسبوع وكل عيد ويخطب أو ينيب عنه أميرًا يخطب في وفود الحجيج عند جبل الرحمة)[١].

إن الخطبة كوسيلة من وسائل الدعوة يمكن أن يستغلها الداعية في الوعظ والتوجيه والوصايا والزواج وإصلاح ذات البين، ومعالجة المشكلات الاجتماعية،

---

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ٣٠٧.

والقضايا الجماهيرية (ولما جاء الإسلام سارت الخطابة في ركاب الدعوة الجديدة تخدم أغراضها. وتنادي الناس إلى الدخول فيها، ففي كل مسجد خطبة، وعلى كل منبر خطيب، والجماهير تهوى هويًا إلى هذه المنابر التي كانت ولا تزال خطبة الجمعة فيها قبل الصلاة حتى لا يجد المصلون سببًا إلى التسلسل أو التخلص من سماعها لأي سبب من الأسباب ومن هنا كان تقدير الإسلام للخطابة الدينية تقديرًا مبنيًا على الوجوب، وربأ الإسلام بخطبة الجمعة أن تكون وعظًا معادًا مكرورًا ونغمة رتيبة فجعلها تدور حول ما يهم الجماعة الإسلامية ويشغل بالها من الأمور المستحدثة والمسائل الجارية والقضايا التي تتصل بمصالحهم)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حكمة النبي ﷺ في إعطاء بعض الصحابة رضي الله عنهم، وعدم إعطاء البعض:

إن من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، ومَنْ غير الأنبياء أولى أن يتصف بالحكمة؟ ومن غير النبي ﷺ أولى أن تصطبغ تصرفاته بالحكمة؟ هكذا كان رسول الله ﷺ حكيمًا فيما يفعل، حكيمًا فيما يترك، ويتضح هذا مما جاء في الحديث من قول النبي ﷺ: "فو الله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل والذي أدع أحب إلى من الذي أعطى" ولا شك أن هذا يدل على حكمة النبي ﷺ وحسن تقديره للأمور والأحوال، ودرايته بنفوس أصحابه رضي الله عنهم قال ابن حجر: (وأما في الدنيا فإنما تقع العطية والمنح على حسب السياسة الدنيوية، فكان ﷺ يعطي من يخشى عليه الجزع والهلع لو منع، ويمنع من يثق بصبره واحتماله وقناعته بثواب الآخرة ومن فوائد الحديث استئلاف من يخشى جزعه أو يرجى بسبب إعطائه طاعة من يتبعه والاعتذار إلى من ظن ظنًا والأمر بخلافه)[2]، ولا يخفى أن الحكمة من صفات الأنبياء قال تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[3] وإذا كانت الحكمة هي الإصابة في القول والسداد في الفعل (فإن الحكيم يعمل على وفق الشرع، ويصيب في القول والفعل

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان راجح الهجاري ٥٦٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٥٢٠.

(٣) سورة ص، آية: ٣٠.

والتفكير، ويسير على هدى من الله ونور، والحكمة دليل على كمال العقل ونفاذ البصيرة، وهي سمة من سمات الأنبياء الصالحين والعلماء العاملين)[(١)]. إن المتأمل في سيرة النبي ﷺ يظهر بجلاء لا يخفى لذي عينين ما فطر الله عليه نبيه ﷺ من الحكمة في جميع تصرفاته وأحواله، وجميع تعاملاته مع أصحابه رضي الله عنهم وغيرهم في العطاء والمنع، والفعل والترك، والإقدام والإحجام.

قال علي محفوظ: (لقد كان لسياسته الحكيمة ﷺ عظيم الأثر في نجاح دعوته، وإنشاء دولته، وقوة سلطانه، ورفعة مقامه، إذ لم يعرف في تاريخ السياسات البشرية أن رجلاً من الساسة المصلحين في أية أمة من الأمم كان له مثل هذا الأثر العظيم، ومَن مِن المصلحين المبرزين سواء أكان قائدًا محنكًا، أم مربيًا حكيمًا اجتمع لديه من رجاحة العقل وأصالة الرأي وقوة العزم وصدق الفراسة، ما اجتمع في رسول الله ﷺ؟ ولقد برهن على وفور ذلك كله فيه: صحة رأيه، وصواب تدبيره، وحسن تألفه، وأنه ما استغفل في مكيدة، ولا استعجز في شديدة، ومن شواهد سياسته الحكيمة تأليفه القلوب بالمال فكان يؤثر حديثي العهد بالإسلام بجانب من المال، للاحتفاظ بالبقاء على الهداية للإسلام، وهذا إذا ظهر له أن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم رسوخًا لا تزلزله الفتن)[(٢)].

ثالثًا - من وسائل الدعوة: تأليف القلوب:

إن النفس البشرية جبلت على حب المنفعة وترقب الخير، ولذا كان تأليف القلوب من وسائل الدعوة للترغيب في الإسلام والثبات عليه، ويظهر هذا من قول النبي ﷺ في الحديث: "ولَكِنِي إِنَمَا أُعْطِي أقوامًا لِمَا في قلوبِهِمْ من الجَزَعِ والهَلَعِ"، ويعتبر تأليف القلوب من وسائل الدعوة الهامة ولذا جعل الله لهم سهمًا في مصارف الزكاة قال تعالى: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[(٣)].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٥/١٧٠٥.

(٢) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ٣٤-٣٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ٦٠.

قال ابن كثير: (ومن المؤلفة قلوبهم من يعطي ليسلم كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حنين، ومنهم من يعطي ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم ومنهم من يعطي لما يرجى من إسلام نظرائه، ومنهم من يعطي ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد"(١).

وفي تأليف القلوب بالعطاء جاء عن عامر بن سعد عن أبيه قال: ((أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ. قَالَ : فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْهُمْ رَجُلاً لَمْ يُعْطِهِ. وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ. فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَسَارَرْتُهُ. فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ مَالَكَ عَنْ فُلاَنٍ؟ وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا. قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا فَسَكَتُّ قَلِيلاً. ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَالَكَ عَنْ فُلاَنٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا. قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا فَسَكَتُّ قَلِيلاً. ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَالَكَ عَنْ فُلاَنٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا. قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا قَالَ: إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ. خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ))(٢).

ومن التطبيقات العملية لاستخدام وسيلة تأليف القلوب في الدعوة ما جاء عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنمًا بين جبلين فأعطاه إياه فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمدًا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر. فقال أنس رضي الله عنه: ((إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا. فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا))(٣).

قال النووي: (وقد وقع في هذه الرواية "فما يسلم" وفي بعضها "فما يمسي" وكلاهما صحيح ومعنى الأول: فما يلبث بعد إسلامه إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحب إليه والمراد: أنه يظهر الإسلام أولاً للدنيا لا بقصد صحيح بقلبه ثم من بركة النبي ﷺ ونور الاسلام لم يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح صدره بحقيقة الإيمان ويتمكن من قلبه فيكون حينئذٍ أحب إليه من الدنيا وما فيها)(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٧/٤.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٧٨، ومسلم ١٥٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣١٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٢٨.

ومن صور استخدام وسيلة تأليف القلوب في الدعوة ما قام به النبي ﷺ في عام الفتح عندما أعطى أهل مكة الكثير من الغنائم. قال د. محمد سعيد البوطي: (وفي إعطاء النبي ﷺ لأهل مكة الذين أسلموا عام الفتح مزيد من الغنائم عن غيرهم، دليل على أنه يجوز للإمام أن يزيد في عطاء من يتألف قلوبهم على الإسلام بالقدر الذي تدعو إليه مصلحة تألف قلوبهم، بل يجب عليه ذلك عندما تدعو إليه المصلحة، ولا مانع أن يكون العطاء من أصل الغنائم، ومن هنا كان لهؤلاء الناس سهم خاص باسمهم في الزكاة يجتمع تحت يد الحاكم ليعطي منه كلما دعت الحاجة لمن يرى أن المصلحة الإسلامية تدعو إلى تألف قلوبهم"[١].

رابعًا - من واجبات الداعية : تطييب قلوب المدعوين ومدحهم بما فيهم:

إن الدعوة إلى الله تحتاج في تبليغها إلى الرفق واللين ومجانبة الشدة والعنف، ومداواة قلوب الناس وبلسمة جراحاتهم ومن ثم فإن من أهم واجبات الداعية الناجح تطييب قلوب المدعوين ومدحهم بما فيهم، ويتضح هذا من الحديث "وأَكِلُ أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير" والداعية الذي يوفق إلى هذا يجعل القلوب تقبل إليه ولا تنفر منه قال ابن حجر: (وفي الحديث أن البشر جبلوا على حب العطاء وبغض المنع والإسراع إلى إنكار ذلك قبل الفكرة في عاقبته إلا من شاء الله رغم أن المنع قد يكون خيرًا للممنوع، ومن ثم قال الصحابي: ما أحب أن لي بتلك الكلمة حمر النعم)[٢].

ولما خص رسول الله ﷺ رجالاً من قريش بكثير من المال فَوَجَد الأنصار في نفوسهم ذلك فطيب رسول الله ﷺ خاطرهم ومدحهم وجمعهم وخاطبهم بلطيف الكلام، وجميل الحديث فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((جَمَعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الأَنْصارَ. فَقَالَ: أَفِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟» فَقَالُوا: لاَ. إِلاَّ ابْنُ أُخْتٍ لَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : إِنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ فَقَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ. وَإِنِّي

(١) فقه السيرة النبوية ٤٣٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢١/١٣.

أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ. أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللّٰهِ إِلَى بُيُوتِكُمْ؟ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا، وَسَلَكَ الأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ))(١).

قال علي محفوظ: (وبمثل هذه المعاملة الحسنة اجتمعت قلوب أصحابه رضي الله عنهم حوله ﷺ فتفانوا في محبته والدفاع عن دعوته بمؤازرته ومناصرته، وليس ما يبدو من مخالفة الأصحاب إلا أمور نادرة صورية، يبعد كل البعد أن يقصد بها المخالفة بل مثارها على ما يظهر من فحواها، إنما هو الرأي والاجتهاد ثم تبين لهم حسن تصرف النبي ﷺ وصواب عمله فتابعوه وأثنوا عليه)(٢).

ومن خلال هذه التطبيقات النبوية ينبغي للداعية الموفق أن يقتدي برسول الله ﷺ في الدعوة ويطيب قلوب المدعوين، ويثني عليهم بما فيهم جذبًا لنفوسهم، واستمالة لقلوبهم.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٤٦، ومسلم ١٠٥٩.

(٢) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ٣٧-٣٨.

الحديث رقم (٥٢٦)

٥٢٦ - وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه : أنَّ النَّبيَّ ﷺ ، قَالَ: ((اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغنهِ الله)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]. وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم أخصر.

ترجمة الراوي:

حكيم بن حزام: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٩).

غريب الألفاظ:

من تعول: من يلزمك نفقته[2].

ظهر غنى: يستبقي من ماله بعد صدقته قدْر الكفاية[3].

الشرح الأدبي

الطباق بين اليد العليا، واليد السفلى يوضح الفارق في التعامل مع الناس بين المفيد، والمستفيد بين اليد التي تمتد لتبني، وتعلو، وبين اليد التي سفلت تستجدي الناس وهو معنى يدور حوله الحديث، والأمر (وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ) أمر نصح، وإرشاد يحدد الأولويات في الأنفاق لأنه من المنطقي أن يبدأ بالأقرب لأنه أخص به، والتعبير بلفظ (خير) يقتضي الأفضلية، وإضافته للصدقة يوجه القلوب الصافية التي تحرك الأيدي العليا إلى قمة المستهدف من الصدقة وقوله (مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً) كناية عن الكفاية بعد الصدقة ومعناه: أَنْ يَبْقَى خَلْفَهَا غِنًى لِصَاحِبِهِ قَلْبِيٌّ كَمَا كَانَ لِلصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُ أَوْ قَالَبِيّ فَيَصِير الْغَنِيُّ لِلصَّدَقَةِ كَالظَّهْرِ لِلْإِنْسَانِ وَرَاء الْإِنْسَان فَإِضَافَة الظَّهْر إِلَى الْغِنَى

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٢٧ واللفظ له، ومسلم ١٠٣٤/٩٥. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٢/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٧/٣.

بيانيَّة لبَيَانِ أَنَّ الصَّدَقَة إِذَا كَانَتْ بِحَيْثُ يَبْقَى لِصَاحِبِهَا الْغِنَى بَعْدهَا إِمَّا لِقَوْةِ قَلْبه أَوْ لوُجُودِ شَيْءٍ بَعْدَهَا يَسْتَغْنِي بِهِ عَمَّا تَصَدَّقَ فَهُوَ أَحْسَنُ وَإِنْ كَانَتْ بِحَيْثُ يَحْتَاج صَاحِبهَا بعْدهَا إِلَى مَا أَعْطَى وَيُضْطَرّ إِلَيْهِ فَلَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِهَا التَّصَدُّقُ بِهِ، وبين يستعفف، ويعفه جناس يؤكد المعني الذي يقوي خلق العزة، والكرامة الذي ترتقي به من السؤال إلى التعفف ثم من التعفف إلى الإنفاق متى تيسر لها ذلك، وقوله (ومن يستغن يغنه الله) هو أسلوب شرط كالجملة السابقة يربط طلب الاستغناء عن الناس بالغنى الذي يتحقق من الله. وفيه جناس كسابقه يؤكد عزة النفس وترك سؤال الناس.

فقه الحديث

من الفقه في هذا الحديث:

١ - وجوب النفقة على الأهل:

فقد أمر النبي ﷺ بالبدء بالإنفاق عليهم فقال: "وابْدأ بمن تعول" (أي بمن يجب عليك نفقته، يقال عال الرجل أهله، إذا مانهم: أي قام بما يحتاجون إليه من قوت وكسوة، وهو أمر بتقديم ما يجب على ما لا يجب)(١). وقال ابن حجر: (قال الطبري ما ملخصه: الإنفاق على الأهل واجب، والذي يعطيه يؤجر على ذلك بحسب قصده، ولا منافاة بين كونها واجبة وبين تسميتها صدقة(٢)، بل هي أفضل من صدقة التطوع. وقال المهلب: النفقة على الأهل واجبة بالإجماع، وإنما سماها الشارع صدقة خشية أن يظنوا أن قيامهم بالواجب لا أجر لهم فيه؛ وقد عرفوا ما في الصدقة من الأجر فعرّفهم أنها لهم صدقة؛ حتى لا يخرجوها إلى غير الأهل إلا بعد أن يكفوهم، ترغيبًا لهم في تقديم الصدقة الواجبة قبل صدقة التطوع)(٣).

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٥٠٠.

(٢) كما في حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه مرفوعًا: "إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة" أخرجه البخاري ٥٣٥١، ومسلم ١٠٠٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٤٩٨.

النفقة على البالغين من الأولاد ولا مال لهم ولا كسب:

قال ابن حجر: (قال ابن المنذر: اختلف في نفقة من بلغ من الأولاد ولا مال له ولا كسب، فأوجبت طائفة النفقة لجميع الأولاد أطفالاً كانوا أو بالغين إناثًا وذكرانًا إذا لم يكن لهم أموال يستغنون بها. وذهب الجمهور إلى أن الواجب أن ينفق عليهم حتى يبلغ الذكر أو تتزوج الأنثى، ثم لا نفقة على الأب إلا إن كانوا زمنى، فإن كانت لهم أموال فلا وجوب على الأب وألحق الشافعي ولد الولد وإن سفل بالولد في ذلك)[1].

٢ - كراهة السؤال: قال ابن حجر: (فيه كراهة السؤال والتنفير عنه، ومحله إذا لم تدع إليه ضرورة من خوف هلاك ونحوه، وقد روى الطبراني من حديث ابن عمر بإسناد فيه مقال، مرفوعًا: "ما المعطي من سعةٍ بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجًا"[2])[3].

٣ - الصدقة بجميع المال: قال النووي: (وقد اختلف العلماء في الصدقة بجميع ماله. فمذهبنا أنه مستحب لمن لا دين عليه ولا له عيال ولا يصبرون بشرط أن يكون ممن يصبر على الإضاقة والفقر، فإن لم تجتمع هذه الشروط فمكروه، قال القاضي[4]: جوز جمهور العلماء وأئمة الأمصار الصدقة بجميع ماله، وقيل: يردّ جميعها، وهو مروي عن عمر بن الخطاب وقيل: إن زاد على النصف ردت الزيادة، وهو محكي عن مكحول. قال أبو جعفر الطبري: ومع جوازه فالمستحب أن لا يفعله وأن يقتصر على الثلث)[5].

---

(١) السابق ٥٠٠/٩-٥٠١، وللمزيد من التفصيل. انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٤/٤١. ٧٢-٧٤ ومراجعها ومصادرها.

(٢) كما عزاه له في المعجم الكبير، المنذري في الترغيب والترهيب ١٢٧١، وحكم عليه الألباني في ضعيف الترغيب ٥٠٤، بأنه ضعيف جدًا.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٨/٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٦٧/٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١١١/٧/٤-١١٢، وانظر للمزيد من التفاصيل: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٣٧/٢٦ ومراجعها، رد المحتار على الدر المختار ابن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٧٧/٢، والاختيار لتعليل المختار ٥٤/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٢٣/٢، وكفاية الأخيار للحسيني ١٢٤/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٤٠٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٣/٣، ٨٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق والتصدق.

ثالثًا: من أولويات الدعوة : البدء بالأقرب في الدعوة والعطاء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التعفف والاستغناء عن مسألة الناس.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر النبي ﷺ في الحديث أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة، ومما تتميز به الدعوة الإسلامية أن جميع أخبار القرآن والسنة كلها صادقة لا يتطرق إليها كذب أو شك وهذا يعطيها مصداقية لدى المدعوين وصدق الله سبحانه وتعالى إذ قال جلّ شأنه: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق والتصدق:

إن الإسلام دين يقوم على البذل والإنفاق، ويضيق على الشح والإمساك. ولذلك حبب إلى بنيه أن تكون نفوسهم سخية، وأكفهم ندية، ووصاهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البر، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم، لا ينفكون عنه[3].

لذا حث النبي ﷺ على الإنفاق في وجوه الطاعات[4]، فقال: "اليد العليا خير من اليد السفلى" والمراد بالعلو هنا: علو الفضل والمجد ونيل الثواب[5]، ولا يحصل هذا إلا

---

(١) سورة فصلت، آية: ٤٢.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

(٣) خلق المسلم، محمد الغزالي، ١١٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ، ٦٥٤.

(٥) المرجع السابق.

بالبذل والإنفاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٢]، وقال جل شأنه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

ومما لا شك فيه أن في الإنسان نزعة اجتماعية غيرية، فطرية كذلك، ولكنها لا تقاوم نزعته الذاتية لو خليّت وشأنها. ومن هنا ترى الإنسان - كل إنسان - حريصًا على أن يجمع لنفسه من أسباب النعمة ما استطاع، حريصًا على الاستئثار به دون غيره، حتى أنه ليشيب ويهرم، ويشب معه الحرص والشح، ولذا وصفه خالقه بقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾[٤] ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[٥] وصور رسول الله ﷺ مبلغ حرص الإنسان على الدنيا وطمعه في متاعها فقال: ((لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثًا))[٦].

وإذا ترك الإنسان لهذه الأنانية تسيطر على نفسه، وتحكم سلوكه وتوجه علاقاته بالناس، فلن تجد فيه إلا إنسانًا جشعًا شحيحًا، كل همه أن ينتفع ولا ينفع، وأن يأخذ ولا يعطي، يريد أن يربح، ولا يريد أن يعمل، يقول دائمًا: لي ولا يقول ويومًا عليّ، ضنين بكل ما عنده، شَرِه إلى ما عند غيره[٧]؛ لذا أتت السنة النبوية - كما في حديث الباب - تخضدُ شوكة الشُح، وتبذرُ نبتة الإنفاق، بعد أن عظمت فضل البذل والصدقة في جعل صاحبها له العلو وعظم الثواب.

---

(١) سورة الحديد، آية: ١٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١٠٠.

(٥) سورة النساء، آية: ١٢٨.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٧٢، ومسلم ١١٦.

(٧) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ٢٥٩-٢٦٠.

وكان من هذا الثواب محو الخطايا وغفران الذنوب، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١) فإذا انزلق المسلم إلى ذنب وشعر بأنه باعد بينه وبين ربه، فإن الطهور الذي يعيد إليه نقاءه ويرد إليه ضياءه ويلفه في ستار الغفران والرضا، أن يجنح إلى مال عزيز عليه فينخلع عنه للفقراء والمساكين، زلفى يتقرب بها إلى أرحم الراحمين(٢).

وقد بين النبي ﷺ في نص الحديث أن أفضل الصدقة ما أبقت بعدها غنى يعتمده صاحبها ويستظهر به على مصالحه وحوائجه، وذلك في قوله ﷺ "وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنًى" والسبب في ذلك أن من تصدق بماله يندم إذا احتاج ويود أنه لم يتصدق بخلاف ما بقي من ماله بشيء مستغنيًا فإنه لا يندم عليها بل يسر بها(٣).

وقد يتعارض ذلك مع ورد في درجة الإيثار التي أثنى الله بها على الأنصار؛ إذ قال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(٤) وقد روي: أن هذه الآية نزلت بسبب رجل من الأنصار ضافه ضيف فنوَّم صبيته وأطفأ السراج، وآثر الضيف بقوتهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾(٥) أي على شدة الحاجة إليه والشهوة له، ولا شك أن صدقة من هذه الحالة أفضل. وفي حديث أبي ذر: ((أفضل الصدقة جهد مقل))(٦). وقد أفاد مجموع ما ذكرنا: أن صدقة المؤثر والمقل أفضل. وحينئذ يثبت التعارض بين هذا المعنى وبين قوله: "خير الصدقة ما كان عنى ظهر غنى"

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي، ١٢٠-١٢١.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٦٥٥.

(٤) سورة الحشر، آية: ٩.

(٥) سورة النساء، آية: ٨.

(٦) أخرجه الدارمي ١٤٢٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٦٦.

وللجمع بين النصوص نبين أن معنى الغنى: أي حصول ما تُدفع به الحاجات الضرورية: كالأكل عند الجوع المشوِّش الذي لا صبر عليه، وستر العورة، والحاجة إلى ما يدفع به عن نفسه الأذى. وما هذا سبيله؛ فهذا ونحوه مما لا يجوز الإيثار به، ولا التصدق. بل يحرم. وذلك: أنه إن آثر غيره بذلك أدى إلى هلاك نفسه، أو الإضرار بها، أو كشف عورته، فمراعاة حقه أولى على كل حال. فإذا سقطت هذه الواجبات صحَّ الإيثار، وكأن صدقته هي الأفضل، لأجل ما يحمله من مضض الحاجة وشدة المشقة، والله تعالى أعلم[١].

ثالثًا - من أولويات الدعوة: البدء بالأقرب في الدعوة والعطاء:

إن الإسلام يعلم المسلم ترتيب الأولويات في النفقة والدعوة ويظهر هذا من الحديث "وابدأ بمن تعول"، قال النووي: (وفيه تقديم نفقة نفسه وعياله لأنها منحصرة فيه بخلاف نفقة غيرهم وفيه الابتداء بالأهم فالمهم من الأمور الشرعية"[٢].

وقال القرطبي: (وقوله "وابدأ بمن تعول" يعني أنه يبدأ بكفاية من تلزمه كفايته، ثم بعد ذلك يدفع لغيرهم، لأن القيام بكفاية العيال واجب، والصدقة على الغير مندوب إليها، ولا يدخل في ذلك ترفيه العيال الزائد على الكفاية، فإن الصدقة بما يرفه به العيال أولى، لأن من لم تندفع حاجته أولى بالصدقة ممن اندفعت حاجته في مقصود الشرع)[٣].

وإذا كان ما سبق في البدء بالأقرب من الزوجة والأولاد في النفقة فإنه أيضًا يجب البدء بهم في الدعوة قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا. فَاجْتَمَعُوا. فَعَمَّ وَخَصَّ. فَقَالَ: يَا

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٨٠، ٨١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٨٠.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيَ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ. فَإِنِّي واللهِ لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا. غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلاَلِهَا))[1].

قال المباركفوري: (هذه الصيحة العالية هى غاية البلاغ، فقد أوضح الرسول ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلات بينه وبينهم، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله)[2].

قال ابن كثير: (ودعا رسول الله ﷺ جهرةً على الصفا، وأنذر بطون قريش عمومًا وخصوصًا، حتى سمَّى من سمى من أعمامه وعمامته وبناته لينبه بالأدنى على الأعلى، أي: إنما أنا نذير والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبدالواحد الدمشقي أنه قال: رأيت أبا الدرداء رضي الله عنه يحدث الناس ويفتيهم، وولده إلى جنبه، وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون فقيل له: ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم، وأهل بيتك جلوس لاهين؟ فقال: لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أزهد الناس في الدنيا الأنبياء، وأشدهم عليهم الأقربون" وذلك فيما أنزل الله عز وجل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3] ثم قال: "إن أزهد الناس في العالم أهله حتى يفارقهم ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[4])[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٤.

(٢) الرحيق المختوم ٨٠.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٤-٢١٦.

وقال الطاهر بن عاشور: (وقوله تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين" عطف على قوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[1] فهو تخصيص بعد تعميم للاهتمام بهذا الخاص، ووجه الاهتمام أنهم أولى الناس بقبول نصحه وتعزيز جانبه ولئلا يسبق إلى أذهانهم أن ما يلقيه الرسول من الغلظة في الإنذار وأهوال الوعيد لا يقع عليهم لأنهم قرابة هذا المنذر وخاصته ويدل على هذا قوله ﷺ في ندائه لهم "لا أغني عنكم من الله شيء" وأن فيه تعريضًا بقلة رعي كثير منهم حق القرابة إذ آذاه كثير منهم وعصوه مثل أبي لهب فلا يحسبوا أنهم ناجون في الحالتين وأن يعلموا أنهم لا يكتفي من مؤمنهم بإيمانه حتى يضم إليه العمل الصالح فهذا مما يدخل في النذارة ولذلك دعا النبي ﷺ عند نزول هذه الآية قرابته مؤمنين وكافرين)[2].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل التعفف والاستغناء عن مسألة الناس:

الأصل في المسلم أنه شريف النفس عفيف عن المسألة وذلها، فلا يسأل إلا الله، ولا يلوذ إلا بغناه، وهذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ: "... ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله".

فمن اجتهد في تحصيل العفة والاستغناء بحسب ما يقتدر عليه ويستطيعه من الأسباب وبذل جهده وجاهد نفسه على ذلك أعانه الله ووفقه ويسر له هذا الأمر فرزقه القناعة برزق الله والاستغناء بفضل الله، ومتى عزم الإنسان على قطع أمله من الناس وقطع استشراف قلبه وسؤاله لهم حصلت له العفة التامة والغنى التام[3].

فعلى المحتاج أن يطلب من الله العفة عن السؤال، ويحاول التخلق بهذه العفة بالصبر والتعود عليها والعمل والبحث عنها، وسوف يهيء الله تعالى له طريق ذلك. وعلى الإنسان مهما قلَّ دخله، وقل ما يرد إليه أن يحاول الاستغناء به عن الناس وسؤالهم والتطفل

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٩/٨/٢٠٠-٢٠١.

(٣) الرياض الناضرة، السعدي، ١٨٦.

عليهم، وسوف يحقق الله ذلك وفي هذا إعزاز للمسلم ورفع لمستوى المسلم وإقامة للعلاقات بينهم على أساس التكافؤ والتوازن واحترام القيم والمثل والمبادئ[1].

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٣٤٤.

الحديث رقم (٥٢٧)

٥٢٧ - وعن أَبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((**لاَ تُلْحِفُوا في الْمَسْأَلَةِ، فَوَاللهِ لاَ يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا، وَأنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أعْطَيْتُهُ**)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو سفيان: صخر بن حرب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٦).

غريب الألفاظ:

لا تُلحفوا : لا تُلِحُّوا[٢].

الشرح الأدبي

الحديث تصدره أسلوب إنشائي مفعم بالحركة في ثوب النهي الذي يحفظ ماء وجه المسلم (لاَ تُلْحِفُوا في الْمَسْأَلَةِ) نهياً عن الإلحاف الذي يريق ماء وجه المؤمن ويسبب الحرج للمسئول، وبين قوله (المسألة، ويسألني) جناس يقوي المعنى، ويؤكده، ويضع المسألة في حيز النهي المصور لقبحها من ذي المروءة المسلم، وقد صعّد النبرة العالية التي أثارها النهي عن طريق القسم في قوله (فَوَاللهِ لاَ يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً) وتنكير (شيئا) يفيد التعميم ووصل حرف الجر بكاف الخطاب وميم الجمع شكل من أشكال تعميم الحكم ونسبة الإخراج إلى المسألة من نسبة الشيء لسببه على سبيل المجاز للمبالغة، وتقديم الجار، والمجرور (له) يفيد تخصيصهم بالإخراج أي يسألون لأنفسهم خاصة، وقوله (وأنا له كاره)، وتقديم الجار والمجرور (له) يخصصه دون غيره أي للشيء المخرج كاره، وقوله: (فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أعْطَيْتُهُ)الفاء عاطفة في جواب النهي،والمعنى لا تجتمع بركة لشيء أخذه إنسان عن طريق المسألة دون رضا الرسول ﷺ ، والحديث ترهيب من الإلحاف بالتهديد بنزع البركة، ومحق الخير.

---

(١) برقم ١٠٣٨/٩٩. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٣٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٢٩.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه:

حرمة الإلحاح في المسألة مع الغنى: قال القرطبي: (الإلحاح في المسألة والإلحاف فيها مع الغنى عنها حرام لا يحلّ، قال رسول الله ﷺ: ((من سأل الناس أموالهم تكثرًا فإنما يسأل جمرًا، فليستقلّ أو ليستكثر))[١]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مُزْعةُ لحم))[٢])[٣].

وقال ابن كثير في تفسير الإلحاف: ((إن من سأل وله ما يغنيه عن السؤال فقد ألحف في المسألة)[٤].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (حرم الإسلام السؤال على من يملك ما يغنيه عنها من مال أو قدرة على التكسب، سواء كان ما يسأله زكاة أو تطوعًا أو كفارة، ولا يحلّ له أخذ ذلك إن أعطى بالسؤال أو إظهار الفاقة، قال الشبراملسي: لو أظهر الفاقة وظنه الدافع متصفًا بها لم يملك ما أخذه، لأنه قبضه من غير رضا صاحبه، إذ لم يسمح له إلا على ظن الفاقة، لحديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته خموش أو خدوش أو كدوح))[٥] قيل: يا رسول الله وما

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٤١.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٧٤، ومسلم ١٠٤٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٩/٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٨/٢، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٦/٤-٣٧٩.

(٥) خمش وجهه: خمشًا وخموشًا: جرح بشرته. والخمْش: اسم لجرح البشرة، وهو أثر الخمش والجمع: خموش. وخدش الجلد ونحوه: خدشًا: قشره والخَدْش: الأثر في الجلد حين يخدش والجمع: خدوش، والكدْح: كل أثر من عضّ أو خدش. والجمع كدوح. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية "خدش، خمش، كدح".

يغنيه؟ قال: ((خمسون درهمًا أو قيمتها من الذهب))[١] وحديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعًا: ((لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه))[٢].

أما إذا كان محتاجًا إلى الصدقة وممن يستحقونها لفقر أو زمانة أو عجز عن الكسب فيجوز له السؤال بقدر الحاجة، وبشرط أن لا يذل نفسه وأن لا يلحّ في السؤال أو يؤذي المسؤول، ولم يعلم أن باعث المعطي الحياء من السائل أو من الحاضرين، فإن كان شيء من ذلك فلا يجوز له السؤال وأخذ الصدقة، وإن كان محتاجًا ويحرم أخذها، ويجب ردها إلا إذا كان مضطرًا بحيث يخشى الهلاك إن لم يأخذ الصدقة، فإن خاف هلاكًا لزمه السؤال إن كان عاجزًا عن التكسب.

فإن ترك السؤال في هذه الحالة حتى مات، أثم لأنه ألقى بنفسه إلى التهلكة والسؤال في هذه الحالة في مقام التكسب، لأنها الوسيلة المتعينة لإبقاء النفس، ولا ذلك فيها للضرورة والضرورة تبيح المحظورات كأكل الميتة[٣].

المضامين الدعوية

أولاً – من أساليب الدعوة: النهى، والقسم.

ثانيا – من موضوعات الدعوة: التحذير من الإلحاح في المسألة والعطاء.

ثالثًا – من واجبات الداعية : تبصير المدعوين بمواطن الخطر وإرشادهم لما فيه فلاحهم.

أولاً – من أساليب الدعوة: النهى، والقسم:

١ – النهى: حيث جاء في الحديث: "لا تلحفوا" وأسلوب النهى من أساليب الدعوة

---

(١) أخرجه أبو داود ١٦٢٦، والترمذي ٦٥٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي ٢٢٥٤، وابن ماجه ٤٠١٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٤٣).

(٣) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ١٦٩/٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٧٣/٢، والاختيار لتعليل المختار ١٧٥/٤-١٧٦ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٧/٢٤-٩٨). وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٣/٧/٤-١١٤، وانظر كذلك: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٣٩/٣٤-٢٤١.

التي تشعر المدعوين بالخطورة والتحذير من المنهي عنه ومن صور استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾[٢].

جاء في البلاغة الواضحة: (والنهي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وللنهي صيغة واحدة هي المضارع مع لا الناهية. وقد تخرج صيغة النهي معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال كالدعاء والالتماس والتمني والإرشاد والتوبيخ والتيئيس والتهديد والتحقير)[٣].

والداعية عندما يستخدم أسلوب النهي فإنما يزجر المدعوين عن الوقوع في محظور شرعي وقد أمر الله الجماعة المؤمنة بالاستجابة للأمر والنهي الذي أمرنا به الرسول ﷺ أو نهانا عنه قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٤].

٢ - القسم: ويتضح هذا من الحديث: "فو الله لا يسألني أحد منكم شيئًا" ويعتبر أسلوب القسم من أساليب الدعوة المقنعة للمدعوين حيث تدلل على مدى صدق الداعية فيما يقوله، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب القسم قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[٥]، وقوله جل شأنه: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾[٦]، وقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾[٧].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٣) البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، ص ٢٢٣.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

(٥) سورة يونس، آية: ٥٣.

(٦) سورة التغابن، آية: ٧.

(٧) سورة الليل، الآيتان: ١-٢.

وأسلوب القسم عرفه الناس قديما وحديثًا واستعملوه تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء أو جمعًا للانتباه حول غاية (وأسلوب القسم يبصر بالدعوة ويبين دعائمها الأساسية، وهو موعظة حسنة لأن القرآن دائمًا يقصد به الإقناع والإثارة فمن الناس من لا يقتنع ولا ينتفع بالبرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الإقناعية مثل القسم وهو أسلوب يناسب طبيعة البشر، وينطلق من بين فكرهم)[1].

ثانياً - من موضوعات الدعوة: التحذير من الإلحاح في المسألة والعطاء:

إن المسلم عالي الهمة كريم النفس لا يلح في السؤال حتى ولو كان محتاجًا، ومما يرشد إلى ذلك من الحديث قوله ﷺ: "لاَ تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ. فَوَاللّهِ لاَ يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا، وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ". قال القاضي عياض: (وفي هذا الحديث وغيره ذم الحرص وكثرة السؤال، وكثرة عطاء النبي ﷺ وأنه كان لا يرد سائلاً وفضل القناعة والإجمال في الطلب وأن البركة مع القناعة)[2].

وقال القرطبي: (وقوله "لا تلحفوا في المسألة" معناه: لا تنزلوا بي المسألة الملحف فيها أي: لا تلحوا عليَّ في السؤال، والإلحاف: الإلحاح وإنما نهى عن الإلحاح لما يؤدي إليه من الإبرام واستثقال السائل، وإخجال المسؤول، حتى أنه إن أخرج شيئًا أخرجه عن غير طيب نفس، بل عن كراهة وتبرم، وما استخرج كذلك لم يبارك فيه: لأنه مأخوذ على غير وجهه، ولذلك قال: "فتخرج له المسألة شيئًا وأنا كارهٌ له" ثم قد كانوا - أعني المنافقين - يكثرون سؤال رسول الله ﷺ ليبخّلوه، فكان يعطي العطايا الكثيرة بحسب ما يُسأل، لئلا يتمَّ لهم غرضهم من نسبته إلى البخل. كما قال: ((إِنَّهُمْ يُخَيِّرُونِي بَيْنَ أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ أَوْ يُبَخِّلُونِي وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ))[3])[4].

---

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، ١٦٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٥٦٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٥٦.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٨٣.

وقال صاحب فتح الملهم: (وفي هذا الحديث النهي عن السؤال، واتفق العلماء عليه إذا لم تكن ضرورة واختلف أصحابنا في مسألة القادر على الكسب على وجهين أصحهما: أنها حرام لظاهر الأحاديث. والثاني: حلال مع الكراهة بثلاث شروط: أن لا يذل نفسه ولا يلح في السؤال، ولا يؤذي المسؤول فإن فقد أحد هذه الشروط فهي حرام بالاتفاق والله أعلم)[1].

وقال ابن علان: (لا تلحوا في المسألة ومن وجد مني ما سأله بسبب إلحاحه وإشراف نفسه وحرصه على حصول مطلوبه وأنا كاره لدفعه ولكن دفعته له لنحو اتقاء فحشه فلا يبارك له فيه بوجه، ومن هنا غلبت الفاقة على كثير لاستشرافهم الأحوال وإخراجهم بالإلحاح في السؤال فإن من أخذ شيئًا على أمر أظهره وهو غير متصف به باطنًا فإنه لا بركة فيه)[2].

وهذا التحذير من الإلحاح في المسألة إنما لأن الرزق مقدر ومقسوم قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾[4]، وبدل الإلحاح في السؤال يجب على الإنسان أن يحسن التوكل على الله بمباشرة أسباب الرزق، قال ابن القيم: (والذي يحقق التوكل القيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله، كما أن القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يحقق رجاءه فمن لم يقم بها كان رجاؤه تمنيًا.

كما أن من عطلها يكون توكله عجزًا وعجزه تواكلاً. وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني ١٢٥/٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٠٠.

(٣) سورة هود، آية: ٦.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٦٠.

عليها والركون إليها كما لا ينفعه قوله : توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به)(١).

ثالثًا - من واجبات الداعية : تبصير المدعوين بمواطن الخطر وإرشادهم لما فيه فلاحهم:

إن الداعية مصدر خير لمن حوله من الناس وهو في كل الأحوال حريص على المدعوين يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر ويتضح هذا من سياق الحديث ومورده ولا شك أن من أهم واجبات الداعية أن يبصر المدعوين بمواطن الخطر لما في ذلك من إشعارهم بالحرص عليهم، وتمني الخير لهم وقد قال الله تعالى عن إمام الدعاة ﷺ : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)، والداعية دائمًا يرشد إلى الفلاح والخير قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٣).

ولقد كان النبي ﷺ نموذجًا يحتذى في تبصير المدعوين وإرشادهم إلى ما فيه فلاحهم ولقد جاء في صحيح مسلم باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَىٰ قَوْمَهُ. فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ. وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ. فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَىٰ مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ. فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ))(٤).

قال النووي: (وقوله ﷺ "وإني أنا النذير العريان" قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أرد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم

(١) الفوائد ١٣٠.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢-٥٣ .

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٨٢ ، ومسلم ٢٢٨٣.

ليخبرهم بما دهمهم وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم وهو طليعتهم ورقيبهم قالوا: وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأعزب وأشنع منظرًا فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو وقيل معناه: أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي فأنا أنذركم عريانًا. وقوله "فالنجاء" أي أنجوا النجاء أو اطلبوا النجاء)[1].

ومما يدل على الحرص على المدعوين وتبصيرهم والشفقة عليهم ما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[2].

قال النووي: (ومقصود الحديث أنه ﷺ شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة، وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه، وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك لجهله)[3].

والداعية عندما يقوم بتبصير المدعوين بمواطن الخطر، وإرشادهم إلى ما فيه فلاحهم فإنه بذلك يقوم بواجب النصيحة فعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[4].

قال أبو الحسن الندوي: (والإيمان بالآخرة وتمثل مافيها من سعادة دائمة وشقاء دائم. وما أعد الله فيها لعباده المؤمنين المطيعين من جزاء وللكفار العصاة من عقاب هو الحافز الحقيقي إلى دعوتهم وبذل نصحهم، وهو الذي يقلقهم ويطير نومهم ويكدر صفو عيشهم ويجعلهم لا يهدأ لهم بال ولا يقر لهم قرار، وهو حافز أقوى وأعظم سلطانًا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١٨.

(٢) خرجه مسلم ٢٢٨٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٥٥.

على نفوسهم مما يشاهدونه من اختلال النظام واضطراب الأحوال، وما يشعرون به من الأخطار المحيطة بهذا المجتمع إذا انتشر فيه الفساد، ويجعلون ذلك سببًا لدعوتهم وإنذارهم، وسببًا لقلقهم وإشفاقهم)[١].

(١) النبوة والأنبياء ٦٥-٦٦.

الحديث رقم (٥٢٨)

٥٢٨ - وعن أبي عبد الرحمن عوف بن مالِك الأَشْجَعِيِّ ﵁، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رسول الله ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: ((ألا تُبَايِعُونَ رسولَ الله ﷺ)) وَكُنَّا حَدِيثِي عهْدٍ ببيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رسولَ اللهِ، ثمَّ قالَ: ((ألا تُبَايِعُونَ رسولَ اللهِ[1])) فبسطْنا أيْدينا، وقلنا: قدْ بايعناكَ فَعَلامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: ((عَلَى أنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وَتُطِيعُوا الله)) وأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيفَةً ((وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا)) فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوطُ أحَدِهِمْ فَمَا يَسأَلُ أحَدًا يُنَاوِلُهُ إيّاهُ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عوف بن مالك الأشجعي: هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغَطفاني كنيته: أبو عبدالرحمن وقيل غير ذلك.

أسلم عام فتح خيبر وشهدها مسلمًا وآخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، وشارك في غزوتي مؤتة وتبوك وشهد فتح مكة وكانت معه راية قومه أشجع.

كان من نبلاء الصحابة ورؤسائهم قال عنه أبو مسلم الخولاني [من كبار التابعين] حدثني الحبيب الأمين: أما هو إليّ فحبيب، وأما هو عندي فأمين: عوف بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ سبعة ... فذكر حديث الباب.

كان مُحبًّا لرسول الله ﷺ مُجّلاً له مُعظّمًا. قال: عرّس بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة [نزل بنا آخر الليل للنوم والاستراحة] فافترش كلُّ رجل منا ذراع راحلته، فانتبهت في بعض الليل فإذا ناقة رسول الله ﷺ ليس قدّامها أحد، فانطلقت أطلب رسول الله ﷺ. فإذا معاذ بن جبل وعبدالله بن قيس [أبو موسى الأشعري] قائمان، فقلت: أين

---

(١) عند مسلم زيادة: (فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثمَّ قال: ألا تبايعون رسول الله)، وهذه الزيادة لا توجد عند الحميدي في جمعه ٤٥١/٣، رقم ٢٩٧٢ فتبعه عليه المؤلفُ، والمنذري، ولم يورداها.

(٢) برقم ١٠٤٣/١٨. أورده المنذري في ترغيبه ١١٩٤.

رسول الله؟ فقالا. لا ندري غير أنا سمعنا صوتًا بأعلى الوادي فإذا مثل هدير الرحى فلبثنا يسيرًا ثم أتانا رسول الله ﷺ فقال: إنه أتاني من ربي آتٍ فخيّرني بأن يَدخل نصفُ أمتي الجنة وبين الشفاعة. وإني اخترت الشفاعة. فقالوا: يا رسول الله نَنشُدك بالله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك؟ قال: فأنتم من أهل شفاعتي.

فلما ركبوا قال: فإني أُشهد من حضر أن شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا من أمتي(١).

نزل الشام في خلافة أبي بكر الصديق واستقرّ هناك، وكان غيورًا على محارم المسلمين وحُرُماتهم، لما قدم عمر الشام شكى إليه يهودي أن عوف بن مالك قد ضربه وشجه فسأله عمر فقال: رأيته يسوق بامرأة مسلمة على حمار فنخس بها لتصرع فلم تصرع فدفعها فصرعت [سقطت] فغشيها أو أكبّ عليها. ففعلتُ به ما ترى فعاقب عمر اليهوديّ.

وظلّ على جهاده في سبيل الله، فشارك في غزو القسطنطينية أيام خلافة معاوية. ومسنده ٦٧ حديثًا، وعاش طويلاً وعُمِّر ومات ٧٣هـ في خلافة عبدالملك بن مروان(٢).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في التعفف والقناعة، والأكل من كسب يده جاء فيه عرض المبايعة من النبي ﷺ على الصحابة بطريق الاستفهام، وفيه من اللطف وجلب الامتثال، وتحريك كامنة المخاطب ما ليس في صيغة الأمر: بايعوني؛ لأنه يشعر

---

(١) أخرجه أحمد ٢٨/٦ رقم ٢٤٠٢ وابن حبان ٢١١ وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٢٩/٣٩.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٨٠/٤ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٧٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٠٠/٤. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٠٢٢، والسير ٤٨٩/٢. وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٠٦/٥. وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٣٧/٣ والأعلام، خير الدين الزركلي ٥٦/٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٤٧٣/٢.

المخاطب بشخصيته، وأنه طرف حر السلوك والاختيار، خلافا لظاهر صورة الأمر الذي يوحي بالعلو والإلزام، وذلك التلطف في الطلب أولى بلباقة الداعي عليه السلام لأنه من معدن فصاحته، وقد كان الإسلام في مفترق الطرق.[١] وأضاف المبايعة للاسم الظهار (رسول الله) دون الضمير (ألا تبايعوني) إشعارا بقدسية البيعة، ولذلك أضاف الرسول ﷺ لله، وتكرير العرض (ألا تبايعون...) إعلاء لدرجة الترقب والتيقظ للاهتمام بما سيذكر وإثارة لمواطن الفضول لديهم وقد كانوا حديثي عهد ببيعة، ونرى اثر ذلك الأسلوب العالي في نفوس الصحابة المخاطبين فيما ذكره الراوي في نهاية الحديث قال (فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه) والفضل في ذلك يرجع إلى طريقة عرض النبي ابتداءً، وتكرار العرض زيادة في التقرير، والتأكيد، وتلوين السياق وتنوع النبرة بين الارتفاع، والانخفاض، وما أجمل إسراره بالكلمة الخفية ﷺ والتي أوحت لهؤلاء النفر بأنها خصيصة من النبي ﷺ لهم فاحتضنتها قلوبهم. حتى أن سوط أحدهم يسقط فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه حتى لا يخالف - ما رآه - سر رسول الله ﷺ له[٢].

المضامين الدعوية

أولا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على ملازمة ومجالسة النبي ﷺ.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: البيعة.

ثالثًا: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والنهى.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل العفة وعدم السؤال.

---

(١) انظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، د. عز الدين علي السيد، ص ٣٤٩.

(٢) انظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر رضي الزهري، ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على ملازمة ومجالسة النبي ﷺ:

يتضح من هذا الحديث "كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة..." ومما لا شك فيه أن الصحابة رضوان الله عليهم كان عندهم حرص على ملازمة النبي ﷺ ومجالسته للاهتداء بهديه والاقتداء به في أقواله وأفعاله، قال ابن القيم: (وبحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكونُ الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علَّق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن، والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة.

وقد أقسم ﷺ بأن "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[1] وأقسم الله سبحانه وتعالى بأن لا يؤمن من لا يحكمه في كل ما تنازع فيه هو وغيره، ثم يرضى بحكمه، ولا يجد في نفسه حرجًا مما حكم به ثم يسلم له تسليمًا، وينقاد له انقيادًا[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[3].

فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله، فليس لمؤمن أن يختار شيئًا بعد أمره ﷺ، بل إذا أمر، فأمره حتم، وإنما الخيرة في قول غيره إذا خفي أمره، وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته، فبهذه الشروط يكون قول غيره سائغ الاتباع، لا واجب الاتباع، فلا يجب على أحد اتباع قول أحد سواه، بل غايته أنه يسوغ له اتباعه.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ١٥، ومسلم ٤٤.

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء، آية: ٦٥].

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

ولو ترك الأخذ بقول غيره، لم يكن عاصيًا لله ورسوله. فأين هذا ممن يجب على جميع المكلفين اتباعه، ويحرم عليهم مخالفته، ويجب عليهم ترك كل قول لقوله؟ فلا حكم لأحد معه، ولا قول لأحد معه، كما لا تشريع لأحد معه، وكل من سواه، فإنما يجب اتباعه على قوله إذا أمر بما أمر به، ونهى عما نهى عنه، فكان مبلغًا محضًا ومخبرًا لا منشأ ومؤسسًا، فمن أنشأ أقوالاً، وأسس قواعد بحسب فهمه وتأويله، لم يجب على الأمة اتباعها، ولا التحاكم إليها حتى تعرض على ما جاء به الرسول ﷺ، فإن طابقته، ووافقته، وشهد لها بالصحة، قُبلت حينئذ، وإن خالفته، وجب ردها واطراحها. فإن لم يتبين فيها أحد الأمرين جُعلت موقوفة، وكان أحسنُ أحوالها أن يجوز الحكم والإفتاء بها وتركه. وأما أنه يجب ويتعين، فكلا)[1].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إنك لأحب إليَّ من نفسي، وإنك لأحب إليَّ من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي أنظر إليك"[3]، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ إنما لتطبيق أوامره واجتناب نواهيه قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[4].

ثانيًا - من وسائل الدعوة: البيعة:

حيث جاء في الحديث: "ألا تبايعون رسول الله" والبيعة من وسائل الدعوة الهامة فهي

---

(١) زاد المعاد ١/٣٧-٣٨.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير ٥٢، والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن عمران العابدي وهو ثقة. قاله الهيثمي ٧/٧، وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" ٤/٢٤٠، عن عائشة رضي الله عنها بهذا السياق والإسناد ونحوه وقال: هذا حديث غريب من حديث منصور وإبراهيم تفرد به فضيل وعنه العابدي كذا في حياة الصحابة للكاندهلوي ٤٥٢.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

تعني العهد والميثاق، وقد أمر الله بالوفاء به قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً﴾[١]، وقال جل شأنه: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[٢].

ولأهمية البيعة كوسيلة من وسائل الدعوة باشرها النبي ﷺ بنفسه مع أصحابه (وتمثل البيعة منعطفات أساسية في تاريخ الإسلام فنحن ندرك أهمية بيعتى العقبة وأثرهما في النقلة الكبيرة بين مرحلتين من مراحل الدعوة، والعهود والمواثيق مع اليهود ثم مخالفتهم لها، ومن ثمَّ تطهير المدينة منهم مما كان عاملاً حاسمًا في انتصار الدولة الإسلامية أما صلح الحديبية – العهد مع المشركين – فقد سماه الله فتحًا مبينًا، وجاء فتح مكة أثرًا من آثار هذا العهد)[٣].

وعلق محمد الغزالي على بيعة العقبة الكبرى كوسيلة من وسائل الدعوة فقال: (تلكم بيعة العقبة، وما أبرم فيها من مواثيق، وما دار فيها من محاورات. إن روح اليقين والفداء والاستبسال سادت هذا الجمع وتمشت في كل كلمة قيلت، وبدا أن العواطف الفائرة ليست وحدها التي توجه الحديث أو تملي العهود كلا، فإن حساب المستقبل روجع مع حساب اليوم، والمغارم المتوقعة نظر إليها قبل المغانم الموهومة.

مغانم؟ أين موضوع المغانم في هذه البيعة؟ لقد قام الأمر كله على التجرد المحض والبذل الخالص.

هؤلاء السبعون مُثُل لانتشار الإسلام، عن طريق الفكر الحر والاقتناع الخالص.

فقد جاءوا من "يثرب" مؤمنين أشد الإيمان، وملبين داعي التضحية، مع أن معرفتهم بالنبي كانت لمحة عابرة؛ غبرت عليها الأيام؛ وكان الظن بها أن تزول.

لكننا لا يجوز أن ننسى مصدر هذه الطاقة المتأججة من الشجاعة والثقة: إنه

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٩١.

(٣) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر، ص ١٠٢.

القرآن!! لئن كان الأنصار قبل بيعتهم الكبرى لم يصحبوا الرسول إلا لمامًا فإن الوحي المشع من السماء أضاء لهم الطريق، وأوضح الغاية.

لقد نزل بمكة قريب من نصف القرآن، سال على ألسنة الحفاظ وتداولته صحائف السفرة الكرام البررة، والقرآن النازل بمكة صوَّر جزاء الآخرة رأي العين، فأنت توشك أن تمد يدك تقطف من أثمار الجنة، ويستطيع الأعرابي المتعشق للحق أن ينتقل في لحظة فداء من رمضاء الجزيرة إلى أنهار النعيم والرحيق المختوم!

وحكى القرآن أخبار الأولين وكيف أخلص المؤمنون لله فنجو مع رسلهم، وكيف طغى الكفار وأسكرهم الإمهال فتعنتوا وتجبروا، ثم حل العدل الإلهي، فذهب الظالمون بددًا، وتركوا وراءهم دنيا مدبرة، ودورًا خربة.

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم كباطل من جلال الحق منهزم!!

ثم إن الرسول ﷺ جعل من هذا الإيمان بالحق رباطًا يعقد من تلقاء نفسه صلة الحب والتناصر بين أشتات المؤمنين في المشرق والمغرب.

فالمسلم في المدينة - وإن لم يرَ أخاه المستضعف في مكة - يحنو عليه، ويتعصب له ويغضب من ظالمه، ويقاتل دونه، وذلك ما استقدم الأنصار من يثرب تجيش في حناياهم مشاعر الولاء لمن أحبوهم بالغيب في ذات الله.

عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: ((يا أَيُّها النَّاسُ اسْمَعُوا واعْقِلُوا، واعْلَمُوا أَنَّ لله - عزّ وجلّ - عِبَادًا لَيْسُوا أَنْبِيَاءَ ولا شُهَدَاء، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءُ على مَنَازِلِهِمْ وقُرْبِهِمْ مِنَ الله فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله؟! انعتهم لنا حلِّهم لنا - يعني: صفهم لنا. فسر وجه النبي ﷺ بسؤال الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ: «هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ ونَوَازِعِ القَبَائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا في الله وتَصَافُوا، يَضَعُ الله لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وثِيَابُهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاس يوْمَ القِيَامَةِ ولا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ الله الذينَ لا خَوْفَ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُون))[1].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٤١/٥ رقم ٢٢٨٩٤، وقال محققو المسند: أصل الحديث صحيح لكن من حديث معاذ بن جبل، وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند ٢٢٩/٥ برقم ٢٢٠٠٢ وقال

إن الإيمان بالله، والحب فيه، والأخوة على دينه، والتناصر باسمه، ذلك كله كان يتدافع في النفوس المجتمعة في ظلام الليل بجوار مكة السادرة في غيها، يتدافع ليعلن أن أنصار الله سوف يحمون رسوله كما يحمون أعراضهم، وسوف يمنعونه بأرواحهم فلا يخلص إليه أذى وهم أحياء.

إن مشركي مكة حسبوا أنهم حصروا الإسلام في نطاق لا يعدوه، وأرهقوا المسلمين حتى شغلوهم بأنفسهم، فناموا نومة المجرم الذي اغترف الإثم وأمن القصاص.

حسنّت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

أجل، ففيه هذه الليلة تحالف جند الحق أن يقصموا ظهر الوثنية، وأن ينتهوا بالجاهلية ورجالها إلى الفناء)[1].

ثالثًا – من فقه الداعية: ترتيب الأولويات:

حيث جاء في الحديث: " على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا والصلوات الخمس وتطيعوا ..."، وما من شك في أن ترتيب الأولويات من فقه الداعية حيث يبدأ بالأهم من الأمور ثم المهم، ولا يخفى أن توحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به هو أولى المطلوبات من المسلم وإلى ذلك كانت دعوة الرسل قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[2].

إن على الداعية أن يعرف واقعه الذي يعيش فيه، والبيئة التي يدعو إلى الله فيها، (فلا يكفي الداعية أن يكون قد حصّل العلوم الإسلامية، وجال في مراجع الأدب والتاريخ، وأخذ بحظ وافر من العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية، ولكنه مع هذا كله

محققو المسند: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح ٣٢٦/٣٦، وأخرجه الحاكم ١٦٩/٤-١٧٠ من طريق سعيد بن عامر عن شعبة به ٣٢٧/٣٦، وقال الألباني: حديث حسن في تخريجه لأحاديث كتاب فقه السيرة، محمد الغزالي، ص ١٥٢.

(١) فقه السيرة ١٥٠-١٥٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

لا يعرف عالمه الذي يعيش فيه، وما يقوم عليه من مبادئ، وما يسوده من مذاهب، وما يصطرع فيه من قوى، وما يجري فيه من تيارات، وما يعاني أهله من متاعب.

إن الداعية لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقًا في تبليغه حتى يعرف من يدعوهم وكيف يدعوهم؟ وماذا يقدّم معهم؟ وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها؟ وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟

وهذه الطريقة في الدعوة هي طريقة الرسول ﷺ، وطريقة الذين اتبعوه بإحسان... أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله لما بعث معاذًا إلى اليمن قال: ((إنك ستأتي قومًا من أهلِ الكتاب، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يَشهَدُوا أن لا إله إلاّ اللّهُ وأنّ محمدًا رسولُ الله. فإنْ هم أطاعوا لك بذلك فأخبِرْهم أنّ اللّهَ قَد فَرَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلةٍ. فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبِرْهم أنَّ اللّهَ قد فرضَ عليهم صَدَقةً تؤخذُ من أغنيائهم فتُردُّ على فُقرائهم. فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتَّقِ دَعوةَ المظلوم فإنهُ ليسَ بينَه وبين اللَّهِ حِجابٌ))[1].

من هذا النص يتبين أن على الداعية أن يبدأ بالأهم ثم المهم، أن يبدأ في الدعوة بالعقيدة قبل العبادة، وبالعبادة قبل مناهج الحياة، وبالكليات قبل الجزئيات، وبالتكوين الفردي قبل الخوض في الأمور العامة.

ومما يؤكد هذه الأهمية: دعوة النبي ﷺ إلى ما هو أهمّ عما هو مهم في الفترة المكية. ففي هذه الفترة بالذات كان صلوات الله وسلامه عليه يركز في الدعوة إلى الله على الإيمان بالله ووحدانيته، والتعرف على الله عن طريق الظواهر والآثار، ويركّز أيضًا في الرد على مزاعم الدهريين وإقامة الحجة عليهم، ومنكري البعث ودحض مفترياتهم؛ ويركز كذلك على إثبات الرسالة، وإظهار خصائصها، وفضح الجاهلية، وتجسيد عوارها ومفاسدها.

ولو لم يكن النبي ﷺ عالمًا بمعتقدات القوم، بصيرًا بأحوال الجاهلية، خبيرًا

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٩٥، ومسلم ١٩.

بعادات البيئة. لما بدأ معهم بإصلاح العقيدة التي هي في نظره الأهم، ولما ركّز في دعوته على هذه القضايا التي تتصل بالإيمان بالله، ووحدانية الخالق، وترتبط بالاعتقاد بالمغيّبات، حتى إذا دخل القوم حظيرة الإسلام، وخالط الإيمان بشاشة قلوبهم، جاءت مرحلة المهم: ألا وهي التزام القوم الإسلام على أنه أصول معاملة، ومبادئ حكم، ومناهج حياة، وهذا ما ركّز عليه ﷺ في الفترة المدنية حين أقام النبي ﷺ معالم المجتمع الفاضل في المدينة المنورة بعد أن صلحت عقيدة الأمة، وترسّخ في أبنائها الإيمان بالمغيبات)[1].

رابعًا - من أساليب الدعوة : السؤال والنهى:

١ - السؤال: حيث جاء في الحديث: "فعلام نبايعك" والسؤال أسلوب من أساليب الدعوة التي بها يتوصل المدعو إلى معرفة ما يريد، والاستفسار عما يجهل من الأمور. وفي الحديث سأل الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ عن الأشياء التي يبايعونه عليها.

٢ - النهى: وذلك حيث جاء في الحديث: "ولا تسألوا الناس شيئًا" وأسلوب النهى من أساليب الدعوة النافعة حيث يشعر المدعو بخطورة المنهي عنه وضرورة الحذر منه. وفي الحديث نهاهم الرسول ﷺ عن سؤال الناس شيئًا من حوائج الدنيا، وأن المسلم يجب أن يتعود على العفة.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: فضل العفة وعدم السؤال:

حيث جاء في الحديث: "فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه"، قال النووي: "وفي الحديث التمسك بالعموم لأنهم نهو عن السؤال فحملوه على عمومه وفيه الحث على التنزه عن جميع ما يسمى سؤالاً وإن كان حقيرًا"[2]، وما من شك أن العفة مطلوبة ويجب على المسلم الابتعاد عن سؤال الناس إلا في أضيق الأمور".

قال القرطبي: (وأخذه ﷺ على أصحابه البيعة "ألا يسألوا أحدًا شيئًا" حَمْلٌ على

---

(١) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، ص ٤٧-٤٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٨.

مكارم الأخلاق، والترفع عن تحمل مِنن الخلق، وتعليم الصبر على مضض الحاجات، والاستغناء عن الناس، وعزة النفوس. ولما أخذهم بذلك التزموه في جميع الأشياء وفي كل الأحوال حتى فيما لا تلحق فيه مِنَّة، طردًا للباب وحسمًا للذرائع)[١].

والواجب على المسلم أن يتحلى بالعفة وعدم السؤال حتى وإن كان فقيرًا من المال؛ فالعاقل يرى أن الأموال والأشياء كلها في خزائن الله تعالى لا في يد نفسه، فلا يفرق بين أن تكون بيده أو بيد غيره، وكل رزق في الكون فهو من رزقه.

وللفقير إلى الله آداب في باطنه وظاهره، وآداب في مخالطته، وآداب في أفعاله.

فأما أدب باطنه، فأن لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر، فالله أعلم بما يصلح له، وإن كان كارهًا للفقر، فهذا أقل درجاته وهو واجب، وأرفع من هذا أن لا يكون كارهًا للفقر بل يكون راضيًا به، وأرفع منه أن يكون طالبًا له وفرحًا به، لعلمه بغوائل الغنى، كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾[٢].

وأما أدب ظاهره فأن يظهر التعفف والتجمل، ولا يظهر الشكوى والفقر، بل يستر فقره، ويستر أنه يستره، مستغنيًا بربه مفتقرًا إليه وحده، فهؤلاء الفقراء الأغنياء: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾[٣].

وأما في أعماله فأن لا يتواضع لغني لأجل غناه، فهذه رتبة، وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء، ولا يرغب في مجالسهم؛ لأن ذلك من مبادئ الطمع وهو مذموم.

وأما أدبه في أفعاله فينبغي له أن لا يفتر بسبب الفقر عن العبادة، ولا يمنع بذل قليل

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٨٦.

(٢) سورة العلق، آية: ٦، ٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

ما يفضل عن حاجته، فإن ذلك جهد المقل، وفضله أكثر مما يبذل عن ظهر غني.

والسؤال محرم في الأصل، وإنما يباح لضرورة أو حاجة مهمة.

وإنما حرمه الشرع؛ لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة:

الأول: أنه إظهار لشكوى الله تعالى، إذ السؤال إظهار للفقر، وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه، وهو عين الشكوى لله.

وكما أن العبد المملوك لو سأل غير سيده لكان سؤاله تشنيعًا على سيده، فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله تعالى، فهو محرم لا يحل إلا لضرورة كما تحل الميتة للمضطر.

الثاني: أنه فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله، بل عليه أن يذل نفسه لمولاه، فأما الخلق فإنهم عباد أمثاله، فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة، وفي السؤال ذل للسائل، وظلم للمسؤول من الخلق.

الثالث: أن السؤال لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالبًا؛ لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب نفس، فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ، وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع. ففي المنع نقصان جاهه، وفي البذل نقصان ماله، وكلاهما مؤذيان، والسائل هو السبب في الإيذاء، وأذى المسلم محرم.

والفقراء أربعة:

فقير لا يسأل، وإن أعطي لا يأخذ، فهذا بأرفع المنازل.

وفقير لا يسأل، وإن أعطي أخذ، فهذا دونه.

وفقير يسأل عند الحاجة، فهذا دونه. وهؤلاء كلهم محمودون.

وفقير يسأل من غير حاجة وضرورة، فهذا مذموم، وصاحبه مأزور غير مأجور. قال النبي ﷺ: ((مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا. فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ))(١).

وحب الدنيا رأس كل خطيئة، ومقاطعتها إما أن تكون بانزوائها عن العبد،

(١) أخرجه مسلم ١٠٤١.

ويسمى ذلك فقرًا، وإما بانزواء العبد عنها، ويسمى ذلك زهدًا. ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادة.

والدنيا ليست محذورة لعينها، بل لكونها عائقة عن الوصول إلى الله تعالى. والفقر ليس مطلوبًا لعينه، بل لأن فيه فقد العائق عن الله تعالى، وعدم التشاغل به، وكم من غني شغله غناه عن ربه؟ وعن تنفيذ أوامره؟

وكم من فقير شغله فقره عن ربه، وعن امتثال أوامره، وصرفه عن حب الله والأنس به، وإنما الشاغل له حب الدنيا، والدنيا معشوقة الغافلين.

فالمحروم منها مشغول بطلبها. والقادر عليها مشغول بحفظها وجمعها والتمتع بها، وتنميتها والاستكثار منها)[1].

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٢/١٩١٢-١٩١٥.

الحديث رقم (٥٢٩)

٥٢٩ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى الله تَعَالَى وَلَيْسَ في وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

المُزعة: القطعة[٢].

الشرح الأدبي

التعبير بفعل الزوال المنفي (لا تزال) الدال على الاستمرارية المؤذنة بالإصرار، والتمادي في الفعل المذموم وقوله (بأحدكم) يشمل كل من يسأل الناس من غير ضرورة، والتعبير ب(حتى) بيان للغاية، وقوله (يلقى الله) يصعِّد الرهبة من الموقف مع تعاطي الفعل، وهو سؤال الناس، وقوله (وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ: يَحْتَمِل وُجُوهًا أَنْ يَأْتِي يَوْم الْقِيَامَة ذَلِيلًا سَاقِطًا لَا جَاه لَهُ وَلَا قَدْر كَمَا يُقَال: لِفُلَانٍ وَجْه عِنْد النَّاس فَهُوَ كِنَايَة، وَأَنْ يَكُون قَدْ نَالَتْهُ الْعُقُوبَة فِي وَجْهه فَعُذِّبَ حَتَّى سَقَطَ لَحْمه عَلَى مَعْنَى مُشَاكَلَة عُقُوبَة الذَّنْب مَوَاضِع الْجِنَايَة مِنْ الْأَعْضَاء كَقَوْلِهِ ﷺ رَأَيْت لَيْلَة أُسْرِيَ بِي قَوْمًا تُقْرَض شِفَاههمْ: فَقُلْت يَا جِبْرِيل مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَأَنْ يَكُون ذَلِكَ عَلَامَة لَهُ وَشِعَارًا يُعْرَف بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عُقُوبَة مَسَّتْهُ فِي وَجْهه وَقَالَ اِبْن بَطَّال: جَازَاهُ اللَّه مِنْ جِنْس ذَنْبه حِين بَذَلَ مَاء وَجْهه وَعِنْده الْكِفَايَة وَإِذَا لَمْ يَكُنْ اللَّحْم فِيهِ فَتُؤْذِيه الشَّمْس أَكْثَر مِنْ غَيْره وَأَمَّا مَنْ سَأَلَ مُضْطَرًّا فَيُبَاح لَهُ السُّؤَال وَيُرْجَى لَهُ أَنْ يُؤْجَر عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَجِد عَنْهُ بُدًّا[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠/١٠٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١١٧٤).

(٢) رياض الصالحين ٢٤٨.

(٣) انظر: حاشية السندي حديث (٢٥٣٨).

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم السؤال من غير ضرورة: اتفق العلماء على كراهية السؤال والتنفير منه إذا لم تدع إليه ضرورة من خوف هلاك ونحوه، واختلفوا فيمن تحل له المسألة، فذهب الحنفية إلى أن من كان له قوت يومه لا يحل له السؤال، وذهب المالكية إلى أن من كان له أوقية من فضة "وهي أربعون درهم"[(١)] فالسؤال له مكروه، وذهب الشافعية إلى أنه إذا كان قادرًا على الكسب حرم عليه السؤال، وإن كان عاجزًا محتاجًا فليس بحرام، وذهب الحنابلة إلى أنه إذا كان له ما يكفيه حرم عليه السؤال[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والترهيب

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطر المسألة يوم القيامة

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الترهيب من المسألة والحث على الاستعفاف

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار، والترهيب:

١ - الإخبار: وذلك حيث جاء في الحديث: "لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى"، ومما لا شك فيه أن أسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تُعرِّف المدعوين عما خفي عليهم، وبالإخبار تقوم الحجة على الناس بالتبليغ وبالإخبار أمر الله المرسلين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[(٣)] وعلى الدعاة إلى الله تحري

---

(١) درهم الفضة يساوي ٢٫٨١٢ جرامًا، وعلى هذا فأوقية الفضة تساوي ١١٢٫٥١٢ جرامًا. معجم لغة الفقهاء ٧٧.

(٢) الاختيار ٣٦/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٧٧/٦، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٩/٦، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، السيوطي ٣٢٠/٥.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

الصدق في الخبر بالاعتماد على القرآن والسنة لأن جميع أخبارهما صادقة لا ريب فيها، وهذا الأمر مما تتميز به الدعوة الإسلامية.

٢ - الترهيب: حيث جاء في الحديث: "حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم" ولا شك أن في هذا ترهيب للمدعوين من خطورة المسألة، وأسلوب الترهيب يحمل النفس على سلوك الطريق السوي (والنفس البشرية بقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام واجتناب الجرائم والذنوب، وبيان ما أعده الله تعالى من شديد العقاب، وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى، فإذا ما أحسن الداعية في عرض ما لديه وإيراد ما عنده فإنه بلا شك سيؤثر في المتلقين أكبر التأثير وأعظمه لأن الإنسان لا يتحمل الزواجر مجرد سماع فكيف إذا كانت حقيقة، وكفى بالموت واعظًا)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خطر المسألة يوم القيامة:

حيث جاء في الحديث: "يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزْعةُ لحم"، قال القاضي عياض: (قيل: معناه: يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطًا لا وجه له عند الله، وقيل هو على ظاهره يحشر وجهه عظمًا دون لحم، عقوبة من الله، وتمييزًا له وعلامة بذنبه لما طلب المسألة بالوجه كما جاء في الأحاديث الأخرى من العقوبات في الأعضاء التي كان بها العصيان، وقيل: ليس على وجهه لحم يقيه حر شمس المحشر وهذا ضعيف، هذا فيمن سأل لغير ضرورة وتكثرًا إذ غر من نفسه، وأخذ باسم الفقر ما لا يحل له، أو يكون مجازًا من ذل السؤال، وبذل الوجه لغير فاقة مضطرة فاستعار لذلك احتراق الوجه بذلك، وأن الاحتطاب وتكلف صعب المعيشة ومشقة الكسب خير له وأصون لإراقة ماء وجهه ورونق محياه، وقد يكون الجمر على وجهه، أي يرد ما يأخذ جمرًا فيكوى به كما جاء في مانع الزكاة. وقد يكون عندي قوله "لقي الله وما في وجهه مزعة لحم"

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص٥١٥.

على ضرب المثل والاستعارة لحاله في الدنيا من ذهاب الحرمة عن وجهه، والصون بذُلّ السؤال حتى مات ولم يبق له وجه عند الناس ولا قدر)[١].

وقال القرطبي: (وقوله في الحديث "وليس في وجهه مزعة لحم" أي قطعة لحم، ومنه: مزعت المرأة الصوف، إذا قطعته لتهيئه للغزل وتمزع أنفه أي تشقق وهذا محمول على كل من سأل سؤالاً لا يجوز له. وخص الوجه بهذا النوع، لأن الجناية به وقعت إذ قد بذل من وجهه ما أمر بصونه عنه، وتصرف به في غير ما سوِّغ له)[٢].

وقال ابن حجر: (قال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد أنه يأتي ساقطًا لا قدر له ولا جاه أو يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه لمشاكلة العقوبة في مواضع الجناية من الأعضاء لكونه أذل وجهه بالسؤال، أو أنه يبعث ووجهه عظم كله فيكون ذلك شعاره الذي يعرف به وقال ابن أبي جمرة: "معناه ليس في وجهه من الحسن شيء لأن حسن الوجه هو بما فيه من اللحم. والمراد به من سأل تكثرًا وهو غني لا تحل له الصدقة وأما من سأل وهو مضطر فذلك مباح له فلا يعاقب عليه)[٣].

وقال د. الحسيني هاشم: (طَبْع الإنسان الاستكثار من الدنيا، وقد يلجأ إلى تحصيله بالسؤال وإذلال النفس، والتحايل على الناس، فيلقى الله تعالى يوم القيامة ذليلاً حقيرًا ظاهرة عليه علامات ذلك، بتهري وجهه وذهاب لحم هذا الوجه وبقاء هيكله)[٤].

ثالثًا - من أهداف الدعوة : الترهيب من المسألة والحث على الاستعفاف:

يظهر هذا من سياق الحديث حيث: إن من أهداف الدعوة ترهيب المدعوين وتخويفهم من المسألة، وبيان لخطورتها، وحث للمدعوين على الاستعفاف، وقد مدح

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٥٧٤-٥٧٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٨٥.

(٣) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩٧

(٤) شرح رياض الصالحين ٣٤٥.

الله الذين يتعففون عن السؤال فقال: ﴿تَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1].

قال ابن كثير: (إن الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم فهم لا يلحون في المسألة ويكلفون الناس مالا يحتاجون إليه فإن من سأل وله ما يغنيه عن السؤال فقد ألحف في المسألة)[2].

وقال د. محمد محمود حجازي: (وهذه الآية في بيان صفات الفقراء الذين يستحقون الصدقة والإنفاق عليهم فهم يحسبهم الجاهل أغنياء من عفتهم وصبرهم وقناعتهم فعندهم عزة المؤمنين وتوكل المتوكلين، وتعرفهم بسيماهم وعلامتهم الضمور والنحول والضعف ورثاثة الثياب، وفي الواقع هذا متروك لفراسة المؤمن فرب فقير له مظهر، وغني رث الثياب ملحف في السؤال، ولا يسألون الناس أصلاً أو لا يسألون ملحين وملحفين. والسؤال في الإسلام محرم إلا لضرورة فالمسألة لا تحل إلا لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع)[3]. إن من الأمور التي يجب أن يوجه إليها الدعاة المدعوين العفة عن السؤال وتربية الجماعة المؤمنة على العزة والكرامة.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٧٠٤.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ١/٢/٢١-٢٢.

الحديث رقم (٥٣٠)

٥٣٠ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ المَسْأَلَةِ: ((**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر أفضلية اليد المنفقة المتصدقة التي تواسي، وتعين، وتمسح دموع الحزن التي تفجرت من ينابيع الحاجة، وقد استخدم أسلوب المطابقة بين المعاني لتقرير الأفضلية بين اليد الممتدة بالعطاء، واليد الممتدة فقط لتأخذ حيث قابل العليا بالسفلى، ليصور الفارق بين الاثنين بالمدى المحسوس بين الجهتين ارتفاعا في سمو بمحاسن الأفعال، وانخفاضا، وانحطاطا بذل السؤال، وحتى لا ينظر إنسان لعلو اليد، وانخفاضها من ناحية القوة، والضعف أو من ناحية الغنى، والفقر، وقد جاء تفسيره للعلو، والانخفاض بقوله: (وَاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ) في طباق بين المنفقة، والسائلة يقرر سبب الانخفاض، والارتفاع، حتى يحرص كل مؤمن على أن تكون يده عالية دائماً تقرباً لله تعالى.

فقه الحديث

إباحة الكلام للخطيب بكل ما فيه إصلاح:

قال ابن حجر: (قال ابن عبدالبر: في الحديث إباحة الكلام للخطيب بكل ما يصلح من موعظة وعلم وقربة)[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٢٩، ومسلم ١٠٣٣/٩٤ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٠٨.

(٢) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني ٢٩٨/٣.

(٣) هذا الحديث تقدم معظم معناه برقم ٢٩٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و٥٢٦ من حديث حكيم ابن حزام رضي الله عنه.

الحديث رقم (٥٣١)

٥٣١ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا، فإنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا؛ فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تكثرًا: ليكثر ويزيد ماله[٢].

جمرًا: يعاقب بالنار[٣].

الشرح الأدبي

فقول الرسول ﷺ (فليستقل أو ليستكثر) أمر للتهديد والوعيد عن طريق التخيير بعد أن أحال مال هذا المستكثر من المسألة إلى جمر يجمعه السائل، ثم ترك له بعد أن بيَّن له حقيقة المسألة حرية الاختيار في الكثرة، والقلة تهديدا ووعيداً، قال الأحوذي :(فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر) وهما أمرا تهديد ونظيره قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾[٤][٥]، وقال الفخر الرازي: في تفسير الآية أيضاً أن الأمر يأتي كثيراً لغير الطلب في كتاب الله ثم نقل عن على بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال هذه الصيغة تهديد ووعيد وليست للتخيير)[٦] وعلى هذا

---

(١) برقم ١٠٥/١٠٤١. أورده المنذري في ترغيبه ١١٨٧.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ك ث ر).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٧.

(٤) سورة الكهف الآية ٢٩

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٥٦/٣.

(٦) انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب للرازي الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التميمي الرازي الشافعي) ١٠٢/٢١.

القول ليس المقصود من الآية التخيير بل هي للتهديد، والوعيد، وذكر العلامة الألوسي آن قوله :(فمن شاء فليؤمن ....) من تمام القول المأمور به، فالفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد .. ونقل عن غيره: أن قوله :(فمن شاء فليؤمن....) الخ تهديد من جهته تعالى غير داخل تحت القول المأمور به فالفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على نفس الأمر أي قل لهم ذلك، وبعد ذلك فمن شاء أن يؤمن به أن يصدقك، فليفعل ومن شاء أن يكفر أو أن يكذبك فيه **فليفعل**، وعلى الوجهين ليس المراد حقيقة الأمر والتخيير وهو ظاهر)[1]. وعلى ذلك ومن خلال تنظير العلامة الأحوذي بين الآية الكريمة والحديث الشريف :(فليستقل أو ليستكثر) يمكننا القول أن الأمر في الحديث للتهديد والوعيد عن طريق التخيير دون أن يكون المقصود التخيير بل كان هذا التخيير وسيلة للتهديد والوعيد لكل من تسول له نفسه الاسترسال في سؤال الناس ليستكثر، وهو في الحقيقة يستكثر من الجمر؛ وهذا من أبلغ التهديد وأبعده غوراً في النفس[2].

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: التحذير من المسألة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة : التشبيه والتحذير.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً – من موضوعات الدعوة: التحذير من المسألة:

حيث جاء في الحديث: "من سأل الناس أموالهم تكثرًا فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر" قال النووي: (قال القاضي: معناه أن يعاقب بالنار ويحتمل أن يكون على ظاهره وأن الذي يأخذه يصير جمرًا يكوي بها كما ثبت في مانع الزكاة)[3].

---

(١) تفسير (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) للعلامة الألوسي البغدادي ١٥/٢٦٦.

(٢) انظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٧.

وقال القرطبي: (وقوله "من سأل الناس أمواله تكثرًا" أي استكثارًا منها من غير حاجة ولا ضرورة. وقوله "فإنما يسأل جمرًا" أي يعذب بحسب مسائله التي هي غير جائزة. وقوله "فليستكثر من ذلك أو ليستقل" هو أمر على جهة التهديد أو على جهة الإخبار عن مآل حاله والمعنى: فإنه يعاقب عن القليل من ذلك والكثير)[(١)].

وقد دلت الأحاديث على التحذير من المسألة فعن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ سَأَلَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ خُمُوشٌ أَوْ خُدُوشٌ أَوْ كُدُوحٌ فِي وَجْهِهِ، فَقِيلَ يَا رسولَ الله وَمَا الْغِنَى؟ قَالَ خَمْسُونَ دِرْهَمًا أوْ قِيمَتُهَا مِنَ الذَّهَبِ))[(٢)].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ يَكْفُلَ لِي أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا وأَتَكَفَّلَ لَهُ بالْجَنَّةِ، فَقَالَ ثَوْبَانُ أَنَا فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا))[(٣)].

وعن سمرة عن النبي ﷺ قال: ((المَسَائِلُ كُدُوحٌ يَكْدحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ. إلاَّ أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ أَوْ فِي أمْرٍ لاَ يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا))[(٤)].

قال العظيم آبادي: (والمراد هنا سؤال أموال الناس وقوله "كدوح" مثل صبور للمبالغة من الكدح بمعنى الجرح أو هي آثار الخموش قال في المرقاة فالإخبار به عن المسائل باعتبار من قامت به، أي سائل الناس أموالهم جارح لهم بمعنى مؤذيهم أو جارح وجهه. وقوله "يكدح بها الرجل" أي يجرح ويشين بالسائل "وجهه" ويسعى في ذهاب عرضه بالسؤال يريق ماء وجهه فهي كالجراحة. فمن شاء الإبقاء على ماء وجهه من الحياء بترك السؤال والتعفف، ومن شاء عدم الإبقاء وقوله "إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان" فيه دليل جواز سؤال السلطان من الزكاة أو بيت المال أو نحو ذلك فيخص به

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٨٥/٣.

(٢) أخرجه أبو داود ١٦٢٦ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود ١٦٤٣ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود ١٦٣٩ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٤٣).

عموم أدلة تحريم السؤال وقوله "أو في أمر لا يجد منه بدًا" أي علاجًا آخر غير السؤال أو لا يجد من السؤال فراقًا وخلاصًا وفيه دليل على جواز المسألة عند الضرورة والحاجة التي لابد عندها من السؤال كما في الحمالة والجائحة والفاقة بل يجب حال الاضطرار في العري والجوع)[(١)].

وقال ابن علان: (من سأل الناس تكثرًا أي ليكثر ماله مما يجتمع عنده بسبب السؤال فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو فليستكثر أو فيه للتخيير أي فهو مخير، إذ عرف مآل ذلك بين الاستكثار والاستقلال فيكثر عذابه أو يقل)[(٢)]، ومما لا شك فيه أن العفة عن السؤال من مطالب الشريعة قال الجرجاني : (العفة هي هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والخمود الذي هو تفريطه فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة)[(٣)].

وقال ابن الجوزي: (ودليل كمال صورة البدن حسن السمت واستعمال الأدب، ودليل كمال صورة الباطن حسن الطبائع والأخلاق. فالطبائع: العفة والنزاهة والأنفة من الجهل، ومباعدة الشره. والأخلاق: الكرم والإيثار وستر العيوب وابتداء المعروف، والحلم عن الجاهل فمن رزق هذه الأشياء رقته إلى الكمال، وظهر عنه أشرف الخلال، وإن نقصت خلة أوجبت النقص)[(٤)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ((والله لأن يأتي أحدكم صيرًا ، ثم يحمله يبيعه فيستعف منه، خير له من أن يأتي رجلاً يسأله))[(٥)].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قَدْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يُعْطِينِي الْعَطَاءَ. فَأَقُولُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي. حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالاً. فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي. فَقَالَ

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٧٤٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٠٢.

(٣) التعريفات ١٥١.

(٤) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢٨٩.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٥١٢/٢، رقم ١٠٦٥٨، وقال محققو المسند: رجاله ثقات رجال الشيخين ٢٨٥/١٦.

رَسُولُ اللّهِ ﷺ: خُذْهُ. وَمَا جَاءَكَ مِنْ هذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ، فَخُذْهُ. وَمَا لاَ، فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ))[١].

قال ابن مفلح: (كان يقال الشكر زينة الغني والعفاف زينة الفقر والصبر)[٢]. وما من شك في أن ترك المسألة وعفة النفس لها فوائد ومن ذلك: (أنها ركن من أركان المروءة التي ينال بها الحمد والشرف، وإشاعتها في المجتمع تجعله صالحًا وهي دليل كمال النفس وعزها، ودليل وفرة العقل ونزاهة النفس)[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة : التشبيه والتحذير:

١ - التشبيه: حيث جاء في الحديث: "فإنما يسأل جمرًا" وفيه تشبيه المال المأخوذ عن طريق السؤال بالجمر ولا شك أن التشبيه من أساليب الدعوة التي تساعد على إيصال المعنى إلى المدعوين" إن إبراز المعاني باختصار في معرض التمثيل ابتداء أو مجيئه في أعقاب المعاني وعلى أثرها لإيضاحها وتقريرها آكد وقعًا في القلوب وأبلغ أثرًا في النفوس[٤].

٢ - التحذير: حيث جاء في الحديث: "من سأل الناس تكثرًا فإنما يسأل جمرًا" وأسلوب التحذير من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعوين إلى خطورة المحذر منه. وفي الحديث حذر النبي ﷺ من المسألة وجعل من يفعل هذا كأنما يسأل جمرًا.

ثالثًا - من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

يظهر هذا من دلالات الحديث ذلك لأن الرسول الكريم لا يحذر إلا من كل مكروه وسيئ، وقد دلت النصوص الشرعية على وجوب الاستجابة لتوجيهات الله ورسوله ﷺ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٦٤ ، ومسلم ١٠٤٥ واللفظ له.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢/ ٣١٠

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٢٨٨٨/٧.

(٤) هداية المرشدين، علي محفوظ، ١٧٨.

تُحْيِيكُمْ ﴾[١]، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[٢]، فواجب المدعو أن يسارع إلى الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ. وذلك لأنه الأسوة والقدوة.

قال ابن حزم: (من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها - فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ - وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الاتساء به بمَنِّهِ آمين)[٣].

وقال الشاطبي: (وحاصل الأمر أن أصحابه رضي الله عنهم كانوا مقتدين به مهتدين بهديه، وقد جاء مدحهم في القرآن الكريم وأثنى على متبوعهم محمد ﷺ، وإنما خلقه ﷺ القرآن. فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٤] فالقرآن إنما هو المتبوع على الحقيقة وجاءت السنة مبينة له، فالمتبع للسنة متبع للقرآن، والصحابة كانوا أولى الناس بذلك فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله فالكتاب والسنة هما الطريق المستقيم، وما سواهما من الإجماع وغيره فناشئ عنهما)[٥].

وقد تكاثرت النصوص الشرعية في ضرورة الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ واتباع سنته وهديه. والسنة مصدر للتشريع، دل على هذا الكتاب بنصوصه الكثيرة وبأساليب مختلفة، من ذلك:

أ - التصريح بأن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي من الله، وما كان من عند الله يلزم اتباعه، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[٦].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) سورة النور، آية: ٥١.

(٣) الأخلاق والسير ٢٤.

(٤) سورة القلم، آية: ٤.

(٥) الاعتصام ٢/٤٤٣.

(٦) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

ب - الأمر بطاعة الرسول قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾[(١)].

ج - جعل طاعة الرسول طاعة لله قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[(٢)].

د - الأمر باتباع ما يأتينا به الرسول قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[(٣)].

هـ - وجوب رد المتنازع فيه إلى الله أي إلى كتابه وإلى الرسول أي إلى سنته، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[(٤)].

و - وجوب تحكيم الرسول ﷺ فيما يحصل فيه الاختلاف، وقبول ما يحكم به قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[(٥)].

ز - لا خيار للمسلم فيما قضى به الله أو قضى به رسوله قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[(٦)].

ح - التحذير بالعذاب الأليم من مخالفة الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(٧)].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٧) سورة النور، آية: ٦٣.

ط - أعطى الله رسوله سلطة بيان أحكام القرآن، لأن في القرآن أحكامًا مجملة تحتاج إلى تفصيل وبيان حتى يصح بها التكليف، ولهذا بينها النبي ﷺ بما له من سلطة البيان قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]. فهذه النصوص وأمثالها تدل على أن السنة حجة وواجبة الاتباع ومتممة للكتاب ومصدر للتشريع[2].

---

١) سورة النحل، آية: ٤٤.

٢) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان، ١٦٠-١٦١.

الحديث رقم (٥٣٢)

٥٣٢ - وعن سَمُرَةَ بنِ جُنْدبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إلاَّ أنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطانًا أَوْ فِي أمْرٍ لاَ بُدَّ مِنْهُ**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

غريب الألفاظ:

الكدُّ: الخدش ونحوه[2].

الشرح الأدبي

قول الرسول صلى الله عليه وسلم (إنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ) تشبيه للمسألة بالخدوش، والجروح بجامع التشويه، وإحداث الضرر في كل، والغرض منه التقبيح، والتنفير من السؤال ثم إن هذه الصورة توقع في نفس المخاطب الراغب في المسألة الإحساس بالرهبة من تمزيق وجهه مما يحدث الألم، ويشوه الوجه، وقد أكدها بقوله (يَكُدُّ بهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ) وتخصيص الوجه؛ لأنه الذي يمتهن بذل السؤال وهو أكرم أعضاء الإنسان، ونسبة كد الوجه إلي صاحب الوجه تزيد الصورة تقبيحاً، وتنفيراً لأنه هو الذي فعل ذلك بنفسه، حتى لا يقدم عليه إلا شديد الحاجة الذي لا يجد منه بدا، ولذلك استثنى رحمة بذي الحاجة المضطر، في قوله (إلاَّ أنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطاناً أَوْ فِي أمْرٍ لاَ بُدَّ مِنْهُ) فجعل المسألة في السلطان، أو عند الاضطرار.

---

(١) برقم ٦٨١. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٣٣٨٦. أورده المنذري في ترغيبه ١١٧٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (ك د د).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطورة المسألة.

ثالثًا: من صفات الداعية: البيان والتوضيح.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في تأكيد كلامه ﷺ بـ"إن" فقال "إن المسألة كدّ يَكُدُّ بها الرجل وجهه... الحديث" وذلك تأكيدًا لشناعة المسألة وتأثيرها السلبي على صاحبها في الدنيا والآخرة، وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المؤثرة لما يوقعه في قلب المدعو من اقتناع وحمله على الامتثال لما دعي إليه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خطورة المسألة:

إن من أخطر الأمراض الاجتماعية وأسوأ الأخلاق على المجتمع والأفراد المسألة ومد اليد للغير، وقد بين النبي ﷺ في الحديث خطورة المسألة على المستوى الفردي فقال "إن المسألة كد يَكُدُّ بها الرجل وجهه" قال ابن الأثير: الكد: الأتعاب، يقال كد يَكُدُّ في عمله كدًا إذا استعجل وتعب، وأراد بالوجه ماءه ورونقه[1] فالمسألة تذهب بحياء الرجل وعزته وكما قال ﷺ ((المَسَألة كُدُوحٌ يَكْدحُ بهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ))[2] أي من شاء أبقى على ماء وجهه من الحياء بترك السؤال والتعفف ومن شاء ترك[3] وقد لمح إلى هذا المعنى من قال:

إذا أظـــمأتك أكـــف اللئـــام ... كفتـــك القناعـــة شـــبعًا وريـــا

فكـــن رجـــلاً رجلـــه في الثـــرا ... وهامـــة همتـــه في الثريـــا

فـــإن إراقـــة مـــاء الحيـــاة ... دون إراقـــة مـــاء المحيـــا[4]

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ص ٧٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود ١٦٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٤٣).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، ص ٧٤٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٠٣، ٨٠٤.

فنجد أن الإسلام منع وحذر أتباعه من المسألة وحضّهم على التعفف وأثنى على المتخلقين به، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(١) ولما نهى الإسلام عن التطلع إلى ما في يد الغير، وأمر بالعفة لفت الأنظار إلى ما عند الله من رزق هو خير وأبقى، وذلك من عناصر التربية القرآنية الحكيمة، وهي التربية بالتحويل والتصعيد(٢) قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(٣).

ثالثًا - من صفات الداعية: البيان والتوضيح:

إن من أهم ما ينبغي أن يتصف به الداعية البيان والتوضيح للمدعوين، وقد أمر الله نبيه بذلك فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٤) وفي الحديث صورة تطبيقية لذلك، فالرسول ﷺ لم يحرم المسألة على إطلاقها وإنما بين أنها محرمة إلا ما اضطر عليها، فقال: "إن المسألة كد يَكُدُّ بها الرجل وجهه، إلا أن يسأل الرجل سلطانًا أو في أمر لابد منه" فاستثنى الرسول ﷺ أن يسأل الرجل السلطان، أو مَنْ على بيت المال حقه فيعطيه منه إن كان مستحقًا، أو في أمر لابد منه ولا فراق عنه كما في الحمالة والجائحة والفاقة(٥) وإن البيان لمن الأهمية بمكان ومن يتصفح آيات البلاغ في القرآن يجد أن معظمها وصفت البلاغ بالمبين قال تعالى: ﴿وَمَا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة، ص ٤٩٧.

(٣) سورة طه، آية: ١٣١.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٠٦/١، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٠٤.

عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[1] قال السعدي: (وما علينا إلا البلاغ المبين) أي البلاغ الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها[2].

(١) سورة يس، آية: ١٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٤٠.

الحديث رقم (٥٣٣)

٥٣٣ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ أصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأنْزَلَهَا بالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أنْزَلَهَا باللهِ[1]، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أوْ آجِلٍ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

فاقة: أي حاجة شديدة[3].

فيوشكُ: فيُسرع[4].

الشرح الأدبي

الحديث في الترغيب في الاستعانة بالله، وسؤاله دون الناس، وقد بدأ بالموصول (من) المؤذن بخطاب العاقل المنوط بالحكم، والتكليف مع الرغبة في التزام التوجيه النبوي، والتعبير بالإصابة في صيغة الماضي يفيد التحقق، ونسبة الإصابة للفاقة من نسبة الفعل لمفعوله مبالغة في تمكن الفاقة منه، وشدتها عليه، والفاقة الحاجة الشديدة، وأكثر استعمالها في الفقر، وضيق المعيشة، وقوله (فأنزلها بالناس) أي أظهرها على وجه الشكاية شبه إظهارها للناس، وشكايتها إليهم بالإنزال الذي يتعلق بالمحسوسات، وهي أمر معنوي للمبالغة في إظهارها كالنازل بين الناس من حيث تمام ظهوره لهم، برؤيتهم له، والتعبير بالإنزال يفيد التمكن، لدلالة النزول على سبق العلو،

---

(١) إلى هنا اللفظ لأبي داود، والشطر الباقي اللفظ للترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٦٥، والترمذي ٢٣٢٦ وقال: حديث حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. قال الحاكم ٤٠٨/١: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٢٩.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥٤/٢.

(٤) رياض الصالحين ٢٤٩.

وبناء الفعل (تسد) المنفي لما لم يسم فاعله يعطي المعنى عموما أي لم يجد من يقضي حاجته من أي إنسان، التعبير بـ(يوشك) يدل على اقتراب الفرج منه، والطباق بين عاجل أو آجل يفيد توكيد تحقق الفرج بحصره بين زمانين لا بد من أن يقع في أحدهما .

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: التحذير من سؤال الناس وعدم سؤال الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل اللجوء إلى الله - تعالى - في الشدائد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة : الإنذار والتبشير.

رابعًا: من آداب المدعو : الاستعفاف واللجوء إلى الله تعالى.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التحذير من سؤال الناس وعدم سؤال الله:

حذر النبي ﷺ في هذا الحديث من سؤال الناس، وبيّن أن ذلك من أسباب الفقر ودوام الفاقة إضافة إلى غضب الله تعالى، ورغّب في التوجه بالسؤال إلى الله تعالى "من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل" وقد قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[1] أي سلوا الله ما تتمنونه من النعم[2] وهذا يدل على أن الأمر بالسؤال لله تعالى واجب[3]، وترك سؤاله سبب لغضبه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "أنه من لم يسأل الله يغضب عليه"[4] وقد أخذ بعض العلماء هذا المعنى فنظمه فقال:

لا تسألن بني آدم حاجة	وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله	وبني آدم حين يسأل يغضب[5]

(١) سورة النساء، آية: ٣٢.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج ابن الجوزي، ٧٠/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، ١٦٤/٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٦١٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، ١٦٤/٣.

وأمر الله باللجوء إليه بالسؤال والتضرع فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل اللجوء إلى الله تعالى في الشدائد:

في هذا الحديث أرشد النبي ﷺ الناس إلى اللجوء إلى الله لاسيما في الشدائد ومنها الفاقة التي ذكرت في الحديث فإن اللجوء إلى الله سبب للفرج، ولا يملك ذلك أحد غير الله، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[٢] وفي الحديث تطبيق لذلك: "من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك له برزق عاجل أو آجل" فمن اعتمد على مولاه أسرع له بكفايته وغناه[٣]. فالواجب على العاقل لزوم الالتجاء إلى الله والتوكل عليه، فهو سبحانه قد تكفل بالأرزاق، فالتوكل على الله هو نظام الإيمان وقرين التوحيد وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر ووجود الراحة، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده إلا لم يكله الله إلى عباده وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب، قال الشاعر:

توكل على الرحمن في كل حاجة ... أردت فإن الله يقضي ويقدر
متى ما يرد ذو العرش أمرًا بعبده ... يصبه وما للعبد ما يتخير
وقد يهلك الإنسان من وجه أمنه ... وينجو بإذن الله من حيث يحذر[٤]

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإنذار والتبشير:

ورد هذان الأسلوبان في الحديث، فأنذر النبي ﷺ من ينزل بالناس فاقته ويسألهم من غير ضرورة ملحة بدوام فقره، وبشر من وكل أمره إلى الله واعتمد عليه بالفرج والغنى، فقال: "من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك

---

(١) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٢) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٣) عون المعبود، العظيم آبادي، ص ٧٥١.

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. الحافظ ابن حبان البستي ص ١٥٥.

الله له برزق عاجل أو آجل" وأسلوب التبشير والإنذار من الأساليب الدعوية المفيدة، فالتبشير بفضل الله عز وجل - وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته[١] له أثر كبير في هداية القلوب وتأليفها، وكذلك الإنذار لما فيه من الإعلام والتحذير[٢] قبل وقوع الجزاء ليأخذ الحذر، وبالتبشير والإنذار كان يدعو رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٣].

والمبشر: المخبر بالبشرى والبشارة، وهي الحادث المسر لمن يخبر به والوعد بالعطية، والنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم، وقد تضمن هذا الوصف ما اشتملت عليه الشريعة من الدعاء إلى الخير من الأوامر واجتناب المنهيات، وقدمت البشارة على النذارة لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد أمته[٤].

رابعًا - من آداب المدعو: الاستعفاف واللجوء إلى الله تعالى:

شاء الله عز وجل أن يرفع من شأن المسلم، وأن يشعره بكرامته وعزته وذلك بالتحلي بخلق الاستعفاف، واللجوء إلى الخالق، وذلك ما أراد النبي ﷺ أن يغرسه في نفوس المؤمنين حيث قال: "من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل" وقد أثنى الله على من اتصفوا بالعفة في جوانب الحياة ومنها مجالات مغريات النفس المالية، وأوصانا بالبحث عنهم وتعهدهم بالعطاء، قال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٥] وقد أمر الله رسوله ﷺ وهو في نفس الوقت أمر لأمته

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ص ٦٦٨.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٩٠٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٥٣/٢٢/٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

بالتعفف وعدم النظر والتطلع إلى ما لدى الغير من متاع الحياة الدنيا، ولفت الأنظار إلى ما عند الله من الرزق الذي هو خير وأبقى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[١].

قال ابن كثير في تفسير الآية: (يقول الله لنبيه محمد ﷺ لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم وما فيه من النعيم فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة، أما رزق الله وما ادخره لرسوله وللمؤمنين في الدار الآخرة فهو أمر عظيم لا يُحدُّ ولا يوصف[٢].

(١) سورة طه، آية: ١٣١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ، ٣٢٦/٥.

الحديث رقم (٥٣٤)

٥٣٤ - وعن ثوبان ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**مَنْ تَكَفَّلَ لِي أنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟**)) فقلتُ: أنَا، فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أحَدًا شَيْئًا. رواه أَبُو داود[١] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُدٍ: تقدمت ترجمته في الحديث (١٠٧).

غريب الألفاظ:

تكفَّل: التزم وتعهَّد[٢].

الشرح الأدبي

الحديث من نوعية الأحاديث التي تربي المؤمن على العزة، والكرامة، وقد ورد المعنى في أسلوب الاستفهام بغرض العرض، والترغيب، وتقديم الجار، والمجرور (لي) يفيد التخصيص أي تعهد للرسول ﷺ عدم سؤال الناس، وتنكير (شيئا) للتعميم فتشمل ما قل، وما كثر، ولفظ الناس يعطي للحكم عموما لا يستثني أحدا منهم بحيث يجعل حاجته لله، وحده، وقوله وأتكفل أي أضمن والجار والمجرور(له) للتخصيص المقابل للتخصيص الأول (لي) وقوله (بالجنة) يشير إلى عظمة الأجر كما يلوِّح بصعوبة عدم سؤال الناس، ومشقة الصبر على ذلك مع عموم الحكم لجميع الناس، وعمومه لجميع الحاجات .

---

(١) برقم ١٦٤٣. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٠٠ وقال: إسناده صحيح.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ف ل)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٢٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الاستعفاف وعدم سؤال الناس.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاستغناء والتنزه عن المسألة.

رابعًا: من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط:

جاء أسلوب الشرط في الحديث حيث تكفل النبي ﷺ بالجنة للمسلم شريطة ألا يسأل أحدًا " من تكفل لي ألا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة" وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية المثمرة لما فيه من وضع النتيجة والعاقبة على الفعل نصب عين المدعو مما يجعله على بصيرة من الجزاء وذلك ما يدفعه إلى فعل أُمر به واجتناب ما نُهي عنه، وقد استخدم أسلوب الشرط كثيرًا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من ذلك قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الاستعفاف وعدم سؤال الناس:

دعا النبي ﷺ في الحديث إلى التعفف والاستغناء عن الناس وعدم سؤالهم ورغّب في ذلك بالثواب العظيم فقال "من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة" (أي ضمن والتزم لي أن لا يسأل الناس وأضمن له الجنة[2] والتعفف من أسباب الكمال الباطني يقول ابن الجوزي: ودليل كمال صورة الباطن حسن الطبائع والأخلاق، فالطبائع: العفة والنزاهة والأنفة من الجهل ومباعدة الشره)[3] فالدناءة والنظر إلى ما في أيدي الناس والتعلق القلبي الزائد بزينة الحياة يستعبد المرء، وقد دعا رسول الله ﷺ

(١) سورة الشورى، آية: ٢٠.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ، ص ٧٤٩.

(٣) صيد الخاطر، أبو الفرج ابن الجوزي، ص ٢٨٩.

على من اتصف بذلك بالتعاسة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ((تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهمِ وعبدُ الخَميصةِ: إن أعطِيَ رضيَ وإن لم يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتقَشَ... الحديث))[1] والعفة إنما تنال بمجاهدة النفس وبتوفيق من الله، وصاحبها من عداد أهل الجنة، فجاء من حديث طويل عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ((وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ بِكُلِ ذِي قُرْبَى، وَمُسْلِمٌ عَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ))[2] إذ أنه يجاهد نفسه مع وجود الحاجة[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاستغناء والتنزه عن المسألة:

صرح النبي ﷺ في هذا الحديث أن من فضل الاستغناء وعدم المسألة دخول الجنة فقال "من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة" كما أن العفة دليل كمال النفس وعزها، ودليل وفرة العقل ونزاهة النفس، وهي ركن من أركان المروءة التي ينال بها الحمد والشرف[4] وهي من أخلاق الأحرار وشمائل أهل العلا والارتقاء، فمن لم ير لنفسه قدرًا ويرى المال أعظم خطرًا فقد استعبدت نفسه المطامع، قال بعض الشعراء:

ومن كانت الدنيا مناهُ وهَمَّه ... سبته المُنى واستعبدته المطامع[5]

فالجزاء على جنس العمل وقدره، وكلما ألجم الإنسان نفسه عن الانحراف وفطمها عن الدنيا ارتفع ثوابه وعظم أجره، إضافة إلى ما في ذلك من حفاظ الإنسان على كرامته ورفعة منزلته أما من لجأ إلى الاستكثار من الدنيا ولجأ إلى تحصيله بالسؤال وإذلال النفس والتحايل على الناس فسيلقى الله تعالى يوم القيامة ذليلاً ظاهرة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٣) انظر: هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار، ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح، ٢٨٨٨/٧.

(٥) انظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢١٤.

عليه علامات ذلك[1]، فضلاً عن تفويته الجزاء العظيم والذي جاء في الحديث "ومن تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة".

رابعًا - من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

لقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك أرفع المثل، وفي استجابة ثوبان لإرشاد النبي ﷺ في الحديث دليل على ذلك، فعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة؟ فقلت أنا، فكان لا يسأل الناس شيئًا" وفي رواية ابن ماجه بيان ذلك تطبيقيًا ((فَكَانَ ثَوْبَانُ يَقَعُ سَوْطُهُ، وَهُوَ رَاكِبٌ، فَلاَ يَقُولُ لأَحَدٍ: نَاوِلْنِيهِ. حَتَّى يَنْزِلَ فَيَأْخُذَهُ))[2] وقد أمرنا الله في كثير من آي القرآن بالاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[3] فإن ما دعا الله ورسوله إليه فيه الحياة، فأكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ، إذ أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ولرسوله ﷺ، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات[4].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٤٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٨٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٤٨٧).

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) انظر: بدائع التفسير، ابن القيم، ٢/٣٣١.

الحديث رقم (٥٣٥)

٥٣٥ - وعن أبي بشْرٍ قَبيصَةَ بنِ المُخَارِقِ ﷺ ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ أسْأَلُهُ فِيهَا ، فَقَالَ: ((أقِمْ حَتَّى تَأتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأمُرَ لَكَ بِهَا)) ثُمَّ قَالَ: ((يَا قَبيصةُ، إنَّ المَسْألَةَ لاَ تَحِلُّ إلاَّ لأَحَدِ ثلاثَةٍ: رَجُلٌ تحمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْألَةُ حَتَّى يُصِيبَها، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قواماً مِنْ عَيش (أَوْ قَالَ: سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ) وَرَجُلٌ أصَابَتْهُ فَاقَةٌ، حَتَّى يَقُولَ ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَى مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أصَابَتْ فُلاناً فَاقَةٌ. فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يصيب قواماً من عيش (أَوْ قَالَ: سداداً من عيشٍ) فما سِوَاهُنَّ مِنَ المسألَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يَأكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتاً)) رواه مسلم[1].

(**الحَمَالَةُ**) بفتح الحاءِ: أنْ يَقَعَ قِتَالٌ وَنَحْوُهُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ، فَيُصْلِحُ إنْسَانٌ بَيْنَهُمْ عَلَى مَالٍ يَتَحَمَّلُهُ وَيَلْتَزِمُهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَ(**الجَائحةُ**) الآفَةُ تُصيبُ مَالَ الإنْسَانِ. وَ(**القَوَامُ**) بكسر القاف وفتحها: هُوَ مَا يَقُومُ بِهِ أمْرُ الإنسَان مِنْ مَال ونحوِهِ. وَ(**السِّدَادُ**) بكسر السين: مَا يَسُدُّ حَاجَةَ المُعوِزِ وَيَكْفِيهِ، وَ(**الفَاقَةُ**): الفَقْرُ. وَ(**الحِجَى**): العَقْلُ[2].

ترجمة الراوي:

قبيصة بن المخارق: هو قبيصة بن المخارق بن عبدالله بن شداد العامري الهلالي، كنيته: أبو بشر.

جاء إلى النبي ﷺ وافداً فأعلن إسلامه وكان من أهل المروءة والنجدة يسعى للصلح بين الناس وإصلاح ذات البين، فكن يصلح بين المقتتلين ويتحمل ما اصطلحوا عليه من مال. كما يتضح ذلك جلياً في حديث الباب، حقناً للدعاء، وحفظاً للنفوس وصوناً للأعراض، وحفظاً للمال.

وكان حريصاً على تعلم ما ينفعه رغم كبر سنه، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال

---

(١) برقم ١٠٩/١٠٤٤. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٠٢.

(٢) بنصه في الترغيب ١/٦٢٥- ٦٢٦.

لي: ((يا قبيصة ما جاء بك؟)) قلت: كبرت سني ورق عظمي، فأتيتك لتعلمني ما ينفعني الله عزّ وجلّ به قال: ((يا قبيصة ما مررت بحجر ولا شجر ولا مَدَرٍ إلا استغفر لك...))[١].

نزل العراق وسكن البصرة واختط دارًا بها[٢].

غريب الألفاظ:

حَمَالةً: بفتح الحاء أي يقع قتال ونحوه بين فريقين، فيصلحُ إنسان بينهم على مالٍ فيتحمَّلهُ ويلتزمهُ على نفسه[٣].

جائحة: الآفةُ تصيب مال الإنسان[٤].

القوام: بكسر القاف وفتحها هو ما يقوم به أمر الإنسان من مال ونحوه[٥].

السِّدادُ: ما يَسُدُّ حاجة المعوز ويكفيه[٦].

فاقة: الفاقة: الفقر[٧].

الحجى: العقل[٨].

السحت: أي الحرام الذي لا يحل فعله[٩].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٠٦٠٢/٣٤ وقال محققو المسند: إسناده ضعيف.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٠٩/١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٦١٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٦٥/٤ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٠٦٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٨/٦، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤٢٧/٣.

(٣) رياض الصالحين ٢٤٩.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق ٢٥٠.

(٧) المرجع السابق ٢٥٠.

(٨) المرجع السابق ٢٥٠.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤١٩.

الشرح الأدبي

قول أبي قبيصة رضي الله عنه (تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً) جناس يبين سبب السؤال، وهو تحمل تبعات الصلح بين المتقاتلين، والتعبير بالإتيان يشير إلى مشقته على نفسه، وقول الرسول له (أقِمْ حَتَّى تَأتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأمُرَ لَكَ بِهَا) يشير إلى أنه لم يكن عنده شيء يعطيه إياه وقوله (يَا قَبِيصَةُ، إنَّ المَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إلاَّ لأَحَدِ ثَلاثَةٍ) النداء تنبيه فيه تلطف، وتوكيد الكلام بعده تنبيه لأهمية الخبر، وأسلوب القصر في قوله (إنَّ المَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إلاَّ لأَحَدِ ثَلاثَةٍ) نفي للحل عن كل أحد، وإثباته لأحد الثلاثة المذكورة، وفيه تشويق يحقق الترقب، ومتابعة الخبر بيقظة، واستشراف، وقوله (جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ) جناس يؤكد المعنى، وينص على سبب من أسباب حل المسألة، وقوله (وَرَجُلٌ أصَابَتْهُ فَاقَةٌ) التعبير بالإصابة يفيد التحقق مع الإشارة إلى قوة الأثر، ونسبة الفعل للفاقة وهو في الحقيقة فعل الله به للمبالغة في شدة الفاقة، وقوله (حَتَّى يَقُولَ ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَى مِنْ قَوْمِهِ: لَقدْ أصَابَتْ فُلاناً فَاقَةٌ) كناية عن شدة ظهورها الذي لا لبس معه، ولا تردد فيه، وقد جعل لكل واحد من الثلاثة حدا يتوقف عنده عن المسألة مما يشير إلى أنه ليس هناك تسول دائم في الإسلام بل حاجة تعرض ثم تنقضي، ولذلك قال بعدها (فما سِوَاهُنَّ مِنَ المسألَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يَأكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتاً) والنداء وسط الكلام لتوفير مزيد الانتباه لما يتلوه، والتعبير بالأكل عن عموم الاستعمال للتقبيح، والتعبير بالصاحب، ونسبته لضميره للذم، وتكرار كلمة سحت يؤكد الحرمة، وينفي وهم المبالغة.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه:

١ - دفع الزكاة لمن تحمل حمالة:

قال ابن قدامة: (ومن الغارمين صنف يعطون مع الغنى، وهو من غرم لإصلاح ذات البين، وهو أن يقع بين الحيين وأهل القريتين عداوة وضغائن يتلف فيها نفس أو مال، ويتوقف صلحهم على من يتحمل ذلك، فيسعى إنسان في الإصلاح بينهم ويتحمل الدماء

التي بينهم والأموال، فيسمى ذلك حمالة بفتح الحاء، وكانت العرب تعرف ذلك، وكان الرجل منهم يتحمل الحمالة ثم يخرج في القبائل فيسأل حتى يؤديها فورد الشرع بإباحة المسألة فيها، وجعل لهم نصيبًا من الصدقة، فروى قبيصة بن المخارق قال: "تحملت حمالة ... الحديث"(١).

٢ - اشتراط التيقظ في الشهادة:

قال النووي: (وإنما شرط الحجي في قوله ﷺ: "حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجى من قومه ..." تنبيهًا على أنه يشترط في الشاهد التيقظ، فلا تقبل من مغفل)(٢).

٣ - عدد الشهود على الإعسار: قال النووي: (أما اشتراط الثلاثة "حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجى..." فقال بعض أصحابنا: هو شرط في بينة الإعسار، فلا يقبل إلا من ثلاثة لظاهر هذا الحديث، وقال الجمهور: يقبل من عدلين كسائر الشهادات غير الزنا، وحملوا الحديث على الاستحباب(٣)، وهذا محمول على من عرف له مال فلا يقبل قوله في تلفه والإعسار إلا ببينة، وأما من لم يعرف له مال فالقول قوله في عدم المال)(٤).

---

(١) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٩/٣٢٤. وانظر للمزيد في اختلاف الفقهاء في ذلك: روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢/٣١٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٦/٢٠٦، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٧/١١٨، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٣/١٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٣/٢٢٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٧/١١٩، وانظر: القوانين الفقهية ٣٠٢، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين المالكي ٢/١٧٢، ومغني المحتاج، ٤/٤٣٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٢/٣٠ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦/٢٢٣).

(٣) وانظر: المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٤/١٢٦-١٢٨، والشرح الكبير ١٢/٨٤، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام. برهان الدين المالكي ١/٢٦٥، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١١/٢٥٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦/٢٢٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٧/١١٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من صفات الداعية: البيان والتوضيح.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: خطر المسألة في غير الأمور الثلاثة التي بينها رسول الله ﷺ.

سادسًا: من أهداف الدعوة: صيانة كرامة المسلم وحثه على العمل والإنتاج.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد ورد أسلوب الإخبار في الحديث في قول قبيصة بن المخارق: (تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ)، وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المؤثرة إذ أنه يقوم على توصيل المعلومات وإبلاغ الحقائق، وإثارة اهتمام المدعوين، وتحفيزهم على الإقبال على الداعية وامتثال دعوته [1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ لقبيصة بن المخارق: (أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها)، وهو من الأساليب المفيدة لما فيه من توجيه الدعوة إلى المدعو وحمله عليها واستجابته لها خاصة إذا كان ممن أذعن للدعوة وأقبل عليها.

ثالثًا - من صفات الداعية: البيان والتوضيح:

إن من ألزم الصفات للداعية: التوضيح والبيان للمدعوين، ونرى ذلك في الحديث فالرسول ﷺ لم يكتف بإجابة قبيصة إلى حاجته من سداد دينه، وإنما بيّن له الأسباب التي تباح فيها المسألة فقال: "يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل يحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك..." الحديث، وذلك أن أهم

---

(١) انظر: وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص ١١٦.

الصفات والواجبات على الداعي أن يبين للمدعوين ولا يكتم، وأن يوضح ولا يبهم، فإن بيان ما جاء به شرع الله الكتاب والسنة أمر واجب[١]، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث، في ترهيب النبي ﷺ من المسألة من غير ضرورة: (يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة... فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتًا)، أي حرام لا يحل فعله لأنه يسحت البركة أي يذهبها، وأصل السحت الإهلاك[٣]، والترهيب من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من حمل المدعو على ترك فعل واعتقاد أو تصور، والترهيب يقوم على وعيد بعقوبة أو حرمان من منفعة، إذا لم يلتزم بما أمر به أو نهي عنه، ولما كان الإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة وعازف عن كل ما يسبب له الألم، لهذا كان لأسلوب الترغيب والترهيب تأثير كبير في تربية الإنسان وتقويم وتوجيه سلوكه[٤].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: خطر المسألة في غير الأمور الثلاثة التي بينها رسول الله ﷺ:

لقد بيّن النبي ﷺ خطر المسألة في غير الضرورة والتي ذكر النبي ﷺ صورها في الحديث بأنها سحت يشقي الإنسان به نفسه، فقال ﷺ: يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة.. فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتًا)، والسحت هو الحرام الذي لا يحل كسبه[٥].

---

(١) انظر: واجبات الداعي إلى الله، سعيد بن عوض الأسمري، ص ٢٥ - ٢٦.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٠٦.

(٤) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٣٧/٣.

إضافة إلى أن المسألة تصيب الإنسان في أخص مظهر لكرامته وإنسانيته، وهو وجهه[١]، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ))[٢].

وما في المسألة من ظلم للنفس، فلأن السائل أراق ماء وجهه، وذل لغير خالقه وأنزل النفس أدنى المنزلتين، ورضى لها بأبخس الحالتين، ورضى بإسقاط شرف نفسه وعزة تعففه وباع صبره ورضاه وتوكله واستغناءه عن الناس بسؤالهم، وهذا عين ظلمه لنفسه[٣].

لا تحسبن الموت موت البلى ... فإنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكنَّ ذا ... أشد من ذلك لذل السؤال[٤]

فالمسألة وامتهان التسول عمل دنيء تَمُجُّه الأذواق السليمة، ودليل على دناءة النفس وحقارتها فضلاً عن أنه يورث سفولاً وانحطاطًا في المجتمع ناهيك عن استحقاق الوعيد عليه في الآخرة[٥].

سادسًا - من أهداف الدعوة: صيانة كرامة المسلم وحثه على العمل والإنتاج:

إن من أبرز الأهداف العملية التي تهدف إليها الدعوة الإسلامية العفة وصيانة كرامة الإنسان وعزته، وقد أرشد الإسلام في ذلك إلى عدة سبل منها: العمل والإنتاج، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٦]، ونهى رسول الله ﷺ عن المسألة والعيش على حساب الآخرين كما في

---

(١) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٥٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٤٠.

(٣) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٣٢/١ - ٢٣٣.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢٨٠/٣.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٤١٧/٩.

(٦) سورة الملك، آية: ١٥.

الحديث: (إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة... الحديث)، وأرشد إلى العمل مبينًا أنه أفضل من المسألة مهما كانت نظرة الناس إليه وإلى العائد منه، فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: ((لأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ. فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى. وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))[١]، بل إن رسول الله ﷺ ليعطينا المثل التطبيقي في الإرشاد إلى العمل، فعن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: ((أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟)) قال بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ ونَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ. قال: ((ائْتِنِي بِهِمَا)). قالَ فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ وقال: ((مَنْ يَشْتَرِي هذَيْنِ؟)) قال رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قال: ((مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ أو ثَلاَثًا)). قال رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فأَعطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ وقال: ((اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ))، فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ ثُم قَالَ لَهُ: ((اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا)). فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِها طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((هذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ المَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ))[٢].

ففي هذا الحديث نجد النبي ﷺ لم ير للأنصاري أن يأخذ من الزكاة وهو قوي على الكسب، ولا يجوز له ذلك إلا إذا ضاقت أمامه المسالك وأعيته الحيل، وقد أوجد النبي ﷺ الحلول العملية البناءة التي يصون بها كرامة الإنسان، من خلال سعيه وعمله، وبهذا بين لكل فرد مسلم أن يسعى ويعمل ويجتهد ملتمسًا الرزق في خبايا الأرض وتحت أديم السماء، فهو بعمله يغني نفسه بنفسه ويسد حاجته وحاجة أسرته غير مفتقر إلى معونة[٣]، وبهذا نرى أن العمل في الإسلام له غايتان: منع البطالة والحث على

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٤٢.

(٢) أخرجه أبو داود ١٦٤١، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٣٦٠).

(٣) انظر: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص ٥٨ - ٦٠.

العمل والإنتاج[١].

فالمسلم الحق يخشى أن تنفلت الأيام من يديه خاوية من العمل والإنتاج، وهو كذلك حريص على أن يكون يومه خيرًا من أمسه وغده خيرًا من يومه وأن يطيل حياته - بعد موته - بطول أعماله، ويمد عمره بامتداد الجميل من آثاره، إنه يحرص أن يخلف وراءه علمًا نافعًا أو عملاً طيبًا أو مشروعًا مثمرًا أو صدقة جارية أو ذرية صالحة، وعلى قدر ما يمتد ويبقى الأثر الذي يخلفه وعلى قدر ما ينتفع الناس به تكون مثوبته عند الله تعالى[٢].

---

(١) نظام الإسلام: الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة، محمد المبارك ص ٣٧.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ٣٠٥.

الحديث رقم (٥٣٦)

٥٣٦ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لَيْسَ المسكينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلكِنَّ المِسكِينَ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يتضمن تصحيح خطأ في التصور، وفي المفهوم الخاص بالمسكين وحقيقته، وقد بدأ بالنفي إزالة للمفهوم الخاطيء (لَيْسَ المسكينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ)، والفعل يطوف يصور حركة السائل المعتاد للسؤال ينتقل من باب إلى باب يجمع كل ما يستطيع وهو ما يشير إليه قوله (تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ) ونسبة الرد اللقمة مجاز مرسل يصور حقارة الغاية، وقبح الفعل، وأكده بقوله (وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ) ثم تبعه باستثناء يقرر المفهوم الصحيح بعد أن أزال المفهوم الخاطيء والذي قرره الجناس، وأكده في قوله (وَلكِنَّ المِسكِينَ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ) وقوله (وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ) يشير إلى غفلة الناس عنه مع حاجته، وفقره، وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(البقرة٢٧٣).

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٧٩ واللفظ له، ومسلم ١٠٣٩/١٠١. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١٧. وتقدم برقم ٢٦٤.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٦٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الشره مرض والقناعة صحة، فإذا ابتلي الإنسان بمرض الشره فإنه لن يشبع، وإن أعطي الدنيا بأسرها، ويشعر الشره أن ما معه أقل مما يتطلع إليه، وينظر دائماً إلى ما في يد غيره، ولا ينظر إلى ما في يده، يندرج حاله تحت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة ص:٢٣].

هذا الصنف من الناس هم الذين وصفهم الرسول ﷺ بقوله: (ولو كان لابن آدم وادياً من ذهب لتمنى أن يكون له واديان، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب).

إن الشر يدفع صاحبه إلى:

١/ جمع المال من حلال أو حرام في غير مبالاة لأن الإكثار منه هو الغاية.

٢/ سؤال الآخرين ما في أيديهم ومحاولة تملكه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٣/ الإلحاح في السؤال حال المنع حتى يتحقق الوصول إلى المراد.

٤/ يكرهون الآخرين على العطاء والدفع بسيف الحياء حتى إنهم ليعطونهم عن غير قناعة مما يدفعهم إلى أخذ المال بدون سخاوة نفس من المعطي فلا يبارك لهم فيه.

ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب:

أولاً - غرس قيمة التعفف عن سؤال الناس:

إن من أهداف التربية الإسلامية غرس قيمة التعفف وعدم سؤال الناس والقناعة برزق الله تعالى، ومن الشواهد على ذلك في باب القناعة والعفاف قوله @: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»، وقوله: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما أتاه»، وقوله: «اليد العليا خير من اليد السفلى»، وقوله: «ولا تسألوا الناس شيئًا»، وقوله: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى، وليس في وجهه مزعة لحم»، وقوله: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ...»، وقوله: «من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة ...»، وقوله ﷺ: «ليس

المسكين الذي يطوف على الناس... ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس».

فهذه جملة أحاديث أفادت أهمية التربية على غرس قيمة العفة عن السؤال، وكأنها رسالة إلى الأمة من الرسول ﷺ مفادها الرضا برزق الله تعالى دون سؤال أو إلحاح؛ أن العفة والاستغناء بالله تعالى مجلبة للرزق الحسن وطريق للكرامة، ولذلك مدحهم الرسول ﷺ في حديثه «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهِ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»[1]. فهذا نداء من الرسول ﷺ إلى عدم التعفف بغير الله تعالى في أي شيء من الرزق، بل يصبر الفقير حتى يحسبه الجاهل غنيًا من التعفف، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[2].

والعفة من مكارم الأخلاق، والدناءة والخسة وكل ما ينافي العفة من رذائل الأخلاق، ولدى تحليل دوافع العفة نجدها ترجع إلى الكثير من أساس خلقي، وميزان ذلك القوة الضابطة التي تضبط النفس، فبمقدار ما لدى الإرادة من قدرة على الصبر تستطيع القيام بضبط النفس عن تلبية الدافع المثار، فتكون العفة عندئذ من مظاهر خلق الصبر وحين يكون الضبط بتأثير الخوف من العاقبة، أو بتأثير الطمع بالثواب. تكو العفة من مظاهر ذلك، وحين يكون الضبط بتأثير خلق حب الحق تكون العفة من مظاهره، وحين تجتمع كل هذه العوامل تكون العفة مظهرًا اشتركت فيه جملة أسس أخلاقية، والعفة لا تكون إلا إذا وجد الدافع النفسي إلى ما ينافيها، فإذا لم يكن في النفس دافع إلى ما ينافي العفة، أو لم يوجد ما يثير الدافع لم يكن للعفة وجودٌ أصلاً.

لكن هناك وقفة تتمثل في: أنه إذا جاء مال للمحتاج بغير سؤال ولا استشراف نفس فلا مانع من أخذه. لقوله ﷺ: «إِذَا جَاءَكَ مِنْ هذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧٠، ومسلم ١٠٥٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَا لاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ»[١]. ومن يتعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله[٢].

ثانيًا - من مهام المربي: مراعاة الفروق الفردية:

من أهداف التربية الإسلامية مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، ومن الشواهد على ذلك في باب القناعة والعفاف: قوله ﷺ: «فَوَاللَّهِ إني لأعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنِي أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَىٰ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، ...».

فهذا شاهد تربوي ظهر منه كيف راعى النبي ﷺ الفروق الفردية بين الصحابة رضي الله عنهم أثناء عملية التوزيع، ولذلك كانت الحكمة هي التأليف، وإنقاذها من الهلاك، والرسول ﷺ راعى الفروق الفردية لأنها تُراعى تباين الأفهام من شخص لشخص آخر وفق استعداداته، وإمكانته العقلية، وحريٌّ بعلماء التربية الإسلامية المحافظة على هذه المعاني لأنها من علامات نجاح المربي، والعناية بالفروق الفردية أمر لم تبتكره التربية المعاصرة بل أشار إليه أسلافنا الأوائل وأدركوه وأوصوا المسلم به، بأن يخاطب كل واحد على قدر درجته وبحسب فهمه وهمته، لأن الناس يختلفون فيما بينهم اختلافًا واضحًا من حيث الفهم والتحصيل والاستجابة والثبات وغير ذلك.

والتربية السليمة هي التي تأخذ في الاعتبار هذه الاختلافات وتوجه كل فرد نحو تحقيق أقصى درجة من النمو، كما أن الاهتمام بفرد دون آخر لا يتعارض مع مبدأ المساواة الذي تنادي به الفلسفة الديمقراطية، فالمساواة هي أن نتعامل مع كل فرد على أنه إنسان له إمكانات وطاقات خاصة تميزه عن غيره من الأفراد واحترام إنسانية الإنسان تقتضي منا أن نضعه في المكان الذي يتفق مع قدراته وإمكانته والتربية من أجل مراعاة الفروق الفردية تتطلب من انطلاقة جريئة نحو فهم جديد لمعنى المنهج ووظيفة التربية والأهداف التي تسعى التربية إلى تحقيقها، ولهذا فإن العمل من أجل

(١) أخرجه البخاري، ١٤٧٣، ومسلم، ١٠٤٥.

(٢) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ص٤٩١. موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ص٢٤١.

مراعاة الفروق الفردية يتطلب تغيرات جذرية تتناسب مع حجم المشكلة وأهميتها، وبقدر ما يكون استعدادنا للعمل من أجل هذه التغيرات بقدر ما نتوقع من نجاح في مواجهة صريحة للمشكلة، والتفاعل الجماعي معها(١).

ثالثًا - من مهام المربي: تبيان الحقائق:

إن من أهداف التربية الإسلامية ومهام المربي تبيان الحقائق للمتربين، ومن الشواهد على ذلك في باب القناعة والاقتصاد في المعيشة. قوله ﷺ: "ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له، فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس".

فهذا توجيه نبوي ظهر منه أن من مهام المربي تبيان الحقائق لأنه من السهل أن تحدث الناس دون أن تبين لهم الحقائق، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في توجيهه للصحابة وبيانه في كل موطن وحال الحقائق ليسهل العملية التربوية ويساعد على تحقيق الأهداف وغرس الفضائل، وفي تبيان الحقائق فائدة وهي التوجيه الإيجابي الحسن والتأثير في السلوك إن المتربي يرى النتائج أمامه ويعايشها في نفس اللحظة، وهذا ما يذهب إليه المهتمون بالتربية باغتنام بيان الحقائق في وقتها من أفضل الأهداف التربوية، وإن مثل هذه التربية هي التي خَرَّجت الجيل الجاد العملي(٢).

رابعًا - التربية بالأحداث والمواقف:

من أساليب التربية الإسلامية: الأحداث والمواقف. والشاهد على ذلك في باب القناعة والاقتصاد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع...».

فهذا توجيه تربوي ناتج عن تصرف حديث ومواقف جرت في غزوة ذات الرقاع، بين

---

(١) انظر: المدرس ومهارات التوجيه، محمد بن عبدالله الدويش، ص٣٤. المنهج والفروق الفردية، د. فتحي الديب، ص١١٢. نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص١٠٨.

(٢) انظر: مجلة البيان، عدد ١٢٥، ص٣٢. أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٢٧٨.

الصحابة رضي الله عنهم، والمصطفى ﷺ: والأحداث التي جرت مع الصحابة وقعت بسبب تصرفاتهم الخاصة وأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم، ولذا فإن المربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، لأن من مزايا المواقف والأحداث أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال - وهذا ما حدث من معايشة أحداث غزوة ذات الرقاع وما حدث للصحابة رضي الله عنهم مما يعد زادًا لعلماء التربية الإسلامية للإفادة من أحداث هذه الغزوة لتربية النفوس على التضحية والبذل والصبر، وكانت الحكمة من الإفادة من هذه المواقف والأحداث، حتى لا تمر الحادثة بلا عبرة مستفادة وهي بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من التقشف وخشونة العيش وصبرهم على ذلك مع الرضا، لأن هدفهم الأسمى هو إعلاء كلمة الله تعالى[١].

خامسًا - التربية بالتشبيه:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب التشبيه، ومن الشواهد على ذلك في باب القناعة والاقتصاد، قول حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: ياحكيم، إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه...».

فهذا شاهد تربوي ظهر منه التشبيه كأسلوب تربوي يستخدم في عملية التربية، وهذا ما فعله الرسول ﷺ مع الصحابة رضي الله عنهم في قوله: المال خضرة حلوة. قال ابن الأنباري: ليس هو صفة المال وإنما هو تشبيه، كأنه قال: المال كالبقلة الخضراء الحلوة على اعتبار ما يشتمل عليه الحال من زهرة الدنيا، وفي هذا بيان لأهمية القناعة والرضا والتعفف عن المسألة، والرضا بما قسم الله عز وجل، والحديث ليس دعوة إلى الزهد في طيبات الحياة، ولكنه دعوة إلى الاعتدال والتوازن في مجالات الحياة الدنيوية المتعددة، ودعوة إلى تقوية الصلة بالله والرضا بما قسم الله تعالى والتعفف حتى لا

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٤.

تتهاوى النفوس، أمام زينة الثراء، ولا تفقد اعتدالها بالقيم العليا، وتبقى دائمًا تحس حرية الاستعلاء على الزخارف الباطلة التي تبهر الأنظار، كل هذا أتى عن طريق الصورة المحسوسة التي هي أقرب تصورًا وأسرع فهمًا، وأثبت بقاء لأنها تحدد الأبعاد وتضع الصورة بين يديك[(١)].

سادسًا - التربية بالحوار:

من أساليب التربية الإسلامية الحوار والرسول ﷺ كان حريصًا على تعليم الصحابة بطريقة الحوار من خلال ما يطرح من أسئلة: وما يدل على ذلك في أحاديث الباب: قول عبدالرحمن بن عوف مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله ﷺ، وكنا حديثي عهد بيعة، فقلنا قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: ألا تبايعون رسول الله....».

فهذا شاهد تربوي ظهر منه الحوار بين الصحابة رضي الله عنهم وبعضهم البعض وبينهم وبين رسول الله ﷺ فالحوار دار عن استحباب تجديد العهد مع الله عز وجل على صدق الإيمان به والإخلاص في عبادته والتزام شريعته، وكذلك البيعة ينبغي أن تكون واضحة غير عمية، وكذلك التنزه عن كل ما يسمى سؤالاً ولو في أمر تافه، ولقد اتسم هذا الحوار بالتدرج حيث بدأ بالسؤال فلما أنس منهم هذا الصحابي اللين والموافقة اتبع معهم البيان والحوار، وكان من فوائد هذا الحوار الذي دار: أنه جذب الانتباه وشحذ الأذهان، كما أنه أفاد فائدة هامة وهي إبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى وتحقيق الإقناع والاقتناع العقلي، ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف. لكن يشترط في من يجري الحوار عدة شروط:

١ - الإلمام بالموضوع.

٢ - التحلي بالهدوء وسعة الصدر.

---

(١) انظر: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي، ص٤٢٦، ٤٢٧. التربية الإسلامية. دراسة مقارنة، محمد أمجد جاد، ١٢٥.

٣ - مراعاة مستويات مَنْ يخاطبهم[1].

سابعًا - التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية: أسلوب التوجيه المباشر ويعد من أهم أساليب التربية لما فيه من توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر: ومن الشواهد على ذلك في باب القناعة والاقتصاد قوله ﷺ وهو يوجه قبيصة قال: «يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك. ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلت له.....».

فهذا توجيه يستفاد منه أن على الإمام والمربي توجيه المتربين على تعهد الرعية بالنصح والإرشاد وحثهم على التعاون، وسد حاجة المحتاج، وهذا ما أراده النبي ﷺ من توجيهه للصحابة رضي الله عنهم في هذا الحديث، وهذا هو دور المربي أن يقوم بتلقين المتربين التوجيه الذي يساعد على تغيير السلوك وتقويمه، في الحاضر والمستقبل، واستخدام التوجيه في هذا الحديث كان لحكمة هي أن التوجيه من وسائل العادة التعليمية كما يعد من أساليب الرسل والأنبياء المؤثرة التي اقترنت بالشعور والمحبة، وتجلى هذا في قوله ﷺ: "ياقبيصة"، فالتوجيه من مرب محب يساعد على تغير حياة الإنسان، ولذلك كان من الآثار التربوية لهذا التوجيه تزكية النفس، وتطهيرها وهو هدف من أسمى الأهداف التربوية التي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقها. كما أن فيه مجالاً كبيرًا للمعلمين في تنشئة طلابهم على ما فيه خيرهم وصلاحهم وتوجيههم إلى ما فيه رقي مجتمعهم وأمتهم[2].

ثامنًا - التربية بالتأكيد:

من أساليب التربية التأكيد، ومن الشواهد على ذلك في باب القناعة والاقتصاد قوله ﷺ: في حديث عمر بن ثعلب قال: «أما بعد: فوالله إني لأعطي الرجل وأدع

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٨٢. أصول التربية الإسلامية، أ. د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٥.

(٢) أصول التربية الإسلامية، أ. د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٣.

الرجل والذي أدع أحب إليَّ من الذي أعطى ...»، وقوله ﷺ: في حديث سفيان بن صخر: «فوالله لا يسألني أحد منكم شيئًا ...».

فهذه شواهد تربوية أفادت استخدام التأكيد كأسلوب تربوي في عملية التربية، ولقد استخدم الرسول ﷺ التوكيد ليجعل من الأمر المؤكد عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه، وهذا ما فعله مع الصحابة رضي الله عنهم.

وكان من عادته ﷺ التأكيد على الأمور المهمة أكثر من مرة والمقصد من التنبيه على السامع على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره، والسنة عندما استخدمت هذه الوسيلة التربوية أفادت من ذلك تثبيت المعنى في النفوس حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، بل إن في التأكيد حملا للنفس على التصديق والإيمان ولا يكون التأكيد ذا نفوذ حقيقي إلا إذا ذكر في مَعرِض القسم كما فعل ﷺ مع الصحابة رضي الله عنهم لعدم وضوح المعنى لما في ذلك من أثر في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديها، واستقراره في مناطق اللاشعور العميقة حيث تنضج عوامل سيرنا[(١)].

تاسعًا - التربية بالتحذير:

من أساليب التربية الإسلامية التحذير، ولقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في توجيه الصحابة رضي الله عنهم: وفي أحاديث الباب ما يدل على ذلك: من تحذير من السؤال من غير حاجة وضرورة: قال ﷺ: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم...»، وقوله ﷺ: «من سأل الناس تكثرًا فإنما يسأل جمرًا...»، وقوله ﷺ: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ...».

فهذه تحذيرات من النبي ﷺ عن سؤال الناس من غير حاجة. لما في السؤال من ذل في الدنيا وعذاب في الآخرة، والرسول ﷺ ما استخدم هذا الأسلوب التربوي التوجيهي إلا لعلمه أن فيه ردعاً للسلوكيات الخاطئة - كالسؤال والذلة من غير ضرورة - التي

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص١٠١، ١٠٢. آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص١٠٠.

قد توجد عند بعض الأفراد لأنه يوجد من يفعلها ويجترئ على فعلها بل وتكرارها - كما نشاهد الآن في شتى أنحاء البلاد - وهذا سلوك فيه فَقْدُ لِقَيم الخير والإيمان وفضائل الأعمال فكان لابد من تحذير شديد فيه زجر ووعيد يوقظ المجترئ الجاني مما يجعله بين خيارين لا ثالث له: إما غضب الله وعذابه ومقته عز وجل، وإما التوبة عن هذا السلوك الخاطئ. من هنا نتعلم أن التحذير له أكبر الأثر في استقامة المخاطبين[1].

عاشرًا - التربية بالتبشير:

من أساليب التربية الإسلامية التبشير، ويعد التبشير من أساليب التربية عند رسول الله ﷺ، وهذا ما ثبت في حديث الباب. فعن ابن مسعود > قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل».

إن الرسول ﷺ في هذا التوجيه يبشر صراحة من أعرض عن السؤال واعتمد على الله تعالى في سؤاله وشكواه بأن له رزقاً. كما أن فيه تربية على الاعتماد على الله تعالى وتفويض الأمر لله لأن من اعتمد على غير الله ضل، ومن اعتز بغير الله ذل، ومن فوض أمره إلى الله ما زل وما ضل، ولقد اصطحب هذا التوجيه تبشير من رسول الله ﷺ فيه تحفيز وتيسير الأمور يرافقها تبشيرٌ بالرزق، ولقد كان التبشير منهجاً ثابتاً عند رسول الله ﷺ، باعتباره خلق من أخلاق النبوة، لأن الرسل من شأنهم أن يكونوا مبشرين بالخير، وذلك لأن البشرى سلوك إنساني رائع ومطلب اجتماعي محبب ووسيلة للصلة يحترمها الناس ويحبونها، كما أنها خصلة حسنة يمدح بها المرء ويثاب عليها[2].

وقد وردت في أحاديث الباب كثير من الأساليب التربوية التي يستطيع أن يفيد منها المربي في العملية التعليمية من هذه الأساليب ما يلي:

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣٥٠، ٣٢٠.

(٢) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ١١/ ٢٧، ٢٨ بتصرف.

أ - التقويم: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس))، وكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا المرفوع: ((ليس المِسْكينُ الذي يَطوفُ على الناسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقمتانِ ...)) الحديث، والتقويم يستخدم في معالجة بعض أفكار المتعلمين وتصحيحها إن اقتضى الأمر ذلك.

ب - المناقشة: كما في حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه، والمناقشة من شأنها تفعيل موقف المتعلم في العملية التعليمية وينقله من المتعلم السلبي إلى المتلقي الإيجابي والمشارك الفعّال في مقام التعليم والتعلم.

ج - القصة: كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن غزوة ذات الرقاع، ويمكن للمعلم الاستفادة من أسلوب القصة في تدريسه في عرض بعض الكلمات المألوفة لدى المستمعين. والتي يمكن أن تقرب إليهم المعاني المجردة وتوضحها في أذهانهم.

د - التربية بالأحداث والمواقف: كما في حديث عمرو بن تغلب رضي الله عنه: ((أن رسولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بمال - أو سَبيٍ - فقسَمه، فأَعطى رِجالاً وترك رجالاً ...))الحديث، ويمكن للمعلم والتربويين الاستفادة من الحديث في كيفية الاستفادة من مواقف الحياة المختلفة في غرس القيم والمضامين التربوية المرغوبة في نفوس المتعلمين، فالحياة كلها مواقف وأحداث، والإنسان في تفاعل مستمر مع هذه الأحداث ما دام هو على قيد الحياة، والمربي البارع لا يترك أحداث الحياة المختلفة تمر أمام عينيه دون أن يستفيد منها في تقديم ما هو مرغوب. ولأسلوب التربية بالمواقف آثار تربوية تميزها عن غيرها ومنها أنها تُحدث في النفس تأثيرًا كبيرًا، وتنفعل معها النفس انفعالاً خاصًا.

كما يمكن للمنظمات التربوية الاستفادة من الأحداث المختلفة التي تقع في المحيطات العربية والإسلامية والدولية في توجيه فكر المتعلمين لما هو مطلوب منهم في كل الأمور.

هـ - الترهيب كما في قوله ﷺ: ((لاَ تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ. فَوَاللّهِ لاَ يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا، وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ))،

ويمكن للمعلم استخدام هذا الأسلوب مع المتعلمين في تدريس الموضوعات التي تتضمن كثيرًا من القيم وفي توضيح بعض الأمور النافعة لهم في دينهم ودنياهم.

و - عملية التمهيد: ورد في حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: ((كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً. فَقَالَ: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ؟)) ورد في هذا الحديث ما يعرف في التربية الحديثة بعملية التمهيد من خلال إلقاء سؤال على الحضور وُيْطلب منهم ردٌ على ذلك السؤال سواء أكان الرد قوليًا أم فعليًا، ويمكن للمعلم استخدام التمهيد والاستفادة من الكيفية التي مهد بها النبي ﷺ لما ذكره للصحابة رضي الله عنهم.

ز - استخدام الأسئلة كما في حديث ((مَنْ تَكَفَّلَ لِيَ أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟)) واستخدام الأسئلة يكون وسيلة لتقويم ومعالجة بعض أفكار المتعلمين.



٥٨- باب جواز الأخذ من غير مسألة وَلاَ تطلع إليه

الحديث رقم (٥٣٧)

٥٣٧- عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر، عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يُعْطِيني العَطَاءَ، فَأقُولُ: أعطِهِ مَنْ هُوَ أفْقَرُ إلَيْهِ مِنّي. فَقَالَ: **((خُذْهُ، إذَا جَاءكَ مِنْ هَذَا المَال شَيْءٌ وَأنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ، فَإنْ شِئْتَ كُلْهُ، وَإنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا لا، فَلاَ تُتبعهُ نَفْسَكَ))** قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبدُ الله لاَ يَسألُ أحَداً شَيْئاً، وَلاَ يَرُدُّ شَيْئاً أُعْطِيَه. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

مشرف: متطلع إليه[2].

فتموَّلْهُ: اجعلهُ لك مالاً[3].

وما لا فلا تتبعه نفسك: أي ما لا يوجد فيه هذا الشرط لا تعلق النفس به[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٧٣ واللفظ له، ومسلم ١٠٤٥/١١٠، وقول سالم: أخرجه مسلم عقب الحديث رقم ١٠٤٥/١١١.

تنبيه: الحديث أورده هكذا المنذريُّ في ترغيبه ١٢٣٧ وتبعه عليه المؤلف.

(٢) رياض الصالحين ٢٥٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م و ل).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٨، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٠٩.

الشرح الأدبي

الحديث يروي موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه تجاه ما يأتيه من مال، حيث كان يرفضه، والذي صوره، وأكده الجناس في قوله (يعطيني العطاء) وقوله (أعطِهِ مَنْ هُوَ أفْقَرُ إلَيْهِ مِنّي) المر للإيثار يصور الغاية النبيلة وراء رد المال، وذكر الضمير (هو) للاهتمام، والتعبير بأفعل التفضيل يجعل الأولوية للأكثر حاجةً، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (خُذْهُ) أمر نصح، وإرشاد تبعه أسلوب الشرط يربط مجيء المال دون استشراف بالأمر بأخذه، وقوله (فخذه فتموله) والتمول هو صرف المال في وجوهه المختلفة بين الصدقة، والنفقة، وقوله (فَإنْ شِئْتَ كُلْهُ، وَإنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ) أسلوب شرط يعطيه حرية التصرف وفق ما يريد، وقوله (وما لا، فلا تتبعه نفسك) فيه إيجاز بالحذف أي، وما لم يأتك. وقوله (فلا تتبعه نفسك) كناية عن التعلق بالمال، ومحبته، والتصوير الكنائي يصور النفس المتعلقة بمحبة المال بحال محب مع محبوبه يسير حيث سار، ويقف حين يقف. وهذه الحال مذمومة للمؤمن في تعلقه بأي شيء سوى الله تعالى .

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم قبول العطية من السلطان: الأصل أن للسلطان أو من في معناه أن يعطي بعض رعيته إذا رأى لذلك وجهاً، وإن كان غيره أحوج إليه منه.

أما موقف المُعطى وحكم قبوله فقد اختلف فيه الفقهاء: فذهب الحنفية إلى أنه لا يجوز قبول عطية أمراء الجور أو هداياهم، لأن الغالب في مالهم الحرمة إلا إذا علم أن أكثر المال حلال، أما من لم يعرف بالجور فقد اختلفوا في أخذها، فقال بعضهم: يجوز ما لم يعلم أنه يعطيه من حرام، قال محمد بن الحسن: وبه نأخذ ما لم نعرف شيئاً حراماً بعينه، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه.

وذهب الشافعية إلى أنه لا يحرم الأكل والمعاملة، ولا أخذ الصدقة، والهدايا، ممن أكثر ماله حرام، إلا ما علم حرمته، ولا يخفى الورع.

وقال المالكية: جوائز الخلفاء جائزة لاشك فيها لاجتماع الخلق على قبول العطية من الخلفاء ممن يُرضى منهم وممن لا يُرضى، وجل ما يدخل بيت المال مستقيم، وما يظلم فيه قليل في كثير.

وقال أحمد بن حنبل في جائزة السلطان: أكرهها، وكان يتورع عنها، ويمنع بنيه وعمه من أخذها، ويأمرهم بالصدقة بما أخذوه، وذلك لأن أموالهم تختلط بما يأخذونه من الحرام من الظلم وغيره فيصير شبهة(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: كرم النبي ﷺ وجوده.

ثانياً: من آداب المدعو: إيثار غيره من ذوي الحاجات.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الانتفاع بالمال الذي جاء من طريق حلال من غير مسألة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام.

خامساً: من واجبات المدعو: ترك المسألة وعدم أخذ المال بغير حقه.

سادساً: من صفات المدعو الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً: من موضوعات الدعوة: كرم النبي ﷺ وجوده:

في الحديث إشارة إلى ذلك في قول عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء" فكان رسول الله ﷺ مضرب المثل في الكرم والجود، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ((كان رسولُ اللّهِ ﷺ أَجْوَدَ الناسِ، وكانَ أَجودَ ما يكونُ في رَمَضانَ حِينَ يلْقاهُ جبريلُ، وكانَ يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ مِنْ رَمضانَ فيُدارِسُه القُرآنَ. فلَرَسولُ اللّهِ ﷺ أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ))(٢) فكان ﷺ في الجود والكرم والسخاء والسماحة وغير ذلك من الأخلاق الكريمة لا يُوازى ولا يبارى(٣).

---

(١) الاختيار ٣٦/٤، ومنح الجليل ١٢٤/١٨، وحاشيتا قليوبي وعميرة ١٧١/١٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٤٠/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٥٤.

(٣) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٧٤.

والأمثلة على كرم وجود رسول الله ﷺ أكثر من أن تحصى فلقد كان ﷺ لا يرد سائلاً ويجود حتى بما قد يكون في حاجة إليه، روى عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ((جاءتِ امرأةٌ إلى النبيِّ ﷺ ببُردةٍ . فقال سهلٌ للقوم: أتدرون ما البردةُ؟ فقال القوم: هي شَملةٌ فقال سهلٌ: هي شملة منسوجةٌ فيها حاشيتُها - فقالت: يا رسولَ الله، أكسوكَ هذهِ، فأخذَها النبيُّ ﷺ محتاجاً إليها فلبِسَها، فرآها عليه رجلٌ من الصحابةِ فقال: يا رسولَ الله، ما أحسَنَ هذهِ، فاكسُنيها. فقال: نعم. فلما قامَ النبيُّ ﷺ لامَهُ أصحابهُ فقالوا: ما أحسنتَ حينَ رأيتَ النبيَّ ﷺ أخذَها مُحتاجاً إليها ثم سألتَهُ إياها، وقد عرفتَ أنه لا يُسألُ شيئاً فيَمنَعُه. فقال: رجوتُ برَكتَها حين لَبسَها النبيُّ ﷺ لعلّي أُكفَّنُ فيها))[1].

ووجب على الدعاة الاقتداء بالنبي ﷺ، في جوده وكرمه لما في ذلك من أثر نفسي في المدعويين.

ثانياً- من آداب المدعو: إيثار غيره من ذوي الحاجات:

جاء الإيثار في الحديث في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه "كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني" وتلك منقبة لعمر رضي الله عنه، وبيان فضله وزهده وإيثاره[2] والإيثار مرتبة راقية جداً من مراتب خُلق حب العطاء، إذ هو تقديم الإنسان أخاه على نفسه في أمر هو بحاجة إليه، وقد سجل الله للأنصار فضيلة إيثارهم إخوانهم المهاجرين بكثير مما لهم به ضرورة أو حاجة، وفي ثنائه عليهم تحريض على الاقتداء بهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3][4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٨.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٢٥، ٤٢٦.

والإيثار هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة[١] شريطة أن لا ينقص ديناً ولا يضيع حقوقاً، قال ابن القيم مبيناً أن من درجات الإيثار (أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك ديناً يعني أن تقدمهم على نفسك في مصالحهم، بحيث لا يؤدي إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدين، فكل سبب يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلاتؤثر به أحداً، فإن آثرت به فإنما تؤثر الشيطان على الله وأنت لا تعلم)[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الانتفاع بالمال الذي جاء من طريق حلال من غير مسألة:

جاء في الحديث ما يدل على جواز الانتفاع بالمال الذي جاء من طريق حلال من غير مسألة، وذلك في قول رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه "إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله فإن شئت كله وإن شئت تصدق به".

والإشراف: التعرض للشيء والحرص عليه والتطلع إليه من قوله أشرف على كذا إذا تطاول له والمعنى من أعطاه الله مع انتفاء القيدين المذكورين –الإشراف والمسألة- فليقبل[٣].

قال الدكتور الحسيني هاشم في شرحه لهذا الحديث "ما جاء إلى الإنسان أجراً أو هدية أو ما إلى ذلك لا حق له في رده لئلا يندم على ذلك أو يورط غيره في مثل فعله، أو يدفع المعطي إلى الإهمال في إعطائه وقد يكون محتاجاً، ثم إن أخذ الأجر على العمل أدعى إلى اتقانه والإخلاص فيه وإلى المحاسبة على ذلك، وهذا ما أرشد إليه الرسول ﷺ ابن عمر، حيث أرشده إلى وجوب الأخذ، فإذا تحصل عنده وأصبح في ملكه فله الحرية في إنفاقه على نفسه أو التصدق به على الغير، بشرط أن لا يكون المال المعطى له ناشئاً عن طمع منه فيه، أو توريط لغيره في دفعه، فإن كان شيء من ذلك فعليه أن يبتعد عنه ولا يدفع نفسه إلى محاولة تحصيل المال عن طريقه، حرصاً

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٥/١٨/٩.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥٥/٣-٥٧.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٥/٣، رياض الصالحين، النووي ص ٢٥٠.

على بقاء العزة الإسلامية واستمرار كرامة المسلمين)[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام:

إن تعاليم الإسلام مبنية على التيسير والتخفيف على الناس في إطار الأمور المشروعة، والحديث فيه مظهر من مظاهر تيسير الإسلام حيث أباح النبي ﷺ أخذ العطية ما دامت لم تأت نتيجة استشراف أو سؤال، وتخيير الآخذين الانتفاع بها أو التصرف بها "إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله، فإن شئت فكله وإن شئت تصدق به" فالإسلام يتميز عن غيره من التشريعات بأنه دين اليسر ورفع الحرج واليسر أهم المبادئ التي راعاها الإسلام وقد خص الله الشريعة الإسلامية بالسماحة والسهولة واليسر لأنه أرادها رسالة للناس كافة والأقطار جميعاً، ورسالةٌ هذا شأْنُها من العموم والخلود لابد أن يجعل الله الحكيم في أثنائها من التيسير والتخفيف والرحمة ما يلائم اختلاف الأجيال وحاجات العصور وشتى البقاع وهذا واضح في شريعة الإسلام، قال ﷺ ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه))[٢]، [٣].

خامساً- من واجبات المدعو: ترك المسألة وعدم أخذ المال بغير حقه:

جاء في الحديث النهي عن أخذ المال بغير حقه، وذكر من صور ذلك أخذه عن طريق السؤال، واستشراف النفس وتطلعها إليه "إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله، فإن شئت كله وإن شئت تصدق به ومالا فلا تتبعه نفسك" وقد أثنى القرآن على من لا يتعرضون الناس بالسؤال، والتعفف عن ذلك، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[٤] وبين ﷺ أن الله لا يبارك في مال

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢٤٨.

(٢) أخرجه البخاري ٣٩.

(٣) انظر: اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ٨٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

أُخِذ بإشراف نفس وسؤال له، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: ((سألتُ النبيَّ ﷺ فأَعْطَانِي، ثُمَّ سألتُهُ فأعطانِي، ثُمَّ سألتُهُ فأعطانِي، ثُمَّ قالَ: إنَّ هذا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ. فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ. وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى))[١].

لذا كان من واجبات المدعو ترك السؤال لما فيه من انتزاع للبركة ولما يورثه من ذل وهوان في الدنيا والآخرة وسفولاً وانحطاطاً في المجتمع إذ أن التسول وسؤال الناس عمل دنيء تمجه الأذواق السليمة ودليل على دناءة النفس وحقارتها[٢].

سادساً- من صفات المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

جاء في الحديث مثل تطبيقي لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من استجابة لتوجيهات النبي ﷺ، قال سالم: "فكان عبدالله لا يسأل أحداً ولا يرد شيئاً أعطيه" وذلك عملاً بالحديث، ووقوفاً عنده، وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما شديد الاتباع، وقد أمر الله عباده بالطاعة والاستجابة له ولرسوله ﷺ وجعل ذلك فرضاً لازماً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[٣] فإن ذلك سبب للهدى والرحمة والفوز والسعادة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٤] وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٥]،[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٣٥.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤١٧٣/٩.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٧١.

(٥) سورة النساء، آية: ١٣.

(٦) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١١١، ١١٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

أولاً- التربية على التكافل الاجتماعي:

إنَّ التربية والتنشئة على التكافل، تتضمن مبادئ تربوية عظيمة، لعل من أبرزها تأصيل هذه الروح في نفوس الناس، وتنمية عملية المشاركة الإيجابية في مساعدة الآخرين ومواساتهم والإحساس بحاجاتهم، ولقد ظهر هذا السلوك التربوي في التعامل مع الصحابة رضي الله عنهم الذي تجلى في عملية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ومن شواهد روح التكافل الاجتماعي الذي يربي عليه الصحابة رضي الله عنهم، ما جاء واضحًا في قول عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: «أعطه من هو أفقر مني ...». فهذا نهج تربوي نتعلم منه الإيثار وعدم الأنانية وتطبيق السلوك التربوي الذي يحقق التكافل الاجتماعي والإيثار الذي هو أعلى منزلة في البذل[1].

ثانيًا- التربية الاقتصادية:

إن من أصول التربية الإسلامية التنشئة على التربية الاقتصادية، لأن الإسلام ينظم شئون الحياة، والنشاط الاقتصادي في الإسلام وسيلة لتخفيف استخلاف الإنسان في الأرض والإسلام أرسى مبادئ التربية الاقتصادية، وتبرز هذه المبادئ في موقف التربية الإسلامية من رأس المال، فإن جمع المال في الإسلام غير محرم ولا مذموم لأنه أصبح واضحًا عند مالك هذا المال أنه مستخلف فيه وأن كونه يملكه لا يخرجه عن كونه ملك لله تبارك وتعالى، ولذلك أمر بالمحافظة عليه، من هنا أقر الإسلام التربية على مبدأ الملكية الفردية للمال ولمختلف وسائل الإنتاج وجعلها أساسًا للنظام الاقتصادي. وظهر ذلك من النهج التربوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم... "إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله فإن شئت كله..." فمن خلال هذا الهدي النبوي ندرك أن من مبادئ الإسلام التربوية التربية على التنمية الاقتصادية، فإذا تربى عليها الفرد المسلم

---

(١) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص٢٥٩. تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٣٦٧/١. التدين والصحة النفسية، د. صالح عبداللطيف الصنيع، ص٣٠٢.

وطبقها في واقعه غدت هذه التنمية منسجمة مع الهدف الحقيقي لوجود الإنسان[١].

ثالثًا- التربية على ممارسة الحقوق المشروعة:

إن من أهم ما نادى به الإسلام من مبادئ تفوق بها على سائر الأديان والتشريعات هو: منهج إعطاء الإنسان حقه الكامل في ممارسة حريته المقننة ومباشرته لحقوقه دون أي ضغوط أو مؤثرات، ولا شك أن التربية على هذه المبادئ تؤدي إلى تكوين الشخصية الإسلامية المؤثرة والمنتجة والقادرة على اتخاذ القرار والمشاركة في دفع عجلة التنمية والإنتاج، لذا أراد النبي ﷺ أن يعمق هذا الفهم الواعي من خلال تربية أصحابه ﵃ على ذلك عمليًا ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: «فإن شئت كله، وإن شئت تصدق به ...» إن هذه التوجيهات التربوية العظيمة تمنح الثقة في القدرة على التصرف واتخاذ القرار المناسب من إلغاء الشخصية، ولاشك أن ذلك توجيه تربوي عظيم من النبي ﷺ يعلمنا كيفية بناء الشخصية الإيجابية مما يعد زادًا للقائمين على التربية الإسلامية في كيفية صياغة الإنسان القادر على اتخاذ القرار وممارسة حقوقه دون تردد وعدم تنازله عن حقوقه دون تردد وعدم تنازله عن حقوقه المشروعة وتحمله المسؤوليات في اتخاذ القرار، ويعد ذلك من مميزات التربية الإسلامية.

رابعًا- من الأساليب التربوية: المناقشة والحوار:

وهذا واضح من قوله عمر بن الخطاب ﵁ لما كان النبي ﷺ يعطيه العطاء: أعطه من هو أفقر إليه مني، فيحاوره النبي ﷺ ويبين له الصواب ويقول له: ((خذه، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله...)).

والمناقشة والحوار من الأساليب التربوية ذات الأهمية، لأنها تُفعِّل دور المتعلم وتجعله مشاركًا إيجابيًا في العملية التعليمية، كما تدفعه إلى مزيد من البحث والاطلاع، فضلاً عن أنها تدفع عنه الملل وغير ذلك.



---

(١) أصول التربية الإسلامية، أ.د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٢١١. الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، د.جورج شهلا وآخرون، ط دار العلم للملايين، بيروت، ص٦٩.

٥٩- باب الحث عَلَى الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة: ١٠].

الحديث رقم (٥٣٨)

٥٣٨- وعن أَبي عبد الله الزبير بن العَوَّام ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لأَنْ يَأخُذَ أحَدُكُمْ أحبُلَهُ ثُمَّ يَأتِيَ الجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بحُزمَةٍ مِنْ حَطَب عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبيعَهَا، فَيكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

الزبير بن العوام: هو الزبير بن العوام بن خويلد القرشي.

حواريُّ رسول الله ﷺ، لقوله ﷺ ((لكل نبيٍّ حواريٌّ، وحواريَّ الزبير))[2]، وهو ابن عمة رسول الله ﷺ صفية بنت عبدالمطلب، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سلّ سيفه في سبيل الله، فقد خرج يوماً وهو غلام ابن اثنتي عشرة سنة وبيده سيفه فلقيه النبي ﷺ فقال مالك؟ قال: أُخبرتُ أنك أُخذت. فقال له النبي ﷺ: ((فكنت صانعاً ماذا؟ فقال الزبير: كنت أضرب به من أخذك. فدعا له النبي ﷺ ولسيفه[3]، وكان رجلاً طويلاً، إذا ركب خطت رجلاه الأرض، وكان خفيف اللحية والعارضين.

وقد أسلم على يد أبي بكر ﵁ وله اثنتا عشرة سنة وقيل ثمان سنين، وكان عمه يُعلّقه ويُدَخِّنْ عليه ولكنه ﵁ يقول: لا أرجع إلى الكفر أبداً، وقد هاجر الهجرتين،

---

(١) برقم ١٤٧١ والسياق للحميدي في جمعه ١/١٨٥، ١٧٨. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٢٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧١٩، ومسلم ٢٤١٥.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٦٠٥، قال محققو السير: رجاله ثقات.

وشهد بدراً، وكان على ميمنة النبي ﷺ يومئذ[١]، وشهد أحداً وغيرها.

وهو الذي جمع له النبي ﷺ أبويه يوم قريظة فقال بأبي وأمي[٢]، وقد تحرك حراء يوماً وكان عليه النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: اسكن حراء! فما عليك إلا نبيٌ أو صديقٌ، أو شهيد، وكان عليه أبوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير[٣].

وقالت فيه عائشة رضي الله عنها إنه من الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح، وكان موسراً، كثيراً المتاجر، كثير الصدقة.

وكان شجاعاً، وكان رضي الله عنه في صدره أمثالُ العيون من الطعن والرمي، قال عروة كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف إحداهن في عاتقه، إن كنت لأُدخِلُ أصابعي فيها، وقد ضُرب ثنتين يوم بدر، وواحدةً يوم اليرموك.

وقد روى عن النبي ﷺ أحاديث يسيرة، لخوفه من قول النبي ﷺ ((من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعدهُ من النار))[٤] وقد بلغت روايته لحديث النبي ﷺ ٣٨ حديثاً وتوفي شهيداً، قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بوادي السباع (على ٧ فراسخ من البصرة).

وقال النبي ﷺ في ذلك لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((بشر قاتلُ ابن صفية بالنار))[٥].

وتوفي سنة ٣١هـ وله ست أو سبع وستون سنة[٦].

---

(١) أخرجه الطبراني ٢٣١ وذكره الهيثمي في المجمع ٨٣/٩.

(٢) أخرجه الترمذي، رقم ٣٧٤٣ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي (٢٩٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم ٣٦٩٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩١٧).

(٤) أخرجه البخاري، رقم ١٢٩١.

(٥) أخرجه أحمد١٠٢/١ رقم ٧٩٩ وقال محققو المسند: إسناده حسن ١٨١/٢.

(٦) الطبقات الكبرى ابن سعد ١٠/٣-١١٤، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٢٦١-٢٦٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٠٧/٢-٣١٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٤٢٥-٤٢٦، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤١/١-٦٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٧/٣-١٩، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٢٦/١-٦٢٧، والأعلام، خير الدين الزركلي ٤٢/٣، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٣٤٥/١-٣٥١.

غريب الألفاظ:

أحبلهُ: جمع حبل وهو الرّباطُ[١].

فيكف الله بها وجهه: أي فيمنع الله بها ذاته من الحاجة، وعبّر بالوجه عن الكلّ؛ لأنه أشرف الأجزاء الإنسانية أو لأن السؤال إنما يكون به غالباً[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يضرب مثالا افتراضيا لشكل من أشكال التكسب الحلال التي يصون بها المرء وجهه من سؤال الناس، وينفع بها غيره في ما يقدم لهم من أعمال، وفيما ينفع به أهله من رزق حلال ينفقه عليهم، وما يتصدق به على الفقراء، والمساكين وقد بدأ الحديث بالتوكيد للخبر لتمهيد النفوس، وتعظيم الخبر، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وجمع الحبل يشير إلى العزم في السعي وتقوية الأسباب، والربط بـ(ثم) يشير إلى مسافة يقطعها الساعي حتى يصل إلى غرضه، وهي تشير إلى أن الإنسان يجب أن يصبر حتى يثمر عمله، والتعبير بالإتيان يشير إلى مجيء في مشقة، وتكلف، والتعبير بقوله (على ظهره) يشير إلى التمكن في الحمل، وتتابع الفاءات يشير إلى سرعة تحقيق الثمرة المرجوة بعد فترة العناء في البحث، وقوله (فيكف الله بها وجهه) كناية عن صيانته عن الذل بسؤال الناس، وقد أكده بتقرير الخيرية، وتفضيلها على سؤال الناس، والطباق بين العطاء، والمنع يقرر أن الأمر في الحالين مرجوح بكسب اليد التي تضمن صيانة النفس.

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٩٨٠، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٩/٤.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨١٠.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه: المفاضلة بين أنواع المكاسب المختلفة:

اختلف الفقهاء في أفضل المكاسب فمنهم من فضل الزراعة ومنهم من فضل التجارة ومنهم من فضل العمل باليد من الصنائع والحرف[١]. وقال ابن حجر: (والحق أن ذلك مختلف المراتب، وقد يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص)[٢].

وقال الشيخ البسام: (قال السعدي: وأحسن ما يقال في هذا الباب: أن الأفضل لكل أحد ما يناسب حاله، ولا بدّ في جميع المكاسب من النصح وعدم الغش والقيام بالواجب من جميع الوجوه)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أهداف الدعوة: إيجاد الحلول العملية لمشكلة الفقر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الكسب من عمل اليد.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الترغيب في العمل والتنفير من المسألة.

رابعاً: من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى العمل والإنتاج.

أولاً- من أهداف الدعوة: إيجاد الحلول العملية لمشكلة الفقر:

إن إيجاد الحلول العملية لمشلكة الفقر ظاهر بصريح الحديث "لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من يسأل الناس

---

(١) انظر في ذلك: المبسوط ٣٠/٢٥٨-٢٥٩، والاختيار ٤/١٧١، والفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٥/٣٤٩، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٣/٢٨١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٩/٥٩، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٣٠٤، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٤٨٦ ط/ بيت الأفكار، والموسوعة الفقهية. وزارة الأوقاف الكويتية ٣٤/٢٣٨-٢٣٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٣٠٤.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٤٠٨.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٣٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٣٩).

أعطوه أو منعوه" فقد أعلن الإسلام الحرب على الفقر وشدد عليه الحصار وقعد له كل مرصد درءاً لخطره على العقيدة وعلى الأخلاق والسلوك، وحفظاً للأسرة وصيانة للمجتمع وعملاً على استقراره وتماسكه، وسيادة روح الإخاء بين أبنائه، فأُمر كل إنسان في المجتمع الإسلامي بالعمل والمشي في مناكب الأرض، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولاً فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾[١] فالعمل هو السلاح الأول لمحاربة الفقر، وهو السبب الأول في جلب الثروة، وهو العنصر الأول في عمارة الأرض التي استخلف فيها الإنسان وأمره أن يعمرها ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾[٢] [٣]. والاستعمار: الإعمار، أي جعلكم عامرينها، فالسين والتاء للمبالغة كالتي في استبقى واستفاق، ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع لأن ذلك يعد تعميراً للأرض[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الكسب من عمل اليد:

لقد أمر الله بطلب المعيشة، قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾[٥]، [٦] والحديث بين أن العمل خير للنفس حيث يحفظ عليها كرامتها، وقد بين النبي ﷺ ذلك في الحديث فقال "لئن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه" وفي ذلك حضّ على العمل والتعفف عن المسألة والتنزه عنها، ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشاق في ذلك، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لما فضل عليها ذلك، وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال، ومن الرداء إذا لم يعط[٧].

---

(١) سورة الملك، آية: ١٥.

(٢) سورة هود، آية: ٦١.

(٣) انظر: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٤٣، ٤٤.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٠٨/١٢/٥.

(٥) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٠٦/٢.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٠.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الترغيب في العمل والتنفير من المسألة:

جاء في الحديث الترغيب في العمل والتنفير من المسألة "لئن يحتطب أحدكم حزمة خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه" وذلك حفاظاً على ماء وجه المسلم، لذا أمر الله تعالى المسلم بالسعي في الأرض والأخذ بالأسباب "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا" أي مذللة سهلة لم يجعلها ممتنعة بالحزونة والغلظ[1] ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[2] فذكر الله في الآية نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، وأمر بالتردد في أقاليم الأرض وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات[3]. قال بعض الحكماء: (لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فإن الكريم محتال والدني عيّال، وقال:

فسر في بلاد الله والتمس الغنى   تعش ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدونٍ ولا تنم   وكيف ينام الليل من كان معسرا[4]

ففي العمل سعادة العبد في الدارين، وحفظٌ للكرامة وعفة للإنسان وصونٌ لماء وجه صاحبه من السؤال[5].

رابعاً- من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى العمل والإنتاج:

إنَّ مما ينبغي على الداعية فعله والحرص عليه هو توجيه المدعوين إلى العمل

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ٨/٣٢١.

(٢) سورة الملك، آية: ١٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/١٧٩.

(٤) المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي ص ٢٨٥.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٧/٣٠٥١.

والإنتاج كما في الحديث "لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل... الحديث" وتلك دعوة من الرسول ﷺ للعمل الدؤوب والإعمال وتنمية الإنتاج لتحقيق مجتمع الرفاهية الذي يسعى إليه كل نظام اقتصادي على الأرض[١].

لذا جاء خطاب الرسول ﷺ لأصحابه محرضاً لهم على العمل قدر استطاعتهم وبأي وسيلة ممكنة، فعلى الإنسان أن يعمل ولا يبالي بنوع العمل أو ما يتطلبه من تحمل المشاق والمتاعب في سبيل التعفف عن الفقر والتخلص من ذل السؤال، فلأن يأخذ الإنسان أحبله فيصعد الجبل فيأتي بحزمة من الحطب بعد أن يتحمل مشاق قطعها حاملاً لها على ظهره أو دابة فيبيعها وينتفع بثمنها ويكتفي بما يحصله عن الناس ويستغني به عن غيره خير له من سؤال الناس والاحتياج إليهم وتوقف مصيره على ما يجودون به من إحسان[٢].

---

(١) انظر: عدالة توزيع الثروة في الإسلام، عبدالسميع المصري ص ٢٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٣٤٨.

الحديث رقم (٥٣٩)

٥٣٩- وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((لأَنْ يَحْتَطِبَ أحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَسْأَلَ أحداً، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه يهيب بكل من ليس له عمل البحث، والتفكير فيما يمكن أن يفتح له باب رزق حلال دون النظر إلى حقارة العمل، أو أهميته، وإنما ينظر فيه إلى كونه حلالا، والتعبير بالفعل المضارع يصور معاناة المحتطب وصيغة الافتعال تدل على مشقة، وتكلف، ومعاناة في طلب العمل الحلال، والتعبير بالظهر؛ لأنه المختص بالحمل، والتعبير بـ(على) يفيد التمكن، وإضافته إليه للإشارة إلى مباشرته الحمل بنفسه مما يشير إلى قيمة العمل الذي يحقق عزة المسلم، وينمي في نفسه الثقة، والاعتزاز بالنفس، والإحساس بالكيان، وأنه عضو نافع في المجتمع مما يعمق الانتماء له، والمحافظة عليه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٧٤ واللفظ له، ومسلم ١٠٤٢/١٠٧. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٢٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٤٠)

٥٤٠- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((كَانَ دَاوُدُ عليه السلام **لا يَأكُلُ إلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**)) رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يضرب في أعماق التاريخ عن طريق الماضي (كان) الذي يعود بالمخاطبين مع المتكلم لاستحضار نموذج فريد في فضيلة من الفضائل يكون قدوة للأمة حتى لا تتبع نماذج هدامة تقودها إلى الهاوية، واختيار نبي الله داود عليه السلام وحصر ما يأكله على عمل يده دون غيره، لأنه لم يكن محتاجاً للعمل من أجل الطعام، لأنه كان خليفة في الأرض، وإنما كان يحرص على أن يأكل من عمل يده، فيصنع الدروع، ويبيعها ثم إن عمله فيه صنع لآلة من آلات الحرب التي تحقق قوة لجند الله، وتشير إلى حرص القائد على قوة جنده الذين هم حماة دينه .

المضامين الدعوية[(٢)]

أولاً: من تاريخ الدعوة: ذكر حال نبي الله داود وزكريا عليهما السلام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرفة في حياة الداعية والمدعو.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله زكريا.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: احتراف أنبياء الله لبعض الحرف الشريفة وكسبهم من عمل أيديهم.

أولاً- من تاريخ الدعوة: ذكر حال نبي الله داود وزكريا عليهما السلام:

ورد في الحديثين فيما حكاه النبي ﷺ عن داود وزكريا عليهما السلام من احترافهما

---

(١) برقم ٢٠٧٣. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٤٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٤١).

وأكلهما من كسب أيديهما، فقال: (كان زكريا عليه السلام نجاراً)، وفي حكاية سير الأولين وذكر قصصهم، الوقوف على ما جرى لهم أخذاً للعبرة والعظة ولبعث وإحياء تلك المعاني والصفات الذي ينبغي الناس بها من سيرهم[١].

لذا ينبغي على الداعية الاهتمام بأخبار السابقين مما جاء في كتاب الله وصحيح سنة رسول الله ﷺ والعناية بها وما اشتملت عليه من عبر وعظات وأسرار وحكم بالغات، وليتبع في ذلك طريقة القرآن والسنة في سرد قصص الماضين غير معتمد على ذكر التفصيلات، إنما يهتم برؤوس العبر ورسم ملامح الشخصيات التاريخية واتجاهات الأحداث ونتائجها وذكر الحقائق والأسرار العلمية والتوجيهية والتشريعية، لتنفذ إلى النفس والعقل[٢]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٣].

إن من الدروس والعبر في تاريخ الدعوة ما كان من حال نبي الله داود عليه السلام من اعتماده على نفسه وأكله من كسب يده (كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده). وقد ذكر القرآن عمله وإكرام الله به بإلانة الحديد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٤]، فأعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء وأرشده إلى صنعتها وكيفيتها[٥]، مع ما آتاه الله مع الملك (وشددنا ملكه) فمع أنه كان من كبار الملوك ومع سعة ملكه هذا كان يتورع ولا يأكل إلا من عمل يده[٦]، وبذلك كان داود عليه السلام مضرب المثل في الاحتراف وطلب العيش عن

---

(١) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبد القادر السباعي ص ٣١.

(٢) انظر: ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاي ص ٢٤ - ٢٥.

(٣) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٤) سورة سبأ، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢/ ٣٠٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. ابن علان ص ٨١١.

طريق بعض الحرف والصناعات اليدوية دون حياء أو استكبار[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية الحرفة في حياة الداعية والمدعو:

للحرفة أهمية كبيرة في حياة الداعية؛ لأنها تعمل على صيانة كرامة الإنسان، وتجعله صاحب اليد العليا، وما أحوج الدعوة والداعية إلى المال الذي يذلل العقبات من طريق الدعوة، ويعمل فتح الآفاق الرحبة أمام الدعوة إلى الله، ومما يؤكد أهمية الحرفة أن الأنبياء عليهم السلام أنفسهم كانوا يحترفون، وفي الحديث مثال لذلك فيقول ﷺ: (كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده)، فبالعمل تبرز مكانة الإنسان في الحياة ويعلو شأنه وترفع منزلته، وبالعمل سعادة الإنسان في دنياه وأخره[٢]، وفي عمل الداعية دافع للمدعوين إلى الناس به، وقد ضرب النبي ﷺ أرفع الأمثلة في العمل ومشاركة الآخرين بغض النظر عن ماهية العمل، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: ((كان النبيُّ ﷺ يَنقُلُ التُّراب يوم الخندق حتى أَغْتَمَر بطنَهُ ـ أو أغبرَّ بطنهُ))[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله زكريا:

في الحديث إشارة إلى زكريا عليه السلام وفضله، وأنه مثل من الأمثلة الحية التي يحتذى بها فقال: (كان زكريا عليه السلام)، قال النووي: (فيه جواز الصنائع وأن النجارة لا تسقط المروءة وأنها صنعة فاضلة، وفيه فضيلة لزكريا عليه السلام فإنه كان صانعاً يأكل من كسبه)[٤]، وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ كان دائماً يضرب الأمثال للصحابة رضي الله عنهم بالأنبياء عليهم السلام وأنهم كانوا يحترفون لأنفسهم ويطلبون العيش عن طريق بعض الحرف أو الصناعات اليدوية دون أن يأنفوا من ذلك[٥]، ومثل هذه التوجيهات تقوم بتعديل النظرة الخاطئة إلى بعض الحرف وأصحابها.

---

(١) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، د. عبدالعزيز بن إبراهيم العمري ص ٤٦.

(٢) إصلاح الوعظ الديني، محمد عبد العزيز الخولي ص ٢٢٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤١٠٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٥٣.

(٥) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري ص ٤٦.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: احتراف أنبياء الله لبعض الحرف الشريفة وكسبهم من عمل أيديهم:

إن الأنبياء عليهم السلام لم يعيشوا عالة على غيرهم بل كانوا يكسبون قوتهم بأنفسهم ويأكلون من عمل أيديهم، بل احترف بعضهم وذلك كزكريا عليه السلام وكما في الحديث: (كان زكريا عليه السلام نجاراً)، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كباقي إخوانه الأنبياء عليهم السلام رعى الغنم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما بَعثَ اللهُ نبيّاً إلاّ رَعَى الغَنمَ)). فقال أصحابهُ: وأنتَ؟ فقال: ((نعم، كنتُ أرعاها على قَراريطَ لأهلِ مكةَ))[1]، وكان الأنبياء يؤجرون أنفسهم إذا لم يجدوا طريقاً لكسب العيش غيرها[2]، وقد ذكر القرآن قصة موسى عليه السلام مع الشيخ الكبير: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾[3]، وفي ذلك حث على العمل واكتساب المال عن طريق بعض الحرف اقتداء بالأنبياء عليهم السلام ومَنْ على شاكلتهم من الصالحين[4]. استشعاراً لقيمة العمل وتكريماً للعاملين، وإيثاراً للعمل على حب الراحة والدعة إضافة إلى ما في العمل (من الشغل بالأمر المباح عن البطالة واللهو وكسر النفس بذلك والتعفف عن ذلة السؤال والحاجة إلى الغير)[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإجارة، باب: رعي الغنم على قراريط، رقم ٢٢٦٢ ص ٣٦٠.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٥٠٦.

(٣) سورة القصص، آية: ٢٧.

(٤) انظر: الحرف والصناعات في الحجاز، د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري ص ٤٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٣٥٦.

الحديث رقم (٥٤١)

٥٤١- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((كَانَ زَكرِيّا عليه السلام نَجَّاراً)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى نموذج من النماذج العملية في تاريخ البشرية تقتدي به في وجه من وجوه الخير، وهو العمل باليد، واتخاذ الحرفة، والصنعة اليدوية التي تبني الأمة، وتمنع البطالة، والتكاسل، وقول النبي ﷺ (كَانَ زَكرِيّا عليه السلام نَجَّاراً) خبر خلى من المؤكدات أريد به الفائدة، وهي مضمون الخبر لكي يعلم كل سامع أنها سنة في أنبياء الله، وأن مزوالة العمل كرامة تحقق للإنسان صيانة وجهه من ذل السؤال، والتعبير بكان في صيغة الماضي يشير إلى أنها مهنته الدائمة التي اعتادها .

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) برقم ١٦٩/ ٢٣٧٩.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٤٢)

٥٤٢- وعن المقدام بنِ مَعْدِ يكرِبَ ﷺ، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((**مَا أكَلَ أحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أنْ يَأكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإنَّ نَبيَّ الله دَاوُدَ ﷺ كَانَ يَأكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**)) رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

المقدام بن معدي كرب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٨٣).

الشرح الأدبي

الحديث يثمن غاليا سعي الإنسان لتحصيل معاشه، ويقرر أنه خير طعام يأكله الإنسان وهو ما ينمي العزة في نفس المؤمن، ويعوِّده الاعتماد على نفسه، والاستقلالية في تحقيق أسباب رزقه كما أنه بتقوية تلك الروح في نفوس المسلمين ينادي بهم لتحقيق أسباب التقدم، وعدم الاعتماد على غيرهم في شيء لاسيما في طعامهم، ولاسيما من أعدائهم، وقد بدأ الحديث بأسلوب النفي (مَا أكَلَ أحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أنْ يَأكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) وتنكير كلمة أحد يفيد العموم لكل أحد، وتنكير الطعام يفيد عموم كل طعام، وكلمة قط تأكيد للنفي، وأسلوب التفضيل المنفي يقرر أفضلية أكل الإنسان من عمل يده، ونسبة العمل إلى اليد مجاز؛ لأن اليد سبب فيه، وهذا المجاز يفيد المبالغة في تأكيد المعنى، وقد زاد المعنى توكيدا بإبراز النموذج الأعلى للبشر وهم الأنبياء فقدم منهم نموذجاً (وَإنَّ نَبيَّ الله دَاوُدَ ﷺ كَانَ يَأكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)، وخص داود لكون اقتصاره في أكله على عمل يده لم يكن لحاجة، لأنه كان خليفة في الأرض بل أراد الأفضل، وكان يعمل عملا يشق على غيره، وهو من الأهمية بمكان، وهو صنع الدروع من الحديد لقوته، ولأن فيه تقوية لجند الله على أعدائهم، وفيه أن الكسب لا ينافي التوكل، وأن ذكر الشيء بدليله أوقع في النفس، والحديث يرغب في

---

(١) برقم (٢٠٧٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٢٨).

أن يكون لكل إنسان عملا؛ لأن فيه إيصال النفع إلى الكاسب، وإلى غيره، والسلامة عن البطالة المؤدية إلى الفضول وكسر النفس، والتعفف عن ذل السؤال .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الأكل من عمل اليد.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أكل نبي الله داود من عمل يده.

رابعاً: من آداب المدعو: التعفف والأكل من عمل اليد.

خامساً: من أهداف الدعوة: الحث على العمل والإنتاج والأكل من كسب اليد.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد الإخبار في الحديث ببيان أن الكسب من عمل اليد خير من مسألة الناس؛ لأن ذلك يحقق عفة الإنسان ويعمل على صيانة كرامته، ولذا كان نبي الله داود عليه السلام يأكل من عمل يده: (ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)، وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المؤثرة لما فيه إطلاع المدعوين على الحقائق وحملهم على الالتزام بها والدعوة إليها.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الأكل من عمل اليد:

لقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث فضل الأكل من عمل اليد، وأنه أفضل من الاتكال على الغير فقال: (ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده)، والمراد من الحديث كما تدل عليه القواعد الشرعية كسب حلال خالص من الغش بسائر وجوهه، وترك الاتكال على الغير[1]، قال ابن حجر: "والمراد بالخيرية في الحديث: ما يستلزم العمل باليد من الغنى عن الناس"[2]، فالإسلام يحب لأهله أن يحيوا كأقوى ما تكون الحياة، وأن يناضلوا كأشد ما يكون النضال، وأن يكون لهم في كل ميدان جهاد، وفي كل مجال

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨١٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٨/٤.

عمل، حتى تتحقق لهم السيادة والقيادة عن جدارة واستحقاق[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أكل نبي الله داود من عمل يده:

لقد صرح الرسول ﷺ بذلك في الحديث فقال: (وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)، وأورد النبي ﷺ قصته في الحديث في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد، وفضل العمل باليد وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره، والحكمة في تخصيص داود عليه السلام بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة في الأرض كما قال تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢]، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل[٣]، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ﴾[٤]، قال القرطبي: (هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شُرِّعَ للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه، فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة ونسب مَنْ ذكرنا - أي داود عليه السلام - إلى الضعف وعدم المنعة"[٥]، وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ كان يضرب المثل بالأنبياء عليهم السلام وأنهم كانوا يحترفون ويعملون بأيديهم دون أن يأنفوا، وفي ذلك حث للمخاطبين على الاستجابة لهذه التوجيهات[٦].

رابعاً- من آداب المدعو: التعفف والأكل من عمل اليد:

إن في الحديث حثًا على التعفف والأكل من عمل اليد (ما أكل أحد طعاماً خيراً

---

(١) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٦٢.

(٢) سورة ص، آية: ٢٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٨/٤.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٢١/١١/١٦.

(٦) الحرف والصناعات في الحجاز، د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري ص ٤٦.

من أن يأكل من عمل يده) وفي ذلك حث على العمل والأكل من ثمرته، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾[٢]، وبهذا أمر الإسلام بالمشي في مناكب الأرض لاكتساب الرزق والنأي بالنفس عن الاتكال على الغير تكريماً للمسلم عن المهانة والمذلة والضعة، وإعلاء لهمته وحفاظاً على كرامته[٣].

خامساً- من أهداف الدعوة: الحث على العمل والإنتاج والأكل من كسب اليد:

إن من أهم الأهداف للدعوة تحقيق الذاتية الإسلامية، ومن أهم العوامل التي تساعد على إيجادها العمل والإنتاج والاعتماد على النفس، كما أشار إلى ذلك الحديث (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من يده)، وتلك دعوة من الإسلام إلى الكسب والتحصيل[٤].

وفي دعوة الإسلام إلى العمل والكسب استغلال للموارد البشرية والمادية الإسلامية حتى تتحقق الرفاهية العامة للشعوب الإسلامية، وبذلك تتحقق للمسلمين القوة والمنعة، فالإسلام ليس مجرد تراث بل هو طريق التنمية والإنتاج السليم[٥]. قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[٦].

---

(١) سورة الملك، آية: ١٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٧.

(٣) البطالة - العمالة - العمارة من منظور الاقتصاد الإسلامي، د. زيد بن محمد الرماني ص ٨٥ - ٨٦.

(٤) عناصر القوة في الإسلام، سيد سابق ص ١٠٨.

(٥) النظام الاقتصادي في الإسلام "خصائصه وأركانه ونظرته لبعض المشكلات الاقتصادية"، محمود بن إبراهيم الخطيب ص ٧٤.

(٦) سورة هود، آية: ٦١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يحرص الرسول ﷺ على عزة المسلم، والمسألة ذلة، والأكل من كسب اليد عزة وكرامة، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب:

أولاً- التربية على العمل والإنتاج:

إن السعي لتحصيل الرزق الحلال الطيب يعد غاية من غايات التربية الإسلامية للتنشئة على العمل والإنتاج الإبداعي لأجل مواجهة الفقر، وتوفير متطلبات الحياة وتحقيق الحياة الكريمة التي ينشأ الإنسان في كنفها عزيزًا كريمًا قويًا، يستطيع أن يسهم في بناء ورفعة أمته، ويحقق الغاية من استخلافه بعبادة الله تعالى وعمارة الأرض. واستثمار النعم التي أودعها الله تعالى في هذا الكون، وهذا لا يتأتى إلا من خلال تربية النفوس على العمل المثمر في شتى المجالات المشروعة، ومن ثمَّ فإنه ﷺ أمر بالعمل حتى ولو أن يأخذ الإنسان حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، ولا شك أن ذلك يعد نموذجًا للسعي في طلب الرزق، مما يؤكد على أهمية السعي في طلب الرزق، وبذل الجهد والكدّ في سبيل تحصيل الرزق، ويدخل في ذلك كل عمل شريف يجب على الإنسان مباشرته طمعًا في تحقيق المستوى الطيب في العيش، ويعد هذا الأمر النبوي بالسعي حتى لو كان بجمع الحطب، توجيه تربوي نبوي لتربية النفوس على الإفادة من كافة المقومات الاقتصادية للحياة، فلربما ناسب ذلك تلك البيئة آنذاك، وإنه لينسحب على سبيل الإفادة من إمكانات الحياة والبيئة في كل زمان ومكان، مما يرسخ في النفوس الرغبة الجادة في العمل والإنتاج.

ولقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قومًا قابعين في ركن من المسجد بعد صلاة الجمعة فسألهم من أنتم؟، فقالوا نحن المتوكلون على الله، فعلاهم عمر بدرته، ونهرهم وقال لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، وأن الله يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[1].

---

(١) سورة الجمعة، آية: ١٠.

هذا نموذج تربوي عملي من عمر رضي الله عنه حث على العمل والتربية على تحصيل الرزق، والأخذ بالأسباب والشروع في العمل لا ينافي التوكل على الله تعالى، مهما كانت طبيعة العمل فلا ينبغي الاستحياء منه، ولو كان يسيرًا صغيرًا، والتربية على العمل تعتبر سلاحًا لمحاربة الفقر لأن التنشئة على طلب الرزق تجلب الثروة(١).

ثانيًا- التربية على التعفف:

وقد أثنى الله تبارك وتعالى على الفقراء المتعففين عن المسألة، وأوصى الله تعالى بالبحث عنهم وتعهدهم بالعطاء، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾(٢).

فهذا تعبير إلهي تربوي عن حال الفقراء الذين لا يسألون الناس مع شدة الفقر، فهم ما فعلوا ذلك لا لكونهم تربوا على التعفف وعدم السؤال، وقد أكد النبي ﷺ على أهمية العفاف بقوله: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ، أَوْ يَمْنَعَهُ». فهذا توجيه تربوي عظيم من رسول الله ﷺ إلى عدم المسألة وإلى الأكل من عمل اليد، ولنا في داود وزكريا عليهما السلام المثل التربوي للتربية بالقدوة في ذلك لأنهما كانا يأكلان من عمل أيديهما.

وهذا من النماذج التربوية الرائعة في تربية النفوس على العفاف والاستغناء عن الناس، مما يسهم في إرساء مناهج تربوية عملية على أن الأكل من عمل اليد أكرم وأفضل. ولذلك قال ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»، فمن هذا الهدي التربوي النبوي نتعلم أن أطيب الطعام وأهنأ العيش ما كان نتيجته السعي، أسوة بالقادة التربويين الأنبياء عليهم السلام(٣).

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص٣٠٧، مشكلة الفقر، وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص٥٢. وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليل ٢/٣٥٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٣) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٤٩٥. وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ص٣٩٠. الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٦٢-١٦٧.

والرسول ﷺ قد رغب في العمل وإن كان عائده كفافًا، لأنه يكسب صاحبه العزة والكرامة، ويدرأ عنه الدونية والإهانية، وأشار إلى أشق الأعمال قيامًا وإلى أقلها أجرًا ماديًا، وهي جمع حزمة من حطب على ظهره ليبيعها، فيكف الله تعالى بها وجهه، خير من أن يسأل فيُعطي أو لا يُعطي.

والرسل في هذا الميدان هم مضرب المثل، بدءًا من آدم عليه السلام الذي أهبط إلى الأرض وأمر بالتماس أسباب الرزق، وذكر العلماء من شأنه أنه أول من خاط الثوب وفلح الأرض وسقى الزرع وأكل من كد يده بعد أن أهبط إلى الأرض، وتباعًا بنوحٍ الذي احترف النجارة، ومثل ذلك قيام إبراهيم بالتجارة وبنوه معه، وإسماعيل يرعى الغنم وموسى كذلك، ومحمد ﷺ، اتجر في مال غيره وكان لا يقتات إلا مما كسبت يداه وحرم الله عليه وعلى آل بيته الصدقة "إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد"[١].

وقد نص رسول الله ﷺ على بعض الحرف التي اشتغل بها الأنبياء عليهم السلام، فذكر داود وصرح بأنه كان يأكل من عمل يده، ولعله اكتفى بما ورد في القرآن بحقه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢]، وتخصيص داود في الحديث للإشارة إلى أن ملكه وكونه جامعًا بين الرسالة والملك لم يَحُل دون قيامه بالعمل ليأكل من كسب يده، وهذا خطاب عام وهو إلى اليهود أقرب منه إلى غيرهم. كما نص على زكريا عليه السلام وصرح بأنه كان نجارًا.

إن الثقافة التي تسود العالم الإسلامي بشأن العمل، تستمد الكثير من التراث الجاهلي، لا من التشريع الإسلامي، فاحتقار بعض الأعمال والوظائف والنظرة الدون إلى بعض المهن، كل هذا مخالف لتعاليم الإسلام.

إن الطبيب بحاجة إلى عامل نظافة أكثر من حاجة عامل النظافة إلى الطبيب لأن الحاجة إلى النظافة يومية وقائمة ومستمرة والمرض مواسم، والمهندس بحاجة إلى النجار

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٧٢.

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٩، ١٠.

أكثر من حاجة النجار إليه، وهكذا فالناس جميعًا يحتاج بعضهم إلى بعض، ولله دَرُّ القائل:

النـــاس للنـــاس مـــن بـــدو وحاضـــرة   بعـــض لـــبعض وإن لم يـــشعروا خـــدم

إن كثيرين في السنوات الأخيرة قد أعرضوا عن العمل لأسباب عدة منها:

١-عدم تناسب العمل مع مستواهم الاجتماعي أو موقعهم العائلي.

٢-توفر قدر من المال جعلوه في البنوك أو المؤسسات الاستثمارية ليدر عليهم دخلاً يكفيهم للعيش بلا مشقة.

٣-تقاضي معاش حكومي أو دخل شهري من طرق شتى يكفيهم العيش فيكون التقاعس والتخلي عن العمل.

٤-إعداد بنايات وإنشاء شركات وإقامة مصانع تدر عليهم من الدخل ما يكفيهم وزيادة فقعدوا عن العمل.

٥-التعود على الرفاهية مع الحرص على ترفيهها وصحبة أهل البطالة ورواد إهدار الأوقات والطاقات.

٦-عدم تناسب الأجر مع العمل المؤدى، فيكون الإعراض عنه، وما درى هؤلاء أن كل إنسان يبدأ بأجر قليل ثم يكون النماء حتى إذا قطع شوطًا في العمل كان الخير في الأجر وفيرًا والعطاء جزيلاً.

إن الإنسان ليعجب من فئة من شباب المسلمين حين يذهبون إلى الغرب لطلب الرزق فيعملون في المطابخ والمقاهي وورش الحدادة والنجارة، ومنهم من يعمل في جمع القمامة وأفران الخبز وجني الثمر ومحطات غسيل السيارات، ويجنون من وراء ذلك الخير الكثير، فإذا عادوا إلى ديارهم أنفوا أن يقوموا بهذا العمل، بل لا يأذنون لذويهم بالقيام به.

إن الشعور بالولاء من ناحية والانتماء من ناحية ثانية والرغبة في الأداء من ناحية ثالثة كل هذا ينبغي أن نغرسه في قلب وعقل الناشئة، في مراحل التعليم الأولى، حتى نسقط تراثًا ثقافيًا معاديًا للتقدم والحضارة والكسب المشروع ونحيي مشروعًا إسلاميًا لا تابعًا بل متبوعًا.

٦٠- باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقةً بالله تعالى

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[سبأ: ٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٧٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٧٣].

الحديث رقم (٥٤٣)

٥٤٣- وعن ابن مسعود ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: **((لا حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْن: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويُعَلِّمُهَا))** متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الحسد: الغبطة، وهو أن يتمنى مثله[٢].

هلكته في الحق: إنفاقه في الطاعات[٣].

الحكمة: كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦/٢٦٨) ولفظهما سواء. وسيكرره المؤلف برقمي ٥٧٢، ٩٩٨. أورده المنذري في ترغيبه (١٢١).

(٢) رياض الصالحين ٢٥٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤٢.

(٤) المرجع السابق ٥٤٣.

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء، وهو من الأساليب الخبرية التي تتضمن نوعا من توكيد الخبر عن طريق إثبات المعنى لمعنى آخر، ونفيه عن كل ما عداه، والذي يتضمن تأكيد الإثبات الأول بالمفهوم، وقوله (لا حسد إلا في اثنتين) المقصود بالحسد هنا الغبطة، وهي تمني مثل ما للغير، وليس هو بعينه بحيث يتمنى زوال النعمة عنه، وحصوله عليها، وأسلوب القصر نفى استحقاق الحسد عن كل شيء، وأثبته للاثنين دون غيرهم فقد تضمن إثباتاً ونفياً مما يؤكد المعنى، ثم إن ذكر العدد اثنين فيه نوع من التشويق؛ لأنه عدد مبهم بالنسبة للمخاطبين، وقد فسَّره بما بعده، وهو ما يحقق ترقب المخاطب وتنكير لفظ (رجل) يفيد التعميم، ونسبة فعل الإتيان لله يشير إلى أن الأمر ليس بمحض كسب الإنسان، وإنما هو سعي من العبد وتذلل للرب، وفضل من الله عليه بالتوفيق، والتعبير بالقيام يشير إلى الصلاة، والتلاوة، والتعلم. والتعليم، وحفظ الحدود، والعمل به، والطباق بين الليل، والنهار يشير إلى دوام العمل به تلاوة، وتحكيماً، وشيوع لفظ (آناء) في الحديث يشير إلى دوام العمل، وعدم الانقطاع في التلاوة، والتحكيم والعمل، وفي المال تشير إلى الإنفاق في كل سبيل للخير ينفتح له كما دل على ذلك استخدام صيغة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار.

فقه الحديث

١- حكم الغبطة: (الغبطة إن كانت في الطاعة فهي محمودة، وإن كانت في المعصية فهي مذمومة، وإن كانت في الجائزات فهي مباحة)[١].

وقد تحرم كأن يكون عند غيره مال ينفقه في المعاصي، فيقول: لو أن لي مالاً مثل مال فلان لكنت أنفقته في مثل ما ينفقه في المعاصي[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٠١.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣/١٨٩-١٩١. وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١/١٣٧.

٢- التصدق بجميع المال: قال ابن حجر: (قال ابن المنير: في هذا الحديث حجة على جواز إنفاق المال وبذله في الصحة والخروج عنه بالكلية في وجوه البرّ، ما لم يؤدِ إلى حرمان الوارث ونحو ذلك مما منع منه الشرع)[١].

٣- الترغيب في ولاية القضاء: قال ابن حجر: (في الحديث الترغيب في ولاية القضاء لمن استجمع شروطه وقوى على إعمال الحق ووجد له أعوانًا؛ لما فيه من الأمر بالمعروف ونصر المظلوم وأداء الحق لمستحقه وكف يد الظالم والإصلاح بين الناس وكل ذلك من القربات، ولذلك تولاه الأنبياء ومن بعدهم من الخلفاء الراشدين ومن ثم اتفقوا على أنه من فروض الكفاية، لأن أمر الناس لا يستقيم بدونه ... واختلفوا هل يستحب لمن استجمع شرائطه وقوى عليه أو لا؟ والثاني قول الأكثر لما فيه من الخطر والغرر، ولما ورد فيه من التشديد، وقال بعضهم: إن كان من أهل العلم وكان خاملاً بحيث لا يحمل عنه العلم أو كان محتاجًا، وللقاضي رزق من جهة ليست بحرام، استحب له: ليرجع إليه في الحكم بالحق وينتفع بعلمه، وإن كان مشهورًا فالأول له الإقبال على العلم والفتوى، وأما إن لم يكن في البلد من يقوم مقامه فإنه يتعين عليه لكونه من فروض الكفاية لا يقدر على القيام به غيره فيتعين عليه، وعن أحمد: لا يأثم لأنه لا يجب عليه إذا أضرّ به نفعُ غيره ولا سيما من لا يمكنه عمل الحق: لانتشار الظلم)[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧/٣ ط/ السلفية. وقد سبق تناول هذه المسألة في الحديث ٥٢٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢١/١٣، وانظر لمزيد من التفصيل: كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٨/٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦/٩، ورد المحتار على الدر المختار المسمى "حاشية ابن عابدين"، محمد امين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٦٦/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣/٤، ٣٧٤، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٩٣/١١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١٣٠/٤-١٣١. وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين ابن فرحون المالكي ١٦/١، ١٧ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٨٧/٣٣).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: دعوة النبي ﷺ إلى المنافسة الشريفة في الأعمال.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في أوجه الخير.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل العلم النافع.

رابعاً: من واجبات الداعية: حث المدعوين على التنافس في الخيرات والأمور النافعة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: دعوة النبي ﷺ إلى المنافسة الشريفة في الأعمال:

لقد وردت في الحديث دعوة ضمنية للتنافس الشريف في أعمال الخير، فقال ﷺ "لاحسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" والمنافسة في الخير من الأمور التي رغب فيها الإسلام، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1] وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[2] وقال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾[3] أي يستبق المستبقون[4].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في أوجه الخير:

لقد أشار النبي ﷺ في الحديث إلى فضل الإنفاق في أوجه الخير مما يحمل الغير على المنافسة في ذلك ومن لم يمكنه يتمنى لو كان مثله "لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق" فالله سبحانه يحب من عبده أن يكون جواداً سخياً مبسوط اليد بالعطاء، ولهذا يضاعف الله أجور المتصدقين، كما قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٣) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥٣/٨.

مِاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١][٢] وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون في الإنفاق في سبيل الله وممن كان لهم شرف فضل الإنفاق أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣] وسمى ذلك الإنفاق قرضاً حسناً حثاً للنفوس، وبعثاً لها على البذل، لأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه طوعت له نفسه، وسهل عليه إخراجه فإن علم أن المستقرض مليء وَفِيٌّ محسن كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه فإن علم أن المستقرض يتّجر له بما اقترضه وينمّيه له ويثمِّرُه حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجراً آخر من غير جنس القرض، فإن ذلك القرض حظ عظيم وعطاء كريم[٤].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل العلم النافع:

لقد بين النبي ﷺ فضل العلم النافع وإحسان العمل به مما يجعل صاحبه مثالاً يحتذى به فقال "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" ومن فضل العلم النافع ما جاء في الحديث في قوله ﷺ "فهو يقضي بها ويعلمها" أي يقضي ويفصل بين المتنازعين ويعلمه من يطلبه من الناس[٥] فالعلم نور يهتدي به صاحبه ويهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، وبه يرفع صاحبه في الآخرة وفي الدنيا، في الآخرة بأن يرفع الله درجات صاحبه بحسب ما قام به في الدعوة إلى الله

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدها ابن القيم، عبدالعزيز مصطفى ص ٤٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٤٥.

(٤) التفسير العظيم، ابن القيم، ١/ ١٥٠.

(٥) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٤.

والعمل بعلمه، وفي الدنيا برفعه بين الناس بحسب ما قام به، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ (١) (٢).

رابعاً- من واجبات الداعية: حث المدعوين على التنافس في الخيرات والأمور النافعة:

إن مهمة الداعية لا تقتصر على دعوة الناس والبيان والتوضيح لهم، بل لابد له أيضاً من حثهم على التسابق والتنافس في فعل الخيرات، كما هو مستفاد من قوله ﷺ في الحديث "لاحسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" وحث المدعوين على التنافس من خلال تحريك الداعي لوجدان المدعوين وإثارة عواطفهم إلى الله(٣)، وبيان تفاضل الأجر بقدر التنافس والتشمير عن ساعد الجد. ولقد أمر الله بالمسارعة في الخيرات والمسابقة إلى فعل الطاعات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٤) وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٥) وكان من شأن الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾(٦) ووصف المؤمنين بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾(٧) والمسارعة في الخير ناشئة عن فرط الرغبة فيه، لأن من رغب في أمر بادر إليه وإلى القيام به وآثر الفوز على التراخي(٨).

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) كتاب العلم، محمد بن صالح العثيمين، إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ص ٢٢.

(٣) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٠٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٥) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٧) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٨) البحر المحيط، ابن حيان، ٣٨/٣.

الحديث رقم (٥٤٤)

٥٤٤- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((أيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أحبُّ إلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟)) قالوا: يَا رسول اللهِ، مَا مِنَّا أحَدٌ إلاَّ مَالُهُ أحَبُّ إلَيْهِ. قَالَ: ((فإنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أخَّرَ)) رواه البخاري(١).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث نموذج فريد في استدراج النفس من محبة ما فيه هلاكها من الشح والبخل، إلى ما فيه صلاحها من الإنفاق، والبذل، وقد استخدم أسلوب التشويق بالاستفهام الذي يفتح آفاق العقل ليراجع الأفعال بعواقبها في قوله (أيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أحبُّ إلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ؟) وهو استفهام تشويقي تنبيهي يأخذ العقل تجاه شعاع النور المنبثق من الفكرة النبوية بالنافع من المال للإنسان، والنافع لغيره، وقد جاءت إجابتهم في اتجاه الفكرة المطروحة عن طريق أسلوب القصر لحب كل واحد لماله دون مال وارثه (مَا مِنَّا أحَدٌ إلاَّ مَالُهُ أحَبُّ إلَيْهِ) ثم قرر الحقيقة واثقة بناءً على ما اقتنعوا به وتوصلوا إليه بأنفسهم موكداً بعدة مؤكدات لأنه قلب حقيقة ما يعتقدون في مسألة نفع المال (فإنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أخَّرَ) والطباق بين قدم، وأخر يؤكد المعنى النبوي في مسألة المال المدخر عند الله الذي أنفق في سبيله، والمال المتروك للورثة .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من مهام الداعية: استثارة اهتمام المدعوين وشد انتباههم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على استثمار المال في النفع الأخروي.

---

(١) برقم ٦٤٤٢. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٦٢.

أولاً - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث في قوله ﷺ "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا يا رسول الله: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه" والسؤال من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من إثارة للانتباه وإيجاد نوع من التفاعل بين الداعية المدعو، لذا فإنه يحسن بالداعية أن يفيد من هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى. وذلك أن إثارة اهتمام المدعو بطرح الأسئلة يحقق النتائج الطيبة والقيّمة ويؤدي إلى نشر المعرفة وتثبيتها وتناقلها بين الناس، بشرط أن تكون الإجابات واضحات جليات مفصَّلات لا غموض فيها ولا التباس[1] وكثيراً ما استفتح القرآن عرض قضاياه باستفهام تمهيدي لها لشدّ الأذهان وإثارة الانتباه. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾[2] وقوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾[3]، وقوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾[4].

ثانياً - من مهام الداعية: استثارة أذهان المدعوين وشد انتباههم:

من الشواهد على ذلك من الحديث الذي نحن بصدد دراسته دعوياً طرح النبي ﷺ السؤال على أصحابه رضي الله عنهم بقوله: "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا يا رسول الله مامنا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر" وتلك مهمة الداعي بيان الحقائق وتنبيه الغافل وإيقاظ القلوب الميتة والتذكير بحسن الأخلاق والاقتداء بالأنبياء والصالحين.. الخ[5].

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: الحث على استثمار المال في النفع الأخروي:

لقد دعا النبي ﷺ في الحديث إلى استثمار المال في النفع الأخروي من خلال بيان

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٦٢.

(٢) سورة النبأ، آية: ١.

(٣) سورة النازعات، آية: ١٥.

(٤) سورة الغاشية، آية: ١.

(٥) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٠٣.

أن المال الحقيقي الذي ينتفع به الإنسان هو ما قدمه لنفسه وتصدق به[١] وادخره عند ربه "فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر" قال ابن بطال وغيره: فيه التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر لينتفع به في الآخرة، فإن كل شيء يخلفه المورث يصير ملكاً للوارث فإن عمل فيه بطاعة الله اختص بثواب ذلك وكان ذلك الذي تعب في جمعه ومنعه، وإن عمل فيه بمعصية الله فذلك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع به إن سلم من تبعته[٢].

ففي هذا الحديث نجد دعوة الرسول ﷺ إلى تصحيح المفاهيم بين المسلمين، فإذا دعاهم الشيطان والهوى إلى الحرص على الأموال وكنزها والضنّ بها عن وجوه إنفاقها، فليسألوا أنفسهم لماذا الحرص ولمن الجمع؟ إن الوارث هو الذي سينتفع به في حين أنه في أمس الحاجة إلى الانتفاع بثوابه في الآخرة، فليقدم لنفسه ببذل المال ما لا يمكن تقديمه لها بعد الموت، فعلى الإنسان أن ينفق من ماله وأن يتغلب على الحرص والطمع ما استطاع، وسيبقى له في ظلال الإسلام وتعاليمه ما يحفظ على الورثة ماء الحياة[٣].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٦٥/١١.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٢٥٠، ٣٥١.

الحديث رقم (٥٤٥)

٥٤٥- وعن عَدِيِّ بن حَاتِمٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عدي بن حاتم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٢).

الشرح الأدبي

الأمر (اتقوا النار) أمر تحذير، وترهيب وفي اتصاله بواو الجماعة عموم لجميع المخاطبين بالحكم يجعلهم في قلب الإنذار، ويجعل الجميع تحت مظلة المُنذَرين وهو مما يرفع درجة التنبيه، والتشويق، والاستشراف؛ وتعلق الأمر بالنار أكّد الإحساس بالخطر. وزاد الشعور بالرهبة المنبعثة من لفظ (النار) التي تستصحب إحراقها، ولظاها. دون إنارتها، ودفئها لوقوعها مفعولاً للفعل (اتقوا) وهو علم على التحذير، والترهيب، وهو بذلك يغرس في وجدانهم الشعور بالخوف الذي يقف سدا منيعا بينهم، وبين ما يغضب الله، كما يدفعهم للتحرك ضد الاتجاه المؤدي إلى النار، وهو عمل الصالحات، وقد فتح لهم النبي صلى الله عليه وسلم الباب بعبقرية لا تترك لمتعلل بقلة ذات اليد حجة (ولو بشق تمرة) أي ولو كان المتصدق به شق تمرة، والتعبير بالشق مبالغة في القدر المتصدق به الذي يمنع النار، لأن أقل ما يطعم الإنسان التمرة فلو تصدق بنصفها لأدت الغرض ومنعته النار ما دام مخلصا فيها، والمفارقة العجيبة التي أثارها الافتراض الذي جاء في ثوب الشرط بين هول عظيم مصدره أعظم نار، وبين شيء بسيط قدّمه الإنسان فحجبه. ومنعه عن هذه النار.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ١٤١٧، ومسلم ١٠١٦/٦٧ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٤٧. وتقدم برقم ١٣٩.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٩).

الحديث رقم (٥٤٦)

٥٤٦- وعن جابرٍ رضي الله عنه ، قَالَ: مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ شَيْئاً قَطُّ، فقالَ: لاَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث خبري قصير ينقل خبرا عن الرسول ﷺ يكون سنة يقتدي بها الصالحون في كل مكان، وزمان تصلح دينهم، ودنياهم، وتلك سمة بارزة في كل هديه ﷺ، وأسلوب النفي الذي صاغ فيه جابر رضي الله عنه المعنى يقرر نفي قول الرسول ﷺ (لا) في كل ما سؤل عنه، وبناء الفعل (سئل) لما لم يسم فاعله شكل من أشكال التعميم التي تشمل جميع ما سُئل عنه، وتنكير كلمة (شيئا) يفيد العموم لأنه نكرة في سياق النفي فيشمل قليل المسئول عنه، وكثيره، وحاصل التعميم الأول، والثاني أنه كان لا يرد سائلا في قليل أو كثير، وقد أكد هذا النفي بلفظ (قط) الذي ينفي وهم المبالغة، ويقرر الحقيقة كما أثبتها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان جود وكرم النبي ﷺ.

ثالثاً: من آداب الداعية: السخاء مع المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

جاء أسلوب الإخبار في الحديث في قول عائشة رضي الله عنها "ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا" وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من إعلامٍ

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٤، ومسلم ٢٣١١/٥٦ واللفظ له.

للمدعو[١] وإيقافه على حقائق الأمور، وقد أفاد الإخبار في هذا الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من الكرم والجود والسخاء، الذي كان من مظاهره أنه ما سئل فقال لا، مما يؤكد سعة كرم وجود النبي ﷺ.

وجاء في قول عائشة رضي الله عنها الإخبار عن جانب من جوانب شخصية رسول الله ﷺ، فشخصيته ﷺ هي الشخصية الأولى في حياة المسلمين وهي المثل والقدوة، والكشف عن حقائقها مما يحقق الاستجابة لدعوة الحق[٢]. فلأن الاستجابة للدعوة تتأثر إلى حد كبير بعناصر شخصية الداعية فإن شخصية الرسول ﷺ قد استحوذت على الكمال البشري وتمكنت منه. فقد جمعت شخصيته ﷺ الفضائل الخلقية والمكارم الإنسانية الرفيعة. وليس هناك وصف لشخصية رسول الله ﷺ أعظم قدراً وأفصح بياناً من قول الله له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان جود وكرم النبي ﷺ:

جاء في الحديث بيان لمدى جود النبي ﷺ وكرمه لحد أنه ما قال لأحد سأله لا، فلقد منحه الله سبحانه من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره من قبله أو بعده، آتاه الله خزائن الدنيا ومفاتيح البلاد، وأحل له الغنائم وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب، وما إلى ذلك من الشام والعراق وجلب إليه كثير من أخماسها وجزيتها وصدقاتها وهاداه جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهماً بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين[٤]، وهو ﷺ القائل ((ما يسُرُّني أن عندي مِثلَ أحد هذا ذَهباً تمضي عليَّ ثالثةٌ وعندي منه دينار، إلا شيئاً أرصُدُهُ لِدَين، إلا أن أقولَ به في عبادِ الله هكذا وهكذا وهكذا -عن يَمينهِ،

---

(١) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي ص ١١٥.

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٣.

(٣) سورة القلم، آية: ٤.

(٤) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٦٥، ١٧٢.

وعن شِماله، ومِن خلفهِ-))[1] فقد كان كرمه ﷺ مضرب الأمثال، فمن أراد أن يكتسب الأخلاق الفاضلة والتي منها الكرم فليتأسَّ برسول الله ﷺ إذ هو المثل الأعلى في باب الأخلاق يحمل المسلم على اكتساب الأخلاق الفاضلة ويدفعه إلى التجمل والتحلي بها ليكمل بها ويشرف عليها[2].

ثالثاً- من آداب الداعية: السخاء مع المدعوين:

إن مما ينبغي على الداعية أن يتخلق به السخاء مع المدعوين والكرم والجود وأن تكون يده دائماً هي المعطية العليا، وليكن له في رسول الله ﷺ الأسوة الطيبة والتي حدثتنا عنه السيدة عائشة رضي الله عنها قائلة "ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا" فالدعوة الإسلامية تتطلب من أتباعها أن يصرفوا أنفس أوقاتهم، وأعز ما لديهم من جهد ووقت ومال في سبيل الله خدمة هذا الدين وخدمة أتباعه[3] إضافة إلى ما في السخاء من تأليف القلوب وإقبالها على الدعوة وذلك من الأساليب التي انتهجها الإسلام: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ((أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبيَّ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ . فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا. فَوَاللّهِ إِنَّ مُحَمَّداً لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ))[4].

فالسخاء من الصفات التي غرسها الإسلام في نفوس أتباعه، فضلاً عن أنه ينبغي أن يكون من أبرز صفات الدعاة إلى الله عز وجل، لأن في ذلك دليلاً على كرم الداعية وعزة نفسه عما في أيدي غيره، قال ابن القيم، والسخاء نوعان فأشرفهما سخاؤك عما بيد غيرك والثاني: سخاؤك ببذل ما في يدك، فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يعطيهم شيئاً لأنه سخا عما في أيديهم، وهذا معنى قول بعضهم: السخاء أن تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً[5].

---

(١) رواه البخاري ٦٤٤٤.

(٢) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبوبكر الجزائري ص ٤١٠.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار ص ٦١.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣١٢.

(٥) الوابل الصيب، ابن القيم ص ٥٣.

الحديث رقم (٥٤٧)

٥٤٧- وعن أَبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسول اللّه ﷺ: ((**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

خَلَفًا: عِوَضًا[2].

ممسكًا: بخيلاً[3].

الشرح الأدبي

أراد الرسول ﷺ أن يقوِّم خطر الشح، والأثرة، والفردية، ويرغب في الإنفاق، والبذل فاستخدم عدة أساليب بلاغية منها: البداية بأسلوب القصر بالنفي، والاستثناء الذي يستخدم في الأمر الذي ينكره المخاطب، أو يشك فيه ففي قوله: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان...) قصر إصباح العباد في كل يوم على نزول الملكين قصر موصوف على صفة يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك نزول هذين الملكين كل صباح يوم جديد للدعاء للمنفق بالخلف، والدعاء للمسك بالتلف، وهذا التأكيد يترك في نفس المخاطب إحساساً يخالج نفسه كلما أشرقت شمس يوم جديد بملك يدعو له بالخير إذا ما أنفق، أو يدعو عليه ملك آخر بالتلف إن أمسك فتسخو نفسه،

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٤٢، ومسلم ١٠١٠/٥٧ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٤١. وتقدم برقم ٢٩٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٣) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س ك).

وتطيب للصدقة، ويهش لها، ومنها: أسلوب النداء المحكى على لسان الملائكة، وهو من الأساليب البلاغية التي استخدمها الرسول ﷺ في تقويم خطأ الإمساك لتصوير حال تأييد الله للعبد المنفق بدعاء الملك له بالخير كل يوم، والدعاء بالتلف، والخسران للممسك وذلك في قوله ﷺ (اللهم أعط منفقاً خلفاً) وفي الدعاء (اللهم) خصوصية في الحديث النبوي، فالنداء بها نداء تفخيم، وتعظيم، "وأصل الأسلوب يا الله ! حذفت أداة النداء، وعوض عنها الميم في آخر لفظ الجلالة"، فهم ألحقوها في آخر هذا الاسم الذي يسأل الله – سبحانه – به في كل حاجة، وكل حال إيذاناً بجميع أسمائه، وصفاته، فالسائل إذا قال: اللهم إني أسألك، كأنه قال: أدعوا الله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، بأسمائه، وصفاته، فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم إيذاناً بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، والداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته كما في الاسم الأعظم[1]. وهذه الصيغة بتركيبها من أقرب صيغ الدعاء للإجابة، وأجدرها بالقبول لما اشتملت عليه من تفخيم، وتعظيم للمنادى يقابله شعور بالذلة، والانكسار من المنادي يرى فيها نفسه على حقيقتها حتى تتلاشي في هذه اللحظات حتى أنه لا يكاد يراها، وهذه الحالة من الدعاء لا يخطئها القبول خاصة إذا دعا بها ملك مقرب على علم يقيني بعظمة الله، وهو أشد خوفاً من سلطانه، وأكثر تفانياً في الدعاء، والطاعة[2]. لذا فإن هذه الحكاية لنداء الملك بهذه الصيغة تقع في نفس المخاطب موقعها من العناية، والاهتمام؛ لأنه يراها إن أمسك سهماً لا يخطئ يُصوَّب إليه عند مطلع شمس كل يوم، وهي في نفس اليوم يد الرحمة الحنون التي تقيه ريب المنون إذا ما ظل عطاؤه في سُبل الخير غير ممنون، والنداء في الجملة الدعائية الأولى (اللهم أعط منفقاً خلفاً) ترغيب في الإنفاق المطرد باطراد الأيام قدر المستطاع،

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٧٦/١.

(٢) انظر: مواقع اللهم في الحديث النبوي في (دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري) مخطوط بكلية اللغة العربية بأسيوط للباحث ناصر راضي الزهري ص ٣٠٤.

والجملة الدعائية الثانية (اللهم أعط ممسكاً تلفاً) ترهيب من الإمساك، ومنها: أسلوب الأمر المحكي في حديث الرسول ﷺ تصويرا، وحكاية في قوله على لسان الملك (أعط منفقاً خلفاً) أمر بمعنى الدعاء لصدوره من الأدنى إلى الأعلى بغرض الإشادة بالفعل، وتنويه بالفاعل، وترغيب للسامع، والأمر في الجملة المقابلة لها، وهي قوله: (أعط ممسكاً تلفاً) الغرض منه التوبيخ، والذم للفاعل، والترهيب من الفعل مع ما يعكسه دعاء الملك في الأولى للمنفق من رضا، وما يعكسه في الثانية من سخط "والتعبير بلفظ العطية في هذه الجملة من قبيل المشاكلة ؛لأن التلف ليس بعطية"، ومنها: المقابلة، وهي من الأساليب البلاغية التي استخدمها الرسول ﷺ لتوضيح المعنى، وتقريره إذ من المعلوم أن الضد يظهر حسنه الضد، ووضع الحسن بإزاء القبيح يبيّن قبح القبيح كما يؤكد حسن الحسن، وفي الحديث قابل الرسول ﷺ بين قوله: (اللهم أعط منفقاً خلفاً) وبين قوله: (اللهم أعط ممسكاً تلفاً) فقابل بين الإمساك، والإنفاق، وبين عاقبتهما بين الخلف، والتلف، وهذه المقابلة في إطار تقويم الخطأ تضع أمام المخاطبين نموذجين واضحين على طريقين مختلفين ليختار كل منهم مسلكه، ويتحمل عاقبته ليحيى من حي عن بينة، ويهلك من يهلك عن بينة[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء، د. ناصر راضي الزهري ص ٢٨٥.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٩٥).

الحديث رقم (٥٤٨)

٥٤٨- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((قَالَ الله تَعَالَى: أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول أبي هريرة رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ) ارتقاء من مستوى الكلام العادي إلى المستوى الكلام النبوي، وهي نقلة كبيرة في المعاني، والأساليب، وقول الرسول ﷺ: (قال الله تعالى) ارتقاء من مستوى الكلام البشري إلى مستوى الكلام الإلهي، وهي نقلة عظمى في المعاني؛ دون الأساليب؛ لأن لفظ الحديث القدسي من الرسول ﷺ، ومعناه من الله، وقول الله تعالى (أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ) الأمر حث وترغيب في الإنفاق ربطه بالإنفاق عليه مما يعطي السامع شعورا بأنه بما ينفقه على الفقراء إنما ينفق على نفسه على نطاق أوسع؛ لأن الله هو الذي سينفق عليه والأثر يرتبط بالمؤثر قوة، وضعفا، وبناء الفعل لما لم يسم فاعله يعطي النفس في تصوره فرصة تتخيل تعدد المنفقين عليها من كل وجه مما يجعلها أكثر رغبة في الإنفاق، وإتباع الأمر بالنداء (يا ابن آدم) فيه تعميم للحكم، وذكر آدم في النداء تذكير بالأصل الذي عصى فغوى، ولما تاب الله عليه، وكأنه ينادي بهم أن اعتبروا، وأطيعوني فيما أمرتكم به، ولا تستمعوا لتسبيط الشيطان، وهوى النفس، فتُأَخذوا بالحرص الذي أخذ به أبوكم حين حرص على الخلود فخالف الأمر، والتعبير بالجار والمجرور (عليك) يشير إلى استعلاء العطاء من الله، والإنفاق عليه، وإحاطته به لما استعلى على الأثرة، وعلى نفسه الحريصة، والجزاء من جنس العمل.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٣٥٢، ومسلم ٩٩٣/٣٦، والسياق للحميدي في جمعه ٢٢١/٣، رقم ٢٤٧٥. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٤٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في أوجه الخير.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في أوجه الخير:

لقد دعا الإسلام إلى الإنفاق وإلى البذل وحض على ذلك بأسلوب يستهوي الأفئدة، ويبعث في النفس الراحة والسكينة والأنس بعظيم فضل الله وكرمه[١]، حيث ورد في حديث الباب الحث على الإنفاق في وجوه الخير والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى، وذلك في قوله ﷺ "قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم ينفق عليك" وهو معنى قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[٢][٣].

قال ابن كثير: (أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب)[٤].

فعلى المنفق أن يعلم ... أن يد الله بالخير ملأى، لا يغيضها الإنفاق، قال ﷺ: "يمين الله ملأى لا يغيضها سحاء الليل والنهار[٥]، أرأيتم ما أنفق مُذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض أو الغيض، يرفع ويخفض"[٦]. وذلك لئلا يتوهم متوهم أن كثرة عطاء الله وإنعامه يؤثر، فيقصر به المنة على مقدار مبلغ سؤاله، ومعنى سحاء: دائمة الليل والنهار فلا تعقب عطاياه للفقراء أبدًا، بل عطاء جامع بين التتابع والموالاة الليل والنهار.

---

(١) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ١٢٨.

(٢) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٥٢٣..

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، ٧/٢٥٨.

(٦) أخرجه البخاري ٧٤١٩، ومسلم ٩٩٣.

فيا أهل الإنفاق، لا تظنوا أن ما أعطيتم كان من شيء يقبل النقص، فيمسك أحدكم عن إنفاقه، فإنه بقدر ما ينفق يُنفق عليه لا أن يوكئ، فيحيئذ يُوكئ عليه: لأنه جنس مسيل العطاء من باب خرجه فانحبس من باب دَخْله، ولو لم يمسكه ههنا لما أمسك عليه من هناك، وإنما أمسك عنه الفضل من حيث إنه منع الإنفاق، وأن الله سبحانه بحبه للإنفاق، يبعث الفضل إلى من ينفقه لا إلى من يمسكه"[١].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن حسن العاقبة وعظم الجزاء، مما يستميل النفس البشرية ويدفعها نحو اتقان العمل وحسن أدائه، وكان الترغيب من أهم الأساليب الدعوية في ذلك، حيث إثارة همم المدعوين نحو تحقيق عظم الأجر، وهذا ما ورد في نص الحديث من الترغيب في الإنفاق والوعد بالخير والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى، وذلك في قوله تعالى: "أنفق يا ابن آدم ينفق عليك".

---

(١) الإفصاح، ابن هبيرة، ٢٥٨/٦-٢٥٩.

الحديث رقم (٥٤٩)

٥٤٩- وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رَجُلاً سَأَلَ رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

الحديث يرغب في خصال من الخير تدعم الصلات الاجتماعية، وتشيع المحبة بين المسلمين وقد ورد المعنى في صورة خبرية سيقت مساق الخبر المعظم بتوكيده دون مقابلة بإنكار، أو معارضة، وقد بدأ بقول الراوي (أَنَّ رَجُلا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ)، وتنكير لفظ (رجل) للجهل به، أو لعدم تعلق فائدة بذكره، وسؤاله (أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ ؟) فيه إيجاز بالحذف أي: أيُّ أعمال الإسلام أكثر نفعاً، وقوله: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) فيه إيجاز بحذف ما دل عليه السؤال أي: أعظم الأعمال أن تطعم، والتعبير بالفعل (تطعم) دون المصدر، لأن فيه ترغيباً بالفعل المضارع الذي يستحضر الصورة، ويجسِّد الحدث المرغب فيه، وفي قوله (تطعم الطعام)جناس يأثر السمع ويؤكد المعنى، وقوله (وَتَقْرَأُ السَّلامَ) أي تلقي التحية المعروفة بصيغتها، وبين هذه الجملة، والتي سبقتها سجع طبعي أحدث جرساً يستوقف السمع فيقر المعنى في القلب، وقوله (عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) تتميم بلاغي أفاد عموم السلام، لأنه ينشر الألفة، والمحبة بين عامة المسلمين، وبين قوله (عرفت، لم تعرف) طباق سلب يؤكد عموم السلام وشموله.

---

(١) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩/٦٣ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٧٦.

فقه الحديث

إلقاء السلام: قال النووي: (معنى "تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" أي تسلم على كل من لقيته عرفته أم لم تعرفه، ولا نخصّ به من نعرفه كما يفعله كثيرون من الناس)[(١)].

وقال ابن حجر: (قوله "ومن لم تعرف" أي لا تخص به أحدًا تكبرًا أو تصنعًا، بل تعظيمًا لشعار الإسلام ومراعاة لأخوة المسلم، فإن قيل: اللفظ عام فيدخل الكافر والمنافق والفاسق، أجيب بأنه خص بأدلة أخرى أخرى أو أن النهي متأخر[(٢)]، وكان هذا عامًا لمصلحة التأليف، وأما من شك فيه، فالأصل البقاء على العموم حتى يثبت الخصوص)[(٣)].

ولا بأس هنا أن نذكر كلام النووي عن إلقاء السلام على من يظن أنه لا يرد.

قال النووي: (إذا مر على واحد أو أكثر، وغلب على ظنه أنه إذا سلم لا يرد عليه، إما لتكبر المرور عليه، وإما لإهماله المار أو السلام، وإما لغير ذلك، فينبغي أن يسلم ولا يتركه لهذا الظن، فإن السلام مأمور به، والذي أمر به المار أن يسلم، ولم يؤمر بأن يحصل الرد، مع أن الممرور عليه قد يخطئ الظن فيه ويرد.

وأما قول من لا تحقيق عنده: إن سلام المار سبب لحصول الإثم في حق الممرور عليه، فهو جهالة ظاهرة وغباوة بينة، فإن المأمورات الشرعية لا تسقط عن المأمور بها بمثل هذا الخيالات، ولو نظرنا إلى هذا الخيال الفاسد لتركنا إنكار المنكر على من فعله جاهلاً كونه منكرًا، وغلب على ظننا أنه لا ينزجر بقولنا، فإن إنكارنا عليه، وتعريفنا له قبحه يكون سببًا لإثمه إذا لم يقلع عنه، ولا شك في أنا لا نترك الإنكار

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠/٢/١.

(٢) من ذلك حديث أبي هريرة مرفوعًا: "لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه" أخرجه مسلم ٢١٦٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٣/١.

بمثل هذا، ونظائر هذا كثيرة معروفة.

ويستحب لمن سلم على إنسان وأسمعه سلامه وتوجبه عليه الرد بشروطه فلم يرد أن يحلله من ذلك فيقول: أبرأته من حقي في رد السلام، أو جعلته في حل منه، ونحو ذلك، ويلفظ بهذا، فإنه يسقط به حق هذا الآدمي.

ويستحب لمن سلم على إنسان فلم يرد عليه أن يقول له بعبارة لطيفة: رد السلام واجب، فينبغي لك أن ترد علي ليسقط عنك الفرض)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على معرفة أفضل الأعمال.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل إطعام الطعام وإفشاء السلام.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامساً: من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه من أمور دينه.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في سؤال الرجل للنبي ﷺ "أي الإسلام خير" وأجابه النبي ﷺ بقوله " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" وأسلوب السؤال والجواب من أنجح الأساليب الدعوية لما فيه من لفت الأنظار وشد للأذهان وإثارة للانتباه.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على معرفة أفضل الأعمال:

لقد اتسم الصحابة رضي الله عنهم بالحرص على معرفة ما يقربهم إلى الله تعالى من الأعمال الفاضلة ومن أمثلة ذلك ما ورد في سؤال الرجل للنبي ﷺ "أي الإسلام خير" فهذا مثل واضح لبيان ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من الحرص على معرفة الأفضل

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٩١ ط/ مكتبة الصفا.

طلباً للأكمل والأفضل والأرفع درجة عند الله تبارك وتعالى[١]. يحملهم على ذلك ما غرسه رسول ﷺ فيهم من التطلع دائماً والحرص على الأرفع والأشرف، ومما يدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها اللهُ للمجاهدينَ في سَبيلِ اللهِ ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة أُراهُ قال: وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ ومنهُ تَفَجَّر أنهارُ الجنة))[٢].

قال ابن الجوزي: (فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض، غير إنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن، والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل)[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل إطعام الطعام وإفشاء السلام:

إن صريح الحديث دال على أن إطعام الطعام وإفشاء السلام من أفضل الأعمال في الإسلام، حيث سأل الرجل النبي ﷺ بقوله أي الإسلام خير؟ فأجابه النبي ﷺ بقوله "تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" وذلك لما فيهما من استئلاف للقلوب واستجلاب لودها[٤]. كما أنهما من أسس الذوق والأدب في الإسلام في جانب المعاملة والحقوق بين الناس[٥].

فالإسلام الحقيقي هو الذي يهذب النفس ويملؤها بالخير والرحمة والحب والحنان.

(١) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في القصائد والفنون المتنوعة الفاخرة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ص ١٩٦.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٩٠.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٢٢٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٧.

(٥) انظر: الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الله الزحيلي ص ١٦٩.

فتحسن معاملة الناس وترحم ضعفهم وتجبر قصورهم ببذل ما تستطيع من خير مادي كالطعام وغيره أو معنوي كالسلام وبشاشة الوجه وحسن المعاملة، فالحديث فيه تربية المسلم على البذل والعطاء، واستخراج مكامن القوة في نفس المسلم والارتفاع بمستوى المسلمين[١].

رابعاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب ضمنياً في الحديث، وذلك في بيانه ﷺ أن إطعام الطعام وإفشاء السلام من أفضل الأعمال في الإسلام "أي الإسلام خير؟ قال تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" وأسلوب الترغيب من أنجح الأساليب الدعوية لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٢].

وبيان عطاء الله وفضله وما أعده لعباده المؤمنين من نعيم لا ينفد في جنات الخلد مما يجعل النفوس المؤمنة تتطلع لإدراك هذا الفضل ومن الأحاديث التي وردت في ذلك الشأن ما روي عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: ((شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مَجْلِساً وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ. حَتَّىٰ انْتَهَىٰ. ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: فِيهَا مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ثُمَّ اقْتَرَأَ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٣]))[٤].

خامساً - من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه من أمور دينه:

في الحديث أنموذج حي لما ينبغي أن يكون عليه المدعو من طلب للمعرفة وسؤال عما خفي عليه "أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟" فالسؤال فيه طلب لعلم مالا يعلمه الإنسان كما أن فيه تصورًا للمعاني وإدراكًا لحقائقها إن خفيت عليه،

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٣٥٢.

(٢) انظر مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦، ١٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٢٥.

وإن من أوجب الأمور على الإنسان أن يسأل عما خفي عليه من أمر دينه طالما أن باستطاعته معرفة الإجابة، ليتسنى له العمل بها، لأنه إن قصر في ذلك أو أهمل مع استطاعته فإنه لا يعذر بجهله لأنه تعالى أمر بسؤال أهل العلم فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

الحديث رقم (٥٥٠)

٥٥٠- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**أرْبَعُونَ خَصْلَةً: أعْلاهَا**[١] **مَنِيحَةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إلاَّ أدْخَلَهُ الله تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ**)) رواه البخاري[٢]. وقد سبق بيان هَذَا الحديث في باب بَيَانِ كَثْرَةِ طُرُقِ الخَيْرِ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

بداية الرسول ﷺ بذكر العدد تشويق لما بعده لأن المخاطب ينتظر ما يسفر عنه، وإضافته لخصلة خصصته، ولم تزل إبهامه، وفي الكلام إيجاز بالحذف يشحذ العقل، ويدمجه في عمق المعاني ليصل إلى من خلال السياق لأصل الكلام وتقديره بين اعتبار قوله (أربعون) خبرا يقدر له مبتدأ (هذه أربعون) أو مبتدأ يقدر له خبرا (أربعون خصلة أذكرها) ولكل تقدير أثره، ومذاقه في العبارة، وذكر العدد أربعون يقرر كثرة طرق الخير مع سهولتها الذي دلَّ عليه قوله (أعلاها منيحة العنز) والتعبير بأفعل التفضيل، وإضافتها إلى الضمير العائد على الأربعون يزيد التشويق إلى معرفتها لاسيما قمتها، والتعبير بالمنيحة وهي الشيء الممنوح المعطى، وإضافته للعنز يشير إلى بساطة هذه الخصال، وقدرة الجميع عليها حتي يشارك الفقراء في هذه الخصال التي تفتح لهم آفاق الخير لتكون لهم يدا عليا في العطاء تدفعهم للمزيد، وقوله (مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إلاَّ أدْخَلَهُ الله تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ) الأسلوب قصر للعامل بخصلة منها بالشرط المذكور على دخول الجنة، وهو توكيد يدفع وهم المبالغة لأنها خصال يراها الناس بسيطة لكنها في أثرها عظيمة شريطة النية في تحصيل

---

(١) لفظ البخاري: (أعلاهنَّ) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٣/ ٤٤٠ رقم ٢٩٤٧.

(٢) برقم ٢٦٣١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٩٩. وتقدم برقم ١٣٨.

الثواب والإخلاص لله، وهو باب خير في العطاء، والإنفاق يفتحه الرسول ﷺ لاسيما للفقراء الذي لا يملكون الكثير، وتنكير (عامل) للتعميم، ومن لاستغراق الجنس، وبين عامل، ويعمل جناس يؤكد معنى الجدية في إتيان هذه الخصال، والتعبير بالإدخال في الماضي، ونسبته لله تحقيق للدخول يطمئن النفس المتعلقة بالجنة، والجار والمجرور (بها) معناه بسببها مما يقرر عظمة الجزاء المترتب عليها مع بساطتها.

فقه الحديث

قال النووي: (تستحب المنيحة، وهي أن تكون له ناقة أو بقرة ذات لبن فيدفعها إلى من يشرب لبنها ثم يردها إليه، لحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا: (أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ...) الحديث[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (الهبة: تمليك العين بلا عوض، والعارية: تمليك المنفعة بلا عوض، والمنيحة: الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلاً ليشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع اللبن)[٢].

المضامين الدعوية[٣]

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٥٦/٦، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٤/٧/٤، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٣/٥ وما بعدها.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩/٢٣.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٨).

الحديث رقم (٥٥١)

٥٥١- وعن أَبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عَجْلانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **((يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ أن تَبْذُلَ الفَضلَ خَيْرٌ لَكَ، وأن تُمْسِكَه شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى))** رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو أمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٤).

غريب الألفاظ:

اليد العليا: المتَعَفِّفةُ، وقيل: المعطية[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بالنداء العام لكل بني آدم قال الطيبي (والخطاب العام: وهو ما يخاطب به غير معين للإيذان بأن الأمر لعظمه، وفخامته، حقيق بألا يختص بأحد دون أحد)[٣] وبين يبذل، وتمسك طباق يقرر معنى أفضلية الإنفاق، وضرر الإمساك، والجار، والمجرور (لك) يقرر تعلق نتيجة الفعل بصاحبها في الحالتين، وقوله (ولاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ)، ومعناه: إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه وان أمسكته فهو شر لك؛ لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه، وفوت مصلحة نفسه في آخرته وهذا كله شر، ومعنى لا تلام على كفاف أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه، وقوله (ابدأ بمن تعول) أمر بمعنى التوجيه، والإرشاد ومعناه أن العيال، والقرابة أحق من الأجانب في البداية بالإنفاق.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) برقم ٩٧/١٠٣٦. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٤٣. وتقدم برقم ٥٠٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ل و).

(٣) التباين في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي ص ٢٩٢.

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٠٩).

الحديث رقم (٥٥٢)

٥٥٢- وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ عَلَى الإسْلاَمِ شَيْئاً إلاَّ أعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءهُ رَجُلٌ، فَأعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أسْلِمُوا فإنَّ مُحَمَّداً يُعطِي عَطَاءَ مَن[1] لا يَخْشَى الفَقْر[2]، [3].

وَإنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إلاَّ الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إلاَّ يَسِيراً حَتَّى يَكُونَ الإسْلاَمُ أحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا. رواه مسلم[4].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

المعنى الذي يدور حوله الحديث هو العطاء ممثلا في النموذج الأعلى في شخص النبي ﷺ، وفي إحدى المواقف الكثيرة التي تدلل على عظمة كرمه، والراوي صاغ المعنى في أسلوب القصر بالنفي، والاستثناء لقصر معنى سؤال الرسول ﷺ على العطاء دون المنع، وكلمة (شيئا) نكرة تفيد العموم فتشمل الإجابة ما قل، وما كثر، وقوله (أعطاه غنما بين جبلين) كناية عن كثرة الأغنام التي فاقت العد فحصرها بين الجبلين، وتنكير (غنما) للتعظيم، وقول الرجل (يَا قَوْمِ) النداء العام لقومه يعكس إحساسه بعظمة العطاء، ويعلن أهمية ما ناداهم من أجله وقوله: (أسْلِمُوا فإنَّ مُحَمَّداً

---

(١) (من) لا توجد عند مسلم.

(٢) لفظ مسلم: (الفاقه) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٦٣٦/٢، رقم ٢٠٩٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣١٢/٥٧.

(٤) هذا القول لأنس، أخرجه مسلم عقب الحديث رقم ٢٣١٢/٥٨.

تنبيه: فرَّق مسلم في روايته بين هذين اللفظين لهذا الحديث، فاللفظ الأول، رواه مسلم عن حديث موسى بن أنس. واللفظ الثاني: رواه عن حمَّاد بن سلمة، عن ثابت، وكذا فرَّقه الحميدي في جمعه ٢٠٩٧/٢، رقم ٢٠٩٧، وجمع بينهما المؤلف، مما يوحي أن اللفظ الأخير يكون مرفوعًا، وليس كذلك بل هو موقوف عن أنس، كما بيَّناه.

يعطي عطاءَ من لا يَخْشَى الفَقْر) الأمر للترغيب في الإسلام الذي يفتح لهم باب الخير وقول الراوي (وَإنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إلاَّ الدُّنْيَا) يحصر سبب الإسلام بداية في الدنيا. لا رغبة في الإسلام، مما يشير إلى أهمية تأليف القلوب على الإسلام، وقوله (فَمَا يَلْبَثُ إلاَّ يَسِيراً حَتَّى يَكُونَ الإسْلاَمُ أحَبَّ إلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) يشير إلى سرعة التحول إلى الرغبة في الإسلام، ورسوخ الإيمان بعد أن كان الغرض دنيويا صرفا، وهو ما يدل على أن الإسلام هو الموافق للفطرة إذا ما أشربت النفس تعاليمه، وقرَّ الإيمان في القلوب صار أغلى قيمة في حياة الفرد يبذل دونها ماله، وروحه.

فقه الحديث

قال النووي: (لا خلاف في إعطاء مؤلفة المسلمين، لكن هل يعطون من الزكاة؟ فيه خلاف. الأصح عندنا أنهم من يعطون الزكاة ومن بيت المال، والثاني: لا يعطون من الزكاة بل من بيت المال خاصة، وأما مؤلفة الكفار فلا يعطون من الزكاة، وفي إعطائهم من غيرها خلاف، الأصح عندنا لا يعطون، لأن الله تعالى قد أعز الإسلام عن التألف بخلاف أول الأمر ووقت قلة المسلمين)[1].

وقال ابن قدامة: (والمؤلفة قلوبهم ضربان: كفار ومسلمون وهم جميعًا السادة المطاعون في قومهم وعشائرهم، فالكفار ضربان: أحدهما من يرجى إسلامه، فيعطى [من الزكاة] لتقوى نيته في الإسلام وتميل نفسه إليه فيسلم... والضرب الثاني: من يخشى شره ويرجى بعطيته كف شره وكف غيره معه)[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩/١٥/٨ ط/ دار الكتب العلمية.

(٢) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣١٧/٩، وانظر اختلاف الفقهاء في ذلك في: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ١٤/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٤٩٥/١، والقليوبي على شرح المنهاج ١٩٦/٣-١٩٨، والروضة ٣١٤/٢، والأحكام السلطانية ١٢٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣١٦/٩-٣١٨ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١٩/٢٣-٣٢٠).

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: التفاعل مع المدعو ومساعدته.

ثانياً: من صفات الداعية: السخاء والجود والكرم.

ثالثاً: من وسائل الدعوة: المال.

رابعاً: من أصناف المدعوين: المشركون.

أولاً- من مهام الداعية: التفاعل مع المدعو ومساعدته:

إن من المهام الأساسية التي ينبغي أن يضطلع بها الداعية، التفاعل مع المدعوين ومساعدتهم لما لذلك من أثر بالغ في إيصال الدعوة للمدعوين واستجابتهم لها، لقد حكى لنا أنس بن مالك ﵁ جانباً مما كان عليه رسول الله ﷺ من الكرم والجود الذي كان عليه ﷺ حيث قال: "ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ..." فالداعية لا يعيش لنفسه[١]، فلا بد وأن يكون كريماً جواداً مع نفسه ومع إخوانه من المدعوين.

ثانياً- من صفات الداعية: السخاء والجود والكرم:

إنه يجب على الداعية أن يطابق عمله قوله وأن يتحلى بمكارم الأخلاق بحيث يرى الإسلام في سلوكه شكلاً ومضموناً، أقوالاً وأفعالاً"[٢].

وقد أعطانا رسول الله ﷺ في هذا الحديث مثالاً أعلى لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من كرم وسخاء "ماسئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ..." فكان ﷺ أجود الناس جميعاً، وكان الخير يتدفق من بين يديه وفيراً يسابق الريح المرسلة فيما تأتي به من سحب تهطل منها الأمطار مدراراً، فيعم الري والخصب البلاد والعباد[٣].

---

(١) الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ١٥٤.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، النظرية والتطبيق، د. طلعت محمد عفيفي ص ١٠٦

(٣) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عتر ص ١٠٦.

فإن للسخاء أثرًا في ائتلاف القلوب وتأكيد رابطة الإخاء، ذلك أنه يبذر محبة المحسنين في قلوب ذوي الحاجات ثم إن من وجوه السخاء صرف المال في نحو ضيافة أو هدية ولو لغير ذي حاجة، وهذا مما يذهب الجفوة، ويجعل القلب من القلب قريباً[(١)].

وليكن شعار الداعي الكرم في كل شيء لأن هذه الصفة إلهية إضافة إلى أنها نبوية، والله عز وجل عم الجميع بعطائه وتفضل على الأغنياء بأن رزقهم من رزقه وأعان وحبب إلى من شاء منهم لصرفه فيما يرضيه، فهو سبحانه الكريم الذي أعان على الأعمال الصالحة وأثابهم عليها[(٢)].

ومن المعروف أن للكرم آثارًا هائلة في بناء المجتمع، وترابط أفراده، وهي آثار لا تعود على فرد بل تخص الجماعة، وتسهم في ربط المجتمع الإنساني ربطًا وثيقًا لا انفصام فيه، فالكرم قيمة تجمع ولا تفرّق، وتقرّب بين البشر ولا تبعد، وتحبب ولا تنفر، وتصل من غير فصل، وتتودد في غير نفور، وتعمل على لم الشعث، ورأب الصدع، في دعوة إلى التسامح والمحبة، وإلى التراحم والتواصل[(٣)].

ثالثاً- من وسائل الدعوة: المال:

إن من وسائل الدعوة التي لا يستهان بها المال، فهو وسيلة لتأليف القلوب لمن لم يدخل الإيمان وتثبيتٌ لمن يخاف على إيمانه واستجلاباً للمحبة والمودة، وتظهر أهمية المال كوسيلة دعوية من خلال الحديث: "وما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ...". وقد يقول قائل "إن الاستجابة في الدعوة بالمال تكون للمال، وليست لما يدعى إليه، فما فائدة هذه الدعوة ؟ فنقرأ في الحديث ما قاله أنس لمعرفة الإجابة على هذا السؤال[(٤)].

---

(١) الهمة العالية، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٣٢٠.

(٢) موسوعة فقه القلوب ١/ ٢٢٧.

(٣) موسوعة القيم والأخلاق ٦/٤٧.

(٤) ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل الهي ص ٢٢٧

"وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها" . قال النووي: والمراد : أنه يظهر الإسلام أولاً للدنيا لا بقصد صحيح بقلبه ثم من بركة النبي ﷺ ونور الإسلام لم يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح صدره بحقيقة الإيمان ويتمكن من قلبه فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها[1].

إن المال يعمل على تأليف القلوب، ولذا ينبغي أن يستفاد منه في الدعوة إلى الله تعالى، فيعطي المال لكافر يُرجى إسلامه، ولمسلم يُرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره[2]، بل أن الإسلام ليجعل تأليف القلوب مصرفاً من مصارف الزكاة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3].

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في تأليف القلوب بالمال، ولا سيما مع هؤلاء القوم الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام، ولا شك أن ذلك، أسلوبًا عظيمًا من أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

والأمثلة التي وردت عن رسول الله ﷺ على ذلك كثيرة، منها ما روي عن سعيد بن المسيب أن صفوان قال: ((وَاللّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللّهِ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ. فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ))[4]، فما أعظم التحول الذي أوجده الله تعالى بسبب الإعطاء في قلب صفوان رضي الله عنه ومما لا شك فيه أن الداعي الذي يُعطى إذا صار أحب الناس إلى المدعو فإن كلامه يُسمع وأمره ينفذ ونهيه يحترم[5].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/١٦٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣١٣.

(٥) ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ٢٣٦.

أ- القيام بالتنصير الصريح من خلال قيام مؤسسات تنصيرية ترعى الحملات التنصيرية وتمكن لها وتمدها بما تحتاجه من الموارد المالية والبشرية، وتتلقى الدعم المادي والمعنوي من الحكومات الغربية ومن المؤسسات والأفراد عن طريق المخصصات والتبرعات والهبات والأوقاف[١].

ب- التطبيب، فإن بعثات التطبيب التي يبدو من ظاهرها الإسهام في مجالات الإغاثة الطبية والصحية تعمل على خدمة النصرانية والتنصير من خلال إنشاء المستشفيات والمستوصفات والعيادات المتنقلة وتعمد إلى تشغيل فتيان المجتمع ممرضات ومشرفات اجتماعيات يتمشين مع سياسة هذه المؤسسات الطبية[٢].

ج- الإغاثة، فإن بعثات الإغاثة، حيث يَهبُّ الجميع رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً يجلبون معهم المؤن والملابس والخيام وغير ذلك ويقدمونها على أنها نعمة من عيسى بن مريم عليه السلام سواء أكان هذا الإيحاء واضحاً بالرموز والشعارات، أم بطريقة خفية يصلون إليها بحذر خشية الابتعاد عنهم أو التحريض عليهم من قِبل المتنبهين[٣].

لقد أفاد غير المسلمين من النصارى من توظيف المال في مجالات مختلفة -كالتعليم والطب والتمريض والإغاثة- لأجل الدعوة إلى دينهم ولذا فمن الواجب على المؤسسات والمنظمات الإسلامية والدعاة إلى الله وكافة العاملين في حقل الدعوة أن يفيدوا من توظيف المال في الدعوة إلى الله تعالى، خاصة وأن قطاعات كبيرة من غير المسلمين من الوثنيين في عدد من البلاد الأفريقية والآسيوية يعانون الفقر والجهل والمرض، مما يستوجب الإفادة من المال لعلاج مشكلات هذه الشرائح المختلفة، وتأليف قلوبهم وترغيبهم بالوسائل والأساليب المناسبة للدخول في الإسلام، هذا بالإضافة إلى توظيف المال في علاج مشكلات الأقليات المسلمة في أفريقيا وفي أوروبا وفي آسيا"[٤].

---

(١) الغارة على العالم الإسلام، أ. ل. شاتليه، لخصها ونقلها إلى العربية: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت، بدون تاريخ ص ١٢ - ١٣.

(٢) التبشير في منطقة الخليج العربي، دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي، عبدالمالك التميمي ص ٤٣ - ٤٤.

(٣) التنصير في المراجع العربية، علي بن إبراهيم النملة ص ٨١.

(٤) انظر بتوسع: موقف الدعوة الإسلامية من قضايا الأقليات الإسلامية في أفريقيا، د. محي الدين عفيفي أحمد ص ٣٩٠.

- الأقليات المسلمة في أوروبا "الواقع - التحديات - الحلول" د. محي الدين عفيفي أحمد ص ٣٧٩.

رابعاً- من أصناف المدعوين: المشركون:

ورد هذاالصنف في الحديث: (ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ...، وإن كان الرجل ليسلم -أى يدخل في الإسلام وينتظم في عداد المسلمين، ما يريد إلا الدنيا - لما يرى من مزيد بذله ﷺ تأليفاً على الإسلام وترغيباً فيه وذلك من كمال رحمته ﷺ ومزيد معرفته أن دواء كل داء بما يقطع مادته من أصلها لتقلب تلك الأمراض إلى ضدها(١).

فالمشركون من أصناف المدعوين الذين ينبغي أن تكثف الجهود لتعريفهم بالإسلام وهدايتهم إليه وذلك ما تقتضيه عموم دعوة الرسول ﷺ، فقد قام النبي ﷺ يدعو الناس، فقد دعا المشركين واليهود والنصارى والأطفال والمرضى والمنكوبين والتجار وأصحاب الصفة والأعراب وغيرهم(٢)، وذلك استجابة لقول الله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾(٣).

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٩.

(٢) ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ١٢٢.

(٣) سورة الحجر، آية: ٩٤.

الحديث رقم (٥٥٣)

٥٥٣- وعن عمر ﷺ، قَالَ: قسم رسول الله ﷺ قَسْماً، فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، لَغَيْرُ هؤلاءِ كَانُوا أحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: ((**إنَّهُمْ خَيَّرُونِي أنْ يَسألُونِي بالفُحْشِ، أوْ يُبَخِّلُونِي. وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

الفُحش: التعدي في القول والجواب، وقد يكون بمعنى الزيادة والكثرة[2].

الشرح الأدبي

قول الراوي (قسم... قسما) فيه جناس يؤكد المعنى الذي فتح باب الحوار وأثار المسألة، واستفهام عمر ﷺ (لَغَيْرُ هؤلاءِ كَانُوا أحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ ؟) استفهام تعجب من إعطاء هؤلاء، وترك من هو أولى في نظر عمر ﷺ وتقديم الجار والمجرور (لغير) يشير إلى أنهم أولى باختصاصهم بالعطاء ممن أعطوا لذلك أكده بأفعل التفضيل (أحق) قوله (إنَّهُمْ خَيَّرُونِي أنْ يَسألُونِي بالفُحْشِ، أوْ يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ) كناية عن كثرة إلحاحهم وكثرة سؤالهم، و معناه أنهم ألحوا في المسألة لضعف إيمانهم، وألجأوني بمقتضى حالهم إلى السؤال بالفحش، أو نسبتي إلى البخل ولست بباخل، ولا ينبغي احتمال واحد من الأمرين ففيه مداراة أهل الجهالة، والقسوة، وتألفهم إذا كان فيهم مصلحة، وجواز دفع المال إليهم لهذه المصلحة، وقوله (يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ) فيه جناس يقرر المعنى، ويشير إلى عاقبة سؤالهم، ومعرفة الرسول ﷺ بكيفية علاج النفوس، وموازنة المصالح بما يحقق خدمة الإسلام، والتعبير عن فعلهم بالمضارع المفيد

---

(١) برقم ١٢٧/١٠٥٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ح ش).

للتجدد، والاستمرار يشير إلى تكرار سؤالهم وإلحاحهم في المسألة التي تعجز الكريم عن الوفاء بها إلا بعد تكلف، وعناء، وتعبير الرسول باسم الفاعل المنفي (بباخل) يشير إلى كرمه الدائم، وعدم ردهم مع كثرة سؤالهم.

فقه الحديث

قال النووي: (في الحديث [جواز] مدارة أهل الجهالة والقسوة وتألفهم إذا كان فيهم مصلحة وجواز دفع المال إليهم لهذه المصلحة)(١).

المضامين الدعوية

ثانياً: من موضوعات الدعوة: سؤال عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان الكرم الحسي والمعنوي للنبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد ذلك في إخبار عمر رضي الله عنه عن قسم النبي ﷺ لقَسْم ما "قسم رسول الله ﷺ قسماً"، وفي إخبار النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم بالدافع الذي حمله على إعطاء قوم رأى الصحابة رضي الله عنهم أن هناك من هم أحق بهذا القسم منهم "إنهم خيَّروني أن يسألوني بالفحش فأعطيهم، أو يُبَخِّلوني ولست بباخل" والإخبار من الأساليب الدعوية الهامة لما فيه من نقل الحقائق وإزالة اللبس وإقناع المدعو وإقباله على الدعوة واستجابته لها.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: سؤال عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ:

جاء سؤال عمر للنبي ﷺ ضمنياً في الحديث "عن عمر رضي الله عنه قال: قسم رسول الله ﷺ قسماً فقلت يارسول الله لغير هؤلاء كانوا أحق به منهم" وعمر رضي الله عنه بهذا يعطينا أنموذجاً حياً لما ينبغي أن يكون عليه المدعو من السؤال وحب العلم والمعرفة والفهم لما أشكل عليه، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢). قال ابن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١/٧/٤ ط/ دار الكتب العلمية، وانظر: الفروق للقرافي ٣٤٨/٤-٣٤٩، الفرق ٢٦٤.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

الحاج: (المقصود بأهل الذكر في الآية: العلماء فهم يسألون عن النوازل وبفتواهم يعبد الله ويطاع ويمتثل أمره ويجتنب نهيه)[١].

قال الماوردي: وليس كثرة السؤال فيما التبس إعناتاً، ولو امتنع المسؤول عن الإجابة لكان هذا منكر بين. ولا قبول ما صح في النفس تقليداً، وأنشد المبرد عن أبي سليمان الغنوي:

فسل الفقيه تكن فقيهاً مثله ... لا خير في علم بغير تدبر

وإذا تعسرت الأمور فأرجها ... وعليك بالأمر الذي لم يَعْسُرِ[٢]

ثالثاً- من آداب المدعو: عدم الإلحاح في السؤال والتأدب واحترام أهل الفضل:

إنَّ من جميل الآداب وأحسن الأخلاق: التأدب مع أهل الفضل واحترامهم، وعدم ايذائهم بأي صورة كالإلحاح في السؤال وما شاكله، وقد عاب النبي ﷺ في الحديث على أولئك الذين ألحوا عليه في السؤال، فقال "لأنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش فأعطيهم أو يبخلوني" أي ألحوا علي في السؤال لضعف إيمانهم وألجأوني بمقتضى حالهم إلى السؤال بالفحش أو نسبتي إلى البخل[٣]. قال ابن عبدالبر في الاستذكار: (إن العالم إذا سئل عما لا يريد الجواب فيه إن سكت ولم يجب بنعم ولا بلا فيجب السكوت، كما أن فيه من الأدب أن على المتعلم ترك الإلحاح إذا سكت العالم عن الجواب كما أن فيه الندم على إيذاء العالم والإلحاح عليه خوفًا من غضبه وحرمان فائدته في المستقبل)[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان الكرم الحسي والمعنوي للنبي ﷺ:

لقد كان النبي ﷺ أجود الناس جميعهم وأكرمهم، أمضى عمره ينفق كل ما تصل إليه يداه من المال لا يدخر منه شيئاً خشية إملاق، بل يعطي عطاء من لا يخشى

---

(١) المدخل لمحمد بن محمد العبدري، الحاج ص ٩٨.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٧٩، ٧٨

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٩

(٤) الاستذكار ٢/٤٩٦.

فقراً[١]، وفي الحديث صورة من صور كرمه ﷺ بجانبيه الحسي والمعنوي، "إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش فأعطيتهم، أو يبخلوني ولست بباخل" فمن حيث الجانب المادي فقد أعطاهم النبي ﷺ ومن الناحية المعنوية أنه ﷺ تغاضى عن سوء خلقهم وعدم تأدبهم معه لما كان عليه ﷺ من عظيم الخلق والصبر والحلم والإعراض عن الجاهلين[٢].

كما أمره الحق تبارك وتعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٣].

فلقد منح رسول الله ﷺ من الكرم والجود ما لا يدانيه فيه غيره ولا يناوئه فيه أحد (فلقد جاد رسول الله ﷺ بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي على آصُعٍ من شعير لطعام أهله. وقد ملك جزيرة العرب، وكان فيها ملوك وأقيال لهم خزائن وأموال يقتنونها ذخراً ويتباهون بها فخراً ويستمتعون بها أشراً وبطراً، وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى ديناراً ولا درهماً، لا يأكل إلا الخشن ولا يلبس إلا الخشن، ويعطي الجزل الخطير ويصل الجم الغفير ويتجرع مرارة الإقلال، ويصبر على سغب الاختلال، وكان يقول أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن ترك ديناً أو ضياعاً فعليَّ ومن ترك مالاً فلورثته، فهل مِثْل هذا الكرم والجود كرم وجود؟ أم هل لمثل هذا الإعراض والزَّهَادة إعراض وزُهد؟ هيهات)[٤].

(١) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عنز ص ١٠٦

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٩

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١/ ٤٤٦.

الحديث رقم (٥٥٤)

٥٥٤- وعن جبير بن مطعم ﵁ ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْن، فَعَلِقَهُ الأعْرَابُ[١] يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَة، فَخَطِفَت رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبيُّ ﷺ ، فقال: ((**أعْطُوني رِدَائي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَماً، لَقَسَمْتُهُ بَينَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذَّاباً[٢] وَلاَ جَبَاناً**)) رواه البخاريُّ[٣].

ترجمة الراوي:

جبير بن مطعم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٤٤).

غريب الألفاظ:

مقفلةُ: حال قفوله: رُجُوعه[٤].

حنين: واد بين الطائف ومكة المكرمة[٥].

فعلقه، أي تعلقوا به[٦].

سمرة: شجرة[٧].

العضاه: شجرٌ له شوك[٨].

نعماً: هي الإبل والشاة، وقيل الإبل خاصة. وقيل: السوائم من الإبل والبقر والغنم[٩].

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية رقم ٢٨٢١: (الناس)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه، وكذا البخاري برقم ٣١٤٨.

(٢) لفظ البخاري في الروايتين: (كذوبًا) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٣) برقم ٢٨٢١، والسياق للحميدي في جمعه ٣/٢٦٨، رقم ٢٨٥٥.

(٤) رياض الصالحين ٢٥٤.

(٥) أطلس الحديث النبوي ١٥٦.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ل ق).

(٧) رياض الصالحين ٢٥٤.

(٨) المرجع السابق ٢٥٤.

(٩) معجم لغة الفتهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٥٢.

الشرح الأدبي

تصدر الظرف (بين) المضاف لـ(ما) يوحي بالمفاجأة، وتوسط الضمير(هو) بينه وبين الفعل يفيد تخصيصه، وهو ما يعطي المعنى تحقيقا لأنه يحكي عن نفسه ثم إن رصده للأحداث يكون أكثر دقة، وينقل الحدث بما خالجه من شعور اعتراه عند وقوعه وقوله (مقفله من حنين) وهو المرجع من الغزوة المعروفة، والحديث يشير إلى شرف القصد لأنهم في سبيل الله وقوله (فَعَلِقَهُ الأعْرَابُ يَسْألُونَهُ) كناية عن تكاثرهم حوله يطلبون منهم حاجتهم، والأعراب هم أهل البادية وقوله (حتى اضطروه) لبيان الغاية التي وصلوا إليها في تكاثرهم عليه والتعبير بالاضطرار يشير إلى التضييق والتشديد وقوله (إلَى سَمُرَة، فَخَطِفَت رِدَاءهُ) يدل على ذلك، والسمرة نوع من الشجر له شوك علق به رداؤه ونسبة الخطف للسمرة مجاز بنسبة الفعل لسببه مبالغة في تمكن الأخذ كما أن التعبير بالخطف يوحي بالسرعة في الأخذ، وقوله (فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَماً، لَقَسَمْتُهُ بَينَكُمْ) الفاء عاطفة، ولو للشرط وتقدي الجار، والمجرور (لي) يفيد التخصيص أي لي خاصة، وهو ما يؤكد الخصوصية، وعدم التحكم في أموال الناس، والعضاه شجر منتشر عندهم والتمثيل به للتكثير بيانا لرغبته في إعطائهم ما يتمنون وهو ما يؤكده جواب الشرط (لَقَسَمْتُهُ بَينَكُمْ) وقد زاده تأكيدا بذكر جملة الصفات المنفية التي يبغضها العربي لاسيما مؤمن لاسيما نبي (ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذّاباً وَلاَ جَبَاناً).

فقه الحديث

١- جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة: قال ابن حجر: (فيه جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة كخوف ظن أهل الجهل به خلاف ذلك، ولا يكون ذلك من الفخر المذموم)[1].

٢- رضا السائل بالوعد: قال ابن حجر: (فيه رضا السائل للحق بالوعد إذا تحقق

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٥٤.

عن الواعد التنجيز)[١].

٣- التخيير في قسمة الغنائم: قال ابن حجر: (فيه أن الإمام مخير في قسمة الغنيمة إن شاء بعد فراغ الحرب وإن شاء بعد ذلك)[٢] وقال ابن حجر كذلك: (وقال الجمهور [جمهور الفقهاء] هو راجع إلى نظر الإمام واجتهاده)[٣].

المضامين الدعوية

ثانياً: من صفات النبي ﷺ: الحلم والكرم والجود.

أولاً- من آداب المدعو: التأدب واحترام أهل الفضل:

إن خلق الإنسان في التعامل مع الناس يأتي تبعاً لخلقه في تعامله مع الله، فإن المتأدب مع ربه لا يسعه إلا التأدب مع خلقه[٤]، وفي الحديث صورة من صور سوء الأدب التي ينبغي الاحتراز عنها مع أولي الفضل خاصة رسول الله ﷺ "فعلق الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه" أي طفقوا يسألونه حتى ألجئوه إلى شجرة من شجر البادية ذات شوك فخطفت ردائه لذا ينبغي للمسلم أن يتأدب في التعامل مع سنة رسول الله ﷺ ويعمل على تطبيقها، وأن يتأدب مع أهل العلم والفضل[٥].

ثانياً- من صفات النبي ﷺ: الحلم والكرم والجود:

إن الأخلاق فضائل نفسية لا تعرف حقيقتها ومستوياتها إلا إذا شقت طريقها إلى الواقع العملي، فشوهدت ماثلة للعيان على بساط الطبيعة والعلاقات الاجتماعية ولقد مثّل النبي ﷺ بأخلاقه أمام البشرية مثولاً وصل إلى درجة الكمال[٦]، وفي الحديث

---

(١) المرجع السابق ٦/٢٥٤.

(٢) المرجع السابق ٦/٢٥٤. وفي المسألة خلاف انظره في الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١/٢٠٦ ومراجعها.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١٨١-١٨٢.

(٤) الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ٨٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦/٤٢، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٢٠.

(٦) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء عنز، ص١٠٢،١٠٣

صورة حية لما اتصف به النبي ﷺ من الحلم وسعة الصدر والكرم والجود وغير ذلك، تحمل إيذاء الأعراب له، وبين لهم مع ذلك أنه يعطي ما يستطاع إلى ذلك سبيلاً "فعلق الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبي ﷺ فقال أعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذابا ولا جباناً". وما يدل على الكرم والجود أن النبي ﷺ ((كان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة))(١).

ويكفي بيانًا لمنزلة الكرم أنه لا يوصف به إلا كل من سما قدره وشرفت منزلته وعلت همته وربت قيمته ومنه جاء التكريم والإكرام(٢).

والذي يدل على الحلم وسعة الصدر قوله ﷺ: ((تحلم عمن جهل عليك))(٣) فالحلم سكون النفس عن دواعي الغضب وأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك(٤).

ثالثاً- من آداب الداعية: التعامل بالحلم والصفح والكرم مع الناس:

إن الداعية في دعوته يواجه صنوفاً شتى من الناس، وأخلاقاً متنوعة من فئات المجتمع، ولكي ينجح الداعية في التعامل مع شتى الطبقات وتحت كافة الظروف فلابد أن يتحلى بالرفق ولين الجانب والحلم والصفح والكرم وغير ذلك من كريم الأخلاق(٥)، وفي الحديث أعطانا النبي ﷺ صورة ومثالاً حياً للدعاة يُحْتذى به، فَصبَر وحلم على إيذاء الأعراب له، وبين أنه لن يبخل عليهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا "فعلق الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت ردائه فوقف النبي ﷺ فقال أعطوني ردائي..." قال ابن حجر: (وفيه ما كان في النبي ﷺ من الحلم وحسن الخلق

---

(١) أخرجه البخاري ١٨٠٣، ومسلم ٥٠.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ٢٢/٤٧.

(٣) أخرجه النسائي ٢٢٣٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٠٤، ٢١٠٥).

(٤) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ٤٠/٢٤، ٤١.

(٥) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٨٥

وسعة الجود والصبر على جفاة الأعراب)[١]. ففي الحديث ذم للخصال المنفعية من البخل وغيره، وأن إمام المسلمين يجب أن يتجرد عنها، وما كان عليه الرسول ﷺ من الحلم وسعة الصدر، والصبر على جفاة الأعراب[٢] وذلك عملاً بمقتضى قول الله عز وجل: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٣].

قال القرطبي: قال جعفر الصادق في تفسير الآية: أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية، ولله در القائل:

كل الأمور تزول عنك وتنقضي إلا الثناء فإنه لك باقي
ولو أنني خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الأخلاق[٤]

رابعاً- من صفات الداعية: تحمل الأذى:

إن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج من أصحابها إلى البذل والتضحية، والصبر على ملاقاة المكاره في سبيلها وتحمل الأذى والتجمل بطول البال حتى تؤتي الدعوة ثمرتها وتحقق رسالتها[٥]، وليكن للداعية في رسول الله ﷺ الأسوة الطيبة والقدوة الحسنة في تحمل الأذى حتى من حمقى الناس وجهلائهم، كما هو مَرْئِيٌّ في الحديث "فعلق الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة، فخطفت ردائه فوقف النبي ﷺ فقال أعطوني ردائي...". وفي ذلك دعوة للداعية إلى التجمل بالصبر وتحمل الأذى - إن حصل - في سبيل تبليغ دعوته، فكما أن الداعية ينبغي عليه أن يصبر على طاعة الله وعن معصيته ويصبر على أقدار الله المؤلمة كذلك ينبغي عليه أن يصبر على المشكلات التي قد تعترضه في طريق دعوته، وذلك من عزائم الأمور[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦/٢٩٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤/٧/٣٤٦.

(٥) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٧٠.

(٦) انظر: صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ١١٧.

وإذا كان الصبر ضرورياً لكل مسلم فإن الداعية لا يستغني عنه لأن الداعية يعمل في ميدانين: ميدان نفسه يجاهدها ويحملها على الطاعة ويمنعها عن المعصية وميدان خارج نفسه، وهو ميدان الدعوة الفسيح، ومخاطبة الناس ومخالطتهم، لأن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم(١) خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ولقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في صبره وشدة تحمله على ما أصابه في طريق الدعوة، فقد ألصقت به ﷺ عبارات السوء فقالوا عنه: شاعر، وكاهن، وساحر، ويعلمه بشر... الخ.

وقد كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد، وصبر على ذلك ومن صور صبره ﷺ ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((يَا رَسُولَ اللّهِ! هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَا لِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي. فَقَالَ: إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ. فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً))(٢).

(١) الدعوة، قواعد وأصول، جمعة أمين عبدالعزيز ص ٦٠، ٦١.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٩٥.

الحديث رقم (٥٥٥)

٥٥٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَال، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إلاَّ عِزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أحَدٌ للهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ عز وجل)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول بالنفي أمورا رسخت في كثير من النفوس تطهيرا للمجتمع من توابعها التي تشعل الأحقاد، وتقطع الأرحام، وتنمي العداوة، والبغضاء، وقد عالج بحكمة جذورها في النفس فقرر أولا أن الصدقة طهرة للمال وطهرة للنفس من الشح، وتقوية لروابط الأخوة بين المسلمين، والله تبارك وتعالى يجازي بالحسنة أضعافها، وقوله ﷺ (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَال) يؤكد هذا المعنى بأسلوب النفي لنقصان الصدقة من مال المال، والرسول ﷺ يعالج بهذا النفي أكبر المشاعر النفسية التي تمنع الإنسان من التصدق، وتنكير المال للتعميم لأن النقص يلاحظ في بعض المال، ولا يلاحظ في بعضه كالأموال الكثيرة غير المكيلة، وغير المعدودة فالتعميم يشير إلى أنه قد يكون هناك نقص في ظاهر بعض الأموال، ولكن في الحقيقة هو لم ينقص لأن الله يبارك في بتزكيته، وقول الرسول ﷺ (وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إلاَّ عِزّاً) أسلوب قصر يقصر زيادة العبد بالعفو على العز، وينفي عنه الذله التي يعتقدها البعض إذا لم ينتصر لنفسه، وبذلك يطفيء النبي ﷺ نار الثورة التي يشعلها الشيطان بين الناس، ويوقعهم بها في المهالك، وقوله (وَمَا تَوَاضَعَ أحَدٌ للهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ - عز وجل) وهو كسابقه في أسلوب القصر الذي يقصر التواضع لله على الرفعة، وهذا القصر يعالج في النفس حب الظهور، والتعالي، والفخر المبغوض من الخلق، ومن الخالق.

---

(١) برقم ٦٩/٢٥٨٨. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٥٧. وسيكرره المؤلف برقم ٦٠٣.

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: بيان فضل الصدقة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: منزلة العفو.

ثالثاً: من صفات الداعية: الجود والعفو والتواضع.

رابعاً: من أساليب الدعوة : الترغيب.

خامساً: من أهداف الدعوة: الحث على بذل الصدقة والعفو عن الناس والتواضع.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الصدقة:

إنَّ الصدقة من الأعمال التي لها عظيم الفضل وجزيل الثواب فهي برهان على صحة الإيمان وطيب النفس بها علامة على وجود حلاوة الإيمان وطعمه[1]، وكما قال ﷺ: ((والصدقة برهان))[2] ومن أوجه فضل الصدقة، ما جاء في الحديث ببيان أنها سبب للبركة والثواب، فقال ﷺ "ما نقصت صدقة من مال" وإن كان الظاهر عند الناس أن هذا مال ويختل منه على أساس أنه شيء محسوس، فإن المال المصدَّق منه مال مبارك فيه ويدفع عنه المفسدات فيجبر النقص الصوري بالبركة الخفية، فضلاً عن الثواب المعد في الآخرة فإنه جابر لنقصه[3].

ومن الشواهد القرآنية على ذلك قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4] وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[5] ومن نظر إلى معاني الزكاة والصدقة يجد أنها تتلاقى وتتعانق

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/ ٢٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٢١، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٨/ ٢٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٥) سورة الروم، آية: ٣٩.

في كون الزكاة زيادة في الأموال وحصن لها ونماء وكثرة وطهارة، كما أن الزكاة تستل الحقد والضغينة من قلوب الفقراء، وتدعو إلى التماسك فتذيب الطبقية وتمنع الأحقاد والضغائن، بل هي علاج هام وبلسم لجروح المجتمعات(١).

ثانياً- من موضوعات الدعوة: منزلة العفو:

جاء في الحديث التصريح بعلو منزلة العافين عن الناس عند الله وعزتهم فقال ﷺ "وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً"، قال النووي: فيه وجهان أحدهما: أنه على ظاهره وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعَظُمَ في القلوب وزاده عزه وإكرامه، والثاني أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك(٢)، وإن العفو لمن أهم القواعد الأخلاقية وهو أقرب ما يكون إلى التقوى(٣)، قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٤).

إن من يعفو عن المسيء يقدم له بالعفو وسيلة تربوية عظيمة لإصلاحه وتهذيبه ويهيئه بذلك لتقبل نصيحته، ولقد ضرب رسول الله ﷺ أروع المثل في الحلم والصفح، فلقد كان ﷺ أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع المقدرة(٥)، ولقد جاءت سيرته ملأى بالأمثلة والأدلة على ذلك ومنها ما روي عن أنس خادم رسول الله ﷺ أنه قال: ((كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ. فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ. فجبذَهُ بردائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً. ورجع نبي الله ﷺ في نحر الأعرابي حتى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ. مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ . فَضَحِكَ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ))(٦).

---

(١) انظر: جوانب تربوية في الفقه الإسلامي، د. مصطفى رجب ص ١٩٨، ١٩٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤٦.

(٣) انظر: الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ٤٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٧.

(٥) أخلاق المسلم وآدابه، د. بدر عبدالرزاق الماص ص ١٣.

(٦) أخرجه مسلم ١٠٥٧.

ثالثاً- من صفات الداعية: الجود والعفو والتواضع:

إن تحلى الداعية بمكارم الأخلاق يجعله أقرب ما يكون إلى قلوب الناس ودعوته أنفذ إلى صدورهم، وقد أرشدنا النبي ﷺ في هذا الحديث إلى الجود والعفو والتواضع مبيناً الأثر الإيجابي لذلك فقال: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا" إذ أن الداعية قدوة، ومن ثم فهو يحتاج إلى عمق في العقيدة وقوة في الخلق، يحتاج إلى صفات تعطيه ثقة الناس واطمئنانهم وحبهم والميل إليه[١]، ومن هذه الصفات الجود والعفو والتواضع والتي أشار إليها الحديث. وهذه الصفات إذا اجتمعت في إنسان صار محبوباً في قومه وبيئته، لذا كان أمر الله للمؤمنين جميعاً في خطابه للرسول ﷺ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٢]. قال ابن هبيرة: (قوله: "ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا" فإن العفو عز في وقته، وبعد ذلك، فما زاد به أحد إلا عزًا، وإذا وسوس الشيطان للمسلم بأن هذا يخرجه الناس مخرج الذل؛ فتلك خديعة منه، فكلام رسول الله ﷺ دواء لذلك الداء.

وأما قوله: "وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله" فقوله: "لله" يعني ألا يكون تواضعه لأهل الدنيا، ثم يتكبر على أهل الدين، ولكن يتواضع لله فيرفعه الله تعالى جل جلاله)[٣].

رابعاً- من أساليب الدعوة : الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ببيان الآثار الإيجابية والحسنة للصدقة والعفو والتواضع فقال ﷺ، ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّه عز وجل)). والترغيب من أشد الأساليب الدعوية تأثيراً لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليها[٤].

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ١٨٨

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ١٧٥/٦.

(٤) مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

خامساً- من أهداف الدعوة: الحث على بذل الصدقة والعفو عن الناس والتواضع:

إن من أهداف الدعوة إشاعة المودة في المجتمع وتقوية أواصر المحبة بين أفراده، وفي الحديث أرشد النبي ﷺ إلى بعض روافد تلك المحبة من كرم وجود وعفو وتواضع فقال ﷺ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. وَمَا زَادَ اللّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إلاَّ عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ عز وجل". إضافة لما لهذه الصفات من تقوية لمبدأ الإخاء الذي يقوم عليه المجتمع الإيماني[١]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢]. وفي ذلك دلالة قوية على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين والعمل بما تقتضيه هذه الأخوة من إحسان للمعاملة[٣] والتجمل والتعامل مع المسلمين بمكارم الأخلاق ورفيع الصفات من تواضع وعفو ومحبة وبذلك للمحتاج منهم وما شاكل ذلك.

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٩٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٤٥/٢٦/١٠.

الحديث رقم (٥٥٦)

٥٥٦- وعن أَبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: ((ثَلاثَةٌ أُقْسمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَديثاً فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزّاً، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسأَلَةٍ إلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقرٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- وَأُحَدِّثُكُمْ حَديثاً فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: إنَّمَا الدُّنْيَا لأرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلماً، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقّاً، فَهذا بأفضَلِ المَنَازِلِ. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بنيَّتِهِ، فأجْرُهُمَا سَوَاءٌ. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالاً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً، فَهُوَ يَخبطُ في مَالِهِ بغَيرِ عِلْمٍ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقّاً، فَهذَا بأَخْبَثِ المَنَازِلِ. وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو كبشة الأنماري: هو أبو كبشة الأنماري المَذحِجيُّ مختلف في اسمه: فقيل: سعد بن عمرو. وقيل: عمرو بن سعد. وقيل: عمر بن سعد وقيل: عامر بن سعد.

شهد مع النبي ﷺ غزوة تبوك. قال: لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحِجْر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى في الناس: الصلاة جامعة. فأتيت رسول الله ﷺ وهو مُمسكٌ بعيره وهو يقول: ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم؟[2] وقال كذلك: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوةٍ من مغازيه فنزلنا منزلاً فأتيناه فيه ... الحديث[3].

---

(١) برقم ٢٣٢٥. وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه مسلم ٢٥٨٨/٦٩. أورده المنذري في ترغيبه ٢٠.

(٢) أخرجه أحمد ١٨٠٢٩/٢٥، وقال محققو المسند: هذا إسناد حسن.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٨٥٧/٢٢ وقال الهيثمي في المجمع ٥٦/١٠: ورجاله رجال الصحيح غير عروة بن رويم وهو ثقة.

وقد قدم الشام مع عمر بن الخطاب حين قدمها في خلافته، ونزل حمص وله رواية عن أبي بكر الصديق[(١)].

غريب الألفاظ:

نفر: النفر: الناس كلهم، والجماعة من الناس من ثلاثة إلى عشرة[(٢)].

يخبطُ في ماله: يصرفه في شهوات نفسه[(٣)].

وزرهما: ذنبهما[(٤)].

سواء: متساويان[(٥)].

الشرح الأدبي

والحديث من باب الترغيب في النفقة، والإخلاص والحث على الزهد وابتغاء ما عند بدأه الرسول ﷺ بأسلوب خبري يشعر بالثقة، والهدوء فالرسول ﷺ ليس مواجها بالتكذيب فـ(الصحابة) رضوان يجزمون بصدق الرسول ﷺ في كل قول يقوله: فهو لا يقسم – وحاشاه- ليجتذب القلوب لتصديقه، وقد كان قبل الرسالة يوصف بالصادق الأمين، وإذا ينصرف وجه اليمين إلى أن المحلوف عليه من الأمور المهمة ذات البال التي ينبغي يستشرف لها السامع، ويتلقاها تلقى الاهتمام لما تعيه من مدلول ديني خطير في

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤١٦/٧ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٤٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٥٥/٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٥٤١، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٠٦/٨ وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٧٦/٤.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ن ف ر)، والكليات، معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٦٨٦، ومعجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٤٥٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥٤/٢.

(٤) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ز ر).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س و ي).

حياة الفرد والمجتمع، ومما يلاحظ في هذا الحديث أنه ذكر القسم بأسلوب الخبر وليس فيه ذكر للمقسم به، وذلك مما يفيدنا أن هذه صيغة من صيغ اليمين معتبرة يتأكد بها مدلول ما كان القسم من أجله، ومن الملاحظ أن هناك اختلافا في الموقف النفسي الذي يصاحب كل صيغة من هذه الصيغ ودرجة الانفعال إذ أننا نرى في القسم (والذي نفسي بيده أو الذي نفس محمد بيده) نجد درجة الانفعال ترتفع والموقف يعلوه الجلال، والهيبة بما توحي به عبارات القسم من انقباض، وخوف، واضطراب، والتي تصور هيئة روح الحالف في يد المحلوف به مسيطر عليه تمام السيطرة ولذلك كثر وروده في سياق الترهيب، والقسم بنحو (ورب الكعبة) فإن الانفعال أقل ودرجة التوتر منخفضة يشعر لفظ (رب) فيها بالرعاية والقرب ولفظ (الكعبة) بالأمان والسكينة ولذلك كثر وروده في الترغيب، والقسم بأسلوب خبري (أقسم) فإن الأسلوب الخبري يوحي بالثقة والهدوء في تقرير الخبر، وتثبيته، ومن الجدير بالذكر أن الصحابة رضوان كانوا يدركون الفرق بين هذه الصيغ في درجة القوة، والحالة النفسية للرسول ﷺ فيما رواه أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اجْتَهَدَ فِي الْيَمِينِ قَالَ وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ[1] وأمر الرسول ﷺ في قوله (وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ) يشير إلى أهمية ما فيه من معان لا يكاد يشعر بها الناس، وهي عظيمة التأثير وهي أن لعالم الأماني، والمشاعر، والعواطف ميزانا عند الله إن خلصت له، وتعلقت بإرضائه، وجرت في طريقه وصلت لمصب عطائه، وتفضله تأمل كيف أدرك ذلك المتمنى -في لحظة من اللحظات-، وهو في مكانه لم يتحرك، ولم يتكلم ثواب من كد من أجل المال، والتعب ثم أنفقه في مرضاة الله؟ في قوله: (لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأجْرُهُمَا سَوَاءٌ) إنه عالم عجيب تتغير فيه مقاييس الأعمال، وتحكمه النية ويبلغه الإخلاص، وتأمل الوجه المقابل له وهو صاحب النية السيئة، والأمنية المحرمة (وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ) إذن فعالم الأماني المتصلة بالله لو وزن عند الله يعدل ما أتى صاحب

---

(١) الحديث في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٥٣٤.

الفعل في الواقع مع أنها آمال علت نفسه واختلطت بوجدانه لكن قدرته وقفت به دون تحقيقها فصاغها أمنيات لله معبقة بالإخلاص فقبلها الله، وأثابه بمثل صاحبه والله أعلى، وأمنيات هذا العبد صدرت كاعتذار على قصر ذات اليد في حنان، واستعطاف كما قال ابن يعقوب: أن تمنى ما لا سبيل إليه قد يكون للاستعطاف أو للاعتذار أو ما شابه ذلك[١] أما أمنيات الآخر الذي رأي صاحب المال الذي يتخبط فيه، ولا يرعي حق الله فتمنى مثله فهو يتمنى المال ليفعل به مثل فعل هذا الآثم فلما عزَّ عليه أمله في الواقع صاغه أمنية لمجرد موافقة الخاطر والترويح عن النفس عن طريق المحرَّم فكان جزائه من جنس عمله أن يكون كصاحب المال الآثم لأن النية موجودة، والفارق بينهما أن هذا مَلَك فَفَعل، وهذا لم يملك، فتمنى ما لا سبيل إليه لمجرد موافقة الخاطر، والترويح عن النفس وقد جاء التمنى بـ(لو) (التي تدخل في الأصل على الممنوع، والمحال، وهو المتمنى كثيرا والغرض من استعمال لو "هنا في موضع (ليت) إظهار عزة المتمنى وندرته وإظهاره في صورة الأمر الذي لا يمكن حصوله، لأن (لو) في وصفها اللغوي حرف يفيد الامتناع")[٢]

المضامين الدعوية

أولاً- من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ "ثلاثة أقسم عليهن" وأسلوب القسم من أشد الأساليب الدعوية تأثيراً ونفوذاً إلى القلب لما فيه من تأكيد الخبر أو تعظيم لشيء أو جمع للانتباه حول غاية، ثم إن أسلوب القسم موعظة حسنة فالقرآن دائماً يتصر به الإقناع والإثارة بواسطة المقسم به[٣].

---

(١) انظر: مواهب الفتاح لابن يعقوب – ضمن شروح التلخيص، ٢/ ٢٤٠.

(٢) انظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر.

(٣) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ١٦٢ -١٦٣.

ثانياً- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينبغي عليهم حفظه واستيعابه:

إن من مهام الداعية التي ينبغي العناية بها إرشاده للمدعوين لما ينبغي عليهم حفظه واستيعابه وتقديمه إليهم معالم توضح لهم طريق الحياة وتؤنسهم فيها وتعينهم على متاعبها[1]، وفي الحديث لفت الرسول ﷺ الناس إلى ما ينبغي أن يحفظوه ويجعلوه نصب أعينهم فقال: "ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه".

فإرشاد المدعوين إلى الخير ومعالم الحق والخير تبنى عليه الدعوة وحوله تدور، إذ أن الدعوة إلى الله: حث على فعل الخير واجتناب الشر وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة والتنفير من الرذيلة واتباعٌ للحق ونبذ للباطل[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة:

جاء في الحديث بيان لجانب من جوانب فضل الصدقة، فقال ﷺ "ما نقص مال عبد من صدقة" وقال: "إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ"، لتقواه في ماله وعمله بالصلة والصدقة من المال وبالإسعاف بجاه العلم ويعلم لله فيه حقاً من وقف وإقراء وإفتاء وتدريس فذلك العبد بأفضل الدرجات عند الله تعالى[3].

ففي الحديث تأكيد وإثلاج لصدر المتصدق بأن الصدقة لا تؤول بماله إلى النقصان وإنما إلى البركة والنماء، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[4] فالصدقة تحمل معاني: الطهارة والنماء والزيادة، فهي طهارة لنفس الغني من الشح البغيض[5]، والبخل

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٢٠٣.

(٢) مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب ص ٢٤.

(٣) تحفة الأحوزي، المباركفوري، ١٨٥٤/٢.

(٤) سورة الروم، آية: ٣٩.

(٥) العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٢٧٣.

والحقد وتغرس بذور المحبة في المجتمع وإرساء التضامن الاجتماعي بين أفراده[١].

قال ابن هبيرة: (هذا الحديث يدل على أن الصدقة لا تنقص من المال، والمراد بذلك أنها لا تنقص منه من حيث المعنى، أن الله يبارك في ذلك المال الذي تصدق به بما ينفع منه، ويوفر وجوهه في المخرج أضعاف تلك الصدقة، وقد يكون ذلك صدقة، فإنه حدثني والدي رحمه الله قال: قفلت من الحج، فلما وصلت إلى فيد وزنت ما كان في خرقتي، وكان مبلغه ثلاثة دنانير ودانقين، أو قال: ودانقًا، ثم قال: إني أنفقت من ذلك منذ كنت بفيد إلى أن جئت العراق، ثم وزنته فكان مثل ما وزنته بفيد من غير أن ينقص.

وأما أنا فحصل لي مرة مقدار من الحنطة، فأخرجت منها فيما أظن قريبًا من ربعها أو ثلثها، ثم كِلْتُ الباقي فلم ينقص شيئًا فيما أظن، فأما من حيث المعاني؛ فإن ذلك فيما لا أحصيه كثرة[٢].

قال أبو العباس القرطبي: ("ما نقصت صدقة من مال" فيه وجهان أحدهما: أنه قدر ما ينقص منه يزيد اللهُ فيه، وينميه، ويكثره، الثاني: أنه وإن نقص في نفسه ففي الأجر والثواب ما يجبر ذلك النقص بإضافة)[٣].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصبر على المظالم:

صرح النبي ﷺ في الحديث بجانب من جوانب فضل الصبر على المظالم وهو أن الصبر على المظالم سبب لإعزاز الإنسان في الدنيا والآخرة، فقال: "ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً" أي حبس نفسه على ألمها ولم ينتقم من ظالمه بشيء من الانتقام احتساباً، إلا زاده الله عزاً في الدنيا والآخرة"[٤]، وذلك من رفيع الأخلاق وعظام الأمور. قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٥]، قال سعيد بن جبير:

---

(١) الزكاة تطبيق محاسبي معاصر، د. سلطان بن محمد علي السلطان ص ٥٦.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ١٧٥/٦.

(٣) المفهم، القرطبي ٥٧٤/٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٢٢

(٥) سورة الشورى، آية: ٤٣.

يعني لمن حق الأمور التي أمر الله بها، أي لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل[١]. فالآية فيها ترغيب في الصبر على المظالم وحث على العفو والصبر على الأذى، وذلك بين الأمة الإسلامية ظاهر، وأما مع الكافرين فتعتريه أحوال تختلف بها أحكام الغفران، وملاكها أن تترجح المصلحة في العفو أو المؤاخذة[٢].

خامساً- من موضوعات الدعوة: خطر المسألة على الإنسان:

صرح النبي ﷺ في هذا الحديث بخطورة المسألة على الإنسان فقال: ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر" وذلك معاملة له بنقيض قصده[٣]، ولقد بالغ الإسلام في النهى عن مسألة الناس وحذر منها، لأنها لا تليق بشخصية المؤمن الكامل المبنية على السمو والشرف والابتعاد عن السفاسف وإراقة ماء الوجه[٤]، فقال ﷺ: ((مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً فَأَتَكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ ثَوْبَانُ أَنَا فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَداً شَيْئاً))[٥].

ولخطورة المسألة منع الإسلام منها وحرمها إلا لضرورة لا تدفع إلا بها، قال أبو حامد الغزالي: (السؤال حرام في الأصل، وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة، وإنما قلنا: إن الأصل فيها التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة:

أ- إظهار الشكوى من الله تعالى، إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى.

ب- أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله بل عليه أن يذل نفسه لمولاه، فإن فيه عزة، فأما سائر الخلق فإنهم عباد أمثاله، فلا ينبغي أن يَذلّ لهم إلا لضرورة، وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى إيذاء المسؤول.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٣/٧

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٢٣/٢٥/١٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٢٢.

(٤) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي ص ٢٥١، ٢٥٢.

(٥) أخرجه أبو داود ١٦٤٣، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٤٦).

ج- أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالباً، لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه، فإن بذل حياءً من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع، إذ يرى نفسه في صورة البخلاء، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه، وكلاهما مؤذيان، والسائل هو السبب في الإيذاء، والإيذاء حرام إلا بضرورة[1].

سادساً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "وأحدثكم حديثاً فاحفظوه" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من توجيه للمدعوين إلى ما ينفعهم وحملهم عليه وسوقهم إليه. كما هو ظاهر في الحديث في توجيه النبي ﷺ للأمة وأمرهم وحملهم على الاستجابة لهذه الإرشادات ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

سابعاً- من آداب المدعو : إدراك حقيقة الدنيا:

ففي الحديث بين رسول الله ﷺ أصناف الناس في تعاملهم مع المال، وبين ﷺ أن أفضل ذلك كله من آتاه الله مالاً وعلماً فهو يتقي الله فيهما، ويؤدي ما عليه فيهما من حقوق، ويلحق به في الثواب من آتاه الله علماً ولم يرزقه مالاً ويتمنى أن لو كان مثله فيعمل بعمله فقال ﷺ إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل" لذا ينبغي على من يريد أن ينقل نفسه من أحطّ المنازل إلى أفضلها أن يدرك حقيقة الدنيا ويؤدي ما عليه من واجبات في المال والعلم بما على الإنسان من واجبات يهديه إلى الصواب بأداء الواجبات واجتناب المحظورات والإخلاص لله في عمله[2].

ثامناً- من موضوعات الدعوة: بيان أحوال الناس في الدنيا:

بيّن النبي ﷺ أحوال الناس مع الدنيا، وتشعبهم في التعامل معها واختلاف مقاصدهما فيها فقال ﷺ "إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ:

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٤/٢٢٣.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٢٣.

أ- عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ" فهذه أفضل الحالات وأجملها وصاحبها بأفضل الدرجات عند الله تعالى[١]، ومثل هذا الصنف مَنْ حمده الإسلام ووجه الهمم إلى الإتيان بفعله وتمني حاله لمن يقدر عليه فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنتينِ: رَجلٌ آتاهُ اللّهُ مالاً فسلَّطَ على هَلَكَتِهِ في الحقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللّهُ الحكمةَ فهُوَ يَقْضي بها ويُعَلِّمُها))[٢].

ب- وهو النوع الآخر من المؤمنين "وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً" فلا يتمكن من مساعدة المحتاج ويتشوق للوقوف بجانبه فهو بهذه النية يؤجر وأجره لا يقل عن النوع الأول.

ج- "عبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً" فهو يخبط في ماله بغير علم ولا يتق فيه ربه، لعدم علمه في أخذه وصرفه.

د- والصنف الأخير "عبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: "لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان" أي من أهل الشر فهو يتمنى أن ينغمس في الملذات ويبتعد عن القيم الخلقية ويتودد إلى أصحاب المعاصي ويتمنى أن ينضم إليهم ويحذو حذوهم. "فهو بنيته فوزرهما سواء"[٣].

---

(١) دراسات تربوية، الأحاديث النبوية، د. محمد لتمان الأعظمي الندوي ص ١٧

(٢) أخرجه البخاري ٧٣، ومسلم ٨١٥، ٨١٦

(٣) انظر: تحفة الأحوزي، المباركفوري، ٢/١٨٥٤، دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لتمان الأعظمي الندوي ص ٢٢، ٢٣.

الحديث رقم (٥٥٧)

٥٥٧- وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((مَا بَقِيَ مِنْهَا؟)) قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُها. قَالَ: ((بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

بقى كلُّها غير كتفها: معناه: تصدقوا بها إلا كتفها. فقال: بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ يضع الأمور في نصابها بالنسبة للباقي، والفاني حتى ينظر إليها المسلمون خلال هذا المنظور الذي يضع الأمور في موضعها المناسب، وفي حجمها الحقيقي، والحديث يقرر بطريقة لطيفة شيقة في حوار عابر قيمة الصدقة في رصيد العبد عند ربه، وأنها هي الباقية حقيقة من ماله، واستفهام النبي ﷺ عما تبقى من الشاة (ما بقي منها؟) إرصاد للمعنى الذي يريد أن يقرره في الباقي حقيقة، وأنه هو ما عند الله فلما أجيب بأسلوب القصر الجازم الذي يقصر الباقي على الكتف لا يتعداه لغيره منها، وهو المفهوم الراسخ في أذهان الناس في قول أم المؤمنين رضي الله عنها (مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا) جاء تقرير للمفهوم الصحيح للباقي حقيقة (بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا) في إشارة إلى أن الصدقة صبغته بصبغة الخلود؛ لأنها خلصت لله دون حظ النفس.

(١) برقم ٢٤٧٠. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٦٠.

(٢) رياض الصالحين ٢٥٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من صفات الداعية: بيان الحقائق وتصحيح المفاهيم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن من أساليب الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث أسلوب الإخبار، يظهر ذلك فيما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ: "ما بقي منها؟..."، والإخبار من الأساليب الدعوية المهمة، حيث أفاد في هذا الحديث أهمية الكرم والجود والسخاء لأن ما يتصدق به الإنسان هو الذي يبقى، وأن ما يأكله أو يلبسه هو الذي يفنى.

ثانياً- من صفات الداعية: بيان الحقائق وتصحيح المفاهيم:

إن بيان الحقائق وتصحيح المفاهيم الخاطئة من الأمور التي ينبغي أن يحرص عليها الداعية، يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "بقي كلها غير كتفها"، فقد بيّن لها رسول الله ﷺ حقيقة الصدقة فصحح المفهوم الخاطئ بأن الصدقة تنقص الشيء، وهذا ما بيّنه في قوله ﷺ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ . وَمَا زَادَ اللّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[١].

فإن التصدق وإن كان ينقص الشيء ظاهراً ولكن بركته وحقيقته عند الله باقية، قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[٢].

أي: ثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع ولا نفاد له فإنه دائم لا يحول ولا يزول[٣].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/ ٦٠١.

والله يخلف الصدقة خيراً منها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[1]، قال السعدي: (فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهو خير الرازقين)[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "بقي كلها غير كتفها"، قال ابن علان: (هذا تحريض على الصدقة والاهتمام بها وأن لا يستكثر المرء ما أنفقه)[3].

والصدقة من أفضل القربات وقد جعلها الله من أكثر الأعمال ثواباً في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[4].

وأثنى الله على المتصدقين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[5]، قال ابن عاشور: (هذه بشارة للمنفقين بطيب العيش في الدنيا فلا يخافون اعتداء المعتدين لأن الله أكسبهم محبة الناس إياهم، ولا تحل بهم المصائب المحزنة إلا ما يسلم منه ما هو معتاد في إبانة، أما انتفاء الخوف والحزن عنهم في الآخرة فقد علم من قوله: فلهم أجرهم عند ربهم)[6].

وقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّكَ لنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتغي بها وجهَ اللّهِ إلاّ أُجِرْتَ عليها، حتى ما تَجعلُ في في امرأتِكَ))[7].

---

(١) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٢٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٢٤.

(٤) سورة الحديد، آية: ١١.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٤.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٧٨/٣/٢.

(٧) أخرجه البخاري ٥٦، ومسلم ١٦٢٨.

وقال ﷺ: ((اتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ، فمن لم يَجِدْ شقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيِّبةٍ))[١].

لقد بيّن أن الصدقات وقاية من النار فمن بذل المال في سبيل الله للفقراء والمساكين والغارمين والمجاهدين، والمصالح العامة كان ما بذل سوراً منيعاً، وحاجزاً حصيناً، يقيه لهيب الجحيم[٢].

(١) أخرجه البخاري ٦٠٢٣، ومسلم ١٠١٦.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٢٤.

الحديث رقم (٥٥٨)

٥٥٨- وعن أسماء بنت أَبي بكرٍ الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قالت: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((لاَ تُوكِي فَيُوكى عَلَيْكِ)) [١].

وفي رواية: ((أنفقي (أَوِ انْفَحِي، أَوْ انْضَحِي)، وَلاَ تُحصي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ، وَلاَ تُوعي فَيُوعي اللهُ عَلَيْكِ)) متفقٌ عَلَيْهِ [٢].

ترجمة الراوي:

أسماء بنت أبي بكر: تقدمته ترجمتها في الحديث رقم (٣٢٥).

غريب الألفاظ:

لا تُوكي: أي لا تدخري وتَشُدي ما عندك وتمنعي ما في يديك [٣].

فيوكي عليك: أي يقطع الله مادة الرزق عنك [٤].

انْفحي: أنفقي [٥].

انضحي: أنفقي [٦].

لا توعي: لا تجمعي وتشحي بالنفقة [٧].

الشرح الأدبي

قول أسماء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (قال لي رسول الله ﷺ) يوحي بالاعتزاز، والسرور لأنها قدمت الجار، والمجرور: (لي) لتفيد اختصاص نفسها بهذا الحديث دون غيرها، ثم إنها

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٣٣، ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٥١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٩١، ومسلم ١٠٢٩/٨٨ واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٥١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ك ى).

(٤) المرجع السابق.

(٥) رياض الصالحين ٢٥٥.

(٦) المرجع السابق ٢٥٥.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ع ى).

استخدمت صيغة الماضي دلالة على التحقق، وقول الرسول ﷺ لها (لا توكي فيوكى عليك) النهي نصح، وإرشاد تضمن تحذيرا بليغا عن طريق الجناس بين الكلمتين (توكي فيوكى) ومعناه لا تمنعي، ولا تحبسي فيمنع عنك، ويحبس عنك الرزق، والذي يوحي بأن الجزاء من جنس العمل، والذي يدل عليه للفظ بدلالته، وبظاهره وهو شعور يربي الإحساس في النفس بأن إمساكها المال عن الفقراء إمساك عن نفسها يفهم منه ضمنا أن إنفاقها على الفقراء إنفاق على نفسها والذي قررته الرواية الثانية عن طريق أسلوب الأمر (أنفقي أَوِ انْفَحِي، أَوْ انْضَحِي) وهو أمر توجيه، وإرشاد وترغيب في الإنفاق وتغاير الألفاظ (انفحي أو انضحي) تردد من الراوي وهي ذات معان متقاربة في الدلالة على الإنفاق ترتبط بظلال من البيئة التي يعيشون فيها تعطي الإنفاق ثباتا في الأذهان وإيحاءً مناسبا لمدلولها في الواقع.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (بهذا الحكم [أي بالجواز] قال الجمهور: وخالف طاوس فمنع مطلقًا، وعن مالك لا يجوز لها أن تعطى بغير إذن زوجها ولو كانت رشيدة إلا من الثلث، وعن الليث لا يجوز مطلقًا إلا في الشيء التافه، وأدلة الجمهور من الكتاب والسنة كثيرة، واحتج لطاوس يحدث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه: ((لا يجوز عطية امرأة في مالها إلا بإذن زوجها))[(١)].

وقال ابن بطال: (وأحاديث الباب أصح، وحملها مالك عن الشيء اليسير، وجعل حده الثلث فما دونه))[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٥٤٦، والنسائي ٢٧٨٧، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٠٢١).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٨/٥، وانظر: الاختيار ٩١/٣، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٣٠٨/٣، وجواهر الإكليل ١٠٢/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٠٢/٦-٦٠٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢٩/٢٦-٣٣٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي، والترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقة والجود وعدم البخل والمنع.

ثالثاً: من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى ما فيه نفعه وتحذيره مما قد يضره.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي، والترهيب:

١- **أسلوب النهي:** يظهر أسلوب النهي في قول رسول الله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: (لا توكي فيوكى عليك لا تحصي فيحصى عليك، ولا توعي فيوعى عليك)، فقد نهاها عن منع ما في يدها.

قال ابن حجر: (والمعنى النهي عن منع الصدقة خشية النفاذ، فإن ذلك أعظم الأسباب لقطع مادة البركة، لأن الله يثيب على العطاء بغير حساب، ومن لا يحاسب عند الجزاء لا يحسب عليه عند العطاء، ومن علم أن الله يرزقه من حيث لا يحتسب فحقه أن يعطي ولا يحسب)[١].

وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في نهي المدعوين عن الأشياء غير المقبولة أو التي تركها أفضل من فعلها وهو أسلوب يشعر المدعوين بأهمية اجتناب ما نهي عنه الداعية.

٢- أسلوب الترهيب: يظهر أسلوب الترهيب في قوله ﷺ: (لا توكي فيوكي الله عليك. ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيُوعى عليك)، حيث رهّب رسول الله ﷺ من منع الصدقة لأن ذلك يكون سبباً في منع الرزق عن المانع.

وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي يقصد بها ترهيب المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.

والإسلام يرهب من الكفر ولوازمه، من الآثام والمعاصي والفواحش، وسوء الأخلاق والزنا. والنفاق، والبخل، ومن غضب الله، والنار وإيثار الدنيا على الآخرة[٢].

---

(١) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني ٣/٣٥٢.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ٩٩ - ١٠٠.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقة والجود وعدم البخل والمنع:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث نهى رسول الله ﷺ عن منع فضل ما عند الإنسان عن من هو محتاج إليه، وقصد من ذلك الحث على الإنفاق[١].

وقد حثّ الإسلام على الصدقة والجود وذم البخل والمنع نظراً لأهمية البذل والإنفاق، ولذلك حبب إلى بنيه أن تكون نفوسهم سخية، وأكفهم ندية، ووصاهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البر، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم، لا ينفكون عنه في صباح أو مساء[٢]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣]، وقال في ذم البخل: ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ...﴾[٤].

وقال رسول الله ﷺ مبيّناً فضل الصدقة وذم البخل والمنع: ((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ. وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ. وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ. وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ. وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى))[٥].

قال النووي: (إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه، وإن أمسكته فهو شر لك لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه وفوت مصلحة نفسه في آخرته وهذا كله شر)[٦].

وقال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ. فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً. وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً))[٧].

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٢٥.

(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١٤٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٤.

(٤) سورة محمد، آية: ٣٨.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٣٦.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٥.

(٧) أخرجه البخاري ١٤٤٢، ومسلم ١٠١٠.

قال النووي: (قال العلماء: هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيفان والصدقات، ونحو ذلك، بحيث لا يذم ولا يسمى سرفاً والإمساك المذموم عن هذا)[1].

ثالثاً- من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى ما فيه نفعه وتحذيره مما قد يضره:

يظهر ذلك في إرشاد النبي ﷺ أسماء رضي الله عنها إلى ما فيه نفعها من الحث على الصدقة والجود وحذرها مما يضرها وهو البخل والمنع.

فإن هدف الداعية هو حب الخير للمدعوين إذ أن حقيقة الدعوة حب الخير للغير، والحرص على تحقيق المصلحة له، وظهور هذا الحرص يجعل الدعوة محل قبول وامتثال[2]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

ويظهر حرص الداعية على إرشاده المدعوين إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم في نصح صاحب عيسى عليه السلام لقومه، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[4].

فحرص الداعية على إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم يجعل القلوب تلتف حوله وتقبل دعوته وترضى قوله.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٣.

(٢) انظر: النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة ودورها في الدعوة إلى الله، الباز محمد عبد الفتاح الدميري ص ٦١.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) سورة يس، آية: ٢٠.

الحديث رقم (٥٥٩)

٥٥٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّه سمع رسول الله ﷺ، يَقولُ: ((مَثَل البَخيل وَالمُنْفِق، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ[1] مِنْ حَديد مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ - أَوْ وَفَرَتْ - عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَتَعْفُو أثرَهُ، وأمَّا البَخِيل، فَلاَ يُرِيدُ أنْ يُنْفِقَ شَيْئاً إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِّعُهَا فَلاَ تَتَّسِعُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الجُنَّةُ: الدرع[3].

ثُدِيِّهما: جمع ثدي، وهو النتوء في صدر الرجل والمرأة[4].

تراقيهما: مفردها الترقوة: عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان والجمع تراق[5].

سبغت: امتدت وغطت[6].

---

(١) لفظ البخاري في المواضع الثلاثة: (جُبَّتان)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ١٣٧/٣، رقم ٢٣٥٤ وأما مسلم فرواه برقم ١٠٢١/٧٥ بالشكّ: (جبتان، أو: جنتان) وبرقم ١٠٢١/٧٧ والذي قبله بدون رقم: (جنتان) بدون الشك. قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٧١/٤ قوله: (جبتان) كذا في هذه الرواية بضمّ الجيم بعدها موحدة، ومن رواه فيها بالنون، فقد صحّف، وكذا رواية الحسن بن مسلم ٥٧٩٧ ورواه حنظلة بن أبي سفيان الجُمحيّ عن طاوس بالنون، ورجّحت لقوله: (من حديد).

(٢) أخرجه البخاري ١٤٤٣ واللفظ له، ومسلم ١٠٢١/٧٥. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٧٣.

(٣) رياض الصالحين ٢٥٦.

(٤) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ث د ي).

(٥) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ت ر ق).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٩/٣.

وفرت: اتسعت[١].

تعفو أثره: تستر أثره[٢]. ومعناه: أن المنفق كلّما أنْفق سبغت وطالت حتى تَجرّ وراءه. وتخفي رجليه وأثر مشيه وخطواته[٣].

لزقت: لصقت[٤].

الشرح الأدبي

بدأ ﷺ بأسلوب خبري يتسم بالتشويق، والطرافة حيث بدأ بكلمة (مثل) وهي من المفردات الثرية فمادة الكلمة تعني، الشبه، والمساوي، والصورة والأفضل، والمثل: هو قول سائر شبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، وإضافة الكاف لكلمة (مثل) تؤذن بتشبيه الهيئات، ، والأحوال حتى لا يتوهم أنه تشبيه الأفراد، وقد تضمن الحديث مثلا ضربه الرسول ﷺ للجواد والبخيل شبههما برجلين أراد كل منهما أن يلبس درعا يستجن بها، والدرع ما يلبس على موضع الصدر، والثديين إلى أن يسلك لابسها يديه في كميه، ويرسل ذيلها على أسفل بدنه فيستمر سفلا فجعل مثل المنفق مثل من لبس درعا سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه، وخصته، وجعل البخيل كرجل يداه مغلولتان ما دون صدره فإذا أراد لبس الدرع حالت يداه بينها، وبين أن تمر سفلا على البدن، واجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته فكانت ثقلا، ووبالا عليه من غير وقاية له، وتحصين لبدنه، وحاصله أن الجواد إذا همَّ بالنفقة اتسع لذلك صدره، وطاوعت يداه فامتدتا بالعطاء، وأن البخيل يضيق صدره، وتنقبض يده عن الإنفاق، وقيل ضرب المثل بهما؛ لأن المنفق يستره الله بنفقته، ويستر عوراته في الدنيا، والآخرة كستر هذه الجبة لابسها، والبخيل كمن لبس جبة إلى ثدييه فيبقى مكشوفا ظاهر العورة مفتضحا في الدارين وقال ابن بطال يريد أن المنفق إذا أنفق كفرت

(١) الوسيط. مجمع اللغة العربية ١٠٤٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٥٩.

(٢) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني ٣/٣٥٩.

(٣) رياض الصالحين ٢٥٦.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٦٠.

الصدقة ذنوبه ومحتها كما أن الجبة إذا أسبغت عليه سترته، ووقته، والبخيل لا تطاوعه نفسه على البذل فيبقى غير مكفر عنه الآثام كما أن الجبة تبقي من بدنه ما لا تستره فيكون معرضا للآفات[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة وثمراتها.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: خطر البخل.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التمثيل:

إن من أساليب الدعوة التي تستنبط من الحديث أسلوب التمثيل، يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جُنتان من ثُديهما إلى تراقيهما..."، حيث مثّل المنفق والبخيل برجلين عليهما درعان من حديد لتصوير معنى الانبساط والتقلص، والأسلوب من التشبيه المفرق فقد شبه السخي الموفق إذا قصد التصدق يسهل عليه ويطاوعه قلبه بمن عليه الدرع ويده تحت الدرع، فأراد أن يخرجها منها وينزعها يسهل عليه، والبخيل على عكسه[٢].

وأسلوب التمثيل به دوافع تحرك العواطف والوجدان، فيحرك الوجدان الإرادة ويدفعها إلى عمل الخيرات، واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على سلوك الخير وتهذيب نزعاته الشريرة، فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات، فعلى الداعية العمل على تحقيق هذا الجانب من تربية السلوك والإرادة الطيبة والنزوع إلى الخير؛ وذلك باستحضار الأمثال القرآنية والنبوية في المواقف المختلفة والتعقيب عليها بذكر نتائجها السلوكية والاجتماعية الطيبة[٣].

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني حديث (٣٤٤١).

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤/ ٧٧.

(٣) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٣٣.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة وثمراتها:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت -أو وفرت- ..."، وهو تمثيل لنماء المال بالصدقة[١].

فالصدقة فضلها عظيم وثمراتها كثيرة وقد وعد الله المنفق ببركة المال، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٢]، أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب[٣].

كما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: ((قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))[٤].

وقال رسول الله ﷺ: ((ما مِن يومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلاَّ مَلَكانِ يَنزلانِ فيقولُ أحدُهما: اللَّهمَّ أعطِ مُنفِقاً خَلَفا، ويَقولُ الآخَرُ: اللَّهمَّ أعطِ مُمسِكاً تلَفاً))[٥]، والصدقة وإن كانت قليلة فضلها عظيم وثوابها جزيل، قال رسول الله ﷺ: ((مَن تَصَدَّقَ بعَدْلِ تمرةٍ من كسْبٍ طيّب -ولا يَقبلُ الله إلاّ الطيِّبَ- فإنَّ اللّهَ يتقبَّلُها بيمينِه، ثمَّ يُربيِّهَا لصاحبها كما يربِّي أحَدُكم فَلُوَّهُ، حتى تكونَ مِثْل الجبلِ))[٦].

قال النووي: (قيل: عبر باليمين هنا عن جهة القبول والرضا إذ الشمال بضده في هذا... وقد قيل في تربيتها وتعظيمها حتى تكون أعظم من الجبل أن المراد بذلك تعظيم أجرها وتضعيف ثوابها، قال: ويصح أن يكون على ظاهره وأن تعظم ذاتها ويبارك الله

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٨.

(٢) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٢٣/٦.

(٤) أخرجه البخاري ٤٦٨٤، ومسلم ٩٩٣.

(٥) أخرجه البخاري ١٤٤٢، ومسلم ١٠١٠.

(٦) أخرجه البخاري ١٤١٠، ومسلم ١٠١٤.

تعالى فيها ويزيدها فضله حتى تثقل في الميزان، وهذا الحديث نحو قول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾(١))(٢).

فهذه الصدقة ولو كانت قليلة تكون وقاية من النار كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ: ((اتَّقوا النارَ ولو بشقِّ تَمرةٍ))(٣).

فعلى الداعية أن يبين للمدعوين فضل الصدقة وثمراتها الدنيوية والأخروية.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطر البخل:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "... وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقه مكانها، فهو يوسعها فلا تتسع"، فجعل البخيل كلما همّ بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة مكانها... ولما كان البخيل محبوساً عن الإحسان ممنوعاً عن البر والخير كان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصدر ممنوع من الانشراح، ضيق العطن، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهم والغم والحزن لا يكاد تقضى له حاجة ولا يعان على مطلوب.. فالبخيل بعيد من الله، بعيد من خلقه، بعيد من الجنة، قريب من النار(٤)، والبخل أخطاره جسيمة على البخيل وعلى من حوله وقد ورد في ذلك الكثير من النصوص منها: قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(٥).

قال السعدي: (ولا يظن الذين يبخلون، أي: يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله من المال، والجاه، والعلم وغير ذلك مما منحهم الله، وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك وأمسكوه وضنوا به عن عباد الله، وظنوا

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٢٣، ومسلم ١٠١٦.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم ص ٢٩٠ - ٢٩١، ضمن مجموعة الحديث ج/٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٠.

أنه خير لهم، بل هو شر لهم، في دينهم ودنياهم وعاجلهم وآجلهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة)، أي: يجعل طوقاً يعذبون به)(١).

وإنه لعذاب أليم ينتظرهم عند الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(٢).

والبخل كان سبباً في هلاك السابقين لذلك حذر منه رسول الله ﷺ فقال: ((وَاتَّقُوا الشُّحَّ. فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ))(٣).

فالبخل يجر الهلاك والشقاء للأفراد والشعوب لذلك كان خطره جسيم.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

يستنبط هذا من عموم الحديث حيث رغّب رسول الله ﷺ في الإنفاق ورهّب من البخل.

ويقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، ويقصد بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.

والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وأن يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، وهذا هو نهج رسل الله الكرام عليهم السلام كما بينه القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية المطهرة(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٥.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٧٨.

(٤) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٥٦٠)

٥٦٠- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**مَنْ تَصَدَّقَ بعَدلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إلاَّ الطَّيبَ، فَإنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بعدل تمرة: أي بقيمتها[2].

يربيها: أي يُزيدها ويضاعفها[3].

الفَلُوُّ: بفتح الفاء وضمّ اللام وتشديد الواو. ويقال أيضاً: بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو، وهو المهر[4].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر عظمة الصدقة، وحفاوة الله تعالى بها عن طريق الموصول المتضمن لمعنى الشرط، والذي يربط الصدقة الطيبة بقبول الله لها، ومضاعفتها، والذي صورها التشبيه التمثيلي بحال العربي مع مهره الصغير، وبالنظر في حال المشبه به في البيئة يتبين مدى عظمة صدقة المتصدق، وحفاوة الله بها يفهم ذلك من معاملة العربي لفلوه وهو المهر الصغير، وهو من كرائم ماله، ووسيلة رفاهيته، ودليل عزه، وحب الخيل في طبع البشر، وقصة سليمان عليه السلام فيها دليل على ذلك قال تعالى: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ، فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)[5]

---

(١) أخرجه البخاري ١٤١٠ واللفظ له، ومسلم ١٠١٤/٦٤. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٥٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٨/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٤.

(٤) رياض الصالحين ٢٥٦.

(٥) سورة ص الآية ٣١-٣٢.

وتشبيه حفاوة الله بصدقة المتصدق بها يقرر هذا المعنى، ويثمِّن غالياً قيمة الصدقة ترغيبا فيها لما تحققه من التكافل، والتحابب الذي يقرب بين طبقات المجتمع، وأفراده.

فقه الحديث

عدم إجزاء الصدقة بالمال الحرام: قال القرطبي: (الكسب الطيب في هذا الحديث، الحلال، ... وإنما لا يقبل الله الصدقة من المال الحرام، لأنه غير مملوك للمتصدق وهو ممنوع من التصرف فيه، والتصدق به تصرف فيه، فلو قبلت منه لزم أن يكون مأمورًا به، منهيًا عنه من وجه واحد، وهو محال)[١].

وقال النووي: (قال أصحابنا: تكره الصدقة بما فيه شبهة، ويستحب أن يختار أحلّ ماله وأبعده من الحرام، لحديث الباب وغيره)[٢].

وقال ابن رجب الحنبلي: (وقد اختلف العلماء في حجٍّ من حجّ بمال حرام، ومن صلّى في ثوب حرام. هل يسقط عنه فرض الصلاة والحج بذلك؛ وفيه عن الإمام أحمد روايتان. وهذه الأحاديث المذكورة[٣] تدل على أنه لا يتقبل العمل مع مباشرة الحرام، لكن القبول قد يراد به الرضا بالعمل، ومدحُ فاعله والثناء عليه بين الملائكة والمباهاة به، وقد يراد به حصول الثواب والأجر عليه، وقد يراد به سقوط الفرض به في الذمة، فإن كان المراد هاهنا القبول بالمعنى الأول أو الثاني لم يمنع ذلك من سقوط الفرض به من الذمة، كما ورد أنه لا تقبل صلاة الآبق، ولا المرأة التي زوجها عليها ساخط، ولا من أتى كاهنًا ولا من شرب الخمر أربعين يومًا، والمراد -والله أعلم- نفي القبول بالمعنى الأول أو الثاني)[٤].

---

(١) المفهم ٣/٥٨-٥٩.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٦/١٥٤.

(٣) انظر هذه الأحاديث في: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٥٨-٢٦٢ شرح الحديث العاشر.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٦٢.

المضامين الدعوية

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب:

يظهر أسلوب الإخبار في قول رسول الله ﷺ "من تصدق بعدل تمرة ..." فقد أخبر عن فضل الصدقة من كسب طيب، وأن الله تعالى يُنمّي هذه الصدقة ويضاعفها حتى يعظُم أجرها عند الله تعالى وذلك للحث على الصدقة ولو بالشيء القليل؛ لأن الله يضاعف لمن يشاء.

ويظهر أسلوب الترغيب في قول رسول الله ﷺ: "مَن تَصَدَّقَ بعَدْلِ تمرةٍ من كسْبٍ طيِّب -ولا يَقبلُ الله إلاّ الطيِّبَ- فإنَّ اللهَ يتقبَّلهُا بيمينِه، ثمَّ يُرَبيِّهَا لصاحبها كما يربِّي أحَدُكم فَلُوَّهُ، حتى تكونَ مِثل الجبلِ".

فقد رغب رسول الله ﷺ في التصدق من كسب طيب وإن كان قليلاً.

وأسلوب الترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة، مقابل الالتزام بأداء أمر، أو اجتناب نهي. ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تحقق للملتزم[1]. فعلى الداعية أن يرغب المدعوين فيما يحقق لهم الخير.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة من الكسب الطيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "مَن تَصَدَّقَ بعَدْلِ تمرةٍ من كسْبٍ طيِّب ولا يَقبلُ الله إلاّ الطيِّبَ فإنَّ اللهَ يتقبَّلهُا بيمينِه، ثمَّ يُرَبيِّهَا لصاحبها كما يربِّي أحَدُكم فَلُوَّهُ، حتى تكونَ مِثل الجبلِ".

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٧.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيه -وهو خبيثه- فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا[١]).

قال القاسمي: (هذا بيان لحال ما ينفق منه، إثر بيان أصل الإنفاق وكيفيته أي أنفقوا من جياد ما كسبتم لقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٢] فمقتضى الإيمان الإنفاق من الجيد. لا سيما ما يطلب به رضا الله وتثبيت النفس. وفي الامر إشعار بأنه يمثل بالزرع المنبت سبع سنابل، أو بالجنة بربوة، وما أنفق من الجيد "ومما" أي ومن طيبات ما "أخرجنا لكم من الأرض" من الحبوب والثمار "ولا تيمموا" أي لا تقصدوا "الخبيث" أي الرديء من أموالكم "منه تنفقون ولستم بآخذيه" أي بقابليه "يعني الرديء" إذا اهدي إليكم "إلا أن تغمضوا فيه" أي إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه[٣]).

وقال رسول الله ﷺ: ((لاَ يَقْبَلُ الله صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ، ولا صَلاَةً بِغَيْرِ طُهُورٍ))[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً. وَإِنَّ اللّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ. فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٥] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[٦]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ. أَشْعَثَ أَغْبَرَ. يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ. يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ. فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟))[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩٧/١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٤٢/٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٤

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٧) أخرجه مسلم ١٠١٥.

قال القاضي عياض: (قوله ﷺ "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً" الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص وهو بمعنى القدوس وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث)[١]، وقال النووي: (وهذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومباني الأحكام...، وفيه الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من غيره وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون خالصاً لا شبهة فيه وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره)[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: إثبات اليد لله تعالى:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث إثبات اليد لله تعالى، ويظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "... فإنَّ اللهَ يتقبَّلُها بيمينِه ...".

قال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾[٤].

ومن السنة حديث أبي موسى الأشعري الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)[٥]، [٦].

وكذا أيضاً ما أثبته الرسول ﷺ وجب تلقيه بالقبول ووجب إثباته على ما يليق بعظمة الله وكبريائه ومجده وعزته "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فالله جل وعلا في ثلاث عشرة آية أثبت لنفسه اليدين. وأحاديث الرسول ﷺ كثيرة وشهيرة في ذلك وأقوال السلف والخلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان في وصف الله باليدين كثيرة جداً.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣٥٣/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٤.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٤.

(٤) سورة ص، آية: ٧٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٧٥٩.

(٦) كتاب أصول الإيمان، نخبة من العلماء ص ٨٨.

وقيام رسول الله ﷺ يوم القيامة عن يمينه وتخيير آدم بين ما في يديه فقال اخترت يمين ربي، وأخذ الصدقة بيمينه يربيها لصاحبها. وكتابته بيده على نفسه إن رحمته تغلب غضبه، وأنه مسح ظهر آدم بيده ثم قال له ويداه مفتوحتان اختر فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة.

وأن يمينه ملأى لا يغضيها نفقة سحاء الليل والنهار. وبيده الأخرى القسط يرفع ويخفض. وأنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وأنه يطوي السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يطوي الأرض باليد الأخرى. وأنه خط الألواح التي كتبها لموسى بيده[(١)].

رابعاً- من أساليب الدعوة : التشبيه:

إن التشبيه من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية لتقريب المراد وتوضيح المعنى، يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ثم يُرَبِّيها لِصاحِبِها كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فلوهُ). فقد شبه الصدقة بالمهر لأنه يفلى أي يفطم.. وضرب به المثل لأنه يزيد زيادة بينه، ولأن الصدقة نتاج العمل، وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيماً، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال، وكذلك عمل ابن آدم - لاسيما الصدقة - فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال حتى تنتهي بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل[(٢)].

وأسلوب التشبيه من الأساليب الدعوية الناجحة؛ لأنه يقوم بتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي شبه به فقد يكون أقرب إلى تعلقه وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير[(٣)].

---

(١) عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، ط١، ١٤٠١هـ، ٥٠١/٢-٥٠٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٣٢٨/٣.

(٣) انظر: الأمثال في القرآن الكريم، ابن القيم، ص٢٢.

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل الله على المتصدق من الرزق الطيب:

يظهر ذلك في بيان النبي ﷺ: أن يقبل الصدقة من كسب طيب ولو كانت بقيمة تمرة فيربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل. وهذا من فضل الله على عبده المتصدق من الرزق الطيب.

قال القاضي عياض: (لما كان الشيء الذي يرتضى ويعز يُتلَقى باليمين ويؤخذ بها استعمل في مثل هذا للقبول والرضى، كما قال: "تلقاها عرابة باليمين وقيل: وعناها هاهنا بنعمته"، يريد سرعة المبادرة ليعلمها فلما استعار بهذه الخصال والأفعال الجميلة من خصال المجد وأنه استعار للمبادرة لفعلها تلقى باليمين على العادة فيما تحرص عليه وتبادر إليه، ويقبلها تفضله الواسع، وقيل: عبر باليمين هاهنا عن جهة القبول والرضى إذ الشمال بضده في هذا وغيره. وقد فرق الله بين أصحاب اليمين والشمال، وقد قيل: إن المراد هنا بكف الرحمن ويمينه كف المتصدق عليه ويمينه، وإضافتها إلى الله إضافة ملك واختصاص بوضع هذه الصدقة لوجهه فيها، وقد قيل في تزكيتها وتعظيمها حتى تكون مثل الجبل، أن المراد بذلك تعظيم الأجر وتضعيف الثواب، وقد يصح أن يكون على وجهه، وأن تعظم ذاتها ويبارك الله فيها، ويزيدها من فضله لتعظم في الميزان وتثقل، ولعله يصح أن يكون المراد بالكف هنا كفة الميزان، وطرف كل شيء كفه وكفيه، وهذا الحديث يصدقه قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[1])[2].

وفضل الله على عباده عظيم فهو يضاعف لهم الحسنات: فيضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

فمضاعفة الحسنة بعشر أمثالها لازم لكل الحسنات وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٦.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣/٥٣٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

أما زيادة المضاعفة على العشر لمن شاء الله أن يضاعف له فدل عليه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١]، وفي صحيح مسلم[٢] عن أبي مسعود، قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: يا رسول الله، هذه في سبيل الله فقال: (لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة)[٣] فعلى الداعية حث المدعوين على فعل الخير وبيان فضل الله على عباده في مضاعفة أجر المتصدق.

---

١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

٢) أخرجه مسلم ١٨٩٢.

٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٢١٣.

الحديث رقم (٥٦١)

٥٦١- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي[(١)] بفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ، اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأفْرَغَ مَاءهُ فِي حَرَّةٍ، فإذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإذَا رَجُلٌ قَائمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمسحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَا اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ، للاسم الذي سَمِعَ فِي السَّحابةِ، فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْألُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً فِي السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، فَقَالَ: أمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإنِّي أنْظُرُ إلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأردُّ فِيهَا ثُلُثَهُ)) رواه مسلم[(٢)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الفلاةُ: الأرض الواسعة المقفرة[(٣)].

فتنحى: أي قصد[(٤)].

الحرة: الأرضُ المُلبَّسَةُ حجارة سوداء[(٥)].

الشَّرْجَةُ: مسيل الماء[(٦)].

بمسحاته: هي المِجرفَة من الحديد[(٧)].

---

(١) (يمشي) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم ٢٩٨٤/٤٥. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٦٣.

(٣) الوسيط، مجمع اللغة العربية / في (ف ل و).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١٦.

(٥) رياض الصالحين ٢٥٦.

(٦) رياض الصالحين ٢٥٧.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٦٩.

الشرح الأدبي

الحديث قصصي يقرر عن طريق القصة والحوار فضل الصدقة في تحقيق الخير، والبركة للعبد، وتيسير أسباب الرزق في الأرض، وفي السماء، والتي تبينت في أثناء الحوار بين الملك وبين السحاب، وبين الرجل، وصاحب البستان، فقول الملك الموكل بالسحاب (اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ) أمر للتكريم، والإشادة بفضل المذكور الذي خصه بمزيد العطاء، وحكاية حركة السحاب، وتفصيلها تصور كيف تتحول الأسباب وتتيسر حتى تحقق مراد الله بالوصول إلى العبد الكريم المنفق تأمل تتابع الأحداث في قوله (فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءهُ فِي حَرَّةٍ) تجد الفاء تحكي تتابع الأحداث وسرعتها التي تمثل سرعة الخير إلى العبد المنفق، والتعبير بالتنحية التي تمثل تغيير الاتجاه قصدا إلى بستان هذا الكريم، ثم إشارة التعظيم (ذلك) التي تشير إلى أنه سحاب عظيم ثم إنه تسخير لجرم عظيم لسقي بستان عبد لا يملك أن يحرك فيه شيئا لو تخطاه. ثم التعبير بقوله (فأفرغ ماءه) الذي يشير إلى المبالغة في كثرة الماء عن طريق التعبير بالإفراغ، وتعريف الماء بالإضافة للضمير العائد على السحاب، وهو تسخير لأجرام السماء، وتأمل تسخير الأسباب في الأرض (فإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ المَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ) تحكي تشكيلا صخريا بطريقة تجمع الماء ثم توجهه إلى بستانه، وهو أمر بالغ المشقة لا يستطيع أن يفعله صاحب البستان بنفسه؛ لأن الحرة حجارة سوداء صلبة، والتعبير بالاستيعاب يشير إلى احتواء الماء، والتعبير بـ(ذلك) تعظيم لهذا الماء لكثرته، والتوكيد بلفظ (كله) الذي يوحي بتوفيره على هذا البستان، والفعل تتبع الذي يحكي عدم تفلته ووحدة اتجاهه للهدف المقصود نحو بستان العبد الصالح، ثم إن هذا العبد أخذ بالأسباب، واجتهد (فإذَا رَجُلٌ قَائمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسحَاتِهِ)، و سؤال الرجل له (يَا عَبْدَ اللهِ، ما اسمُكَ ؟)استفهام تحقيق، وتثبيت يحمل تعجبا من حاله يدفعه لمعرفة سر اجتماع تلك الأسباب في السماء، والأرض فكانت إجابته في نهاية القصة مقررة للمعنى الذي أراده الرسول ﷺ بداية بهذه القصة قال: (فَإنّي أنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا) وهو كناية عن تجميعه لكل ثمارها

وقوله : (فَأتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأردُّ فِيهَا ثُلُثَهُ) حسن تقسيم يكشف سبب تكاتف أسباب التوفيق العليا في السماء، والسفلى في الأرض لتحقيق النماء، والبركة في هذا البستان الذي سقته الصدقة، وزكاه الإنفاق.

المضامين الدعوية

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

يظهر هذا في قول رسول الله ﷺ: "بَيْنَا رَجُلٌ يمشي بفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ..."، فقد ذكر رسول الله ﷺ قصة هذا الرجل.

والاتصال عن طريق القصة محبب للنفس تميل إليه وتأخذ العبرة والعظة منه خاصة إذ أجاد القاص في سرد القصة وأحسن اختيار عناصرها والكتاب العزيز اشتمل على القصص، بل هناك سورة القصص، قال تعالى في سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[1] ويقول سبحانه وتعالى في نفس السورة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾[2].

القصة فن من فنون الأدب العربي التعبيرية تجسد الشخصيات التي تحتويها بشكل يقرب إلى الواقع فيعيشها المستمع لما تتميز من طريقة خاصة تعمل على جذب المستمع إلى أحداثها ووقائعها حتى النهاية.

وأحسن القصص وأفضله وأبلغه وأفصحه ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ[3]. ولاشك أن هذه القصة التي وردت في هذا الحديث اشتملت على المعاني العظيمة التي تؤثر تأثيراً إيجابياً في نفوس المدعوين، وتبين أهمية الصدقة وفضل الكرم والجود وأن ذلك من أسباب مضاعفة الحسنات، وزيادة الأرزاق، وتيسير أسباب الخير.

---

(١) سورة يوسف، آية: ٣.

(٢) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٣) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية د. الشريف حمدان الهجاري ص ٥١٨.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تسخير الله للسحاب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "... فسمع صوتاً في سحابة؛ اسق حديقة فلان، فتنحى السحاب فأفرغ ماءه في حرة ...". وتسخير الله تعالى للسحاب أمر ثابت.

(فإن ما نشاهده من سير السحب وتنقلها من مكان إلى آخر قد يظن بعض الناس أن هذا من تلقاء نفسها، أو أن الطبيعة العمياء هي التي تصرفها وتوجهها ولكن الأمر غير ذلك، فإن هذا الأمر المشاهد والمنضبط بالسنن الربانية تسيره الملائكة بأمر خالقها سبحانه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله، فقالوا فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: "زجرة بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر) قالوا صدقت"[1] [2].

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[5].

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق من كسب الإنسان

يستنبط هذا من عموم الحديث فقد بيّن رسول الله ﷺ فعل هذا الرجل من الإنفاق من حديقته وجزاء الله له على ذلك بتسخير السحاب لريّ حديقته.

قال النووي: وفي الحديث فضل الصدقة والإحسان إلى المساكين وأبناء السبيل وفضل أكل الإنسان من كسبه والإنفاق على العيال[6]. فإن المال نعمة من نعم الله التي

---

(١) أخرجه الترمذي ٣١١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٤٩٢).

(٢) علم الإيمان، عبدالمجيد الزنداني، ٣٧٧/٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٦٤.

(٤) سورة الرعد، آية: ١٢.

(٥) سورة فاطر، آية: ٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١٦.

أنعم بها على عباده في هذه الحياة الدنيا، فالمال ينتفع به العباد في قضاء حوائجهم، وتوفير سبل الراحة المختلفة فكان المال زينة الحياة الدنيا[1]، قال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

فمن محاسن المال أن صاحبه ينفق منه على نفسه، وعلى من تجب عليه نفقتهم. ويعينه على أداء العبادات كالحج، والجهاد، وغيرها. كما أنه يمكن صاحبه من فعل أعمال الخير، والبر والإحسان، وإكرام الضيف، فينتفع العبد منه في حياته، وبعد مماته[3].

وقال رسول الله ﷺ: (أفضل دينار ينفقه الرجل: دينار ينفقه على عياله. ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله. ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله)[4].

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الإنفاق والبذل

يستنبط ذلك من عموم القصة التي ذكرها رسول الله ﷺ فقد بيّن فيها إكرام الله وتسخيره السحاب لمن ينفق من حديقته وفي ذلك ترغيب في الإنفاق والبذل، وقد وعد الله في كتابه أن ما ينفقه الإنسان فإن الله يخلفه عليه، ويعطيه خلفاً عنه. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[5].

قال ابن كثير: (أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث: (قال الله عز وجل: أنفق أنفق عليك)[6].

---

(١) العمل الخيري في الإسلام د. حمدان بن مسلم بن مكتوم المزروعي ص ٧٩.

(٢) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٣) انظر: مفيد العلوم ومبيد الهموم، الشيخ جمال الدين أبو بكر الخوارزمي، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ص ١٣١.

(٤) أخرجه مسلم ٩٩٤.

(٥) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٦) أخرجه البخاري ٤٦٨٤، ومسلم ٩٩٣.

وفي الحديث: ((ما مِن يومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلاَّ مَلَكانِ يَنزِلانِ فيقولُ أحدُهما: اللَّهمَّ أعطِ مُنفِقاً خَلَفا، ويَقولُ الآخَرُ: اللّهمَّ أعطِ مُمسِكاً تلَفاً))[1][2]. وقد بيّن المصطفى ﷺ شمول معنى الصدقة، فقال: ((نفقةُ الرجلِ على أهلهِ صدَقة))[3] وقال ((ما مِنْ مُسلمٍ يَغرِسُ غَرْساً، أو يَزْرَعُ زَرْعاً فيأكُلُ منه طَيْرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلاَّ كان لهُ بهِ صَدَقة))[4].

فعلى الداعية أن يرغب المدعوين في الإنفاق والبذل ويحذرهم من الشح والبخل.

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٤٢، ومسلم ١٠١٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٢٣/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٤٠٠٦.

(٤) أخرجه البخاري ٢٣٢٠، ومسلم ١٥٥٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الفقر والغنى من سنن الله في الوجود، والإسلام لا يبقي الفقراء على حالهم، ولا الأغنياء على يسارهم دون الشعور بإخوانهم، وإنما حرص الإسلام على مساعدة الفقراء على دفع غائلة الفقر ودرء شرهه، ومن السبل التي سلكها من أجل هذا ما يلي:

١/ سخاء الأغنياء.

٢/ زهد الفقراء.

٣/ الحقوق التي فرضها في الأموال.

٤/ الكفارات على اختلاف أشكالها وألوانها.

٥/ النذور والهبات والوقف الإسلامي.

ونظراً لأن الفقر يشكل مشكلة اجتماعية في سقها الاقتصادي فقد رأينا أحاديث تبلغ حداً في الكثرة تدعو إلى الصدقة - في غير فريضة - وتحث على العطاء بدءً بالقليل "ولو بشق تمرة" وانتهاءً بالكثير "رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق" ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- إيجاد البديل التربوي:

إن من منهج التربية الإسلامية، منهج متكامل، ووحدة رصينة، إن هَدَمَ شيئًا من مرذول الأخلاق، وقبيح الأفعال، أقام البديل والعوض، في أنبل معانيه، وأحسن أوصافه.

"فالحسد خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها وتتمنى أن لو فاته كسبها حتى يساويها في العدم كما قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٩.

أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[(١)]، فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو"[(٢)].

ولكن... كيف عالج الإسلام -كمنهج تربوي فريد- هذه الوضاعة في النفس، والدناءة في الخلق!

نقول إنه:

عالجها بتربية النفس على التنافس في الخير، دون أدنى إثارة للشحناء والبغضاء، أي أوجد وأقام البديل التربوي عن مرذول خلق الحسد، بإيجاد وغرس خلق المنافسة في بناء النشء المسلم وهذا ما تراءى جليًا في حديث الباب من قوله ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ ...إلخ».

والمراد بالحسد هنا الغبطة: أي: لا يراد تمني زوال النعمة من الغير، بل المنافسة والتطلع لأن يكون للنفس من الخير ما للغير دون تمني زوال نعمته[(٣)].

وهذه اللفتة التربوية تكشف عن طبيعة تكامل هذا الدين، وتبين منهجه السامق في مراعاته لخلجات نفوس المتربين والمتعلمين، حيث الواقعية وعدم حرفية الأحكام، في منع أمور دون إيجاد بديلها، لذا وجب على القائمين بالتربية والتوجيه: مراعاة ذلك عند تربية النشء، فإن بينوا -مثلاً- حرمة الزنا والنظر المحرم، أوجدوا الدعوة إلى الزواج، أو الصيام لغير القادر، "وإن حذروا الأسر المسلمة من فساد البث الإعلامي، أوجدوا التوجيه والدعوة إلى الإعلام الإسلامي الهادف، كقناة المجد والفجر ...إلخ، حيث يأمن الآباء والأمهات على تربية أبنائهم لما يُبَثُ من هذه القنوات الفضائية، وكذلك مراعاة إيجاد البديل عن المواقع الإلكترونية المحرمة، كموقع: إسلام أون لاين وإسلام ويب، وموقع الإسلام لشركة حرف، وشبكة رينيم العربية[(٤)].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٩.

(٢) التدين والصحة النفسية، د. صالح إبراهيم الصنيع، ٢٩٧.

(٣) إصلاح المجتمع، محمد سالم البيحاني، ١٠٢.

(٤) البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية، د. سالم محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٦٠-١٦٤ بتصرف.

ثانيًا- غرس روح المنافسة:

إن المنافسة بين المتربين والمتعلمين من غير شحناء، تعدو بحق من أعظم طرق التربية الناجعة في حمل المتربين على الجد والاجتهاد، لبلوغ أوجه التربية الإسلامية.

وقد أشارت أحاديث الباب إلى مراعاة ذلك، لقوله ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ ... إلخ»، وقوله ﷺ: «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ... إلخ».

وقد ورد عن السلف الصالح ما يؤكد أهمية إثارة المنافسة بين المتربين من غير شحناء، فعن سعيد بن جبير «أن امرأة أتت ابن عباس رضي الله عنهما بكتاب بعد ما ذهب بصره، فدفعه إلى ابنه فتبرأ منه - أي أن القراءة قد استصعبت عليه فانقطع-فدفعه إليَّ فقرأته، فقال لابنه: ألا هذرمته -أي كنت سريع القراءة- كما هذرمه الغلام البصري»[(١)].

وغرس المنافسة في تربية النشء ليس قاصرًا على مرحلة تربوية بعينها بل يشمل جميع المراحل التربوية، وإنما الذي يختلف في هذه الحالة هو مضمون المنافسة، وقد ورد في السنة شيء كثير من ذلك[(٢)]، والتي منها:

قوله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِىءٍ، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(٣)].

وهذه المنافسة التي أوجدها المربي الأول لجيل الإسلام هي التي حدت بعمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن يقول: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ

---

(١) التمهيد، ابن عبدالبر، ١٦/٩٠.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ٩١.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٢٨.

اللهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللهِ، لاَ أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا»(١).

ولكن... التساؤل الذي يطرح نفسه هنا، هو كيف يستطيع المتربي أن يوجد لنفسه جو المنافسة حتى يبلغ آفاق ما يرجو؟!

وللإجابة على ذلك نقول:

إن المتربي والمتعلم إن طالت صحبتهما لسير السلف استوحش من أهل زمانه وأنكر أسلوب حياتهم، وتعلق بالآفاق العالية التي حلق فيه أولئك الرجال العظماء النبغاء الموهوبون، فهو في كل ساعة مشغول بمنافستهم ومزاحمتهم، وكلما حل بمنزلة من منازل السير: تراءت له أخرى أعلى، وكلما دهمه كسل أو فتور: تذكر أنه في حلبة سباق، وأي تهاون أو تباطؤ سيلقى به في مؤخرة المتنافسين، ويزيده تشجيعًا: أن الاجتماع بهؤلاء السلف الصالح هو في السير على نهجهم والتخلق بأخلاقهم، وإن الاقتباس من السير الناجحة والتجارب الموفقة هو ما يحدث للمتربي والمتعلم جو المنافسة المستمر، مما يدفعه إلى بلوغ كمال غايته وحسن مبتغاه(٢).

ثالثًا- التربية على حب البذل والإنفاق:

إن من الوقفات التربوية اللازمة، والتي تتعلق بحقائق النفس ومساربها البشرية، وقفة البذل والجود، وحب الإنفاق في وجوه الخير، فالشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم. ويخوفه من الإنفاق في سبيل الله ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾(٣)(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٦٧٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٠٢).

(٢) مقاصد التوبة، دعوة إلى السير في مدارج الكمال، د. محمد عز الدين توفيق، مجلة البيان، العدد ١٠٦، بسنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٢٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦٨.

(٤) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي ص ٢١.

والمتربي أو المتعلم الناظر في حال الناس، يجد أنهم لا يخرجون عن صورتين:

الأولى: صورة الحليم الرشيد الذي إذا رزقه الله مالاً وولداً، وسع عليه فيما وهب له، وعرف حق الله في ذلك، فأحسن التربية وعلم الأبناء، وأكل وشرب ولبس وركب وأنفق وتصدق وبرّ وأحسن في غير سرف ولا مخيلة، يفعل الخير وينتظر الجزاء عليه من الله في الدنيا بالخلق ويوم القيامة بالأجر العظيم.

الثانية: صورة البخيل الشحيح المأثوم المحروم لا يتمتع بماله، ولا ينفعه حقه حيًا ولا ميتًا، يسير حافيًا، ويأكل اليابس والناشف، ويلبس المخرَّق والبالي، ولو مرض وكان دواؤه بدرهمين ما اشتراه ولا استعمله إلا أن يأتيه مجانًا، أو يتصدق به عليه، ولو شاء لافترش الوثير، ولبس الريش، وأكل وشرب أطيب الطعام، وألذ الشراب، وأنى له ذلك وهو المسكين الحزين على ما فات، والحريص على ما هو آت؛ ومن بخل بشيء على نفسه فهو على غيره أبخل: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾[1][2].

وبعد عرض هاتين الصورتين، والتي تجسد حال مجموع الناس، يجدر بالمربي والمتعلم أن يلوذ بامتثال صورة الإنفاق والجود والكرم، خاصة إن علم أنها تجسد امتثال أمر الله تعالى ورسوله ﷺ، حيث قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[3].

أما السنة النبوية فقد استفاضت في ترسيخ هذا المعاني، وتأكيدها في تربية

---

(١) سورة الليل، الآيات: ٨-١١.

(٢) إصلاح المجتمع، محمد سالم البيحاني، ٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) سورة الإسراء، الآيات: ٢٦-٢٩.

النشر، وهذا ما ترائى من مجمل أحاديث الباب، والتي من أبرزها، قوله ﷺ: «لاَ حسدَ إلاّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللّه مَالاً، فَسلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ... إلخ»، وقوله ﷺ: «إن تبذل الفضل خير لك ... إلخ»، وقوله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال...إلخ»، وقوله ﷺ: «بقى كلها غير كتفها»، وقوله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة ... إلى قوله: حتى تكون مثل الجبل».

والمتربي الصالح يهيئ اللّه له أسباب الخير من كل ناحية، فنفسه طيبة تجود بالكثير، ولا تحتقر القليل، ويرى عليه حقًا لكل بائس فقير، وقد يرزقه اللّه مالاً يسع كثرة الإنفاق في سبيل اللّه، ولا تأتي على نفاده وجوه البر والإحسان، وله بطانة صالحة، وأسرة طيبة تعينه على الجود والسخاء، فيصبح بعد ذلك كريمًا لا يبالي بما أنفقت زوجته، وما تصدقت به من درهم أو ثوب أو لقمة خبز،....... فالمرأة الصالحة المتدينة تعين زوجها على ما يحبه اللّه ويرضاه، ومن ذلك أن تذكر له حاجة الجار والمسكين، فيرق له ويأمرها بمواساته، وأن ترضخ له ما تيسر ولو من قوته وقوت عياله[1].

وهذا ما بينه النبي ﷺ في أحاديث الباب من قوله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما «لاَ تُوكِي ... إلخ»، وقوله ﷺ: «أَنْفِقِي، أَوِ انْفَحِي أَوِ انْضَحِي، وَلاَ تُحْصِي ... إلخ».

وعلى المرأة إذا أنفقت أن تراعي حال زوجها، فلا تعتمد إلى كل شيء في البيت فتخرجه، ولا تأخذ شيئًا يعز عليه وتتصدق به، فإن ذلك يغضبه ويؤذيه، ويحمله على منعها من الخير؛ وليس بلازم أن تكون الصدقة بالكبير أو من الكثير، ولكنها بما تيسر[2].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في أحاديث الباب -عند تربيته لأمته- وذلك في قوله «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشِقِّ تَمْرَةٍ».

---

(١) إصلاح المجتمع، محمد سالم البيحاني، ٢٢٩، ٢٣٠.

(٢) المرجع السابق، ٢٣٠.

وعند تربية الناشئة على الإنفاق والبذل، يجدر بدعاة التربية والتوجيه مراعاة الآتي:

١-بيان أن الإنفاق من باب شكر النعمة، فإن لله عز وجل على عبده نعمًا في نفسه، وفي ماله، فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن، والمالية شكر لنعمة المال. وما أخسَّ من ينظر إلى الفقير، وقد ضُيِّق عليه الرزق وأُحوجَ إليه، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه.

٢-الإسرار في الإنفاق؛ فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].

وفائدة الإخفاء للمتربي والمتعلم تحقيق الخلاص من آفات الرياء والسمعة، وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي، فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى، وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي، وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم، وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي، وكان يستكتم المتوسط شأنه، ويوصيه بان لا يفشيه. كل ذلك احترازًا من الرياء والسمعة.

٣-إعلان المتربي للصدقة والإنفاق، إن كان في ذلك ترغيب للناس في الاقتداء بالإنفاق، لقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾[2].

٤-أن لا يفسد المتربي والمتعلم، صدقته بالمن والأذى، لقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[3]، واختلفوا في حقيقة المن والأذى فقيل: المن أن يذكرها، والأذى: أن يظهرها، وقال سفيان: المن: هو ذكر الصدقة والتحدث بها والأذى أن يعيره بالفقر.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦٤.

٥- أن ينتقي المتربي من ماله أجوده وأحبه إليه وأحلّه وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا.

رابعًا- تعلم العلم ونشره:

إن استحكام الأهداف التربوية العليا، في قلوب المتربين والمتعلمين مما يحدو بالمجتمع نحو الصلاح العاجل، والفلاح الدائم، ومن أهم الأهداف التربوية المناط غرسها في بناء النشء، تعلم العلم ونشره.

وهذا ما يترائى جليًا في حديث الباب من قوله ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ»، ثم ذكر ﷺ: «ورجُلٍ آتاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فهو يَقضِي بها ويُعلِّمها».

فالمربي عمله التربية، وهو يقوم بعملية بناء منظمة، لتنشئة من يربي تنشئة سوية متزنة. فلا ينتظر المربي وقوع الخلل والخطأ حتى يبدأ في معالجته، بل يكون هو البادئ بالتربية والتعليم[1].

ومن المسلمات التربوية الواجب ترسيخها في أذهان ووجدان القائمين على التربية والتوجيه. أن طفولة المتربي قد خُلقت لطلب العلم وقد أطالها الله تعالى أكثر من طفولة الحيوانات ليتسنى للصغار الاستمرار طويلاً في الدراسة، وإن مخالفة ذلك، بوضع الأطفال في العمل في سن مبكرة ينهك أجسامهم ويعرضهم لأخطار وآفات العمل، فضلاً عن جعلهم ينقمون في كبرهم على ذويهم وعلى مجتمعهم بسبب العقد النفسية التي تكونت لديهم من التعذيب الذي لاقوه في صغرهم[2].

ويجب على القائمين بالتربية والتعليم مراعاة الآتي في تعليمهم لأبنائهم وذويهم:

١- الرفق والرحمة وعدم الإثقال في التعليم:

فرغبة المربي والمعلم في الوصول بتلميذه إلى الدرجة العليا قد تدفعه إلى نسيان ما ينبغي عليه في ذلك، فيثقل كثيرًا على التلميذ، حتى يكاد التلميذ أن يملّ من ذلك، ولكن ينبغي أن يراعي أوضاعهم حتى تؤتي التربية ثمارها، وهذا رسولنا

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ١١٨.

(٢) نحو أسرة مسلمة، محمود مهدي الاستانبولي، ١٢٧.

الكريم ﷺ، وقد أتاه مجموعة من الشباب متقاربين في السن، فأقاموا عنده عشرين ليلة، فلما ظن أنهم قد اشتاقوا لأهلهم أمرهم بالرجوع إليهم وأوصاهم[(١)]، وهذا ما يخبرنا به مالك بن الحويرث رضي الله عنه يقول: «أتينا النبيَّ ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون، فأقمنا عندَهُ عشرينَ ليلةً، وكان رسولُ اللَّه ﷺ رحيمًا رفيقًا، فلما ظن أنا قد اشتهينا أَهلَنا - أو قد اشتَقنا - سَأَلَنا عمن تركنا بعدَنا فأخبرناهُ، قال: ارجعوا إلى أَهْلِيكم فأقيموا فيهم، وعلموهم ومُرُوهم - وذكرَ أشياءَ أحفَظها ولا أحفَظها - وَصَلُّوا كما رأيتموني أصلِّي، ....إلخ»[(٢)].

لذا وجب على المعلم أن يتعاهد تلاميذه ويعرف احتياجهم، ويرفق بهم ولا يهمل النوازع الإنسانية، فلا يتعامل معهم على أنهم ملائكة، بل هم بشر من البشر[(٣)].

٢- ضرورة غرس همة الاقتداء بالسلف الصالح في تعلم العلم ونشره:

"تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا، وأنفقت زمن الصفوة والشباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلا ما لو حصل لي لندمت عليه، ثم تأملت حالي: فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم، وما نلته من معرفة العلم لا يقاوم، وما طالت طريق أدت إلى صديق -كما يقال-، وقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل؛ لأجل ما أرجو وأطلب".

وقال: "كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج إلى طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى في ضواحي بغداد، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا تحصيل العلم ... إلخ"[(٤)].

وذكر أنه سار ماشيًا من الكوفة إلى بغداد مرات عديدة، ومن مكة إلى المدينة

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ١٥٣.

(٢) أخرجه البخاري، ٥٩٥.

(٣) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ١١٨.

(٤) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا، ٥٩٧.

مرارًا، ومن البحر من قرب مدينة صلا إلى مصر ماشيًا، ومن مصر إلى الرملة، ومن الرملة إلى بيت المقدس، ومن الرملة إلى عسقلان، ومن الرملة إلى طبرية، ومن طبرية إلى دمشق، ومن دمشق إلى حمص، ومن حمص إلى أنطاكيا، ومن أنطاكيا إلى طرسوس، ثم من طرسوس إلى حمص، ومن حمص إلى بيسان، ومن بيسان إلى الرقة، وقبل ذلك من واسط إلى النيل، ومن النيل إلى الكوفة، كل ذلك ماشيًا في سفره الأول، وسنه عشرون عامًا"[1].

وقال: بعد أن نوزع مرة في النقل عن الوسيط - أتنازعوني وقد طالعته أربعمائة مرة.

وقال: فلما كان عمري تسع عشرة سنة، قد مر بي والدي إلى دمشق سنة تسع وأربعين، فسكنت المدرسة الرواحية، وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي إلى الأرض...، وحفظت التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وحفظت ربع المهذب في باقي السنة[2].

وأخيرًا ... أختم بقول ابن عابدين في مقدمة حاشيته للرد على الدر المختار: "وقد كنت صرفت في معاناته برهة من الدهر، وبذلت له مع المشقة مشقة من جديد العمر، واقتنصت بشبكة الأفهام أجل شوارده، وقيدت بأوتاد الأقلام جلىّ أوابده، وصرت في الليل والنهار سميره، حتى أسرّ إليّ سره وضميره وأطلعني على حوره المقصورة في الخيام، وكشف لي عن وجوه مخدّراته اللثام، فطفقت أوشي حواشي صحائف صحائفه اللطيفة، بما هو في الحقيقة بياض للصحيفة، ثم أردت جمع تلك الفوائد، وبسط سمط هاتيك الموائد، من متفرقات الحواشي والرقاع، خوفًا عليه من الضياع"[3].

فهذه هي همة العلماء التي أضاءت سبيل الطالبين وكشفت عن طريق المسترشدين لتعلم العلم وتحصيله.

---

(١) حوار مع فضيلة الشيخ/عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، ضمن مجلة البيان، العدد ١٣٢، شعبان ١٤١٩هـ. ديسمبر ١٩٩٨، ص٣٣.

(٢) المنهاج السوي في ترجمة النووي. جلال الدين السيوطي، مطبوع في مقدمة كتاب روضة الطالبين، الإمام النووي. تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١/٥٤-٥٨، ٥٥.

(٣) رد المحتار على الدر المختار المسمى "حاشية ابن عابدين"، محمد امين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١/٦٩-٧٠.

٣- ضرورة بيان الأسباب المعينة على طلب العلم وتعلمه، والتي على النحو التالي:

أ/ تقوى الله: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[2].

ب/ كثرة الاستغفار والتوبة والدعاء، والانطراح بين يدي الله تعالى وسؤاله العلم النافع والعلم الصالح.

ج/ ذكر الموت والآخرة ليعين على شغل الوقت بالنافع.

د/ المحافظة على الأوقات، وحسن ترتيبها، والحرص على استغلالها، بحيث يُعطي كل ذي حق حقه، بدون غلو ولا جفاء، وهذا شرط لا يحصل العلم بدونه.

و/ سلوك الوسائل المباشرة للتعليم، مثل: ملازمة العلماء والمشايخ في المساجد والبيوت، والتلقي عنهم، والتعليم في المدارس، والمعاهد، والجامعات، والقراءة مع الزملاء والأصدقاء وطلاب العلم، وكثرة الاطلاع، والقراءات الخاصة المنتقاة المرتبة، وإعداد البحوث الدقيقة، والاستماع إلى الأشرطة النافعة[3].

٤-وكان من أجلِّ مهام القائمين على التربية والتعليم، غرس الإخلاص في نفوس المتعلمين، حيث لا تستقيم طاعة ولا تقبل عبادة إلا بالإخلاص، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الله لا يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعني رِيحَهَا»[4].

وكان من أعظم وسائل غرس الإخلاص في نفوس طلاب العلم، القراءة في أخبار العلماء المخلصين ومعرفة أحوالهم، ليكسب طالب العلم معرفة بهم، وقدوة في شمائلهم، حيث قال أبو حنيفة: الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُّ إلى من كثير

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٣) أهمية العلم الشرعي، عبدالحكيم محمد بلال، ضمن بحوث مجلة البيان، العدد ١١١، ذو القعدة، ١٤١٧هـ، ابريل ١٩٩٧م، ص٦٥، ٦٦.

(٤) أخرجه أبو داود، ٣٦٦٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣١١٢).

من الفقه لأنها آداب القوم؛ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾(١)(٢).

وقد كان من أخبار السلف في بيان الإخلاص:

قول الشافعي: لوددت أن الخلق يتعلمون مني، ولا ينسب إليَّ منه شيء(٣).

وقال الحسن البصري: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار، وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سر فيكون علانية أبدًا(٤).

خامسًا- السؤال والاستفهام:

إن مما يوجه المتربي نحو معالم التربية، السؤال والاستفهام، حيث توضيح ما خفي عنه. وكشف ما التبس عليه؛ لذا وجب على القائمين بالتربية والتوجيه، طرح الأسئلة على المتربين، وهذا ما ترائى جليًا في حديث الباب من سؤال النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟».

والسؤال والاستفهام كما يكون من المعلم والمربي، يكون كذلك من المتربي إن استعصى واستشكل عليه أمر، وهذا ما ظهر جليًا في حديث الباب من قوله عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «إنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟»، وهنا يجب على المتربي والمتعلم احترام العالم في ألا يسأل إلا فيما يعلم، فلا ينبغي في الأصل أن يوجه للعالم الأسئلة في غير تخصصه، خاصة إذا كانت مبتورة أو ملتوية، أو موجهة لتحصيل غرض مبيت، فهذا من التغرير بالعالم والتوريط له.

ومما يجب مراعاته أيضًا في ذلك، دقة السؤال وأمانة السائل: فليست الأمانة مطلوبة فقط من المسؤول، بل من السائل أيضًا، فمن الأمانة أن يحسن المتربي صياغة

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

(٢) آداب المتعلمين، د. أحمد الباتلي ص ١٥-١٧ باختصار.

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢٥١/٢.

(٤) الزهد، ابن المبارك ص ٤٥.

السؤال، ويجرده من الإيهام والإبهام، وقد عد العلماء حسن السؤال في أول مراتب العلم.

ومن أمانة السائل أيضًا: أن يتحرى أمانة المسؤول وصدقه وأهليته، قيل لعبدالله بن المبارك: كيف نعرف العالم الصادق؟ قال: الذي يزهد في الدنيا ويقبل على الآخرة.

وأخيرًا كان من الواجب بيان أن العالم الأمين لا يجيب على السؤال مجردًا، بل ينظر في القرائن المحيطة بالسائل، فلعله يستعين بالعلم على البطالة، أو يستخدم الفتوى في ضلالة، أو يبتغي الرفعة على صنعة الدين، أو يريد تسخيره لهدف دفين، ولهذا كان ديدن العلماء والمصلحين أن يتأسوا برسول الله ﷺ في النظر إلى حال السائل قبل إعطائه الجواب، وفي عدم التمكين كمن يريد أن يختل الدنيا بالدين[1].

قال ابن مسعود ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ لَسَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ. وَلكِنَّهُمْ وَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ. فَهَانُوا عَلَيْهِمْ»[2]، وقال أحمد: «لْيَتَّقِ اللَّهَ عَبْدٌ وَلْيَنْظُرْ مَا يَقُولُ وَمَا يَتَكَلَّم، فَإِنَّه مَسْؤُولٌ»[3].

سادسًا- التربية بالترغيب والترهيب:

إن الإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب.

والسنة النبوية تؤكد أهمية هذا الجانب بما تضمنه من ترغيب وترهيب، تستجيش قلب الإنسان نحو الخير وتوجهه لذلك، وتخوفه من الانحراف، وتحذره من ذلك[4].

وهذا ما تراءى جليًا في مجمل أحاديث الباب، حيث ترغيب النبي ﷺ في الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى، وترهيبه ﷺ من التقتير والبخل وعدم الإنفاق.

---

(١) كيف نحمي ثوابتنا، عبدالعزيز كامل، ضمن بحوث مجلة البيان، العدد ٩١، ربيع أول ١٤١٦هـ/أغسطس ١٩٩٥م، ٣٧، ٤٠.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٨/٢.

(٣) المرجع السابق ٥٩/٢.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٢.

ومن شواهد الترغيب، التي تضمنتها أحاديث الباب، قوله ﷺ: «...اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا»، وقوله ﷺ: عن رب العزة: «أَنْفِقْ يا ابنَ آدمَ يُنفَقْ عليكَ»، وقوله ﷺ: «... ما نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ...إلخ»، وقوله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعِدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيبٍ ... إلى قوله ...، ثُمَّ يُرَبِيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ».

وقد اعتبر التربويون المسلمون الأوائل الثواب والمدح والثناء الأسلوب الأمثل، والحافز الأقوى للتعليم، ولذلك طالبوا المعلم والمربي المبادرة بالترغيب قبل غيره، وأن لا يلجأ إلى غيره إلا لحاجة ملحة قد تفرضها طبيعة المتربي، كأن يكون قليل الحياء مستخفًا بالكرامة قليل الألفة محبًا للكذب[(١)].

وقد جاء في وصية ابن سحنون لمعلم ولده: "لا تؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام، وليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف"[(٢)].

وقد بين ابن خلدون سوء مخالفة البدء بالترغيب في تربية المتربي، فقال: "ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وضيّق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه ذلك إلى الكسل، وحمله على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقًا، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عيالاً على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل؛ فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل السافلين[(٣)].

---

(١) الثواب والعقاب في التربية، د. عمر النمري، ضمن بحوث مجلة البيان، العدد ١٣٧، المحرم ١٤٢٠هـ/يونيو ١٩٩٩. ص٢٧.

(٢) آداب المعلمين، محمد بن سحنون، ملحقة في كتاب التربية في الإسلام، أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، ص ١٤٨.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ١٢٥٣/٣، ١٢٥٤.

أما الترهيب والوعيد الشديد فهو مرحلة ثانية في تأديب المتربي إن لم يفلح الترغيب، وقد ظهر هذا الأسلوب التربوي في أحاديث الباب من ترهيبه ﷺ من التقتير والبخل وعدم الإنفاق، وكان من الشواهد في أحاديث الباب على ذلك:

قوله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»، وقوله ﷺ: «... وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوَسِعُهَا فَلاَ تَتَّسِعْ».

فإذا لم ينفع مع المتربي أسلوب الترغيب يلجأ المربي والمعلم إلى أسلوب أشد في العقوبة المعنوية وهو أسلوب الترهيب والوعيد الشديد دون إيقاع الضرب ودون التبذل في العذل والتقريع في الكلام أو اللجوء إلى الشتم والسب. وقد جعل أبو الحسن القابسي هذا الأسلوب في العقوبة أعلى درجات العقوبة المعنوية، ويليه مباشرة إيقاع العقوبة البدنية بالمتربي إذا استأهل ذلك[1].

كذلك أشار الغزالي إلى أن المتربي إذا نُهي عن التخلق بسيئ الأخلاق فلم ينته، فينبغي أن يعاقب سرًا ويعظم الأمر فيه؛ فيقال له: إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفضح بين الناس. فإن لم ينته المتربي عن ذلك يلجأ إلى العقاب الجهري والتغليظ في القول لينزجر السامع ومن معه ويتأدبوا بذلك؛ فإن لم ينفع معه ذلك يُلجأ إلى العقوبة البدنية[2].

إن الترغيب والترهيب يثير عند الإنسان عامل الخوف، وعامل الرجاء والأمل، وهما في الواقع يوجهان اتجاه الإنسان، ويعملان على تحديد أهدافه، وسلوكه، ومشاعره وأفكاره، وعلى قدر ما يخاف، ونوع ما يخاف، وعلى قدر ما يرجو ونوع ما يرجو، يكون التأثير في السلوك والاتجاه. ولذلك ينبغي أن يكون حجم الترغيب والترهيب يتوافق مع حجم ونوعية ما وضع من أجله[3].

---

(١) الثواب، والعقاب في التربية، د. عمر النمري، ضمن بحوث مجلة البيان، ٢٩.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣/٧٣.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٥.

سابعًا- التربية الخلقية:

إن تربية الخلق في نفوس المتربين، من أهم ما يجب مراعاته من قِبل القائمين بالتربية والتوجيه، حيث امتثال قوله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأتَمِمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ»، وفي رواية «صَالِحَ الأَخْلاَقِ»[(١)]، وقد ترائى في أحاديث الباب، دعوة النبي ﷺ للتخلق بأخلاق الكرم والصدق والشجاعة، وذلك في قوله ﷺ: «... ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذَّابًا وَلاَ جَبَانًا».

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(٢)(٣)].

وقد يجد المتربي أن من الناس من إذا رزقه الله مالاً أو جاهًا - يتهرب من صاحب الحاجة الفقير ولو كان قريبًا له، لا كبرًا عليه، وإنما خوفًا من أن يفتح الباب عليه من أقاربه، فيبدؤون بالاستدانة منه، ويكثرون الطلبات عليه، أو غير ذلك!.

وبدلاً من أن يفتح الباب لهم، ويستضيفهم، ويوسع عليهم ويقوم على خدمتهم بما يستطيع، أو يعتذر لهم عما لا يستطيع- إذا به يعرض عنهم، ويحرمهم، ويهجرهم، حتى لا يرهقوه بكثرة مطالبهم -كما يزعم-!!

وما فائدة المال أو الجاه إذا حرم منه الأقارب؟ قال: زهير بن أبي سلمى -وما أجمل ما قال-:

وَمَن يَكُ ذا فَضْلٍ فيَبْخَلْ بفضْلِهِ ... على قَوْمِهِ يُستَغْنَ عنهُ ويُذْمَمِ

وما أجمل قول البارودي:

فَلاَ تَحْسَبَنَّ الْمَال، ينْفَعُ رَبَّهُ ... إِذَا هُوَ لَمْ تَحْمَدْ قِرَاهُ الْعَشَائِرُ[(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ٢٧٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٤٥.

(٢) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٣) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، ١١٨.

(٤) ديوان البارودي ٢/٩٧.

ومما قيل في ذلك:

ومن ذا الذي ترجو الأباعد نفعه ... إذا كان لم يصلح عليه الأقارب[١]

لذا كان البخل خلقًا ذميمًا يتولد من سوء الظن وضعف النفس، ويمده وعد الشيطان حتى يصير هلعًا، فكان من الواجب على القائمين بالتربية والتوجيه تنقية أنفس المتربين من شر الشح وشؤم البخل.

وأما الخلق الثاني الذي حذر منه النبي ﷺ، هو الكذب وذلك في قوله ﷺ: «... ولا كذاب ... إلخ».

ولله درُّ القائل:

مَا أَقْبَحَ الْكَذِبَ الْمَذْمُومَ صَاحِبُهُ ... وَأَحْسَنَ الصِّدْقَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وقال القائل:

عليْكَ بالصّدْقِ ولوْ أنّهُ ... أحرَقَكَ الصّدقُ بنارِ الوَعيدْ

وابْغِ رِضَى المَوْلى فأغْبى الوَرى ... مَنْ أسخَطَ المولَى وأرضى العَبيد

وكلما أفرط المرء في الكذب والإخبار بما لم يقع عرف عند الله وخلقه بأنه كذاب، فلا يقام له وزن، ولا يأمنه أحد على شيء؛ فإن كان عالمًا اتهم في قلمه ولسانه، أو تاجرًا اتهم في مكياله أو ميزانه، أو صانعًا اتهم في قوته وإتقانه، أو طبيبًا اتهم في آلته ومعرفته، أو محاميًا اتهم في أمانته وقدرته. فالكاذب يجني على نفسه قبل أن يجني على أحد، ولاسيما إذا تحرى الكذب حتى يكتب كذابًا في السماء وكذابًا في الأرض[٢]، وبهذا التحذير تنفر النفوس الصادقة عند تربيتها من الكذب وقبحه.

أما الخلق الأخير الوارد ذمه في نص الحديث هو، الجبن، حيث قوله ﷺ: «... ولا جبانًا».

وليس أضيع لجيل الأمة من هذا الخلق المرذول، حيث سوء الظن ووسوسة النفس بالسوء[٣]، وقد كانت تربية أبناء السلف الصالح تربية قويمة استقت مشاربها من

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ٦٦، ٦٧.

(٢) إصلاح المجتمع، محمد سالم البيحاني، ٧١.

(٣) التدين والصحة النفسية، د. صالح إبراهيم الصنيع، ٢٩٥.

مدرسة النبوة، فمضى الآباء يربون أبناءهم منذ الصغر على الفروسية والشجاعة والرجولة والإقدام واقتحام الأخطار والشدائد... حتى إذا بلغوا سن الحركة والانطلاق - وهم لم يناهزوا الحلم بعد- مضوا في مواكب التحرير والجهاد وابتغاء الرزق دعاة صادقين، وأبطالاً مجاهدين، وطلابًا للكسب عاملين!!"[١].

ثامنًا- تحرير النية الصالحة:

إن من أعظم التوجيهات التربوية الواجب إدامتها في تربية النشء، تحرير النية لله في كل عمل وفعل، وهذا ما ظهر من حديث الباب في قوله ﷺ: «... وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِيَ مَالاً لَعمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، ... إلخ».

وتحرير النية الصالحة للمتربي يشمل سائر الأعمال الحيوية.. فالأكل، والشرب، والنوم، والنزهة البريئة، والتمتع بسائر الطيبات.... إذا فعلها المتعلم أو المتربي أو أي مسلم آخر بنية الامتثال لأمر الله، والتعفف عن الحرام، وتقوية الجسم ليكون أقدر على حمل المسؤوليات والتكاليف.. يصبح العمل بهذه النية الصالحة عبادة يتقرب بها المؤمن إلى الله زلفى، وعلى هذا أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن الإنسان يعد مثابًا ومأجورًا إذا رفع اللقمة إلى فم امرأته بنية إيناسها وإدخال السرور عليها، وأخبر أيضًا ﷺ أن الذي يضع شهوته في الحلال بنية الإحصان، وإنجاب الذرية الصالحة... فله ثواب وأجر. وعلى هذا استنبط فقهاء الشريعة من هذه الأحاديث المتقدمة هذا الحكم: "إن النية الصالحة تقلب العادة عبادة"[٢]، لذا وجب مراعاة ذلك أثناء توجيه المتربي والمتعلم نحو القيام بسائر أفعاله وأعماله.



---

(١) تربية الأولاد، عبدالله ناصح علوان ٣١٤/١.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ٨٩٥/٢.

٦١- باب النهي عن البخل والشح

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾[الليل: ٨-١١]، وقال تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[التغابن: ١٦].

وأما الأحاديث فتقدمت جملة مِنْهَا في الباب السابق.

الحديث رقم (٥٦٢)

٥٦٢- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أنْ سَفَكُوا دِمَاءهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الظلم: هو مجاوزة الحد، والتعدي بكل أشكاله، والشح أشد البخل، وأبلغ في المنع من البخل، وقيل هو البخل مع الحرص، وقيل البخل في أفراد الأمور والشح عام، وقيل: البخل في أفراد الأمور، والشح بالمال، والمعروف، وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده، والبخل بما عنده، والشح بهذه المعاني مبعث كثير من الأخطاء، والآثام؛ لأنه يدعو إلى منع حق الله في المال والضن بالمعروف بل، ويدعو إلى منع الصدقة، وقطيعة الرحم وحرمان الانتفاع بالنعمة والتكالب على الدنيا، وأكل أموال الناس بالباطل، ونسيان الآخرة، وقد جاء تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم منه معطوفاً على الظلم بتبعاته ؛لأنه طريق إليه لذلك جاء الأسلوب محذراً، ومبيناً علاقته بمختلف الشرور، وتأثيره على المجتمع بعدة ألوان بلاغية منها:

---

(١) برقم ٢٥٧٨/٥٦، وتقدم برقم ٢٠٣. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢٧٩.

البداية بأسلوب إنشائي يتسم بالحركة التي تقاوم دفعاً حركة الظالم تقدماً وحركة الشحيح بما له تأخراً عن سبل البر، وهذا الأسلوب هو الأمر في قوله: (اتقوا الظلم...) بمعنى احذروه وانتهوا، والظلم يشمل كل ألوان التعدي على النفس وعلى الغير، وقوله: (فإن الظلم ظلمات) أكّد الجملة باسمية الجملة و(إن) قبلها إشارة إلى أهمية الخبر، وعنايته به حيث أنه لم يواجه بإنكار، والمقام لخال الذهن، فالتوكيد لأهمية الخبر، والتنبيه إلى خطره، أو لعله ﷺ نزّل المخاطبين غير المنكرين منزلة المنكرين لما استهانة من بعضهم بأمر الظلم، وغفلة عن خطره ؛فأكد الخبر بأكثر من مؤكد لدفع هذا التهاون، وبيان خطر الظلم يوم القيامة.

وما أروع تأثير الجناس في قوله (الظلم ظلمات) الذي يجذب الانتباه، ويؤكد المعنى وقوله: (فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) تشبيه بليغ حيث شبه الرسول -ﷺ- (الظلم) وهو شيء معنوي بالظلمات، وهي شيء حسي يدرك بالبصر، ووجه الشبه هو التخبط، وعدم الاهتداء.

والتشبيه البليغ محذوف الوجه، والأداة يفيد شدة الشبه بين المشبه، والمشبه به حتى كأنهما شيء واحد لإثبات المشبه به في الظاهر للمشبه، وحذف الوجه، الذي يجعل نفسه تذهب في تخيله كل مذهب. وتشبيه الرسول ﷺ للظلم بالظلمات يوحي بعدة دلالات منها:

أ- الإشارة إلى ضلال الظالم، وعدم اهتدائه إلى طريق الحق كما أن السائر في الظلمات لا يهتدي إلى طريقه.

ب- كثرة عثرات الظالم، وتعرضه للأخطار الذي لا يدركها كما يقع للسائر في الظلمات دون نور يهتدي به يمكّنه من رؤية الطريق، والظالم عرضة لانتقام المظلوم ودعائه عليه، أو انتقام الله في الآخرة.

ج- إفراد المشبه، وجمع المشبه به يوحي بأن الظلم بأنواعه جنس واحد مهما اختلف ومصيره كذلك، وجمع الظلمات يوحي بسوء المصير الذي ينتظر هذا الظالم ويوحي بأن الظلم يولد بعضه بعضاً، وأن الظالم تدفعه شروره إلى

التمادي وعدم الوصول في ظلمه لغاية حتى يسلمه إلى مصيره الأسود كالظلمات المطبقة التي تحكي تتابع ظلام أفعاله.

د- حذف وجه الشبه بين الظلم والظلمات يوحي بتشابههما في كل من التعثر، وعدم الهداية، وعدم الوصول لغاية، أو تحقيق هدف مع سوء المصير المحتوم لمن اختار طريق الظلمات المطبقة من ظلم الناس.

والمتأمل لحديث الرسول ﷺ يجد أنه نداء منذر شفيق، وتحذير معذر رقيق رأى العاقبة، وأبان الحجة، وترك كل ذي قوة، ومال بعد أن وضَّح العاقبة والمآل ليتصرف في مال الله بمراد الله [1].

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ١٧٨.

(٢) تقدم ذكرها في الحديث رقم (٢٠٣).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إذا تجاوز الحرص المدى، أدى بصاحبه إلى الهلاك، فالبخيل يمسك على نفسه وعلى غيره، ويصير المال غايته، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب:

أولاً- التربية الوقائية:

ومن الشواهد على ذلك قول ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ. فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ. فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

لقد عمل النبي ﷺ من خلال هذه التحذيرات على الوقاية من الأخطار الناجمة عن الظلم والشح، وهذا مما يؤكد أهمية الحرص على اجتناب مثل هذه الأمراض الاجتماعية الفتاكة.

إنها التربية الإسلامية الوقائية للفرد والمجتمع المسلم للبعد عن الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق، وهذه التوجيهات تعد بمثابة جرعة وقائية وحمية يتقي بها من الأمراض المهلكة، والوقاية التي استخدمها رسول الله ﷺ تعد أسلوبًا تربويًا يهدف إلى قطع دابر الظلم والبخل لأن من شأنهما أن يؤديان إلى خلخلة الصف المسلم وتوهينه[1].

ثانيًا- التربية بالترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية: الترهيب، ومن الشواهد على ذلك في باب النهي عن البخل والشح، قوله ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ. فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ. فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

فهذا توجيه نبوي اشتمل على الترهيب من الظلم والشح، واعتبارهما من أكبر الذنوب التي تسبب الهلاك في الدنيا والكربات الشديدة يوم القيامة والبخل عدو لأهل الإيمان، لأن من صفات المؤمنين الكرم والجود، كما أن البخل والظلم من أسباب انتشار الجريمة، ولذا جاء الترهيب من هذين الأمرين الخطيرين على اعتبار أن الترهيب

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٢٦٢.

يمثل القوة الصادرة من الانحراف إلى سبيل غير سبيل الله، والترهيب أسلوب تربوي لتصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة والانحرافات السيئة[1].

١-أنه أحد الأساليب التربوية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي.

٢-إن الإنسان مفطور على كره الشر والشقاء، والإسلام استخدم هذا الأسلوب فيما أعده الله تعالى للمفسدين والمنحرفين.

٣-إن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه.

٤-إن الترهيب أسلوب تربوي وقائي لأنه يقوم على جانب من التحذير من المخالفة، مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية التربوية[2].



(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٦٩.

٦٢- باب الإيثار والمواساة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: ٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[الدهر: ٨].

الحديث رقم (٥٦٣)

٥٦٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: إنِّي مَجْهُودٌ، فَأرسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقالت: وَالَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا عِنْدِي إلاَّ مَاءٌ، ثُمَّ أرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا عِنْدِي إلاَّ مَاءٌ. فَقَالَ النبي ﷺ: ((**مَنْ يُضيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟**[1])) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: أنَا يَا رسولَ الله، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لامْرَأتِهِ: (أكرِمِي ضَيْفَ رسول الله ﷺ)[2].

وفي روايةٍ[3]: قَالَ لامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فقَالَتْ: لاَ، إلاَّ قُوتَ صِبيَانِي. قَالَ: فَعَلِّليهم بشَيْءٍ، (وَإذَا أرَادُوا العَشَاءَ فَنَوِّمِيهمْ، وَإذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأطْفِئي السِّرَاجَ، وَأريهِ أنَّا نَأكُلُ. فَقَعَدُوا وَأكَلَ الضَّيْفُ)[4] وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ: ((**لَقَدْ عَجبَ الله مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[5].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) عند مسلم زيادة: (رحمه الله)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه.

(٢) هذه الزيادة عند البخاري برقم ٣٧٩٨.

(٣) أي في رواية جرير بن عبد الحميد عند مسلم برقم ٢٠٥٤/١٧٢.

(٤) هذه الزيادة في رواية أبي أسامة عند البخاري برقم ٤٨٨٩.

(٥) أخرجه البخاري ٣٧٩٨، ومسلم ٢٠٥٤/١٧٢، والسياق للحميدي في جمعه ١٨٠/٣، رقم ٢٤٠٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣٨٠٥.

غريب الألفاظ:

مجهودٌ: أي أصابني الجهد وهو: المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع[١].

رحله: منزله[٢].

فعلليهم بشيء: أي اشغليهم بشيء[٣].

السراج: المصباح[٤].

طاويين: جائعين[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يحكي موقفا من المواقف التي تبين شدة الحال، وضيق الرزق الذي عاش فيه الصحابة رضي الله عنهم عامة، وما عاش فيه النبي ﷺ، وآل بيته من هذه الشدائد خاصة، وقول الرجل السائل (إني مجهود) كناية عن التعب الناتج عن شدة الفقر من الجوع، والتعبير بالإرسال فيه عناية، واهتمام من الرسول ﷺ بقضاء حاجة الرجل يؤكد ذلك العطف بالفاء الدالة على السرعة، وقول بعض نسائه (وَالَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا عِنْدِي إلاَّ مَاءٌ) يشير توكيدها للخبر إلى تعظيمها لطلب النبي ﷺ وعنايتها به لكنها لا تملك شيئا تجيبه، وقوله (ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ) يشير إلى تطابق الحال في الشدة، وضيق المعيشة، وقلة الرزق لكثرة الصدقة، وإطعام المساكين، ولما لم يجد شيئا في بيوته عمم السؤال (مَنْ يُضيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ ؟) وهو استفهام عرض يفتح أفقا أوسع لحل المشكلة، وقول الأنصاري (أنَا يَا رسولَ الله) فيه إيجاز بالحذف أي أنا أضيفه، وقوله: (فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ) الفاء توحي بالسرعة، والتعبير بالانطلاق يؤكده، وقوله (فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: أكرِمِي ضَيْفَ رسول الله ﷺ)

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٠، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٩/٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٠.

(٣) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ل ل).

(٤) المرجع السابق في (س ر ج).

(٥) المرجع السابق في (ط و ى).

الأمر للندب، وإضافة الضيف للرسول ﷺ فيها تشريف، وترغيب يقتضي مزيد العناية بالضيف، وإكرامه، والرواية الثانية تقرر هذا عن طريق تفصيل الأحداث، حيث قدما حاجة الضيف على الأبناء الصغار يدل على ذلك قول الرسول ﷺ (لَقَدْ عَجِبَ اللَّه مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ) وهو كناية عن رضاه عنهما بسبب حسن صنيعهما بالضيف.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه [أي الحديث] فضيلة الإيثار والحث عليه، وقد اجتمع العلماء على فضيلة الإيثار بالطعام ونحوه من أمور الدنيا وحظوظ النفس، أما القربات فالأفضل أن لا يؤثر بها، لأن الحق منها لله تعالى)[1].

وذهب ابن عابدين إلى جواز الإيثار بالقرب بلا كراهة[2].

قال النووي: (قوله: فقال لامرأته: هل عند شيء؛ قالت: لا إلا قوت صبياني قال: فعلليهم بشيء" هذا محمول على أن الصبيان لم يكونوا محتاجين إلى الأكل، وإنما تطلبه أنفسهم على عادة الصبيان من غير جوع يضرهم، فإنهم لو كانوا على حاجة بحيث يضرهم ترك الأكل لكان إطعامهم واجبًا ويجب تقديمه على الضيافة، وقد أثنى الله ورسوله على هذا الرجل وامرأته فدلَّ على أنهما لم يتركا واجبًا بل أحسنا وأجملا رضي الله عنهما)[3].

قال ابن حجر: (قيل: في الحديث دليل على نفوذ فعل الأب في الابن الصغير وإن كان مطويًا على ضرر خفيف إذا كان في ذلك مصلحة دينية أو دنيوية، وهو محمول على ما إذا عرف بالعادة من الصغير الصبر على مثل ذلك، والعلم عند الله تعالى)[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢/١٤/٧، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٤٨/٦-١٤٩.

(٢) رد المحتار على الدر المختار المسمى "حاشية ابن عابدين"، محمد امين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٨٢/١-٣٨٣، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٦٥/٢٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢/١٤/٧، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٤٨/٦، ١٤٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٠.

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: بيان الحال التي كانت عليها بيوت النبي ﷺ من شدة العيش.

ثالثاً: من آداب المدعو: الاستجابة لدعوة النبي ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان الحال التي كانت عليها بيوت النبي ﷺ من شدة العيش:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث بيان الحال التي كانت عليها بيوت النبي ﷺ من شدة، ويظهر ذلك في إرسال النبي ﷺ إلى نسائه فلم يجد إلا الماء. قال النووي: هذا الحديث مشتمل على فوائد كثيرة: منها ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الدنيا والصبر على الجوع وضيق حال الدنيا(١).

وقال ابن عثيمين: (... هذا الحديث العظيم العجيب، الذي يبين حال رسول الله ﷺ وأصحابه حيث جاءه رجل فقال : يا رسول الله إني مجهود... وهو ضيف رسول الله ﷺ فأرسل ﷺ إلى زوجاته الواحدة تلو الأخرى يسألها هل عندها شيء، فكانت كل واحدة تقول والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، تسعة أبيات للرسول ﷺ ليس فيها إلا ماء مع أن النبي ﷺ لو شاء أن يسير الله الجبال معه ذهباً لسارت، لكنه ﷺ، كان أزهد الناس في الدنيا كل بيوته التسعة ليس فيها شيء إلا الماء وفي ذلك بيان حال رسول الله ﷺ وما كان عليه من شظف العيش وقلة ذات اليد)(٢).

فرسول الله ﷺ كان في حياته مثالاً للزهد في الدنيا والإعراض عن ملذاتها. وزهده من الدلائل على صدق نبوته، فقد أقبلت عليه الدنيا -ولاسيما بعد فتح مكة- فلم يتحول عن سيرته في المأكل والملبس والأثاث.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٠.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ١/٨٣٣-٨٣٤.

ولندع الكلام إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوجه تصف حياته البسيطة ((إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ، الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ، أَدَماً حَشْوُهُ لِيفٌ))[1] ، ((مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، مِنْ طَعَامِ بُرٍ، ثَلاَثَ لَيَالٍ تِبَاعاً. حَتَّى قُبِضَ))[2].

ويُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللّه ﷺ ، يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِياً وَأَهْلُهُ لاَ يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ))[3].

وليس معنى هذا أنه اقتصر على هذه الأصناف من الطعام طيلة حياته، فقد رُوي أنه كان يحب الحلوى والعسل، وكان يأكل اللحم و الخضار والفواكه ولا يتناول من الطعام إلا ما يقيم أوده[4].

ثانياً- من أساليب الدعوة: القسم:

من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب القسم، ويظهر ذلك في كل واحدة من قول زوجات النبي ﷺ : "والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء".

وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية النافعة التي يمكن للداعية أن يفيد منها في دعوته وقد ورد القسم في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[7].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٨٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٤١٦، ومسلم ٢٩٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٦٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٢٣).

(٤) مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٤٣٩، ٤٤٠.

(٥) سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥-٧٦.

(٦) سورة البروج. الآيات: ١-٣.

(٧) سورة الفجر. الآيات: ١-٤.

قال ابن حجر: (وأما ما وقع في القرآن من القسم بشيء من المخلوقات فقال الشعبي: فالخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق)[(١)].

قال رسول الله ﷺ: ((مَن كانَ حالِفاً فَلْيَحلِفْ باللّهِ أو لِيَصمُت))[(٢)]. فالحلف على الشيء يفيد توكيد المحلوف عليه باقترانه بما يعظم عند السامع والمتكلم. وفي هذا الحديث يعلمنا رسول الله ﷺ بمن نحلف ونؤكد أقوالنا إذا أردنا الحلف، ومن نعظم ويبين لنا أن نحلف بالله ولا نحلف بغيره، لأن التعظيم الحقيقي لا يكون إلا له سبحانه وتعالى وهو الجدير بالإجلال والإكبار[(٣)]. فأسلوب القسم من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في توكيد دعوته للمدعوين.

ثالثاً- من آداب المدعو: الاستجابة لدعوة النبي ﷺ:

على المدعو المسلم الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ، ويظهر ذلك في قول هذا الرجل الذي من الأنصار: أنا يا رسول الله عندما سأل النبي عمن يُضيف الرجل هذه الليلة.

فمن آداب المدعو أن يستجيب لدعوة النبي ﷺ، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي ﷺ في الدلالة على وجوب طاعته واتباع سنته منها قوله ﷺ: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ . وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللّهَ. وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي. وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي))[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ: ((كلُّ أمتي يَدخلونَ الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسولَ اللّه ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخلَ الجنة، ومن عصاني فقد أبى))[(٥)].

وتواترت النصوص النبوية في الحث على اتباعه وطاعته، والاهتداء بهديه والاستنان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٥٤٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٤٦، ومسلم ١٦٤٦.

(٣) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٥٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٥٧، ومسلم ١٨٣٥.

(٥) أخرجه البخاري ٧٢٨٠.

بسنته، وتعظيم أمره ونهيه، ومن ذلك قول الرسول ﷺ: ((صلُّوا كما رأيْتُموني أُصلِّي))[١] وقوله ﷺ: ((لِتَأْخُذُوا عَني مَنَاسِكَكُمْ))[٢].

فطاعة الرسول ﷺ هي المثال الحي الصادق لمحبته ﷺ، فكلما ازداد الحب، زادت الطاعات، ولهذا قال عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣] [٤].

فاتباع رسول الله والاستجابة لدعوته أمر لازم على كل مسلم، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون في الاستجابة لدعوة النبي ﷺ لهم في مواساة إخوانهم أو إكرامهم، واستضافتهم، أو إعانتهم أو غير ذلك من أوجه التعاون والتكافل، وذلك لحرصهم على تلبية دعوة النبي ﷺ وحبهم لإخوانهم.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل الإيثار والمواساة:

ويظهر ذلك في صنيع الأنصاري وزوجته بضيفهما وتقديمهما الطعام له رغم حاجتهما الشديدة هو وأطفالهما إلى ذلك حتى أن النبي ﷺ قال للأنصاري: (لقد عجب الله من صنيعكما الليلة).

ومعناه: الرضا من الله، فكأنه قال إن ذلك الصنيع حل من الرضا عند الله حلول العجب عندكم. والرضا من الله يستلزم الرحمة[٥].

ولعظم الإيثار والمواساة أثنى الله على فاعليهما وجعلهما من صفات أهل الإيمان فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١.

(٢) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف بن محمد الحسن، بحث ضمن بحوث كتاب: حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٨١-٨٢.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠١/٨.

(٦) سورة الحشر، آية: ٩.

ﭐلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾[١].

وقد كان من صفات النبي ﷺ "الإيثار"، وكان يدعو المسلمين إليه ومن الأمثلة التطبيقية من حياة النبي ﷺ في الإيثار، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه ((قال: جاءَتِ امرأةٌ ببردةٍ - قال سَهلٌ: هل تدرون ما البردةُ؟ قال: نعم، هيَ الشملةُ منسوج في حاشيتها - قالت: يا رسولَ الله، إني نَسجتُ هذهِ بيدي أكسوكها، فأخذها رسولُ الله ﷺ محتاجاً إليها، فخرَجَ رسول الله ﷺ إلينا وإنها لإزارهُ، فجسها رجل منَ القوم فقال: يا رسولَ الله، اكسنِيها، قال: نعم: فجلسَ ما شاءَ اللهُ في المجلس، ثم رَجعَ فطواها، ثم أرسلَ بها إليه، فقال له القومُ: ما أحسنتَ، سألتها إياه وقد عَرَفتَ أنهُ لا يرُدُّ سائلاً، فقال الرجلُ: والله ما سألتها إلا لتكونَ كفني يومَ أموتُ. قال سهل: فكانت كفنَه))[٢].

فالإيثار والمواساة من صفات المؤمنين حقاً وثوابها عند الله عظيم. (ويتجلى أثر هذا الضمير الذي صنعه الإيمان بالله واليوم الآخر في مجال المواساة والإيثار بالمال والنفس بين الصحابة رضي الله عنهم فكان الرجل يحب، لأخيه ما يحب لنفسه، ويبذل له من ذات يده، ومن جهده ووقته ما يبذله لأعز بنيه عليه، وأحب أهليه إليه. وقد يرتقي الإيمان بأحدهم فيؤثر أخاه على نفسه فيجود له بالشيء، وهو أحوج ما يكون إليه كلي ذلك ولا قانون يلزمه، ولا حكومة تطالبه، ولا أجهزة تراقبه، ولا عقوبة تسلط عليه، إنما هو دافع الإيمان بين جنبيه، يحفزه على عمل الخير والتطوع بالبر، ابتغاء ما عند الله، وما عنده خير وأبقى)[٣].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنّ الأشْعَريينَ إذا أرملوا في الغَزو أو قلّ طعامُ عِيالهم بالمدينةِ جَمعوا ما كان عندَهم في ثوبٍ واحد، ثمّ اقتَسَموهُ

(١) سورة الإنسان، الآيتان: ٨-٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٧٧، ٥٨١٠، ٦٠٣٦.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٤٤.

بينهم في إناءٍ واحدٍ بالسّوِيّةِ، فهم مِنّي وأنا منهم))[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((قدم عبدُ الرحمن بن عوفٍ فآخى النبيُّ صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعدِ بن الرَّبيع الأنصاريّ، وعند الأنصاريِّ امرأتان، فعَرض عليهِ أن يُناصِفهَ أهله وماله. فقال: بارك الله لك في أهلكَ ومالك، دلُّوني على السُّوق، فأتى السوقَ فَرَبحَ شيئاً من أقِط وشيئاً من سَمْن، فرآه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعدَ أيام وعليه وَضَرٌ من صُفْرَةٍ، فقال: مَهْيَمْ يا عبدَ الرحمن؟ فقال: تَزَوجتُ أنصاريةً. قال: فما سُقْتَ؟ قال: وزْنَ نَواةٍ من ذهَب. قال: أوْلِمْ ولَوْ بشاةٍ))[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٨٦، ومسلم ٢٥٠٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٧٢، ومسلم ١٤٢٧.

الحديث رقم (٥٦٤)

٥٦٤- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كَافِي الأربَعَةِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يعرض صورة من صور التكافل التي يُربِّي عليها الإسلام أفراده، كما يغرس خلق الإيثار، وينميه بالحث على مثل هذه الخصال، وقد ساق النبي ﷺ المعنى في صورة خبرية خالية من المؤكدات حقيقة مجردة، وكأن الخبر من الوضوح بحيث لا يتوقع وجود من يعارضه، وفي هذا إعلاء من شأن المعنى، وقوله: (طعام الاثنين كافي الثلاثة) قاعدة عامة تؤسس مبدأً عاماً في التكافل والإيثار، والتعبير باسم الفاعل (كافي) دون الفعل إشارة إلى ثبات الكفاية في كل حالة يطعم يتشارك فيها الثلاثة طعام الاثنين، والجملة الثانية (وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ) توكيد لمضمون معنى الجملة الأولى، وهي دعوة إلى المشاركة، والإيثار، ونهي ضمني بألا يضيق المسلم بأخيه في طعامه، وماله، وحسن خلقه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى:

استحباب الاجتماع على الطعام:

قال ابن حجر: (قال ابن المنذر: يؤخذ من حديث أبي هريرة استحباب الاجتماع على الطعام، وأن لا يأكل المرء وحده)[2]، فيستحب تكثير الأيدي على الطعام، والأكل

---

(١) أخرجه البخاري ٥٣٩٢، ومسلم ٢٠٥٨/١٧٨ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٥٢. وسيكرره المؤلف برقم ٧٥٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٥/٩.

مـع جماعـة، لأنـه إذا اجتمعـت الأيـدي، وكانـت المواسـاة، وأكـل النـاس عظمـت البركة[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الإيثار:

لقد بين النبي ﷺ أن طعام الواحد يكفي الاثنين، وأن طعام الاثنين يكفي الأربعة، وأن طعام الأربعة يكفي الثمانية، وهذا حث منه ﷺ على الإيثار، يعني أنك لو أتيت بطعامك الذي قدرت أنه يكفيك، وجاء رجل آخر فلا تبخل وتقول هذا طعامي وحدي، بل أعطه منه حتى يكون كافيًا للاثنين، وكذلك الاثنين والأربعة.

وإنما ذكر الرسول ﷺ هذا من أجل أن يعود الإنسان بفضل طعامه على أخيه[٣].

إن الإيثار مبدأ إسلامي قام النبي ﷺ بتربية أصحابه رضي الله عنهم عليه، ومن حكمة النبي ﷺ أنه لم يكتف بالتوجيهات النظرية في هذا المجال، بل إنه طبق ذلك عمليًا من خلال المواقف التي عاشها الصحابة رضى الله عنهم عمليًا، وكانوا نماذج رائعة ورائدة في الإيثار والتضحية، وكان ﷺ لا يفتأ يذكرهم ويحثهم على ذلك ومن قوله: ((مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ))[٤].

ومن الصور العملية للإيثار ذلك الإيثار الذي حدث بين المهاجرين والأنصار حيث بلغت مشاعر الأخوة وتأثيراتها بين المهاجرين والأنصار أعلى درجات الأخوة ومشاعر الوحدة من الإيثار والسماحة والنبل؛ ولذلك شواهد عدة سجلها التاريخ وامتدحها الله

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي ٢٣٢/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣١٠/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٠٢/٥.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٦٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٦٥).

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٨٣٦/١.

(٤) أخرجه مسلم ١٧٢٨.

عز وجل في محكم التنزيل وهي من الكثرة بمكان، تعج بها كتب السنة والسيرة والتاريخ والتراجم سواء ما كان منها في صفوف الرعيل الأول من المهاجرين والأنصار أو من جاء بعدهم وسار على نهجهم واقتفى أثرهم في فهم عقيدة الإسلام واعتناقها، وطبّق شريعته وارتبك بآصرة الأخوة الإسلامية ووحدة الأمة، ويكفي شاهدًا على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

ما ذكره الواقدي من أن الرسول ﷺ لما تحول من بني عمرو بن عوف (في قباء) إلى المدينة تحول أصحابه رضي الله عنهم من المهاجرين، فتنافست فيهم الأنصار أن ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم بالسهمان فما نزل أحد منهم على أحد إلا بقرعة سهم[2].

أنزل الأنصار إخوانهم المهاجرين في منازلهم وأشركوهم في أموالهم وأحسنوا إليهم[3]، وآووا رسول الله ﷺ، ومنعوه من الأحمر والأسود، وتبوؤوا دار الهجرة والإيمان حتى صارت موئلاً ومرجعًا يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن حماه المسلمون إذا كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشر، فلم يزل أنصار الدين يأوون إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام وقوي وجعل يزداد شيئًا فشيئًا[4].

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: "يحبون من هاجر إليهم" (أي: من كرمهم وشرف نفوسهم، يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم. وقوله: "ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا"، أي: ولا يجدون في أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فضلهم الله به، من

---

(١) سورة الحشر، آية: ٩.

(٢) كتاب المغازي، الواقدي، تحقيق: مارسون جونس١/٣٧٨.

- وانظر: دراسات في السيرة، عماد الدين خليل ص ١٥٢.

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٥/٢٠١.

(٤) تيسر الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٨٩.

المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة)[١].

وقال القرطبي في معنى قوله تعالى: "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة" (الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، ورغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقيم وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة، يقال: آثرته بكذا أي: خصصته به وفضلته)[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قالتِ الأنصارُ للنبيِّ ﷺ: أقسِمْ بينَنا وبينَ إخوانِنا النَّخيلَ. قال: لا. فقالوا: تَكفونا المؤونةَ ونَشرَكْكم في الثمرةِ. قالوا: سمعنا وأطَعْنا))[٣]، فهذه صورة أخرى من الإيثار الذي اتصفت به الأنصار فقد أشركوا إخوانهم المهاجرين في أموالهم[٤].

فإن الإيثار الذي اتصف به الأنصار مع المهاجرين رضي الله عنهم من أروع الأمثلة وأعظمها في التاريخ الإنساني وهو من الأدلة الصادقة على كرم الأنصار وفضلهم، ومن الموضوعات المليئة بالعبر والعظات للمسلمين جميعًا.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حصول البركة بالاجتماع على الطعام:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ كَافِي الثَّمَانِيَةِ) وذلك لحصول البركة بالاجتماع على الطعام).

قال النووي: (هذا فيه الحث على المواساة في الطعام وأنه وإن كان قليلاً حصلت منه الكفاية ووقعت فيه بركة تَعُم الحاضرين عليه)[٥].

فمن الآداب النبوية استحباب الاجتماع على الطعام، وأن اجتماعهم سبب لحلول

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩/٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦/١٨/٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥٧١.

(٤) انظر: تميز الأمة الإسلامية، د. إسحاق بن عبدالله السعدي ٥٣٤/١ - ٥٣٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٤.

البركة فيه، وكلما زاد عدد الآكلين زادت البركة[١].

وقد ورد عن وحشي بن حرب، عن أبيه عن جده: ((أنَّ أصْحَابَ النَّبيِّ ﷺ قالُوا: يَارَسُولَ الله إنَّا نَأْكُلُ وَلا نَشْبَعُ، قال: فَلَعَلَّكُم تَفْتَرِقُونَ؟ قالُوا: نَعَمْ، قال: فاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُم وَاذْكُرُوا اسْمَ الله عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُم فِيهِ))[٢].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: حث المدعوين على الإيثار والكرم والمواساة:

فالإسلام يحث المسلمين فيما بينهم على التكافل والتناصر والمواساة امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣].

قال السعدي: (هذا عقد عقده الله بين المؤمنين أنه إذا وجد من أي شخص في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم ولهذا قال النبي ﷺ أمرًا بالأخوة الإيمانية «لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ. وَكُونُوا، عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ. لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هٰهُنَا))[٤].

وفيهما عن النبي ﷺ: ((المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشُدُّ بعضُهُ بعضًا، وشَبَّكَ بينَ أصابعِهِ))[٥]، ولقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض، وما يحصل به التآلف والتواد والتواصل بينهم، كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض.... ثم أمر بالتقوى عمومًا، ورتب على القيام بالتقوى وبحقوق المؤمنين الرحمة فقال (لعلكم ترحمون) وإذا حصلت الرحمة حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة)[٦] فيكون بذلك من أهداف الدعوة

(١) كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب ص ١٧١.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٧٦٤ وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣١٩٩).

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٩٥١ ومسلم ٢٥٥٩.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٢٦.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٤٤.

الإسلامية حث المدعوين على الإيثار والكرم والمواساة.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ "طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ ..." إلخ الحديث.

حيث رغّب رسول الله ﷺ في الاجتماع على الطعام وبين أن ذلك من أسباب بركته.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تشوق المدعو إلى الاستجابة للدعوة وقبول الحق والثبات عليه، وذلك؛ لأن الأصل في الترغيب يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[1].

فعلى الداعية استخدام أسلوب الترغيب مع المدعوين حتى يستثيرهم ويستنهض عزائمهم في التزام الإيثار في حياتهم، وإشاعته فيما بينهم، فتتحرر النفوس من الشح والبخل والأنانية، فيسعد الناس في حياتهم.

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ٩٧.

الحديث رقم (٥٦٥)

٥٦٥- وفي رواية لمسلمٍ عن جابر ﵁، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَة يَكْفِي الثَّمَانِية))[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٥٩/١٧٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٥٣. وسيكرره المؤلف برقم ٧٥٦.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٦٦)

٥٦٦- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبيِّ ﷺ إذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصرِفُ بَصَرَهُ يَميناً وَشِمَالاً، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ**)) فَذَكَرَ مِنْ أصْنَافِ المالِ مَا ذَكَر، حَتَّى رَأيْنَا أنَّهُ لاَ حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

الراحلةُ: الناقة التي تصلح لأن يُرحل عليها[٢].

فضل ظهر: مركوب فاضل وزائد عن حاجته[٣].

الشرح الأدبي

قوله (فجعل يصرف بصره يميناً، وشمالاً) كناية عن البحث والحيرة التي تدل على الحاجة، مما استلزم الدعوة للتكافل وقد بني الرسول ﷺ حديثه في الدعوة للتكافل على أسلوب الشرط، وأسلوب الشرط يعلق الجزاء على الفعل، ويتميز بشدة الاتصال مع التشويق الذي يثيره فعل الشرط لمعرفة جوابه واستخدام(مَنْ) كأداة للشرط وهي لعموم من يعقل، وكأنها تنادي من له أدنى عقل بالاستجابة، وقوله: (فضل ظهر) المقصود به الدابة، وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأنه عبر بالجزء وهو الظهر، وأراد الكل وهو الدابة،وفضل المجاز على الحقيقة أن لفظ (الظهر) يعين نوع الفائدة المرادة

(١) برقم ١٧٢٨/١٨. وسيكرره المؤلف برقم ٩٧٠.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٩٣.

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٥٣، معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٦٧، ٣١٦.

من الجنس ليوازي ما عطف على هذه الجملة من الزاد، وغيره، والظهر أيضاً أدل على شدة الحاجة إليه للركوب، أو الحمل، وتعبيره ﷺ بلفظ المعية (معه)، لأنه أعم من حروف الملكية والاختصاص، وأصدق وأولى في التآزر منها، وأشمل في بذل المنفعة، وأنفى للاستئثار، والشعور بالتملك في مواطن الإيثار، وتنكيره ﷺ لكلمة (ظهر) للتقليل إشارة إلى أن الشيء مهما قل ففيه المشاركة والتعاون، وتحقيق التكافل الذي أمر به الإسلام، وحتى لا يحقر إنسان فضل ما عنده، فيكون تنكيره أعود بالنفع على المؤمنين، فالتكافل شعور، وإحساس بحال الآخرين قبل أن يكون فعل، حتى يعم مبدأ التكافل بين الأغنياء، والفقراء، وبين الفقراء فيما بينهم كل بما يستطيع، وهو ذكاء شديد من النبي ﷺ وأسلوب عالٍ في تحقيق تماسك المجتمع بتعاون الجميع، وهذا ما حققه بأسلوبه حيث وضع كلمة (ظهر) و(زاد) وهما مركز الحديث، منكرتين لإفادة التقليل الذي يستوعب ما قل من فضل الظهر والزاد، حتى يشارك كل فرد في التكافل، ولا يَحْتجَّ أحد بقلة ذات اليد، والأمر في قوله ﷺ: (فليعد به) في الجملتين بالعودة يشعر بانصراف الطبع عما ينبغي من حب النفس، وإيثارها بالمال إلى ما يليق بالرجوع إلى ما هو الأفضل في تماسك الفرد بالجماعة، وقد جعل الإسلام الضعيف أمير الركب حتى يحس بالعزة والكرامة فتقوى نفسه، ويزداد إيمانه بعدالة الإسلام ورحمة المجتمع فيرتفع عن الحقد، ويسمو عن الحسد، ولا يعرف الشماتة[(١)(٢)].

فقه الحديث

قال النووي: (فيه مواساة ابن السبيل والصدقة عليه إذا كان محتاجًا، وإن كان له راحلة وعليه ثياب، أو كان موسرًا في وطنه، ولهذا يعطى من الزكاة في هذه الحال)[(٣)].

---

(١) انظر: الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٢٠٤.

(٢) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ص ٥٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٠/١٢/٦.

المضامين الدعوية

ثانيا: من صفات النبي ﷺ: الفطنة والذكاء.

أولاً- من آداب المدعو: التعفف والترفع عن المسألة:

يظهر ذلك في قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً دون أن يسأل أحداً حاجته تعففاً وترفعاً عن المسألة".

فعن رسول الله ﷺ أنه قال: ((الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى. وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُنْفِقَةُ. وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ))[١].

وقد بين رسول الله ﷺ أن السؤال ذل في الدنيا، وعذاب وفضيحة في الآخرة[٢]، وفي ذلك يقول ﷺ: ((مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّراً، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْراً. فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ))[٣]. وكذلك: مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فإنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنَ النَّارِ[٤].

ومن تمام الاستعفاف أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبايعون رسول الله ﷺ على ألا يسألوا الناس شيئاً، ويصف الراوي حالهم بعد رسول الله فيقول: فَلَقَدْ كَانَ بَعْضُ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُهُ فَمَا يَسْأَلُ أحَداً أَنْ يُنَاوِلَهُ إِيَّاهُ[٥].

فالمسلم يتعفف ويترفع عن مسألة الخلق، فلا تكون مسألته إلا لله ينتظر الفرج منه سبحانه ففي الحديث: ((مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ. فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّه أَوْشَكَ اللَّه لَهُ بِالْغِنَى إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أو غِنًى عَاجِلٍ))[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٣٣.

(٢) انظر: هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ٢٦٤

(٣) أخرجه مسلم ١٠٤١.

(٤) أخرجه أبو داود ١٦٢٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٢٥).

(٥) أخرجه مسلم ١٠٤٣.

(٦) أخرجه أبو داود ١٦٤٥ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٤٨).

ثانياً- من صفات النبي ﷺ: الفطنة والذكاء:

حيث فطن النبي ﷺ لحال الرجل: الذي يصرف بصره يميناً وشمالاً دون أن يتكلم وهذا من فطنته وذكاء عقله ﷺ. (وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبير أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلاً عما أفاضه من العلم وقَدَّرَهُ من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه: لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه، وقد قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها أن النبي ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا)[(١)].

ورسول الله ﷺ اصطفاه الله تعالى لرسالته والله لا يصطفي لرسالته إلا من يتمتع بصفة الفطانة التامة والعقل الراجح.

ومما يدل على فطانة نبينا محمد ﷺ آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[(٣)].

فتحريك الرسول ﷺ لسانه بالقرآن لحفظه عند نزول الوحي من فطانته وذكائه، وكذلك تعجله بترديد آياته من قبل أن يقضي إليه وحيه من كمال فطانته وذكائه[(٤)].

---

(١) الشفا بتعريف المصطفى ١/١٥٦.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ١٦-١٧.

(٣) سورة طه، آية: ١١٤.

(٤) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٨٠.

ثالثاً- من واجبات الداعية: دعوة الناس إلى التعاون والمواساة والتكافل الاجتماعي:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له". والداعية إلى الله له في رسول الله ﷺ أعظم قدوة، فما كان جناب الرسالة مانعاً له ﷺ من مشاركة أصحابه، وتقديم العون لهم، ومن ذلك مشاركته ﷺ أصحابه في بناء مسجده في المدينة، يقول أنس رضي الله عنه: وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي معهم وهو يقول: اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة[١]، ومن حديثه ﷺ: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه))[٢].

(ذلك مثل المؤمن للمؤمن، فهو معه كالبنيان يشد بعضه بعضاً فالمؤمنون شأنهم التعاون والتناصر، والتظاهر والتكاتف على مصالحهم الخاصة والمصالح العامة: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٣].

ولقد مثل الرسول ﷺ اتحاد المسلمين ومعونة بعضهم لبعض بالتشبيك بين أصابعه. وإدخال بعضها في خلال بعض، ولاشك أن ذلك يزيد من متانة كل إصبع ويعطي كل يد قوة إلى قوتها؛ كذلك المسلمون إذا تضامت أيديهم، وتظاهرت قواهم، وتحابّت نفوسهم؛ وتساندت أممهم، زادوا قوة، وخلقوا لهم عزة فدانت الأمم لسلطانهم وخضعت لأمرهم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

فيا أيها المسلمون ذلكم رسولكم، وأسوتكم وإمامكم، يرشدكم إلى سلاح ماض وجيش غلاب، وعدة عتيدة تنفعكم في البأساء والضراء، وتدفع عنكم الأعداء وتزيل عنكم الاستعباد، وترد إليكم العزة الماضية، والكرامة الراحلة، وتبوئكم

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٨، ومسلم ٥٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨١، ومسلم ٢٥٨٥.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢.

(٤) سورة المنافقون، آية: ٨.

المكانة العالية ذلكم هو سلاح الائتلاف، والاتحاد والوفاق، سلاح ضم اليد إلى اليد. ومعونة الأخ للأخ، وترك النزاع جانباً، والعداء ظهرياً. فاستمعوا لإرشاده، واعملوا بنصحه فإنه من يطع الرسول أطاع الله، ومن يعصه عصاه واذكروا قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2][3].

فالداعية يجب أن يدعو الناس إلى أن يتعاونوا فيما بينهم في سد خلة فقيرهم أو الشفاعة الحسنة في قضاء حاجة محتاجهم، أو غير ذلك من شتى صور التعاون[4]. (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[5].

رابعاً- من أهداف الدعوة: تنمية روح التكافل والتعاون بين الناس:

يظهر ذلك في دعوة النبي ﷺ أصحابه إلى مساعدة وإعانة محتاجهم وفقيرهم وفي ذلك تنمية لروح التكافل والتعاون بين الناس، والتكافل صفة شاملة لصور كثيرة من التعاون والتآزر والمشاركة في سد الثغرات تتمثل في تقديم العون والحماية والنصرة والمواساة إلى أن تقضي حاجة المضطر، ويزول هم الحزين، ويندمل جرح المصاب، وغاية الإسلام من هذا كله أن يطهر المجتمع من الفقر الذي كاد يكون كفرًا، وأن يحفظ للفقراء قواهم البدنية بهذه الرعاية والكفالة؛ فإن لهم أفواهًا ومعًى وأجسادًا، ولهم قلوب ومشاعر وعواطف، ولهم كرامة، ولا بد من أن تصان هذه الأجسام، وأن تراعى هذه القلوب والمشاعر، وأن تحفظ هذه الكرامات.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

(٣) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٥٩-٦١.

(٤) انظر: كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ٣٢٩، ٣٣٠.

(٥) أخرجه مسلم برقم ٢٦٩٩.

وما ينبغي أن تهدر كرامة فقير، والفقر هو أعظم مهدر للكرامة، ولا أن تضعف جسومهم، والفقر هو أعظم معول لهدم الجسم، ولا أن ينظر إلى الفقراء نظرة ازدراء واحتقار، فقد يكون لهم من الملكات والقدرات، ومن القوى العقلية ما يستطيعون بها أن يصلوا إلى القمة من السيادة، والقيادة، والعلم، والعمل[١].

وقد ضرب أنصار رسول الله ﷺ أكبر الأمثلة في التكافل مع إخوانهم المهاجرين، وكان منها أن أشاروا على رسول الله ﷺ يقسم النخل بينهم وبين المهاجرين فقال: لا، فقال الأنصار (تكفونا المؤونة ونشرككم في الثمرة)[٢]. وبذلك عمل بعض المهاجرين في بساتين الأنصار، وقاسموهم الثمار، وحلت مشكلة البطالة والفقر، وكان من صور تكافلهم أن المهاجر كان يرث أخاه الأنصاري دون ذوي رحمة[٣]. للأخوة التي آخى رسول الله ﷺ بينهما وكانت مرحلة استصفت النفوس، وأخلصتها لله، ثم نسخ ذلك، وهذا التكافل والتعاون لا يبرز بأسمى صوره، إلا كلما تعمقت معاني الأخوة والإيثار، واندثرت جذور الأنانية والاستئثار. فإن المجتمع الذي تنمو فيه روح التكافل والتعاون لهو المجتمع المتماسك الذي تسود فيه المحبة والفضيلة. وتتلاشى منه الكراهية والرذيلة، لا يضيع فيه عاجز ولا مسكين، والحد الأدنى في ذلك هو فريضة الزكاة -الركن الثالث في الإسلام- والتي يقوم عليها حراس ثلاثة: حارس من داخل ضمير الفرد المسلم، وهو الإيمان، وحارس من داخل المجتمع وهو الرأي العام المسلم، وحارس من قِبل الدولة وهو القانون والسلطان: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٤].

وفي الحديث: ((ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع))[٥].

---

(١) هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ١٧٣، وعناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٢٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧١٩، والفتح ٥/٢٨٠

(٣) أخرجه البخاري ٤٥٨٠، الفتح ٨/٩٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١١٢، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٢).

والتكافل الإسلامي يستوعب كل جوانب الحياة: مادية، ومعنوية، فهو تكافل معيشي وعلمي وأدبي وعسكري إلى غير ذلك من المجالات التي فصلها الدكتور مصطفى السباعي في كتابه "اشتراكية الإسلام"[١].

---

(١) هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ١٧٤، والإسلام حضارة الغد ص ١٨٩.

الحديث رقم (٥٦٧)

٥٦٧- وعن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه : أنَّ امْرَأةً جَاءَتْ إلى رسول الله ﷺ ببُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ[١]، فَقَالَتْ: نَسَجْتُها بيَدَيَّ[٢] لأَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحْتَاجاً إلَيْهَا، فَخَرَجَ إلَيْنَا وَإنَّهَا إزَارُهُ[٣]، فَقَالَ فُلانٌ: اكْسُنِيهَا مَا أحْسَنَهَا[٤]! فَقَالَ: ((نَعَمْ)) فَجَلَسَ النَّبيُّ ﷺ في المَجْلِسُ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أرْسَلَ بهَا إلَيْهِ: فَقَالَ لَهُ القَومُ: مَا أحْسَنْتَ[٥]! لَبِسَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحتَاجاً إلَيْهَا، ثُمَّ سَألْتَهُ وَعَلِمْتَ أنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلاً، فَقَالَ: إنّي وَاللهِ مَا سَألْتُهُ لألْبِسَهَا، إنَّمَا سَألْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ[٦]. رواه البخاري[٧].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

البردة: كساء مخطط يُلتحفُ به[٨].

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن من السرة إلى ما تحتها ويسمى كذلك المئزر[٩].

فطواها: أي ضم بعضها على بعض[١٠].

---

(١) عند البخاري زيادة: (فيها حاشيتها، أتدرون ما البردة؟ قالوا: الشملة، قال: نعم).

(٢) عند البخاري زيادة: (جئت).

(٣) لفظ البخاري: (فحسنها فلان، فقال).

(٤) إلى هنا لفظ البخاري برقم ١٢٧٧.

(٥) إلى هنا لفظ البخاري برقم ٢٠٩٣.

(٦) إلى هنا رواية البخاري برقم ١٢٧٧.

(٧) برقم ١٢٧٧، و٢٠٩٣. وقد بيّن الزيادات في كل رواية الحميدي في جمعه ٥٥٦/١، رقم ٩٢٥ والمؤلف جمع بين الروايتين من دون توضيح.

(٨) الوسيط. مجمع اللغة العربية في (ب ر د).

(٩) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥، ٣٦٦.

(١٠) الوسيط. مجمع اللغة العربية في (ط و ى).

الشرح الأدبي

الحديث يحكي موقفا من مواقف الإيثار التي كثرت في حياة النبي ﷺ حتى أنه كان لا يبقي في بيته مالا، ولا طعاما إلا أنفقه على الفقراء، والمحتاجين، وقول المرأة التي أهدت البردة للرسول ﷺ (نَسَجْتُها بيَدَيَّ لأَكْسُوكَهَا) يدل على التقدير، والمحبة، والإكرام لرسول ﷺ دل عل ذلك نسبة فعل النسج لنفسها في قولها نسجتها، وتقديم الجار والمجرور (بيدي) لتأكيد الفعل واللام الدالة على السببية، والتعبير بالكسوة، وقوله (مُحْتَاجاً إِلَيْهَا) يشير إلى عدم وجود غيرها ويدل على ذلك سرعة استخدامها (فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ) والتوكيد على أنها صارت على جسده الشريف، وقول الرجل (اكْسُنِيهَا) لعلمه أنه لا يرد سائلا، وقوله (مَا أَحْسَنَهَا!) أسلوب تعجب يوهم إعجابه بها ليخفي غرضه الحقيقي، وهو رغبته في أن تكون كفنا له بعد أن مسَّت جسد النبي ﷺ، وانظر إلى إيثار الرسول ﷺ وحسن خلقه رغم حاجته إليها (فَقَالَ: ((نَعَمْ)) فَجَلَسَ النَّبيُّ ﷺ في المَجْلِسُ) أعلمه بقبوله حتى لا يظن أنه رده فيقع في الحرج ثم إنه لم يعطه إياها في المجلس لكي لا يقع الرجل في الحرج أمام الناس لأنه سأله ثوبه الذي على جسده (ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بهَا إِلَيْهِ) والطي يدل على حرصه أن تصله في السر، ولذلك أرسلها بعد فترة دلت عليها ثم بينما استخدم الفاء المؤذنة بالسرعة في عطف فعل الطي الذي يدل على العزم في إعطائها له. وقوله (فَقَالَ لَهُ القَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ! لَبِسَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحتَاجاً إِلَيْهَا) يدل على دور الجماعة في تقويم الفرد إذا أخطأ، وبيان الصواب، ورده إليه، وإجابة الرجل تدل على حسن نيته، وأنه لم يرغب في البردة ذاتها، وإنما طمع فيها لمسها جسد رسول الله ﷺ فأراد أن تكون كفنه، وقد صدق كما سجل الراوي.

فقه الحديث

١-تحصيل ما لا بد للميت منه حال حياته:

قال ابن حجر: (يستفاد منه جواز تحصيل ما لا بد منه من كفن ونحوه في حال حياته، وهل يلتحق بذلك حفر القبر، قال ابن بطال: فيه جواز إعداد الشيء قبل وقت الحاجة إليه، قال: وقد حفر جماعة من الصالحين قبورهم قبل الموت، وتعقبه الزين بن

المنير بأن ذلك لم يقع من أحد من الصحابة، قال: ولو كان مستحبًا لكثر فيهم)[١].

٢-جواز استحسان الإنسان ما يراه على غيره من الملابس وغيرها:

قال ابن حجر: (فيه جواز استحسان الإنسان ما يراه على غيره من الملابس وغيرها إما ليعرفه قدرها وإما ليعرض له بطلبه منه حيث يسوغ له ذلك)[٢].

٣-مشروعية الإنكار ولو لم يبلغ المنكر درجة التحريم:

قال ابن حجر: (فيه مشروعية الإنكار عند مخالفة الأدب ظاهرًا وإن لم يبلغ درجة التحريم)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: محبة النبي ﷺ.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التبرك بآثار النبي ﷺ

أولاً- من آداب المدعو: محبة النبي ﷺ:

يظهر ذلك في قول المرأة التي أهدت البردة للنبي ﷺ: "نسجتها بيدي لأكسوكها" ففعلها وقولها دلا على محبتها الشديدة للنبي ﷺ.

وحب المسلم لرسول الله ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان يتوقف على وجوده وجود الإيمان، فلا يدخل المسلم في عداد المؤمنين الناجين حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه بل ومن الناس أجمعين[٤].

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[٥].

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/١٤٣-١٤٤ ط/ السلفية.

(٢) المرجع السابق ٣/١٤٤.

(٣) المرجع السابق ٣/١٤٤.

(٤) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٤٢.

(٥) سورة التوبة، آية: ٢٤.

قال القاضي عياض في شرح الآية: (فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرَّعَ الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله)[١].

فألزم سبحانه وتعالى المسلم بتوجيه قلبه إلى الله وتعلق فؤاده برسول الله ﷺ حباً ووداً؛ وإجلالاً لمقامه واعترافاً بفضله، فهو الذي وصلك ووصل الإنسانية بحبل الله بعد انقطاعها عنه أمداً بعيداً. وقدم الله حب رسوله عليه السلام على أعز ما لدى الإنسان في حياته الدنيا من أهل وعشيرة وأموال ومساكن بل توعّد تعالى كل عبد تعز عنده هذه الأمور، حتى تصير أحب إليه من السعي لرضوان الله والجهاد في سبيله، ومن حب رسل الله ﷺ واتباع أمره، وتوعد من تردى إلى هذه الحال بعقاب في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً. ووصفه تعالى بالفسق وأبان أنه ممن ضل فحرمه الله هدايته إلى تحقيق إيمانه.

وأنت ترى أي مكانة لرسول الله ﷺ عند ربه، حتى قدم حبه وما يستلزمه من طاعته على الجهاد في سبيل الله، فإن الجهاد لا يكون إلا بمحبة رسول الله ﷺ والتفاني في طاعته. فمن لوازم المحبة الطاعة. كقول الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحبّ لمن يُحب مطيع

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: أَنْ يَكونَ اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاّ للهِ، وأنْ يَكرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ كما يكرَهُ أنْ يُقذَفَ في النَّارِ))[٢].

(١) الشفا ٣٨١.

(٢) أخرجه البخاري ١٦، ٢١، ٦٠٤١، ومسلم ٤٣.

فتذوق المسلم حلاوة الإيمان والالتذاذ بنعيمه موقوف على التحلي بخصال ثلاث، أولها وأجلها حب الله ورسوله حباً جماً يهون في سبيله كل نفيس وعزيز. ولعمري هذا ركن في الدين ركين تتوقف عليه سعادة الدنيا والآخرة.

وعن أنس رضي الله عنه: ((أنَّ رجُلاً سأل النبيَّ ﷺ عن الساعةِ فقال: متى الساعةُ؟ قال: وماذا أعددْتَ لها؟ قال: لاشيء، إلاّ أني أحبُّ اللّهَ ورسوله ﷺ. فقال: أنتَ مع من أحببت))[١].

وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: ((المرءُ معَ من أحبَّ))[٢].

وفي رواية لأنس رضي الله عنه عند البخاري أيضاً أن رسول الله ﷺ قال للرجل: ((إنكَ معَ من أحبَبْت. فقلنا: ونحنُ كذلك؟ قال: نعم. ففَرحنا يومئذ فرَحاً شديداً))[٣].

فهنيئاً لمن بلغ تلك المنزلة وارتقى إلى تلك الرتبة وفاز بتلك الصحبة[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: قبول الهدية وإدخال الفرحة على مهديها:

يظهر ذلك من خلال قبول رسول الله ﷺ هدية المرأة التي أهدت إليه البردة، وكان ﷺ لا يرد هدية ويثيب عليها صلوات الله وسلامه عليه، وهذا من كرمه وحسن خلقه[٥].

وقبول الهدية وإدخال السرور على مهديها أمر دعا إليه الإسلام، قال تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾[٧]. ومن السنة ((يا نساءَ المسلماتِ، لا تَحقِرَنَّ جارةٌ لجارتِها ولو

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٧١، ومسلم ٢٦٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٦٩، ومسلم ٢٦٤٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٦٧، ومسلم ٢٦٣٩، ٢٩٥٢.

(٤) نبوة محمد ﷺ، د. حسن ضياء الدين العنزي ص ٢٤١ - ٢٤٣.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١/٨٣٦.

(٦) سورة النساء، آية: ٤.

(٧) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

فِرْسَنَ شاةٍ))[١]، وقوله ﷺ: ((لو دُعيتُ إلى ذراعٍ أو كُراعٍ لأجبتُ، ولو أُهديَ إليَّ ذراعٌ أو كُراعٌ لقَبِلتُ))[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسولُ الله ﷺ يَقبلُ الهديةَ ويُثيبُ عليها))[٣]، وقال ﷺ: ((تَصافَحُوا يَذْهَبِ الغِلُّ. وَتَهادُوا تَحابُّوا، وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ))[٤].

ثالثاً-من صفات الداعية: الإيثار والمواساة للمدعوين:

يظهر هذا في إعطاء النبي ﷺ البردة لمن سأله إياها رغم حاجته إليها.

والإيثار والمواساة من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية في دعوته لأن الإسلام دعا إليها ومدح صنيعهما، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[٦].

قال رسول الله ﷺ: "إن في الجنة غُرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها"، فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله، قال: "لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام)[٧]. فحري بالداعية أن يتصف بالإيثار والمواساة في تعامله مع المدعوين.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥٦٦، ومسلم ١٠٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٦٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٥٨٥.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ٣٨٨٠، وقال ابن عبدالبر في التمهيد: وهنا يتصل من وجوه شتى حسان كلها، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، ابن عبد البر، ضمن موسوعة شروح الموطأ، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١١٤/٢٢.

(٥) سورة الحشر، آية: ٩.

(٦) سورة الإنسان، الآيتان: ٨-٩.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٨٠/١ رقم ٢٧٨، وصححه على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

لأن الإيثار يوجد عند المؤمنين الصادقين، الذين يعاملون الله تعالى، ويبتغون رضوانه، ويرجون الأجر عنده. فهؤلاء هم الذين تتسع دائرة الإيثار عندهم، فحيثما وجدوا مرضاة الله في إيثار غيرهم على أنفسهم، توقد في قلوبهم الإيمان، فآثروا على أنفسهم ابتغاء مرضاة الرحمن، ولو كان بهم خصاصة: "أي ضرورة أو حاجة" وقَدَّموا مصالح أنفسهم الدنيوية ضحايا وقرابين لتذبح على مذبح ابتغاء الخير والفضيلة، جوداً بها، وعطاءً غير محدود، وقد يبلغ بهم جود الإيثار أن يقدموا أرواحهم وحياتهم ضحايا، فداء لغيرهم، ولكن ابتغاء مرضاة الله[١]. والإيثار أوسع أبواب العطاء وأكثر مجالات الإنفاق، وهو قيمة خلقية رفيعة تسود كل الخصال السامية التي تشكل بمجملها الإطار الكامل للأريحية المعطاءة الباذلة التي تسعد بالبذل مثلما يسعد الآخرن بالأخذ وهي أريحية تمم البناء النفسي الصحيح، وهو عنوان علو الهمة وشرف النفس، ودليل الكرم.

كما أن الإيثار علامة على المروءة لأن من المروءة أن يبذل الإنسان ماله عند الحاجة، ونفسه عند النكبة، ويحفظك عند المغيب[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث حرص الصحابة رضي الله عنهم على التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم، ويظهر ذلك في قول الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اكسنيها، وعندما أنكر عليه الصحابة رضي الله عنهم فعله قال: "إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني".

وقد اتفق العلماء على مشروعية التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم وأورد علماء السيرة والشمائل والحديث أخباراً كثيرة تمثل تبرك الصحابة الكرام رضي الله عنهم بأنواع متعددة من آثاره منها[٣]: التبرك بوضوئه ونخامته صلى الله عليه وسلم. وفي ذلك قال عروة بن مسعود الثقفي حين فاوض النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية لما رجع إلى قريش: ((فوالله ما تَنَخَّمَ رسولُ الله

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٢٤.

(٢) إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، للرجوي، تحقيق: علاء الدين زعتري ص ٦٣، ١٠٨.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠/٧٠.

نُخَامَةً إلاَّ وَقَعَتْ فِي كفِّ رجلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ على وُضُوئِهِ...))[١].

ومنها: تبرك الصحابة رضي الله عنهم بشعره ﷺ فقد كان رسول الله ﷺ يوزع شعره بين الصحابة عندما يحلق رأسه الشريف، وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على أن يحصلوا شيئاً من شعره ﷺ ويحافظون على ما يصل إلى أيديهم منه للتبرك به[٢].

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى مِنًى. فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا. ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ. ثُمَّ قَالَ لِلْحَلاَّقِ: خُذْ وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ. ثُمَّ الأَيْسَرِ. ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ))[٣].

وعنه رضي الله عنه قال: ((لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ وَالْحَلاَّقُ يَحْلِقُهُ. وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ رضي الله عنهم. فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلاَّ فِي يَدِ رَجُلٍ))[٤].

ومنها: تبرك الصحابة رضي الله عنهم بعرقه ﷺ؛ فعن أنس بن مالك قال: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ. قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا. فَأُتِيتْ فَقِيلَ لَهَا: هذَا النَّبِيُّ نَامَ فِي بَيْتِكِ، عَلَى فِرَاشِكِ. قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ، عَلَى الْفِرَاشِ. فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا[٥] فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا. فَفَزِعَ النَّبِيُّ فَقَالَ: «مَا تصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا. قَالَ: أَصَبْتِ))[٦].

ومنها: تبرك الصحابة رضي الله عنهم بلباسه ﷺ فقد ثبت كذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على اقتناء ملابسه وأوانيه للتبرك بها والاستشفاء؛ فعن أسماء بنت أبي

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠/٧١.

(٣) أخرجه مسلم ١٣٠٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣٢٥.

(٥) عتيدها: هي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعزّ من متاعها.

(٦) أخرجه البخاري ٦٢٨١، ومسلم ٢٣٣١.

بكر رضي الله عنهما: ((أنها أخرجَتْ جُبَّةَ طيالِسةٍ وقالت: إن رسول الله ﷺ كان يلبَسُها، فنحنُ نغْسِلُها للمَرضى يستشفى بها))[1].

وغير ذلك الكثير في تبرك الصحابة رضي الله عنهم بآثار النبي ﷺ وهذا التبرك خاص به ﷺ فلا يجوز التبرك بآثار غيره من الخلق.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٦٩.

الحديث رقم (٥٦٨)

٥٦٨- وعن أَبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إنَّ الأشْعَرِيِّينَ إذَا أرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بالمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إنَاءٍ وَاحدٍ بالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأنَا مِنْهُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

الأشعريون: هم قبيلة باليمن منهم أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

أرملوا: فرغ زادُهم أو قارب الفراغ[3].

السَّوِيَّة: بالعدل والنصيفة[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرفع نموذجاً أعلى في التعاون، والتكافل بين المسلمين، وقد شرف هذا النموذج بأن الذي رفعه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنه رفعه بين صحابته، وأنه صار نموذج للأمة كلها في التكافل، والتعاون زاده أهمية كونه في الغزو، وهو موقف شدة يحتاج إلى مزيد عناية نظرا للخافية التي يمثلها على سير الغزوة، والتي تؤثر على مستقبل الدعوة، وعلى الأمة بوجه من الوجوه، أو في وقت الشدة العامة التي تعظم فيها حاجة الناس، وهذا النموذج الذي اختاره الرسول للأشعريين، وهم قوم أبي موسى الأشعري لجميل فعلهم في الشدائد، وقوله (أرْمَلُوا فِي الغَزْوِ) فَرَغَ زَادُهُمْ أَوْ قَارَبَ الفَرَاغَ، والتعبير بالإرمال يوحي بسرعة النفاد وقوله: (جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ) وهي صورة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٨٦، ومسلم ١٦٧/٢٥٠٠ ولفظهما سواء.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ر م ل).

(٣) رياض الصالحين ٢٥٩.

(٤) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س و ى).

الاتحاد التي تجعل كل ما لدى الفرد ملكا للجماعة، وما لدى الجماعة ملكا للفرد وفق منهج إسلامي وعلى سنن نبوي (ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إنَاءٍ وَاحِدٍ بالسَّوِيَّةِ) وهو ما يحقق الغاية بكفالة الجميع مع وجه يحفظ كرامة الفقير الذي لا يملك شيئا، ويقوي الاتحاد والمحبة، ولذلك مدحهم النبي بقوله: (فَهُمْ مِنِّي وَأنَا مِنْهُمْ) لأن هذا الفعل يشبه فعل النبي ﷺ، ويجري في طريق ما أرسل من أجله، وهو غرس التكافل، والتعاون، وروح المحبة بين جميع الناس إخلاصا لله – تعالى-.

فقه الحديث

١- جواز تحديث الرجل بمناقبه وفضائله: قال ابن حجر: (في الحديث [جواز] تحديث الرجل بمناقبه)[١].

٢- استحباب خلط الزاد: قال ابن حجر: (وفيه استحباب خلط الزاد في السفر وفي الإقامة أيضًا)[٢].

٣- جواز هبة المجهول: قال ابن حجر: (فيه جواز هبة المجهول)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ: "إن الأشعريين..." حيث أكد قوله بـ"إن" وأسلوب التوكيد من الأساليب التي تفيد الداعية في دعوته، حيث يستطيع أن يؤكد على أهمية الدعوة وعلى الحقائق الواردة بها وكذلك يُشعر المدعوين بأهمية الموضوع أو القضية التي يتناولها الداعية.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٠/٥.

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه. وفي المسألة خلاف بين الفقهاء انظره في: بدائع الصنائع ١١٩/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٢١٦/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٩٩/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٩٨/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٦/٤٢-١٢٧.

والتأكيد من أهم الأساليب الدعوية في تثبيت المعنى في القلوب، وبثه في النفوس، وحملها على التصديق والإيمان به، والأمر إذا تم تأكيده انتهى إلى الرسوخ في النفس على أنه حقيقة ثابتة[١].

ولا شك أن التأكيد له أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع فيما يريد نقله إليه، لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على المواساة والتعاون:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء." الحديث

فقد أثنى ﷺ على فعل الأشعريين وفي ذلك حث على المواساة والتعاون وفيه فضيلة الإيثار والمواساة، واستحباب خلط الزاد في السفر وفي الإقامة[٣].

والحث على المواساة والتعاون ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية: قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٤].

قال ابن كثير: (يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم)[٥].

وكل ما يخطر على البال من صور التعاون بين المؤمنين يعمه قول رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية ص ٣٤، وروح الجماعات لجوستاف ليبون ١١٥، نقلاً عن أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٠١.

(٢) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، د. عبد الغني محمد سعيد بركة ص ٣٤ نقلاً عن أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ص ٣٠١.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٥/٥، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١٢.

(٤) سورة المائدة، آية: ٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢/٣-١٣.

((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))(١).

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى أن يستحثوا المدعوين على إشاعة المواساة والتعاون فيما بينهم.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الأشعريين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "... فهم مني وأنا منهم" قال ابن حجر: (وفي الحديث فضيلة عظيمة للأشعريين قبيلة أبي موسى الأشعري)(٢).

ويبين رسول الله ﷺ فضل الأشعريين في قوله ﷺ: ((إني لأعرفُ أصواتَ رُفقة الأشعريين بالقرآن حين يَدخلونَ بالليل، وأعرِفُ مَنازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أرَ مَنازِلهم حين نزَلوا بالنهار، ومنهم حكيمٌ، إذا لقِيَ الخيلَ - أو قال: العدوَّ - قال لهم: إنَّ أصحابي يأمُرونَكم أن تنظروهم))(٣).

قال النووي: (فيه دليل لفضيلة الأشعريين وفيه أن الجهر بالقرآن في الليل فضيلة إذا لم يكن فيه إيذاء لنائم أو لمصل أو غيرهما ولا رياء)(٤).

قال القرطبي: (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم، ثم اقتسموا)، هذا الحديث يدلُّ على أن الغالب على الأشعريين الإيثار، والمواساة عند الحاجة، كما دلّ الحديث الثاني على أن الغالب عليهم القراءة والعبادة. فثبت لهم بشهادة رسول الله ﷺ: أنهم علماء عاملون، كرماء مؤثرون. ثم إنه ﷺ شرفهم بإضافتهم إليه، ثم زاد في التشريف بأن أضاف نفسه إليهم، ويمكن أن يكون معنى: (هم مني): فعلوا فعلي من القراءة والعبادة والكرامة، (وأنا منهم):

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥/١٥٥

(٣) أخرجه البخاري ٤٢٣٢، ومسلم ٢٤٩٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١٢.

أفعل من ذلك ما يفعلون، كما قال بعض الشعراء:

وقلتُ أخي، قالوا أخٌ وكرامةٌ فقلتُ ولكنَّ الشُّكولَ أقاربُ
نسيبيَ في عَزْمٍ ورأْيٍ ومَذْهَبِي وإنْ باعَدتْنا في الأُصُولِ المَنَاسِبُ[1]

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في ترغيب النبي ﷺ في الإيثار والمواساة والتعاون بين المسلمين، وذلك في ثنائه على فعل الأشعريين ووصفه لهم بأنهم منه وهو منهم.

وأسلوب الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق وذلك، لأن الأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[2]، وحصول الخير الكثير في الدنيا. فعلى الداعية ترغيب المدعوين في الدعوة وتحفيزهم إلى قبولها بما ترغب فيه النفس البشرية من مرغبات تتفق مع ما جاء به الشرع الحكيم.

خامساً- من أهداف الدعوة: تنمية روح المواساة والتعاون بين المسلمين:

يظهر ذلك من عموم الحديث فقد ذكر رسول الله ﷺ فعل الأشعريين واقتسامهم الطعام فيما بينهم وفي ذلك تنمية لروح المواساة والتعاون بين المسلمين.

وهذا هدف من الأهداف التي ترمي إليها الدعوة الإسلامية لأنها تهدف إلى التعاون والمواساة بين المسلمين بحيث يصبحوا كالجسد الواحد، قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))[3]. فالأصل في مجتمع المسلمين أنه مجتمع تعاون وتكاتف وتعاضد، ولكن باتجاه الخير والبر والتقوى، وبعيداً عن الشر والإثم والعدوان.

وطالما يعيش الإنسان في المجتمعات البشرية فإنه مدفوع لا محالة إلى صور من التعاون تعبر عن ولائه لأبناء مجتمعه، ومحتاج لا محالة إلى صور من التعاون تعبر عن

(١) المفهم، القرطبي ٤٥٢/٦.

(٢) انظر: مستلزمات الدعوة، على بن صالح المرشد ص ١٦٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

ضعفه وعجزه وعدم استغنائه بنفسه عن معونة من يعيشون حوله من الصدقات التي يزكي بها المسلم يومه ويتصدق بها على نفسه أنه ((يعين ذا الحاجة الملهوف))[1] ((...ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه...))[2].

إن مجتمعاً يفشو فيه التعاون والمواساة لا يضيع فيه أحد ولا يشتكي مخلوق، لأن كل واحد منهم عندئذ مقضي الحاجة، معان على الشدة، وينبغي التنبيه على أن التعاون خلق يشمل النواحي المادية والمعنوية من بذل للمال، وتعاون بالجاه، كما يكون التعاون في كل معاني الحياة وأكرم الناس عندهم من نفعهم وعم فضله فيهم وإن كان غريبًا عنهم أو بعيدًا منهم فينبغي تنمية هذه الجوانب. ويكون فيه ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))[3])[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٤٥.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٢٦، ومسلم ٢٥٨٥.

(٤) هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ٢١٢-٢١٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

حب النفس والولد فطرة وتقديمهما على ما سواهما لا ينكر، ولكن الله تعالى رزق بعض الناس خلق الإيثار، وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه حين قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الإنسان:٨-٩]، أي مع حاجتهم للطعام وإعدادهم له لتناوله ويطعمونه غيرهم ابتغاء وجه الله، أو يحبون الإنفاق في سبيل الله فلا يتوانون عنه ابتغاء مرضاته.

وقد ذكر القرآن حال أناس يجودون بما يملكون وإن كانوا أحوج إلى المجود به إلى المجاد عليه، وذلك لمقاومة شح النفس وتحقيقاً للفلاح، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الإسلامية: القدوة، حيث تؤثر تأثيرًا مباشرًا في السلوك، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إِنِّي مَجْهُودٌ. فَأَرْسَلَ إِلَىٰ بَعْضِ نِسَائِهِ. فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ ...».

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: «أن امرأة جاءت إلى رَسُول اللَّهُ ﷺ ببردة منسوجة فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها. فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها فخرج إلينا وإنها لإزاره. فقال فلان: اكسنيها ما أحسنها! فقال: (نعم) ...».

فهذه تربية بالقدوة عن طريق الجود والكرم والإيثار، كما أن فيها تربية بالقدوة على استحباب عدم رد السائل.

إن رسول الله ﷺ هو المربي والمعلم الأول والقدوة الحسنة لجميع المسلمين في الإيثار والمواساة، وذلك من خلال الممارسات العملية التي تحمل النفوس على البذل والعطاء، وتحررها من الشح والأنانية، وهذا مما يشيع المودة والمحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي.

ومن ثمرات القدوة: أنه تبرهن عمليًا على نجاح القيم والمثل والسجايا لأن الإنسان الذي يتحلى بجملة من الفضائل السلوكية يعطي غيره قناعة بأن بلوغها من الأمور التي هي في متناول القدرات الإنسانية[1].

وفي معرض التربية بالقدوة يوجه النبي ﷺ توجيهًا مباشرًا إلى التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده؛ فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ. فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ. فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا. وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلاَفًا شَدِيدًا. فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ. عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ. وَإِيَّاكُمْ والأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»[2].

فهذا حث على أهمية التربية بالقدوة في القول والفعل، حيث يقول "عليكم بسنتي أي ضرورة الاقتداء والاتباع لها، وكذلك لسنة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم من بعده"[3]. من هنا يبرز دور القدوة التربوي في ترجمة المعاني السامية والمثل العليا إلى أفعال على أرض الواقع تدعو الجميع إلى الاقتداء بها[4].

ثانيًا- التربية على الإيثار:

من الأهداف الخلقية للتربية الإسلامية غرس روح الإيثار، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب، قوله ﷺ: في حديث أبي هريرة "... من يضيف هذا الليلة..." وقوله «طعام الاثنين كافي لثلاثة»، وقوله: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر

---

(١) انظر: أساليب التربية الإسلامية، عبدالرحمن البابطين، ص١٠. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٣٣٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجة، ٤٢، وصححه الألباني، انظر: (صحيح سنن ابن ماجة ٤٠).

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣٣٤.

(٤) أساليب التربية الإسلامية، البابطين، ص١١.

له» وقوله: «فقال فلان اكسنيها ما أحسنها! فقال نعم...» وقوله ﷺ: «إنّ الأشْعَريين إذا أرملوا في الغَزو أو قلّ طعامُ عِيالهم بالمدينةِ جَمعوا ما كان عندَهم في ثوبٍ واحد، ثمّ اقتَسَموهُ بينهم...».

فهذه توجيهات نبوية تربوية تدل على أهمية الإيثار، لأن الإيثار قيمة خلقية سامية فهو عماد البر الذي هو سبب الألفة، لما يوصل إلى القلوب من الراحة والتلاطف، ولذلك ندب الشرع إليه لما فيه من عموم المصلحة في الدنيا والآخرة، ولعلو من تحلوا بالإيثار مدحهم الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]. الآية أظهرت أن الإيثار هو غاية الجود وهو بذل المال مع الحاجة إليه، وهو من أوسع أبواب العطاء وأكثر مجالات الإنفاق، وهو قيمة خلقية رفيعة تسود كل الخصال السامية، ومن مؤكدات الإيثار: قوله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2]. لقد علمنا النبي ﷺ أن الإيثار من القيم الاجتماعية التي تتجاوز فاعليتها المدى الذاتي لتبلغ أوسع دوائر النفع الاجتماعي العام.

ونرى الآثار التربوية والمعنوية المترتبة على الإيثار، إذا صارت هذه القيمة الأخلاقية دعامة أساسية من دعائم المجتمع العربي والإسلامي، لأنها لم تعد مجرد قيمة سائدة بالمعنى المعتاد المألوف، بل صارت تتطور لتتولد عنها معاني مستجدة نابعة من طبيعتها الاجتماعية الإيجابية التي تؤدي إلى نشوء مثل تلك الظواهر الدالة على عافية المجتمع من الناحية الأخلاقية، ولعل علاقة المؤاخاة التي تنتفي فيها المصالح الشخصية من أهم تلك الظواهر السامية الناجمة عن قيمة الإيثار[3].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٣) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٤٢/١٠.
الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ٥٤١/١.

إن رسول الله ﷺ دعا أهل الخير ومن توفر عنده شيء من المال على اختلاف صوره أن يجود به، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة -ولله الحمد- جماعات وجمعيات خيرية لتنزيل هذا الحديث على الواقع، فهي تجمع فائض الأثاث، وفائض الثياب وفائض الطعام، لتعيد توزيعه من جديد وعلى أهل الخير أن يوسعوا دائرة نشاط هذه الجمعيات، وعلى الحكومات أن تيسر لها المكان والإجراءات وتخفف من الأعباء التي تفرض عليها لأن في هذا من المنافع ما يلي:

أولاً: الخروج من دائرة التبذير لأن كثيرين من ميسوري الحال يلقون بهذا الفائض في صناديق القمامة.

ثانيًا: استثمار رأس مال مهدر لولا هذه الطريقة لكان مصيره إلى العدم.

ثالثًا: حل مشكلة الفقراء في بعض جوانبها، فكثيرون منهم يَلْقَون ما يتطلعون إليه من كساء أو غذاء أو أساس... إلخ من طريق هذه الأعمال.

رابعًا: ومما نحن بحاجة إلى إحيائه التصدق بالعلم على اختلاف صوره وأشكاله ألا ليت الطبيب يكشف يومًا بالمجان كل أسبوع والمدرس يعطي يومًا للفقراء والاستشاري يجود بمشورته على الفقراء ويلحق بهذا كل ذي فن في فنه لتسود روح الإيثار والعطاء.

إن الناس في بعض الأحيان يفتقرون إلى العطاء الأدبي أكثر من افتقارهم إلى العطاء المادي، فالمريض الذي لا يجد من يَصْدُقه القول، والسائل الحائر في الفتوى والتي لا تبذل في بعض البلدان إلا بأجر، وصاحب المصلحة الذي لا يعرف الطريق لحلها ولا السبيل لقضائها عندما ينهض هذا أو ذاك لمد يد العون له، كل هذا عطاء من جنس ما يملك الإنسان. وهو لون من المواساة يُحمد عليه الإنسان.

إن رسول الله ﷺ قد أثنى على جماعة من أهل المدينة تُعرف بالأشعريين كانوا إذا أصابهم قحط أو نزلت بهم فاقة أو قل طعامهم واستشعروا معه النفاد، جمعوا ما عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم بالسوية، ولهذا نص عليه السلام أن هذا خلقه وأنهم قد تخلقوا بخلقه وأنه منهم فهل من محاكاة؟

ثالثًا- التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التوجيه المباشر، ومن الشواهد على ذلك في باب الإيثار والمواساة، حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود... فقال ﷺ: من يضيف هذا الليلة» وقوله: «طعام الواحد يكفي الاثنين» وقوله ﷺ: «من كان معه فضل ظهرٍ فليعد به على من لا ظهر له...» فهذه توجيهات تربوية مباشرة أراد النبي ﷺ منها إبراز قيمة الإيثار والمواساة في نفوس الصحابة رضي الله عنهم. من خلال هذه التوجيهات.

لأن التوجيه المباشر من الأساليب التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين، وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم، وإن اختيار المواقف واغتنام فرصها والأوقات المناسبة للتوجيه، يسهل العملية التربوية، ويساعد على تحقيق الأهداف وغرس الفضائل، وهذا ما يذهب إليه المهتمون بالتربية[1].

رابعًا- التربية على المواساة:

من أهداف التربية الاجتماعية، التربية على المواساة، ومن الشواهد على ذلك في باب الإيثار والمواساة قوله ﷺ: «... من يضيف هذا الليلة فقال رجل من الأنصار: أنا يارسول الله ...» وقوله ﷺ: «طعام الواحد يكفي الاثنين...»، وقوله ﷺ: «بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له...»، وقوله ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ، إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ، بِالسَّوِيَّةِ. فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»، فهذه شواهد تدل على المواساة بين الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٧٦، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٨٥.

والذي معنا في الباب: المواساة بالمال وما يتبعه من طعام وشراب، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه(١).

فحاجة المسلم تتنوع وتختلف من موقف إلى آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال وهناك من تكون حاجته إلى عمل أو وظيفة وهناك من تكون حاجته إلى كلمة طيبة، أو دفع ظلم، ولقد حفلت سير أعلام النبلاء بنماذج مشرفة في المواساة، ومن تأمل هذه الصفحات المشرقة التي حفلت بها سير هؤلاء يعلم قدر هذه القيمة عندهم(٢).

وقد ورد في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-القصة: وهذا موجود في معظم أحاديث الباب، كحديث سهل بن سعد رضي الله عنه ((أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ ببردة منسوجة ...)) الحديث.

ب-المناقشة والحوار: كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أيضًا، وأسلوب المناقشة والحوار من الأساليب التي تتميز بتفعيل دور المتعلم في العملية التربوية وتدفع عنه الملل وتستثير دافعيته للتعلم.

ج-التربية بالمواقف: كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: ((من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ...)) الحديث، والمربي البارع لا يترك أحداث الحياة تمر أمام عينيه دون أن يستفيد منها في تقديم ما هو مرغوب، ولأسلوب التربية بالمواقف آثار تربوية تميزها عن غيرها، فهو يحدث في النفس تأثيرًا كبيرًا وتنفعل معه انفعالاً كبيرًا.



(١) الفوائد، ابن القيم، ص٢٢٤.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢٤٩/٥.

٦٣- باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[المطففين: ٢٦].

الحديث رقم (٥٦٩)

٥٦٩- وعن سَهْلِ بن سَعدٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بِشَرابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأشْيَاخُ، فَقَالَ لِلغُلاَمِ: ((أتَأذَنُ لِي أنْ أُعْطِيَ هؤُلاءِ؟)) فَقَالَ الغُلامُ: لاَ وَاللّهِ يَا رسولَ اللّه، لا أُوْثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أحَدًا. فَتَلَّهُ رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم في يَدِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

غلام: هذا الغلام هو ابن عباس رضي الله عنهما[(٢)].

لا أُوثِرُ: لا أفضل أحدًا على نفسي. فأعطيه نصيبي من الشراب[(٣)].

تَلَّهُ: وضعه[(٤)].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقرر بطريق عملية سنة فعلية، وهي التيمن، ويقرر أحقية صاحب الحق بحقه، وقد بدأ الصحابي الحديث بأسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة تصدَّره حرف التوكيد (أن) مع اسمية الجملة لاستعظام الصحابة النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٥١ واللفظ له، ومسلم ١٢٧/٢٠٣٠. وسيكرره المؤلف برقم ٧٦١.

(٢) رياض الصالحين ٢٦٠.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ث ر).

(٤) رياض الصالحين ٢٦٠.

رغبة منهم في نقل هذا التعظيم إلى المخاطبين بنفس الدرجة؛ ولذلك نجد أن أساليب التوكيد تتقدم تحديث الصحابة عن الرسول ﷺ كثيراً مع أنهم لا يواجهون بتكذيب، ولا إنكار، وقوله (وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ) في العبارة طباق بين اليمين، والشمال، وبين لفظ غلام، وأشياخ يوضح المفارقة التي سببت هذا الموقف، لأن سنته ﷺ البدء باليمين، وعلى يمينه غلام، وعلى شماله أشياخ، فأراد النبي ﷺ أن يخرج من هذا الموقف دون أن يتعدى على حق الغلام، أو يجرح الأشياخ فقال للغلام ("أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاءِ) وهو أسلوب استفهام قصد به طلب الإذن، تأمل هذا المشهد النبي ﷺ مع جلال قدره يطلب الإذن من صبي! أرأيت كيف يربي طفل الإسلام ؟ وكيف يبني شخصيته ويربي فيه ملكة التفكير وحرية اتخاذ القرار ؟ بما يجعله فرداً صالحاً ينفع أمته، ويخدم دينه، وتأمل ردَّه لِتَعلَم أثر التربية النبوية قال (وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْك أَحَدًا) فقد بدأ بأسلوب القسم بلفظ الجلالة (الله) مما يدل على الجزم بما بعده، ثم إن اعتزازه بنفسه، وتمسكه بحقه لم ينسه مقام رسول ﷺ فجاء نداؤه (يا رسول الله) نداء تكريم، ومحبة حيث استخدم (يا) التي لنداء البعيد مع قرب النبي ﷺ منه إقراراً بعلو مكانته، ثم نداء الرسول ﷺ بلقبه دون اسمه، ثم إضافته لله تشريفاً وتكريماً، وتقديم الجار والمجرور (بنصيبي) يفيد إعتزازه، وتمسكه بحقه، وتقديم الجار والمجرور (منك) على المفعول (أحداً) يشير إلى أن سرَّ تمسكه به هو كونه من رسول الله ﷺ يريد أن ينال شرف الشرب من المكان الذي شرب منه رسول الله ﷺ، ولذلك احترم الرسول رغبته وأعطاه إياه (هذا الغلام أصبح حبر الأمة، ابن عباس رضي الله عنهما.

فقه الحديث

١- تقديم الأيمن في الشرب، ونحوه، وإن كان صغيرًا أو مفضولاً. وأما تقديم الأفاضل والكبار فهو عند التساوي في الحقوق في باقي الأوصاف[١].

٢- أن من وجب له شيء من الأشياء لا يصرف عنه، ولا يؤخذ منه إلا بإذنه، صغيرًا كان أو كبيرًا[٢].

٣- أن الجلساء شركاء في الهدية على جهة الأدب والفضل لا الوجوب، للإجماع على أن المطالبة بذلك لا تجب[٣].

المضامين الدعوية

أولاً- من صفات الداعية: التواضع والاحترام والتقدير للمدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على فعل ما ينفعهم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية توقير الكبير ومراعاة حقوق الآخرين.

أولاً- من صفات الداعية: التواضع والاحترام والتقدير للمدعوين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ للغلام: "أتأذن لي أن أعطي هؤلاء" وهذا يدل على تواضع النبي ﷺ واحترامه وتقديره للمدعوين، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية. فدعوة الداعية للمدعوين تستلزم خفض جناحه لهم وعدم تكبره عليهم، وأن يكون رحيمًا بهم شفيقًا عليهم مقدرًا لهم[٤].

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٧٤/٤، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٢٤/٢١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٣١٩/٢.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٢٤/٢١.

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه، شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٧٤/٤.

(٤) انظر: النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة ودورها في الدعوة إلى الله، الباز محمد عبدالفتاح الدميري، ١٥٨.

فالتواضع من صفات الإيمان التي تدل على القرب من الله، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[1].

قال ابن كثير: (من صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه متعززًا على خصمه وعدوه)[2].

وقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرْ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ))[3].

فالداعية إلى الله إذا تحلى بالتواضع واحترام وتقدير المدعوين كان ذلك حاملاً لهم على قبول دعوته وحبهم له.

وذلك لأن التواضع يؤلف القلوب النافرة، ويجمع النفوس الشاردة، وبذلك تصبح الأمة قوية الدين شديدة على الأعداء، رحيمة بالضعفاء[4]. والتواضع دليل على كبر النفس، وعلو الهمة، وسبيل لاكتساب المعالي، والترقي في الكمالات، يرفع من قدر صاحبه يكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم ويبعثه على الاستفادة من كل أحد، وينأى به عن الكبر، والاستنكاف عن قبول الحق والأخذ به.

قال ابن المبارك: (كان يقال: الغنى في النفس، والكرم في التقوى، والشرف في التواضع، وثمرة التواضع المحبة)[5].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على فعل ما ينفعهم:

يظهر ذلك في حرص الغلام على الشرب وراء رسول الله ﷺ للتبرك بسؤره ﷺ.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٣٦.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٤) النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة، الباز الدميري ص ١٥٨-١٥٩.

(٥) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، السفاريني، ٢/٢٣١.

قال القاضي عياض: (الغلام هو ابن عباس واستأذنه النبي ﷺ ثقة منه بطيب نفسه باستئذانه بدفعه للأشياخ والكبراء من آله وقومه... فشح ابن عباس على نصيبه من النبي ﷺ، وفضل شرابه وبركته لا على نصيبه من المشروب)[(١)].

ويؤيد ذلك ما أخرجه الترمذي عن ابن عباس قال: ((دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ أنا وَخَالِدُ بنُ الوَلِيدِ عَلَى مَيْمُونَةَ فَجَاءَتْنَا بإِنَاءٍ في لَبَن فَشَرِبَ رسولُ اللَّه ﷺ وأنا عَنْ يَمِينِهِ وخَالِدٌ عَلى شِمَالِهِ فقالَ: لِي الشَّرْبَةُ لكَ فإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بهَا خَالِدًا فَقُلْتُ مَا كُنْتُ أُوثِرُ عَلَى سُؤْرِكَ أَحَدًا))[(٢)].

فهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على ما ينفعهم من التبرك بآثار النبي ﷺ وقد ورد في صحيح البخاري عن عروة أنه: ((... رأى أصحاب النبي ﷺ زمن الحديبية. فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللَّه، لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ، إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّه، إِنْ يَتَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ...))[(٣)].

وقد روى البخاري ومسلم صورًا كثيرة أخرى من تبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ والتوسل بها للاستشفاء، أو العناية والتوفيق، وما شابه ذلك[(٤)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية توقير الكبير ومراعاة حقوق الآخرين:

يظهر ذلك في استئذان النبي ﷺ الغلام ليعطي الشيوخ وفي ذلك توقير للشيوخ ومراعاة لحقوق الغلام.

قال القاضي عياض: (واستأذن الغلام -وهو ابن عباس-... بدفعه للأشياخ والكبراء

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦/٤٩٧-٤٩٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٤٥٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٤٩).

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٤) فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد البوطي، ٢٠٥.

من آله وقومه وفي بعض الروايات ((عمك وابن عمك أتأذن لي أن أعطيه؟))[١] يعني خالد بن الوليد، ولحمله عليه، وإدلاله لقرباه منه وصغر سنه واستئلاف الاشياخ أيضًا بهذا الاستئذان من تعريف الحكم في ذلك، بأن لا يصرف عنه إلا بإذنه لمن لم يكن علمه منهم.

وفيه أن مثل هذا من الحقوق إذا تميزت لأحدٍ أن صاحب الحق أولى به، لا يلتفت في ذلك إلى الأسن، ولا الأفضل كصاحب الدابة أولى بمقدمها، وإمامة صاحب الدار، وإنما يراعى الترجيح بالفضائل والمزايا مع استواء الأقدام في ذلك الحق وترك السبق إليه، كالبداية بالشرب، وغسل اليد وبالشهادة، والتقديم للصلاة، وغير ذلك)[٢].

وتوقير الكبير من الأشياء التي دعا إليها الإسلام، قالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيوقِّرْ كَبِيرَنَا))[٣].

وقال ﷺ: ((إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ الله إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))[٤]. وقال ﷺ: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا))[٥].

فهذا أثر حمل في طياته أسلوبًا رائعًا يدل على كمال خلقه ﷺ وشدة اهتمامه بالأخلاق والآداب الشرعية التي ترشد إلى احترام الكبير.

وكان ﷺ يعلم أصحابه سلوك هذا المنهج في تصرفاتهم بحيث يعطي كل ذي فضل ومكانة وكبر سن ما يُناسب حاله[٦].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٨٤/١ رقم ٢٥٦٩ بلفظ "أتأذن أن أسقي عمك؟" وقال محققو المسند: حديث حسن ٣٤٤/٤، ٣٤٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٩٧/٦-٤٩٨.

(٣) أخرجه الترمذي ١٩١٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٥).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٨٤٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٥٣).

(٥) أخرجه أبو داود ٤٩٤٣، والترمذي ١٩١٩، ١٩٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٥، ١٥٦٦).

(٦) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن الحماد ص ١٣٨، ١٣٩.

فإذا كان الإسلام يدعو إلى توقير الكبير واحترامه ولكن ذلك لا يكون على حساب أصحاب الحقوق فإن صاحب الحق مقدم على غيره وإن كان أكبر منه لذلك نجد رسول الله ﷺ يستأذن الغلام لأنه صاحب حق وهو أولى بحقه، وعندما لم يقبل الغلام التنازل عن حقه أعطاه رسول الله ﷺ الشراب دون إنكار عليه.

وهذا يؤكد على أهمية مراعاة أحقية الناس، وأن كل إنسان أولى بحقه وله مطلق الحرية في التنازل بعد ذلك عن جزء أو إيثار إخوانه لكن لا بد وأن تعطى الحقوق لأصحابها.

الحديث رقم (٥٧٠)

٥٧٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((**بَيْنَا أيُّوبُ عليه السلام يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، فخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ عز وجل: يَا أيُّوبُ، ألَمْ أكُنْ أغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟! قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لاَ غِنى بي عَنْ بَرَكَتِكَ**)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

خَرَّ: سقط[2].

الجراد: فصيلة من الحشرات المستقيمات الأجنحة[3].

يَحْثى: يأخذ بيديه جميعاً[4].

الشرح الأدبي

البداية بالظرف (بين) من براعة الاستهلال التي تحقق التشويق لأنه يمثل منطقة وسطى بين زمانيين أو مكانين يرتبطان غالبا بحدث ذي دلالة يبشر بمفاجأة، وتعلقه بنبي يزيد الخبر تشويقا، ويزداد أكثر إذا كان نبي الله أيوب عليه السلام لعجيب ما حدث معه في بدنه، وأهله ثم إنه بالنسبة للصحابة من غيب الماضي، وقوله (يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً) قوله عريانا تأكيد للفعل يغتسل لأنه من دلائله، وقوله (فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ) التعبير بالخرير يشير إلى الكثرة، والتتابع، وهي طبيعة عيش الجراد الحي أنه يحيا في جماعات كبيرة، والتعبير بالجار، والمجرور (عليه) يشير إلى الجهة التي جاء منها

---

(١) برقم ٢٧٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨٤/٦.

(٣) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ر د)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٣٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨٥/٦.

ويؤكد فعل الخرير لأنه من جهته وقول الله لأيوب عليه السلام (يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتكَ عَمَّا تَرَى ؟!) استفهام تقرير لحمل المخاطب على الإقرار بمضمون الخبر، وقد أقر أيوب عليه السلام به (بَلَى وَعِزَّتِكَ) وأكده باليمين إشارة إلى أن أخذه هذا الذهب لم يكن عن حاجة، وإنما رغبة في نعم الله لا رغبة عنها، يصرفها في مرضاته – تعالى- وهو ما قرره صراحة بالاستدراك (وَلَكِنْ لاَ غِنَى بي عن بَرَكَتِكَ).

فقه الحديث

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: وجه الدلالة من حديث أيوب أن الله تعالى عاتبه على جمع الجراد، ولم يعاتبه على الاغتسال عريانًا فدلّ على جوازه)[١] لكن قيد أكثر الفقهاء هذا الجواز بالكراهة. وقالوا: يستحب التستر وإن كان خاليًا[٢].

قال ابن حجر: (في الحديث جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر عليه)[٣].

قال ابن حجر: (واستنبط منه الخطابي جواز أخذ النثار في الإملاك، وتعقبه ابن التين، فقال: هو شيء خصّ الله به نبيه أيوب، وهو بخلاف النثار، فإنه من فعل الآدمي، فيكره لما فيه من السرف، ورد عليه بأنه أذن فيه من قبل الشارع إن ثبت الخبر[٤]، ويستأنس فيه بهذه القصة، والله أعلم)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦١/١، وانظر: فتح الباري لابن رجب ٣٣٢/١-٣٣٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٥٢/١٤، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٦/١ ، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٣٠/١-٢٣١ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٨/٣٠).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢١/٦ ط السلفية.

(٤) انظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني ٢٠٠/٣-٢٠١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢١/٦، وفي المسألة خلاف بين الفقهاء. انظر: الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٣٤٥/٥، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦/٤، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣٧١/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٤٠/٨، ٣٤١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٠٨/١٠-٢١٠، (الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧١/٤٠-٧٣).

المضامين الدعوية

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص نبي الله أيوب ﷺ على الاستزادة من الفضل والبركة.

أولاً- من وسائل الدعوة: الحكاية:

يظهر ذلك حيث ذكر رسول الله ﷺ في هذا الحديث: "بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً خَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ ..."، وقد كثر استخدام رسول الله ﷺ وسيلة الحكاية في أحاديثه من ذلك حديث صهيب ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ. فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلاَماً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلاَماً يُعَلِّمُهُ. فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ، رَاهِبٌ. فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلاَمَهُ. فَأَعْجَبَهُ. فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ. فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ. فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ. فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ. فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَراً فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ. حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا. وَمَضَى النَّاسُ. فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ. الْيَوْمَ، أَفْضَلُ مِنِّي. قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى. وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى. فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلَّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلاَمُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ. فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ. فَقَالَ: مَا هَهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَشْفِي أَحَداً. إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ))[1].

والحكاية من وسائل الدعوة التي تفيد الداعية في دعوته بذكره حكايات السابقين عليه للمدعوين.

---

(١) أخرجه مسلم ٣٠٠٥.

ويلاحظ أن في الحكاية المحاكاة والوقوف على ما جرى فقط، بخلاف القصص فإنها تنقلك بنفسك وعقلك ووجدانك إلى الزمان الغابر لتعيش فيه فتأخذ العبرة والعظة[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص نبي الله أيوب عليه السلام على الاستزادة من الفضل والبركة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "بَينا أيُّوبُ عليه السلام يَغتَسِلُ عُرياناً فَخَرَّ عليه جَرادٌ من ذَهبٍ، فجعَلَ أَيُّوبُ يَحتثي في ثوبِهِ، فناداه ربُّه عز وجل: يا أيُّوبُ ألم أكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمّا تَرى؟ قال: بَلَى وعِزَّتِكَ، ولكنْ لاغِنى بي عن بَرَكتِكَ"... الحديث.

قال ابن حجر: وفي الحديث جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر عليه، وفيه تسمية المال الذي يكون من هذه الجهة بركة، وفيه فضل الغني الشاكر[2].

قال د. الحسيني هاشم: (كان أيوب عليه السلام شاكراً في حال غناه صابراً في حال ابتلائه وإفقاره، أظهر سبب فرحه بالجراد وسروره به، وهو أنه وإن أغناه الله عنه من حيث أنه مال، فإنه حريص على أخذه من حيث أنه بركة لكونه نعمة جديدة خارقة للعادة فينبغي تلقيها بالقبول، ولأنه ليس لأحد حق فيه أو طمع في أخذه ورده رد لنعم الله)[3].

وأيوب عليه السلام من أنبياء الله الصابرين حيث ابتلاه الله في جسده وماله وولده فصبر وقد ورد ذكر قصته في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[4].

---

(١) انظر: القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي، ص٣١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٤٨٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ٣٦١.

(٤) سورة ص، الآيات: ٤١-٤٤.

فأيوب عليه السلام أثنى عليه ربه فقال: "نعم العبد" الذي كمل مراتب العبودية، في حال السراء والضراء والشدة والرخاء، "وإنه أواب" أي كثير الرجوع إلى الله، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والمحبة والتأله[1]. من أجل ذلك كان حريصاً على الاستزادة من فضل الله وبركته.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الترغيب في طلب فضل الله:

إن موضوعات الدعوة التي تستنبط من الحديث الترغيب في طلب فضل الله وعطائه والشعور بالحاجة إلى فضله تعالى. يظهر ذلك من عموم الحديث فذكر رسول الله ﷺ حرص أيوب عليه السلام على الاستزادة من فضل الله وعطائه فيه ترغيب في طلب فضل الله وعطائه والشعور بالحاجة إلى فضله.

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه: جواز استكثار الغني من الغنى بنية الإنفاق.

وفيه أيضاً: أنه إذا رأى المؤمن فضل الله سبحانه وتعالى نازلاً عليه، فلا يقطع تناوله ما دام نازلاً ويكون ناوياً بذلك أنه لا يشبع من رحمة الله كما قال أيوب، فإن الله سبحانه لا يحب من عبده أن يرد عليه فضله)[2]. فينبغي على الداعية ترغيب المدعوين في طلب فضل الله وعطائه والشعور بالحاجة إلى فضله تعالى.

وهذا كان شأن رسول الله ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم يرغبهم في طلب فضل الله وعطائه والشعور بالحاجة إلى فضله تعالى ويفعل ذلك بنفسه فيوم بدر قد بات ﷺ يصلي إلى جذم[3] شجرة هناك، ويكثر في سجوده أن يقول "يا حي يا قيوم" يكرر ذلك

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٦١.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣١٥/٧.

(٣) جذم كل شيء: أصله.

ويلظ[1] به عليه الصلاة والسلام[2].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين ... فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[3] فأمده الله بالملائكة[4].

والترغيب في طلب فضل الله وعطائه والشعور بالحاجة إلى فضله تعالى من الأشياء التي ينبغي أن يحرص عليها الداعية، وذلك لأن الفضل بيد الله وكل مخلوق محتاج إلى فضل الله وعطاءه فهو المنعم ومن بيده الخير كله.

رابعاً- من أساليب الدعوة: النداء والاستفهام:

يظهر أسلوب النداء في قول الله تعالى: يا أيوب. والاستفهام في قوله سبحانه: أكن أغنيتك عما ترى؟". وهو استفهام تقريري، قال ابن هبيره: وأما قوله جل جلاله (ألم أكن أغنيتك) فإنه فيما أرى إنما قيل له؛ ليقول أيوب ما قاله، فيهتدي به في مثل ذلك[5].

ولقد استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم

---

(١) يقال: ألظّ بالشيء يُلظُّ إلظاظاً إذا لزمه وثابر عليه... وجاء في حديث الدعاء... ألظوا بياذا الجلال والإكرام، أي إلزموه واثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم. وألظ تأتي بمعنى ألح في سؤاله وألزمه إياه، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٨٣٦.

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون، ٨١/٥.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٤) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣١٥/٧.

وإعدادهم إعدادًا إسلامياً صحيحاً، وهو أسلوب يدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم، والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبياً أو مصدقاً لما يسمعه دون فهم وإدراك، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة[١]، وذلك أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه، ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه فإذا كان الاستفهام تقريراً فمعنى ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف، وينزع منه الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام[٢].

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ١٧٢.

(٢) انظر: فلسفة التربية في الحديث النبوي، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٣٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

أولاً- التربية على علو الهمة:

إن الدعوة إلى التنافس في أمور الآخرة ترتقي بهمة المسلم، وتخلق لديه روح المسارعة إلى الأعمال الصالحة التي توصله إلى مرضاة الله عز وجل، وقد قال الله تعالى في بيان ضرورة التنافس على علو الهمة، والتحليق والتطلع إلى معالي الأمور وأشرف المنازل: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾(١).

"وكان من هديه ﷺ المبارك أنه كان يرغب الصحابة رضي الله عنهم في الدرجات العالية والرتب السامية ويبعث فيهم الرغبة في التنافس في الخير، وهذا يوجب الارتفاع بهِمَم مَنْ يقوم المربي بتربيتهم، وتنبيههم إلى المراتب العالية، وحثهم على التنافس والرغبة في الوصول إلى أعلى المراتب وأرفع الدرجات"(٢).

بلغنا السماء مجدًا وجودًا وسُؤددا   وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرًا

إن عظيم الهمة لا يشغل بَالَه أمرٌ صغير، ولا يقلق فكره عمل يسير، بل يقوم بجلائل الأعمال فلا يتبرم ولا يقلق، ولا يشكو كثرة الأعباء، ولمَّا كان مجد الآخرة أعظم المجد كان ابتغاؤه أعظم الغايات، وكان هو الهمّ الأكبر للمؤمنين الصادقين ذوي الهِمَم العلية، والنفوس الكبيرة الزكية، فالآخرة هي أولى بأن تُبْتغى، ويُسعى لها سعيها؛ فنعيمها خير وأبقى، وملكها ملك لا ينقطع ولا يبلى"(٣).

ثانيًا- تربية الصغير على ممارسة حقوقه المشروعة:

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ٢٢-٢٦.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص٢٧٧ ، ٢٧٨.

(٣) الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٠٨ ، ١١٤ بتصرف.

من المضامين التربوية التي يشير إليها الباب تعويد الصغير وتدريبه وتربيته على ممارسة حقوقه المشروعة، ويبدو هذا من قول النبي ﷺ للغلام: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هـؤُلاَءِ؟» فَقَالَ الْغُلاَمُ: لاَ. وَاللّهِ لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا.

لقد أقر الرسول ﷺ بالحق المشروع للغلام في الشرب قبل الأشياخ فاستأذنه، فلم يأذن الغلام وتمسك بأحقيته في الشرب فأقر له النبي ﷺ بذلك، ومن ثَمَّ يجب على المربين أن يقروا بالحقوق المشروعة للصغار ولا يهضمونهم إياها لكونهم صغارًا، ويعودوهم على ذلك. ويدربوهم على التعبير بحرية عما يريدون، لأن هذا سيكون له الأثر الطيب في تكوين شخصية هؤلاء الصغار، وتنمية قدراتهم ومواهبهم.

إن إعطاء الصغير حقه، وقبول الحق منه، يغرس في نفسه شعورًا إيجابيًا نحو الحياة. ويتعلم أن الحياة أخذ وعطاء، كذلك فإنه تدريب للصغير على الخضوع للحق، ويكون أمامه قدوة صالحة، وإن تعوده العدل في قبول الحق، ورضوخه له، تتفتح طاقته وحريتها في التعبير عن نفسه، ومطالبته بحقوقه، وعكس هذا يؤدي إلى كبتها [illegible]، ويولد لدى الصغير إحساسًا بالقهر، ومن ثَمَّ فإن رسول الله ﷺ استأذن الغلام عن يمينه لكي يتنازل عن حقه ليعطيه للكبير الذي عن يساره. فبدا بالغلام لا يؤثر أحدًا على نفسه بسُؤْر رسول الله ﷺ، فيعطيه رسول الله ﷺ الإناء يشرب. ويهنأ في الاستمتاع بحقه، ولقد سار السلف الصالح على قبول الحق من الصغير مهما كان نوعه[1].

ثالثًا- دور المجالس في التربية:

إن مجالس المربين ينبغي أن تكون وسيلة من وسائل تحقيق التربية، والتربية في وسط المجموع قد يكون لها أبلغ الأثر في تحقيق القدوة، وفي حديث الباب كان مجلس النبي ﷺ بمَنْ فيه من أشياخ وغلام أحد الوسائط التربوية التي من خلالها يوصل المربي ما يريد أن يغرسه من قيم في نفوس المتربين.

---

(١) انظر: المنهج التربوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص٨٢.

"لقد استخدم المنزل كمكان لنشر العلم وللتعليم منذ الصدر الأول للإسلام، وذلك عندما اتخذ الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانًا لتعليم مبادئ الإسلام، وفي بعض الأحيان كان يلتقي ﷺ بأصحابه في منزله أو في مجالسه بأي مكان ليرشدهم ويعلمهم أمور دينهم.

وكان بعض المربين يتخذون منازلهم مكانًا للتعليم يلتقون فيه بغيرهم من طلبة العلم فيفيدونهم، وليست مجالس العلماء هذه قاصرة على مجالس علماء الدين فحسب، ولكنها كل المجالس العلمية التي يقدم فيها أي نوع من أنواع العلوم النافعة كالمؤتمرات والندوات واللقاءات والمنتديات الشعرية والأدبية والعلمية والطبية والنفسية والتربوية... وغيرها من المجالس التي تقوم بدور أو بآخر في التربية الإسلامية" (١).

رابعًا- التربية بالقصة:

إن من الأساليب التربوية المهمة التربية بالقصة، وذلك لما تتركه من أثر حميد في نفس المتلقي، وفي هذا الباب جاء الحديث عن جزء من قصة أيوب عليه السلام ونزول الجراد عليه.

"والقصة التربوية هي الخبر الصادق المنقول لفظًا أو كتابة. أما ما يُخْتلق من أكاذيب، فليست من الصدق في شيء، وبالتالي لا ينبغي نقلها ولا استخدامها، وتبرز أهمية القصة من التأثير النفسي العميق الذي تتركه في ذهن المستمع أو القارئ، وتتجاوز ذلك إلى التأثير في سلوكه وأفكاره، فهي أحد أساليب التربية الإسلامية حيث تضمن القرآن الكريم الكثير من القصص، وتضمنت السنة النبوية العديد من القصص التي قَصَّهَا رسول الله ﷺ على أصحابه وحفظتها كتب الأحاديث النبوية"(٢).

ومن ثَمَّ فيجب على المربين استعمال القصة في تربية النشء وغرس القيم الصحيحة

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٥٦-١٥٧ بتصرف.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد حامد الحازمي ص٢٨٩.

في نفوس المتربين.

خامسًا- من الأساليب التربوية المناقشة والحوار:

كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطى هؤلاء..))الحديث. وأسلوب المناقشة والحوار من الأساليب التي تتميز بتفعيل دور المتعلم في العملية التربوية وتدفع الملل عنه وتستثير دافعيته للتعلم. لذا كان من الأجدر أن يستخدمه المعلم في حجرة التدريس وخارجها.



٦٤- باب فضل الغَنِيّ الشاكر

وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بهَا

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[الليل: ٥-٧]، وقال تَعالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[الليل: ١٧-٢١]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[البقرة: ٢٧١]، وقال تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[آل عمران: ٩٢] والآيات في فضلِ الإنفاقِ في الطاعاتِ كثيرة معلومة.

الحديث رقم (٥٧١)

٥٧١- وعن عبدِ اللّه بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رسول اللّه ﷺ: ((**لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]. وتقدم شرحه قريبًا.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

غريب الألفاظ:

هلكته: إنفاقه[2].

الشرح الأدبي

الحديث يوجه الطاقة الداخلية الهدامة في الإنسان إلى الاتجاه الذي يجعلها طاقة

(١) أخرجه البخاري ٧٣، ومسلم ٨١٦/٢٦٨ ولفظهما سواء، أورده المنذري في ترغيبه ١٢١. وتقدم برقم ٥٤٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ ل ك).

نافعة في سبيل الله تسعى في الخير لا في الشر، والمقصود بالحسد هنا تلك الطاقة الشعورية الموجهة لتمني الخير الأخروي وهي على ذلك تقابل الغبطة التي تعني تمني مثل ما لغيره دون أن تتمنى زواله، وبذلك فهي تفارق معنى الحسد المذموم الذي يعني زوال نعمة غيره، وهي بهذه الدلالة خلق مذموم محرم أما شعور الغبطة: فَلَيْسَ بِحَرَامٍ، بَلْ هُوَ إِمَّا وَاجِبٌ أَوْ مَنْدُوبٌ أَوْ مُبَاحٌ، فَالْوَاجِبُ يَكُونُ فِي النِّعَمِ الدِّينِيَّةِ الْوَاجِبَةِ كَنِعْمَةِ الْإِيمَانِ وَالصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ وَالزَّكَاةِ، فَيَجِبُ أَنْ يُحِبَّ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ الْقَائِمِ بِذَلِكَ، وَإِلَّا كُنْتَ رَاضِيًا بِالْمَعْصِيَةِ، وَالرِّضَا بِهَا حَرَامٌ، وَالْمَنْدُوبُ يَكُونُ فِي الْفَضَائِلِ: كَالْعُلُومِ، وَإِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ فِي الْمَبَرَّاتِ، وَالْمُبَاحُ يَكُونُ فِي النِّعَمِ الْمُبَاحَةِ كَالنِّكَاحِ، نَعَمْ الْمُنَافَسَةُ فِي الْمُبَاحَاتِ تُنْقِصُ مِنْ الْفَضَائِلِ وَتُنَاقِضُ الزُّهْدَ وَالرِّضَا وَالتَّوَكُّلَ، وَتَحْجُبُ عَنْ الْمَقَامَاتِ الرَّفِيعَةِ مِنْ غَيْرِ إِثْمٍ، وقوله (لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ) أسلوب قصر لقصر الحسد على الاثنين المذكورين، وهو أسلوب توكيد يقابل به المنكر والمتردد في وخاطبهم به لكثرة وقوعه بين الناس فصاروا كالمنكرين لحقيقة الخبر أو المترددين بين الفعل، والترك، وأطلق الحسد وأراد الغبطة من قبيل إطلاق اسم المسبب على السبب وقال الخطابي معنى الحسد ههنا شدة الحرص والرغبة كنى بالحسد عنهما لأنهما سببه، والداعي إليه، ولهذا سماه البخاري اغتباطا وقوله (رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا) نكر (مالا) وعرف (الحكمة)؛ لأن المراد من الحكمة معرفة الأشياء التي جاء الشرع بها يعني الشريعة فأراد التعريف بلام العهد أو المراد منه القرآن، فاللام للعهد أيضا بخلاف المال فلهذا دخل صاحبه بأي قدر من المال أهلكه في الحق تحت هذا الحكم قوله (فسلط على هلكته) في هذه العبارة مبالغتان أحداهما التسليط فإنه يدل على الغلبة، وقهر النفس المجبولة على الشح البالغ، والأخرى: لفظ (على هلكته) فإنه يدل على أنه لا يبقي من المال شيئا ولما أوهم اللفظان التبذير وهو صرف المال فيما لا ينبغي ذكر قوله (في الحق) احتراسا يدفع ذلك الوهم وكذا القرينة الأخرى اشتملت على مبالغتين إحداهما: الحكمة فإنها تدل على علم دقيق محكم، والأخرى القضاء بين الناس، وتعليمهم

فإنها من خلافة النبوة ثم إن لفظ الحكمة إشارة إلى الكمال العلمي ويفضي إلى الكمال العملي وبكليهما إلى التكميل والفضيلة إما داخلية وإما خارجية وأصل الفضائل الداخلية العلم وأصل الفضائل الخارجية المال، ومعنى الحديث الترغيب في طلب العلم، وتعلمه، والتصدق بالمال.[1]

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني حديث (٧٣).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٤٢).

الحديث رقم (٥٧٢)

٥٧٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((**لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ مَالاً، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(**الآناء**): السَّاعَاتُ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الآناء: الساعات[2].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء، وهو من الأساليب الخبرية التي تتضمن نوعا من توكيد الخبر عن طريق إثبات المعنى لمعنى آخر، ونفيه عن كل ما عداه، والذي يتضمن تأكيد الإثبات الأول بالمفهوم، وقوله (لا حسد إلا في اثنتين) المقصود بالحسد هنا الغبطة، وهي تمني مثل ما للغير، وليس هو بعينه بحيث يتمنى زوال النعمة عنه، وحصوله عليها، وأسلوب القصر نفى استحقاق الحسد عن كل شيء، وأثبته للاثنين دون غيرهم فقد تضمن إثباتاً ونفياً مما يؤكد المعنى، ثم إن ذكر العدد اثنين فيه نوع من التشويق؛ لأنه عدد مبهم بالنسبة للمخاطبين، وقد فسَّره بما بعده، وهو ما يحقق ترقب المخاطب وتنكير لفظ (رجل) يفيد التعميم، ونسبة فعل الإتيان لله يشير إلى أن الأمر ليس بمحض كسب الإنسان، وإنما هو سعي من العبد

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٥، ومسلم ٨١٥/٢٦٦ واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه ٢١١٢. وقد تقدم برقم ٥٤٣ وسيكرره المؤلف برقم ٩٩٨.

(٢) رياض الصالحين ٢٦١.

وتذلل للرب، وفضل من الله عليه بالتوفيق، والتعبير بالقيام يشير إلى الصلاة، والتلاوة، والتعلم، والتعليم، وحفظ الحدود، والعمل به، والطباق بين الليل، والنهار يشير إلى دوام العمل به تلاوة، وتحكيماً، وشيوع لفظ (آناء) في الحديث يشير إلى دوام العمل، وعدم الانقطاع في التلاوة، والتحكيم والعمل، وفي المال تشير إلى الإنفاق في كل سبيل للخير ينفتح له كما دل على ذلك استخدام صيغة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار.

المضامين الدعوية

أولاً : من أساليب الدعوة: النفي والإثبات.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: فضل تلاوة القرآن آناء الليل وآناء النهار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل إنفاق المال وشكر النعم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي والإثبات:

ورد ذلك في قول رسول الله ﷺ "لا حسد إلا في اثنتين". حيث نفى الحسد وأثبته لاثنتين. واستخدم في ذلك أداة الاستثناء "إلا" والاستثناء يقصد: إخراج ما لولاه لدخل في الكلام، بإلا أو إحدى أخواتها.

والمراد بالإخراج: الطرح بإسقاط ما بعد أداة الاستثناء من المعنى الذي قبلها فيخالف ما بعدها ما قبلها فيما تقرر من حكم مثبت أو منفي[(١)].

وقد ورد استخدام الاستثناء في القرآن والسنة. قال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾[(٣)].

---

(١) انظر: شرح الورقات في أصول الفقه، عبدالله بن صالح الفوزان، تقديم أحمد بن عبدالله بن حميد ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٣) سورة مريم، آية: ٦٢.

وقال رسول الله ﷺ: ((الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. إلاَّ صُلْحًا حَرَّمَ حَلاَلاً أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا. وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ، إلاَّ شَرْطًا حَرَّمَ حَلاَلاً أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا))(١). وقال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: ((إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي. وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ. فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ. وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ. وَلاَ يَلْتَقِطُ إِلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا. وَلاَ يُخْتَلَىٰ خَلاَهَا فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِلاَّ الإِذْخِرَ. فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ. فَقَالَ: إِلاَّ الإِذْخِرَ))(٢).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل تلاوة القرآن آناء الليل وآناء النهار:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "لا حسد إلا في اثنتين: رجل أتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار....". وفضل تلاوة القرآن آناء الليل وآناء النهار عظيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(٣).

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبرًا عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد إنه: "شفاء ورحمة للمؤمنين" أي: يذهب ما في القلوب من أمراض، من شك ونفاق، وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله. وهو أيضًا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه، فإنه

---

(١) أخرجه الترمذي ١٣٥٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٠٨٩).

(٢) أخرجه البخاري ١٨٣٤، ومسلم ١٣٥٣ واللفظ له.

(٣) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٨٢.

يكون شفاء في حقه ورحمة. وأما الكافر الظالم نفسه بذلك، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدًا وتكذيبًا وكفرًا)[١].

فالقرآن هو كلام رب العالمين، وهو النبراس العظيم، هو النور حقًا، هو النور الساطع والبرهان القاطع.

نور يتلألأ، نور لا كالأنوار، نور ياله من نور، نور لا أفول له ولا يعتريه اضمحلال، نور ينير الطريق للسالكين، نور يهتدي به كل تائه وحيران نور أطل من العلا على كل الملا، نور أشعته تشفي من أمراض الشهوات والشبهات[٢].

فينبغي على المسلم أن يحرص على قراءة القرآن في جميع الأوقات لان ذلك فضله عظيم قال رسول الله ﷺ: ((الذي يقْرأ القُرآنَ وَهُوَ ماهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البرَرَةِ، وَالّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شاقٌّ فله أَجْرانِ))[٣].

قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ. رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ. وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ. لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ. رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ. لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ))[٤].

وينبغي على المسلم استذكار القرآن وتعاهده قال رسول الله ﷺ: ((إنما مَثَل صاحبِ القرآن كمثل صاحب الإبل المعقَّلة، إن عاهَدَ عليها أمسكها، وإن أطلَقها ذهَبَتْ))[٥]. واستذكار القرآن أي: المواظبة على التلاوة وطلب ذكره. والمعاهدة: أي: تجديد العهد به بملازمته وتلاوته... فإن الذي يداوم على ذلك يذل له لسانه ويسهل عليه

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١٢/٥.

(٢) الهدي والبيان في أسماء القرآن، صالح بن إبراهيم البليهي ص ١٨٦.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٩٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٣٢٥).

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٢٠، ومسلم ٧٩٧ واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري ٥٠٣١.

قراءته فإذا هجره ثقلت عليه القراءة وشقت عليه[(١)].

وعن أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((اقْرَأُوا الْقُرْآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ))[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: (خيرُكم من تعلم القرآن وعلمهُ)[(٣)]، وعن رسول الله ﷺ قال: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[(٤)].

وقد بين ﷺ أن تلاوة القرآن بكل حرف منه حسنة فقال: ((مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّه فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْف ولامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ))[(٥)].

فالقرآن كتاب الله العظيم أنزله الله على رسوله وجعل فضل تلاوته والتغني به عظيم.

قال السيوطي: (قال ابن الصلاح في فتاويه: قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر، فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك، وأنها حريصة لذلك على استماعه من الأنس)[(٦)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل إنفاق المال وشكر النعم:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "... ورجل آتاه مالاً، فهو ينفقه آناء الله وآناء النهار". فبين أن الحسد يكون أيضًا في إنفاق المال، وذلك لأن إنفاق المال ابتغاء مرضاة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٦٩٧/٨.

(٢) أخرجه مسلم ٨٠٤.

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٢٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٣٢٧).

(٦) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢٩١/١.

الله ثوابه عظيم . قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(١)]. قال ابن كثير: (هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله، وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار، والأحوال من سر وجهار)[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: ((ما مِن يومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلاَّ مَلَكانِ يَنزِلانِ فيقولُ أحدُهما: اللَّهمَّ أعطِ مُنفِقًا خَلَفا، ويَقولُ الآخَرُ: اللّهمَّ أعطِ مُمسِكًا تلفًا))[(٤)].

وقال ﷺ: (قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم ينفق عليك)[(٥)].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر أسلوب الترغيب في قصر النبي ﷺ الحسد على تلاوة القرآن والإنفاق في الخير آناء الليل والنهار.

ولا ريب أنَّ هذين الصنفين من أنفع الناس لعيال الله، ولا يقوم أمر الناس إلا بهذين الصنفين ولا يعمر إلا بهما)[(٦)].

وفي ذلك ترغيب في تلاوة القرآن وإنفاق المال ابتغاء مرضاة الله ﷻ وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي ينبغي أن يحرص الداعية على استخدامها لما لها من أثر فعال في قبول الدعوة والحرص على القيام بها وذلك لأن الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الدعوة وكذلك الترغيب في حصول الثواب وكثرة الخيرات.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٧٠٧.

(٣) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٤٢.

(٥) أخرجه البخاري ٥٣٥٢. ومسلم ٩٩٣

(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٦٤٩.

الحديث رقم (٥٧٣)

٥٧٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ فُقَراءَ المُهَاجِرينَ أتَوْا رسول الله ﷺ، فَقَالُوا: ذَهب أهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيم المُقيم، فَقَالَ: ((وَمَا ذَاك؟)) فَقَالوا: يُصَلُّون كما نُصَلِّي، ويَصومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصدَّقُونَ ولاَ نَتَصدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ ولاَ نَعْتِقُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((أفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكونُ أحَدٌ أفْضَلَ مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟)) قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: ((تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمِدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ مَرَّةً)).

فرَجَعَ فُقَرَاء المُهَاجِرِينَ إلَى رسول الله ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إخْوَانُنَا أهلُ الأمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)) متفقٌ عليه[1]. وَهَذا لفظ رواية مسلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الدثور: الأموال الكثيرة[2].

دُبر كل صلاة: أي بعد انتهائها[3].

الشرح الأدبي

الحديث يعرض لصورة من صور التنافس في الخير بين المؤمنين، ويقوم المعنى فيه على الحوار بين فقراء المهاجرين، وبين الرسول ﷺ وقولهم (: ذَهَبَ أهْلُ الدُّثُورِ

---

(١) خرجه البخاري ٨٤٣، ومسلم واللفظ له ٥٩٥/١٤٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٦٩.

(٢) رياض الصالحين ٢٦١، ٤٨٩.

(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٨٣.

بالدَّرَجَاتِ العُلَى) كناية عن تحصيلهم الأعمال الصالحة الكبيرة، والتعبير بالذهاب مبالغة في الحيازة كأنهم لم يبقوا لها أثرا وجمع الدرجات للتعظيم، ووصفها بالعلي مبالغة في العلو، وقول الرسول ﷺ (وَمَا ذَاك ؟) استفهام على حقيقته يضع على إثره الحل بعد الإحاطة بأبعاد المشكلة، وقولهم: (يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ) فيه جناس بين يُصَلُّونَ ونُصَلِّي، وبين يَصُومُونَ ونَصُومُ يؤكد المعنى، ويقرر التطابق في الفعل، والتساوي في العمل، وليس في هذا الجزء اعتراض والمفارقة في قوله (وَيَتَصَدَّقُونَ وَلاَ نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ) وفيه طباق سلب بين يَتَصَدَّقُونَ، ولاَ نَتَصَدَّقُ، وبين يَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ، لأنهم يملكون المال، والفقراء لا يملكون، وقول الرسول (أفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُونُ أحَدٌ أفْضَلَ مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ؟) وهو استفهام عرض وتشويق، وترغيب يسيطر على العقل حتى يتقرر المعنى وقد جعل لهم فيه ما يبحثون عنه من إدراك السابق، وفوت اللاحق، والتفرد في المنزلة، وهو ما تسعى خلفه النفوس المؤمنة الطامحة وقوله (تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمِدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً)يدل على فضل الذكر وعظمة ثوابه مع عدم الكلفة، وقلة الجهد، وقولهم (سَمِعَ إخْوَانُنَا أهلُ الأمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ؟) يشير إلى روح المنافسة في الخير السائدة في الجيل الطاهر والتي تشبه منافستنا اليوم، ولكن على الدنيا، وقول الرسول ﷺ (ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) يرد المسألة إلى أصلها، وهو توفيق الله، والإشارة (ذلك) للتعظيم، وإضافته لله تزيده تعظيماً مع التخصيص الذي يقرر أن مرد الأمر لمشيئة الله.

فقه الحديث

١- **الذكر عقب الصلاة:** ورد في هذا الحديث: (تسبحون وتكبرون وتَحْمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة).

وعند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: ((مَنْ سَبَّحَ اللّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَ اللّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَ اللّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ. وَقَالَ، تَمَامَ الْمِائَةِ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ))[١].

وعند مسلم من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه: ((وأربع وثلاثون تكبيرة))[٢].

وفي رواية عند البخاري من حديث أبي هريرة: ((تُسَبِّحُوْنَ فِي دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ عَشْرًا وتَحْمَدُوْنَ عَشْرًا وتُكَبِّرُوْنَ عَشْرًا))[٣].

وفي رواية عند مسلم من حديث أبي هريرة ((إِحْدَى عَشَرَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ. فَجَمِيعُ ذَٰلِكَ كُلُّهُ ثَلاثَةٌ وَثَلاثُونَ))[٤].

قال ابن حجر: (وجمع البغوي في شرح السنة بين هذا الاختلاف باحتمال أن يكون ذلك صدر في أوقات متعددة أولها عشر عشرًا ثم إحدى عشرة إحدى عشرة ثم ثلاثًا وثلاثين ثلاثًا وثلاثين، ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل التخيير أو يفترق بافتراق الأحوال)[٥].

وقال عبدالله البسام: (وما دام الأحاديث صحّت بهذه الأعداد فينبغي أن يفعل هذا مرة وتلك مرة أخرى، ولعل العدد القليل يؤتى به في الأزمنة الضيقة، حتى لا تفوت المصلي السنة والفضيلة والله لطيف بعباده، أما العمل بالروايات كلها أو بأكثر من واحدة في صلاة واحدة، فلا يستحب)[٦].

٢- الدعاء عقيب الصلاة: قال ابن حجر: (استدل به البخاري على فضل الدعاء عقيب الصلاة كما سيأتي في الدعوات[٧]. لأنه في معناها، ولأنها أوقات فاضلة يرتجى فيها إجابة الدعاء)[٨].

---

(١) أخرجه مسلم ٥٩٧، ١٤٦.

(٢) أخرجه مسلم ٥٩٦، ١٤٤، ١٤٥.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٢٩، وانظر: روايات أخرى في سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٢٢٦.

(٤) أخرجه مسلم ٥٩٥، ١٤٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٩/٢ ط/ السلفية.

(٦) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٥/٢.

(٧) بوّب البخاري على هذا الحديث في كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، وساق تحته حديث الباب برقم ٦٣٢٩.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣١/٢، وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٥٧/١-٢٥٨، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٩٢/٢٢ ط/ ابن قاسم، ٢٥٧/١١-٢٥٨ ط/ العبيكان، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٣/١١-١٣٥.

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تحصيل الأجر والثواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على تحصيل الأجر والثواب:

حيث جاء في الحديث: "إن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا ذهب أهل الدثور بالأجور"، وفيه أيضًا "سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا". وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص الصحابة على تحصيل الأجر والثواب، قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث دليل على أن الصحابة كانوا يتسابقون إلى الخير فالأغنياء، لما سمعوا بما أرشد إليه النبي الفقراء بادروا إليه وفعلوه والفقراء جاءوا يشكون أنهم لا يستطيعون فعل بعض العبادات المالية لقلة ذات أيديهم فأرشدهم النبي لما يدركون به من سبق، ويسبقون به من بعدهم ففعلوا ذلك ثم جاءوا يشكون أن إخوانهم الأغنياء لما سمعوا بذلك بادروا بفعله)(1)، وقال السيد سابق: (إن أسمى الغايات، وأنبل المقاصد، أن يحرص الإنسان على الخير، ويسارع إليه.

وبهذا تسمو إنسانيته، ويتشبه بالملائكة، ويتخلق بأخلاق الله البار بعباده، الرحيم بخلقه.

ومن ثم فإن الله سبحانه يأمر بفعل الخيرات، والمسابقة إليها، فيقول سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(2).

أما الإسلام فإنه يجعل وجهة المسلم متجهة إلى فعل الخير والمسابقة إليه دائمًا. وقد أكثر الله سبحانه من الدعوة إلى الخير، وجعله أحد عناصر الفلاح والفوز، فقال الله سبحانه: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(3).

---

(1) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٨٤٢/١.

(2) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(3) سورة الحج، آية: ٧٧.

وأخبر أنه أوحى إلى أنبيائه ورسله فعل الخيرات فقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[1] والخير الذي ندب الله إليه، ينتظم كل بر، ويشمل كل عمل صالح فطاعة الله خير.

وممارسة الفضائل خير، والإخلاص والنية الطيبة خير، والإحسان إلى الناس خير، وبر ذوي القربى خير، والقول الجميل خير، وكل عمل ينهض بالفرد ويرقي الجماعة فهو خير.

والفطر السليمة تهتدي إلى الخير، وتشعر به، وتنجذب إليه، وقلما تحتاج إلى من يبصرها به، أويدلها عليه، إذ الخير هو الكمال الذي تنشده وتسعد به.

ومن أجل هذا تأتي الدعة إلى الخير في كتاب الله، وفي سنة نبيه ﷺ دون أن تُعرِّف ماهيته، وتضع له الحدود التي تكشف عن معالمه[2]. وما من شك أنه في ذلك فليتنافس المتنافسون ولمثل هذا فليعمل العاملون وقد مدح الله المؤمنين بقوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[3]. وجعل ذلك من صفات أنبيائه فقال عن زكريا ويحيى عليهما السلام ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[4].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث "وما ذاك؟" "إلا من صنع مثل ما صنعتم؟" وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تساعد على إفهام المدعوين، وتفتح باب الحوار والمناقشة بين الداعية والمدعو، وهي تعمل على فتح قنوات اتصال مع الداعية للسؤال

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

(٢) إسلامنا ١٣٣، ١٣٤.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

والاستفسار عن الأمور الهامة وقد أمر الله بالسؤال في القرآن فقال سبحانه: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١].

ثالثًا- من واجبات الداعية : توجيه المدعوين إلى إدراك ما يحصل به نفعهم:

يظهر هذا من الحديث (أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم" والداعي إلى الله هو منارة الهدى دائمًا إلى الخير والرشاد، "وعلى الدعاة أن يقتفوا أثر رسول الله ﷺ في دعوة الأمم إلى الخير، وهداية البشرية إلى الصراط السوي، وعلى الداعية أن يبذل كل ما يستطيع من جهد لاستمالة الآخرين وجذبهم إلى نداء الله لأن الدعاة هم المبلغون لدين الله). وقد بين الرسول الكريم ﷺ ثواب من يرشد إلى الخير فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من دل على خير فله مثل أجر فاعله))[٢].

قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا لذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٣].

وقد قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٥].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٥.

(٤) سورة المائدة، آية: ٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

وحث الرسول ﷺ المسلم أن يكون مفتاحًا للخير فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إنَّ هذَا الْخَيْرَ والشَّر خَزَائِنُ، وَلِتِلْكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ، فَطُوبى لمن كَانَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مِغْلاَقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ مِغْلاَقًا لِلْخَيْرِ))[١].

وضد ذلك عدم رغبة العبد في الخير يفوته خيرًا كثيرًا، فإن كان مع ذلك عادمًا للنصح للعباد، لا يقصد نفعهم بوجه من الوجوه، وربما قصد إضرارهم وغشهم لأغراض نفسية: أو عقائد فاسدة، فقد أتى بالسبب الأعظم لحصول المضرات وتفويت الخيرات، وكان هذا الذي يصدق عليه أنه مفتاح للشر، مغلاق للخير، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

ومن أعظم الأصول فتحًا للخيرات وإغلاقًا للشرور الإيمان التام بالرسول ﷺ، فإذا آمن به إيمانًا تامًا، وفهم كلامه ومراده تحقق ما قاله قطعًا. وعلم أن ما ناقض ذلك أو خالفه فإنه باطل، فماذا بعد الحق إلا الضلال، فهذا يغلق على العبد أبوابًا من الشرور فتحها أهل الكلام الباطل عارضوا بها ما جاء به الرسول، ولكن الإيمان التام وفهم مراد الرسول تمامًا يرد كل ما ناقضه[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح والتحميد والتكبير في دبر كل صلاة:

حيث جاء في الحديث: "تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة". قال الإمام ابن حجر: (والأولى البداءة بالتسبيح لأنه يتضمن نفي النقائض عن الباري سبحانه وتعالى، ثم التحميد لأنه يتضمن إثبات الكمال له إذ لا يلزم من نفي النقائض إثبات الكمال ثم التكبير، إذ لا يلزم من نفي النقائض وإثبات الكمال أن لا يكون هناك كبير آخر ثم يختم بالتهليل الدال على انفراده سبحانه وتعالى بجميع ذلك ومقتضى الحديث أن الذكر المذكور يقال عند الفراغ من الصلاة فلو تأخر عن الفراغ فإن كان يسيرًا بحيث لا يعد معرضًا أو كان ناسيًا أو متشاغلاً بما ورد أيضًا بعد

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢٣٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٤).

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي، ٢١٣-٢١٥.

الصلاة كآية الكرسي فلا يضر)[١].

وقال ولي الله الدهلوي: والأدعية كلها بمنزلة أحرف القرآن، من قرأ منها شيئًا فاز بالثواب الموعود، والأولى أن يأتي بهذه الأذكار قبل الرواتب، فإنه جاء في بعض الأذكار ما يدل على ذلك نصًا، كقوله: "من قال قبل أن ينصرف ويثني رجليه من صلاة المغرب والصبح: لا إله إلا الله وحده... الخ" وكقول الراوي "كان إذا سلم من صلاته يقول بصوته الأعلى: "لا إله إلا الله... إلخ"، قال ابن عباس: "كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير". وفي بعضها ما يدل ظاهرًا، كقوله: "دبر كل صلاة" وأما قول عائشة رضي الله عنها: "كان إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: اللهم أنت السلام..." إلخ، فيحتمل وجوهًا:

منها: أنه كان لا يقعد بهيئة الصلاة إلا هذا القدر، ولكنه يتيامن ويتياسر، أو يقبل على القوم بوجهه، فيأتي بالأذكار، لئلا يظن الظان أن الأذكار من الصلاة.

منها: أنه كان حينًا بعد حين يترك الأذكار غير هذه الكلمات، يعلمهم أنها ليست فريضة وإنما مقتضى "كان" وجود هذا الفعل كثيرًا، لا مرة ولا مرتين، ولا المواظبة، والأصل في الرواتب أن يأتي بها في بيته، والسر في ذلك كله أن يقع الفصل بين الفرض والنوافل بما ليس من جنسهما، وأن يكون فصلاً معتدًا به يدرك بادي الرأي، وهو قول عمر رضي الله عنه لمن أراد أن يشفع بعد المكتوبة: "اجلس فإنه لم يهلك أهل الكتاب إلا أنه لم يكن بين صلواتهم فصل" فقال النبي ﷺ: "أصاب الله بك يا ابن الخطاب" وقوله ﷺ: "اجعلوها في بيوتكم" انتهى كلامه.

قلت: فالإتيان بشيء من الأذكار والأدعية المأثورة بعد الفرائض متصلاً بها هو الراجح في نظري، فإنه يفيد فصلاً زمانيًا بين الفريضة والنافلة، كما أن التحول من موضع الفريضة يفيد فصلاً مكانيًا. والله أعلم)[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٣٨٢.

(٢) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني ٤/١٨٤-١٨٥ بتصرف.

وقد دلت الكثير من النصوص الشرعية على فضل هذه الأذكار قال تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[٢]، وقال عن يونس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: العطاء فضل الله يؤتيه من يشاء:

حيث جاء في الحديث "سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله ﷺ: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".

قال ابن علان: (ومراد الفقراء أن الأغنياء ساووهم في الفضل وزادوا عليهم بالعمل المالي فقال النبي ﷺ ذاك ثواب الله يعطيه من يشاء من فقير وغني، ويحتمل أن يكون المراد أن الله أنالهم ذلك، وقصره عليهم فلا سبيل لمشاركتهم فيه من غيرهم، ويحتمل أن يكون الثواب المرتب على هذا المذكور أنه فضل الله إن شاء خص به الفقراء فلا يلزم من إتيان الأغنياء به مساواة الفقراء فيه)[٥].

وقال القاضي عياض: (وقول النبي ﷺ في الحديث: "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء". قال أبو القاسم بن أبي صفرة: فيه نص على فضل الغني نصًا لا تأويلاً إذا استوت أعمالهم بما فرض الله عليهم، فللغني حينئذ فضل أعمال البر المتعلقة بالأموال بما لا سبيل للفقير إليها، وإنما يفضل الفقر والغنى إذا فُضِل صاحبه بالعمل، فهذا ظاهر معنى قوله: (فضل الله يؤتيه من يشاء)، إنها الأشياء الزائدة على ما يقدر عليه الفقراء

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٢.

(٢) سورة طه، آية: ١٣٠.

(٣) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣-١٤٤.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١١١.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٤٤.

من أعمال البر المالية، ورأيت بعض المتكلمين ومن يحتج لتفضيل الفقر على الغنى أغرق في تأويله، وخالف ظاهره، وذهب أن هذا الفضل راجع إلى ثواب الفقراء على الأغنياء، وأنهم يختصون بما خاطبهم به النبي ﷺ، وأعلمهم من فضل ذكرهم وسبقهم به من بعدهم ودرك من سبقهم، وإن هذا الفضل لهم دون غيرهم من الأغنياء وإن قالوه، والفضائل ليست بقياس والأجور بفضل الله يؤتيها من يشاء، وهذا خلاف ظاهر الكلام ومفهومه، وقد قال في الحديث الآخر: "لا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع ما صنعتم" ولم يقل: "منكم" مطلقاً، وجعل الفضل لقائله كائناً من كان)[1].

هذا وقد دلت النصوص الشرعية أن فضل الله واسع، وأنه يؤتيه من يشاء، وأنه يختص برحمته من يشاء، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3]، وقال جل شأنه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4].

وكل هذا يدل على سعة فضل الله وواسع رحمته، وعظيم فضله ومنته على الخلق.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢/٥٤٦.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٥.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على خلق الشكر:

"يقع على عاتق التربية الإسلامية غرس القيم الإسلامية السامية في نفوس النشء بخاصة، والمسلمين جميعًا بعامة، ولذا تسعى التربية الإسلامية بأقصى درجة ممكنة إلى غرس الخصال الحميدة والخلال الطيبة، كالصدق والأمانة والإخلاص والرفق والصبر والشكر ونحو ذلك في نفوس الناشئين، وتشريبهم إياها بأسلوب فاعل مؤثر، حتى تصبح صفات راسخة في نفوسهم أولاً، وأنماطًا سلوكية ثانيًا، ولابدّ من الحرص على غرس كراهية الصفات الذميمة في نفوسهم، والحيلولة دون تسربها إلى سلوكهم وذلك بعدم الغفلة، ودوام اليقظة تجاه الناشئ" (١).

ثانيًا- دور الحوار والمناقشة في التربية:

ومن خلال أحاديث الباب تبرز أهمية الحوار والمناقشة في التربية، ويتضح هذا جليًا في حوار فقراء المهاجرين مع الرسول ﷺ.

"إن أسلوب الحوار والمناقشة من أهم الأساليب التربوية، فالحوار أحد أركان الفهم والاقتناع، والاقتناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك. ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار، وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار، ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج مَنْ نحاوره أو نناقشه، وأن نخاطب هذا وذاك على قدر عقولهم ومستوى إدراكهم، وأن نبدأ بالبسيط الواضح المقنع، ثم نتدرج في المحاورة والمناقشة إلى أن نصل إلى غايتها.

وقد استخدم رسولنا الكريم ﷺ هذا الأسلوب في عديد من المواقف، لذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته وجدواه" (٢).

ومن ثَمَّ يجب على المربين والمشتغلين بالتربية استخدام هذا الأسلوب في تربية الناشئة، وتوجيه الناس إلى الخير.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٥٨-٦٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص٨٥، ٨٦.

"إن أسلوب السؤال والحوار من الأساليب التربوية التي لا يستغنى عنها الإنسان الذي منحه الله القدرة على النطق والتفكير، وهو في حياته اليومية يجد نفسه في حوار أو سؤال مع جيرانه أو أصدقائه أو أهله أو غيرهم، والمرء في حياته العادية يحتاج إلى هذا الأسلوب كي يشعر بالراحة والطمأنينة. ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال، وللسؤال مزايا متعددة من توفيرٍ للجهد والوقت والمال، وفيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين، فلا ينبغي للعاقل التردد في السؤال حتى لا يحدث مالا تُحمد عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل"[1].

ثالثًا- التربية بإثارة المنافسة والتحفيز:

إن من الأساليب التربوية الناجعة إثارة المنافسة والتحفيز في نفوس المتربين لما في ذلك من تشجيع لهم على ممارسة الأعمال الصالحة، ولعل الناظر في أحاديث الباب يلمس هذا في قول النبي ﷺ: «لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ ...». وقوله ﷺ: «أَفَلاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ ...».

"إن من الأمور المهمة في التربية إثارة المنافسة من غير إثارة الشحناء، وهي تحمل على الجِدِّ والاجتهاد في التعلم أو التأدب أو التربية، وهذا الأسلوب ليس قاصرًا على مرحلة الطفولة فحسب بل هو صالح للمرحلة التي تسبقه والتي تليه، وإنما الذي يختلف في هذه الحالة هو مضمون المنافسة، وقد ورد في السنة شيء كثير من ذلك"[2].

رابعًا- التربية على الإفادة من العمل الدنيوي في الجزاء الأخروي:

إن أحاديث الرسول ﷺ تجمع بين أمرين في وقت واحد:

إلا أن فئة من المسلمين في بعض الفترات التي تمر بهم، يلتمسون من السنة ما يطابق مقتضى الحال، وإن كانت الحال غير ما دعا إليه الرسول ﷺ بل إنهم ليطلبون مبررات للتقاعس عن الخروج مما هم فيه، معللين ذلك ببشارات أو إخبارات الرسول عليه السلام.

إن ما ذهب إليه البعض من ترجيح الفقير الصابر على الغني الشاكر مردود للأسباب الآتية:

---

(١) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هاشم على أحمد ص١٢٣، ١٢٤.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف ص٩١.

السبب الأول: أن حب التملك فطرة فطر الله تعالى الإنسان عليها، وآيات القرآن كثيرة في هذا الصدد، فكيف يكون التملك فطرة ويدعو الإسلام إلى تركه أو ينص على كونه تركه محمدة مع أنه مصادم -أي الترك- للفطرة.

السبب الثاني: الأغنياء الشاكرون محل ثناء القرآن والسنة، وكثيرة هي المواقف التي جاء فيها الأغنياء بمالهم فنالوا ثناء الله تعالى وثناء رسوله ﷺ، ففضل العطاء لا يخفى على أحد، وقد أثنى القرآن الكريم على أبي بكر رضي الله عنه لإنفاقه في سبيل الله تعالى وتحريره الأرقاء، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[1] وقد أثنى الرسول عليه السلام على أبي بكر رضي الله عنه لكثرة عطائه ونصرته للإسلام بماله، وفي الحديث: ((ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه بها إلا أبا بكر رضي الله عنه فإن له يدًا عندنا يكافئه الله عز وجل بها يوم القيامة))[2] وموقف عثمان بن عفان رضي الله عنه في غزوة العسرة غير غائب عن أحد، وبشارته إياه "ما على عثمان ما فعل بعد اليوم"[3] حين جهز ثلث جيش العسرة.

السبب الثالث: إن من الأجر الجاري للإنسان بعد وفاته أعمالاً تعتمد على المال بالدرجة الأولى، ومن هذه الأعمال (صدقة جارية، نهر أجراه، بيت لابن السبيل أواه، مصحف ورثه)[4].

السبب الرابع: وضع الإسلام بدائل يدرك الفقراء بها درجة الأغنياء في الثواب إذا قصروا عن الالتزام بخاصة وهذه البدائل هي: الإكثار من الذكر والشكر والتوبة والاستغفار، وأخصها بالذكر والتسبيح والتحميد والتكبير عقب كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة.



---

(١) سورة الليل، آيات: ٤-٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٦٦١، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٠١، وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٢٤٢، وحسنه المنذري في الترغيب ص ٤٦.

٦٥- باب ذكر الموت وقصر الأمل

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾[لقمان: ٣٤]، وقال تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[النحل: ٦١]، وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المنافقون: ٩-١١]، وقال تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿... كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون: ٩٩-١١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟

كَالَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[الحديد: ١٦]، وَالآيات في الباب كثيرةٌ معلومة.

الحديث رقم (٥٧٤)

٥٧٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: أخذ رسول الله ﷺ بِمِنْكَبي، فَقَالَ: ((**كُنْ في الدُّنيَا كأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**)).

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، يقول: إذَا أمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أصْبَحتَ فَلاَ تَنْتَظر المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

عابرُ السَّبيل: المسافر[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ في هذا الحديث يغرس في نفس المؤمن فكرة الاغتراب ليحدث في وجدانه توازناً يجعله قادراً على رؤية حقيقة الدنيا وهي في الوقت نفسه – فكرة الاغتراب – تشير إلى أن له غاية أسمى ووطناً يجب أن يعود إليه في الجنة التي خرج منها في ركاب أبيه آدم عليه السلام، ولترسيخ هذا المفهوم استخدم الرسول ﷺ عدة أشكال بلاغية منها:

البداية بأسلوب الأمر، واختار صيغة الأمر (كن) الدالة على طلب إحداث أمر لم يكن موجوداً وهو أمر إرشاد وتوجيه لجميع المؤمنين في كل زمان ومكان في شخص عبد الله رضي الله عنه لما يجب أن تكون عليه علاقتهم بالدنيا فلا يستكثرون من متاعها بما

---

(١) برقم ٦٤١٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٩٩. وتقدم برقم ٤٧٠.

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ب ر).

يشغلهم عن آخرتهم، ثم يأتي التصوير بالتشبيه لإخراج المألوف القريب (الدنيا) مخرج المستغرب البعيد حيث جعل الدنيا دار غربة الأمر الذي يدفع المؤمن إلى عدم التعلق بشيء فيها وعدم الاستكثار من متاعها فجاء قوله ﷺ (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) حيث شبه الحال التي يجب أن يكون عليها عبد الله رضي الله عنه – وكل فرد من الأمة – بالغريب، أو عابر السبيل بجامع عدم التعلق بما يثقل أو يشغل عن المقصود في كلٍ، وتشبيه الرسول ﷺ للحال التي يجب أن يكون عليها المؤمن في الدنيا بحال الغريب أو عابر السبيل، له عدة دلالات. منها: عدم الإكثار في الاختلاط المضيع للوقت والمشتت للهدف وهذا مفهوم من حال الغريب الذي يقتصر في اختلاطه بالناس على ما يحتاج إليه في سفره، ويوضح مقصوده، ومنها: عدم انشغال المؤمن بما يفسد قلبه من صراع مع الناس وما يتبعه من حقد، وحسد، ونفاق كما لا ينشغل الغريب بمثل هذه الأمور لعدم اختلاطه بالناس، وقلة معرفته بهم، ومنها: وحدة الهدف، وعدم تشعب الهموم بالمؤمن كما أن الغريب هدفه واحد وهو الرجوع إلى لوطنه، كما يدل على السعي الدائب الدائم الذي يجب أن يكون عليه المؤمن في الدنيا وعدم الاسترخاء، والركون حتى يلقى ربه كما أن الغريب أو عابر السبيل دائمان في سعيهما حتى يصلا إلى وطنهما، ومنها بث الشعور الوجداني بالحنين إلى الله، وما ادخره للمؤمن في الآخرة كما يشعر الغريب بحنينه إلى موطنه الأمر الذي يدفعه إلى قطع المسافات وعبور المفاوز يحدوه أمل مغداق، وقلب خفاق.

ثم يأتي أسلوب العطف المقرب للفكرة والموضح دلالة اللفظة حيث عطف قوله ﷺ: (أو عابر سبيل) على قوله: (كأنك غريب)، و(أو) للتنويع فإن قيل الغريب هو عابر سبيل فما وجه العطف؟ أجيب: بأن العبور يستلزم الغربة والمبالغة فيه أكثر؛ لأن تعلقاته أقل من تعلقات الغريب، وهو من عطف العام على الخاص)[1]، ومما تجدر الإشارة إليه في بلاغة الرسول ﷺ في هذا الحديث ما فيه من إيجاز القصر وإذا كان

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٥/٥٠٠.

البلغاء يقولون (البلاغة لمحة دالة، فعبارة الرسول ﷺ: (كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل) تطوي معاني كثيرة من تحذير من الدنيا، والاغترار بها، والركون إليها، والتنافس فيها، وما يولده من أحقاد وحسد ونفاق وارتكاب لمختلف الخطايا جرياً وراء شهواتها، وفيها أيضاً توجيه للمؤمنين ممثلين في شخص ابن عمر رضي الله عنهما إلى الغاية العظمى والهدف الأسمى ولفت النظر إلى ما يجب التنافس فيه بالعطف المحقق للتنويع والمؤذن بالمنافسة لاختيار أفضل النوعين في طريق الآخرة.

ولا ننسى – اذكاء الرسول ﷺ الفطري في إعداد المخاطب فكرياً، وشعورياً، وهدهدة خواطره عن طريق الحركة السابقة لعبارته والتي حكاها عبد الله رضي الله عنه: (أخذ الرسول ﷺ بمنكبي وقال:...) وهذا الفعل الذي قد يبدو عفوياً يوحي للمخاطب بالمودة والقربى والحظوة من المتحدث إضافة إلى أنه يلفت انتباهه ويضمن إنصاته ويحقق متابعته: لذلك تجد الصحابي يحكي فعل الرسول -ﷺ- معه كما يحكي قوله، وكذا أكثر كلام النبي ﷺ وتوجيهاته تصدر بعد تهيئة ذهنية، وتمهيد فكري وتأثير شعوري، مفضٍ إلى الإقناع، ومن الجدير بالذكر أن الأسلوب عام يناقش قضية شاملة رغم توجيه الخطاب لشخص بعينه، ومما له اتصال بالموضوع، والخطاب فيه عاماً ما جاء في[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ص ١٠٠.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٧٠).

الحديث رقم (٥٧٥)

٥٧٥- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ، هَذَا لفظ البخاري[1].

وفي روايةٍ لمسلمٍ[2]: ((**يَبِيتُ ثَلاثَ لَيَالٍ**)) قَالَ ابن عمر: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ قَالَ ذَلِكَ، إلاَّ وَعِنْدِي وَصِيَّتِي.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يقرر ضرورة أن يحافظ الإنسان على أداء الحقوق، الأمر الذي يستلزم أن يعد وصيته بما خلَّف من أموال، وحقوق للناس عليه، أو على الناس له، وقد جاء المعنى في ثوب القصر الذي يصبغه بصبغة التوكيد، وهو قصر لصفة المبيت ليلتين على وجود وصية مكتوبة، والتعبير بالكتابة يفيد التوكيد ثم إن التعبير بالحق في بداية الحديث يشير إلى اللازم الضروري، وتنكير (شيء) يفيد التعميم ليشمل ما له قليل، وما له كثير، والتعبير بالجملة الاسمية (وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ) إشارة إلى الدوام، والثبوت، والظرف عنده يجعل مكانها في خصوصياته التي تقصد بعد موته.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الوصية: اتفق الفقهاء على مشروعية الوصية، واختلفوا في حكمها، فذهب الجمهور إلى أنها مندوبة، وليس واجبة، إلا على من عليه دين، أو عنده وديعة، أو عليه واجب يوصي بالخروج منه، بينما ذهب إسحاق، وداود، والزهري، وغيرهم،

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٣٨ واللفظ له، ومسلم ١٦٢٧/١. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠٧.

(٢) برقم ١٦٢٧/٤. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠٧.

وحكاه البيهقي عن الشافعي في القديم، إلى وجوبها[1].

٢-كتابة الوصية: اتفق الفقهاء على أنه يستحب أن يكتب الموصي وصيته، لأن الإنسان لا يدري متى يفجؤه الموت، وهل تكفي الكتابة، أم لابد من الإشهاد عليها؟ خلاف بين الفقهاء: ذهب الحنفية، والمالكية، والشافعية، وأحمد في رواية "هي المذهب" إلى أنه لا يكفي الكتابة، ولا يعمل بها، إلا إذا كان أشهد عليها، لاحتمال رجوعه.

وذهب أحمد في رواية ثانية، إلى أنه يكفي الكتابة من غير إشهاد، إذا عرف خطه، وهو قول محمد بن نصر المروزي، أيضاً[2].

المضامين الدعوية

ثالثاً: من واجبات المدعو: المسارعة في الاستجابة لتوجيه النبي ﷺ في كتابة الوصية.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل ابن عمر رضي الله عنهما.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على المبادرة إلى كتابة الوصية:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث الحث على المبادرة إلى كتابة الوصية. يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: "مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شيء يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ". وفي رواية مسلم: يبيت ثلاث ليال، وفي ذلك حث على المبادرة إلى كتابة الوصية.

---

(١) بدائع الصنائع ٤٦٨/١٠ وما بعدها، وحاشية الصاوي ٤٩٣/١٠، والوسيط، مجمع اللغة العربية ٤١٠/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٦/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧٦/٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٠٩/٤.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٢٤/٢٤، والمنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي ٧٦/٤، وإعانة الطالبين ٢٣٥/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٣٦/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٥٣/١٧.

قال القرطبي: (وقوله: "يبيت ليلتين" المقصود بذكر الليلتين، أو الثلاث: التقريب، وتقليل مدة ترك الوصية. ولذلك لـمَّا سمعه ابن عمر لم يبت ليلة إلا بعد أن كتب وصيته، والحزم المبادرة إلى كتبها أول أوقات الإمكان، لإمكان بغتة الموت التي لا يأمنها العاقل ساعة. ويحتمل: أن يكون إنما حصل الليلتين بالذكر فسحة لمن يحتاج إلى أن ينظر فيما له وما عليه، فيتحقق بذلك، ويُروِّي فيها ما يوصي به، ولمن يوصي، إلى غير ذلك)(١).

قال النووي: (قال الشافعي: معنى الحديث ما الحزم والاحتياط للمسلم إلا أن تكون وصيته مكتوبة عنده، ويستحب تعجيلها وأن يكتبها في صحته ويشهد عليه فيها ويكتب فيها ما يحتاج إليه، فإن تجدد له أمر يحتاج إلى وصية به ألحقه بها، قالوا: ولا يكلف أن يكتب كل يوم محقرات المعاملات وجزئيات الأمور المتكررة)(٢).

وقال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

وحكمة مشروعية الوصية تحصيل ذكر الخير في الدنيا، ونوال الثواب والدرجات العالية في الآخرة، لذا شرعها الشارع تمكيناً من العمل الصالح، ومكافأة لمن أسدى للمرء معروفاً، وصلة الرحم والأقارب غير الوارثين، وسد خلة المحتاجين وتخفيف الكرب عن الضعفاء والبؤساء والمساكين، وتجنب الإضرار في الوصية(٤). لقوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾(٥).

---

(١) المفهم، القرطبي ٤/٥٤٢.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٣٤.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٨٠-١٨٢.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٣/٢٢٣.

(٥) سورة النساء، آية: ١٢.

ثانيا- من موضوعات الدعوة: أهمية قصر الأمل في الدنيا والإقبال على الآخرة:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث أهمية قصر الأمل في الدنيا والإقبال على الآخرة بالاستزادة من العمل الصالح.

قال ابن حجر: (وفيه الندب إلى التأهب للموت والاحتراز قبل الفوت، لأن الإنسان لا يدري متى يفجؤه الموت، لأنه ما من سن يفرض إلا وقد مات فيه جمع جم؛ وكل واحد بعينه جائز أن يموت في الحال، فينبغي أن يكون متأهباً لذلك فيكتب وصيته، ويجمع فيها ما يحصل له به الأجر ويحبط عنه الوزر من حقوق الله وحقوق عباده)[١].

(فإن ذلك من أعظم الموقظات للهمة، ومن أكبر البواعث على الجد والاجتهاد، ذلك أن المرء إذا تذكر قصر الدنيا وسرعة زوالها، وأدرك أنها مزرعته للآخرة، وأنها فرصة لكسب الأعمال الصالحة، وتذكر ما في الجنة من النعيم المقيم، وما في النار من العذاب الأليم -زهد في متع الدنيا، وأقصر عن الاسترسال في الشهوات، وانبعثت همته للأعمال الصالحات.

قصر الآمال في الدنيا تفز   فدليل العقل تقصير الأمل[٢]

فالحث على المبادرة على الوصية يبين أهمية قصر الأمل في الدنيا، والإقبال عل الآخرة بالاستزادة من العمل الصالح، وقصر الأمل في الدنيا لحقارتها، والرغبة فيما هو خير منها فالفارق بين الدنيا والآخرة كبير قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَٰخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَٰخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٤/٥.

(٢) انظر: الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد ص ١٩٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٦٤.

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها وغاية ما فيها لهو ولعب: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾. أي: الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد، وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾. أي: لآثروا ما يبقى على ما يفنى[١].

ثالثاً- من واجبات المدعو: المسارعة في الاستجابة لتوجيه النبي ﷺ في كتابة الوصية:

يظهر ذلك من فعل ابن عمر رضي الله عنهما إذ قال: (ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي). فيجب على المدعو إذا دعي لأمر نافع سرعة الاستجابة لتحصيل ثوابه لأنه لا يدري إذا أخره هل يمكنه القيام به بعد ذلك أم لا؟. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون في الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ لما في ذلك من الثواب العظيم والخير العميم.

والمسارعة إلى الأعمال الصالحة من الأشياء التي أمرت بها الشريعة الإسلامية وبينت فضلها، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

قال السعدي: (ثم أمرهم، بالمسارعة إلى مغفرته، وإدراك جنته، التي عرضها السموات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها)[٣].

ولما سقط مسطح بن أثاثه مع من سقط في حادثة الإفك بالافتراء والكذب على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع صفوان بن المعطل شق ذلك على أبي بكر رضي الله عنه وقال: والله لا

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٩٤/٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١١٥-١١٦.

أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

قال أبو بكر رضي الله عنه: (بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، قال: والله لا أنزعها منه أبداً)[٢]. فيجب على المدعو المسارعة إلى الاستجابة للأمور النافعة وعدم التسويف والتأجيل لأن ذلك من أشد الآفات.

قال بعض الحكماء: (التسويفُ لمن يعلم أن المنية تأتيه بغتة غرور)[٣].

ولهذا الأمر آثارٌ وخيمةٌ في الدنيا وفي الآخرة، فهو سبب للحسرة والندامة، والحرمان من الأجر والثواب، وهو سبب لتراكم الذنوب، وصعوبة التوبة، وتراكم الأعمال، وصعوبة الأداء[٤].

فانهض إذا ما لمحت الخير في عملٍ وخلِّ "سوف" لعزمٍ خاملٍ واهي[٥]

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل ابن عمر رضي الله عنهما:

ويظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما: ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال: ذلك إلا وعندي وصيتي.

قال ابن حجر: وفي الحديث منقبة لابن عمر لمبادرته لامتثال قول الشارع ومواظبته عليه[٦].

وابن عمر أسلم مع أبيه وهاجر وعرض على النبي ﷺ ببدر فاستصغره، ثم

(١) سورة النور، آية: ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري ٤٧٥٠ مطولاً في قصة الإفك.

(٣) عين الأدب والسياسة، وزين الحسب والرياسة لأبي الحسين علي بن عبدالرحمن ابن هذيل ص ٢٤٣.

(٤) انظر: آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، ٣/١٣١-١٥٣.

(٥) خواطر الحياة ص ٢٦١ نقلاً عن الهمة العالية، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٥٢-٥٣.

(٦) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني ٥/٤٢٤

بأحد، فكذلك بالخندق، فأجازه وهو يومئذ ابن خمسة عشر سنة[١].

وقال عنه رسول الله ﷺ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ. فكان بعدُ لا يَنامُ مِنَ الليلِ إلاّ قَليلاً))[٢].

فابن عمر رضي الله عنهما كان سريع الاستجابة لأمر الشارع وشديد الحرص على ما ينفعه.

عن ابن وهب: عن مالك عمن حدَّثه، أن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ، وآثاره وحاله ويهتم به، حتى قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك.

وعن خارجة بن مصعب: عن موسى بن عقبة عن نافع، قال: لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع رسول الله ﷺ، لقلت: هذا مجنون[٣].

وعن نافع: ((أن ابن عمر كانَ يَتَّبِعُ آثارَ رسولِ الله ﷺ ويُصَلِّي في كل مكان صلى فيه، حتَّى إنَّ النبيَّ ﷺ نَزَلَ تحتَ شَجَرَةٍ، فكانَ ابنُ عُمَرَ يتعاهد تلك الشجرة، فيَصُبُّ في أصلها الماءَ لكيلا تَيْبَسَ))[٤].

وقال نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْبَابَ لِلنِّساءِ. قال نَافِعٌ: فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ ابنُ عُمَرَ حَتَّى مَاتَ))[٥][٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدِي قِطْعَةَ إِسْتَبْرَقٍ. وَلَيْسَ مَكَانٌ أُرِيدُ مِنَ الْجَنَّةِ إلاَّ طَارَتْ إِلَيْهِ. قَالَ: فَقَصَصْتُهُ عَلَىٰ حَفْصَةَ. فَقَصَّتْهُ حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ النَّبِيُّ: أَرَىٰ عَبْدَ اللّهِ رَجُلاً صَالِحاً))[٧].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٨٠٩.

(٢) أخرجه البخاري ١١٢٢/١١٥٧، ومسلم ٢٤٧٩.

(٣) حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، الأصبهاني ٣١٠/١.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٣٨/٣.

(٥) أخرجه ابن سعد ١٦٣/٤ من طريق أبي الوليد الطيالسي عن أبي عوانة، عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك...، ورجاله ثقات.

(٦) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٣.

(٧) أخرجه البخاري ١١٥٦، ومسلم ٢٤٧٨ واللفظ له.

قال النووي: (قوله ﷺ "أرى عبدالله رجلاً صالحاً" أي: أعلمه وأعتقده صالحاً والصالح هو القائم بحقوق الله وحقوق العباد)[١]. وعن أبي الزناد قال: اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبدالله بن الزبير وابن عمر فقالوا تمنوا. فقال عبدالله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. قال عبدالله ابن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة. قال: فنالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر غفر له.

وعن طاوس قال: ما رأيت رجلاً أورع من ابن عمر، ولا رأيت رجلاً أعلم من ابن عباس.

وقال سعيد ابن المسيب: لو كنت شاهداً لرجل من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبدالله بن عمر[٢].

وفضائل ابن عمر كثيرة ومناقبه عظيمة فهو من الصحابة الأخيار الزاهدين العاملين الحريصين على مرضاة ربهم فرضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٠٣.

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢٥٢/١.

الحديث رقم (٥٧٦)

٥٧٦- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطاً، فَقَالَ: ((هَذَا الإنْسَانُ[1]، وَهَذَا أجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إذْ جَاءَ الخَطُّ الأَقْرَبُ)) رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

خط النبي ﷺ على الأرض بطريقة معينة يلفت النظر، ويقرر العبارة بطريقة أوكد لأنه يستقبل المعنى بحاسة السمع مع حاسة البصر فيرسخ مضمون الحديث بتطاول الأمل للإنسان مع قصر العمر الذي يستوعب هذا الأمل والرسول ﷺ يستعين في تقرير المعاني، وتثبيتها بشتى الوسائل التي تضمن لها البقاء في النفوس والرسوخ في العقل، وإشارة الرسول ﷺ في بداية الحديث تميز المشار إليه أكمل تمييز، وتعريف الإنسان بلام الجنس يفيد الشمول للجميع، وقوله (وهذا أجله) يقرر المفارقة بين تعلق الإنسان بأمله الذي يتطاول، وعمره الذي يتقاصر حتى يدركه أكد ذلك الظرف (بين) المضاف لـ(ما) التي توحي بالمباغتة التي تفجأه على حاله دون سوابق إنذار مما يستلزم من الإنسان الحرص من غرور الأماني، والزهد في الدنيا.

المضامين الدعوية[3]

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على ذكر الموت والاستعداد له:

يظهر ذلك من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: خط النبي ﷺ خطوطاً فقال: (هذا الإنسان، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاء الخط الأقرب، وكذلك حديث ابن

---

(١) لفظ البخاري: (الأمل) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه، وفي الجمع للحميدي ٦١٦/٢، رقم ٢٠٢٩ خط مطبعي، حيث دخل لفظ حديث في حديث، وما في الفهرس يؤكد هذا اللفظ.

(٢) برقم ٦٤١٨. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٠٣.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٧٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٧٧).

مسعود رضي الله عنه في قوله: خط النبي صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً... فقال: (هذا الإنسان وهذا أجله محيطاً به...) وفي ذلك حثٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذكر الموت والتذكير به لأن الإنسان لا يدري ما بقى من عمره، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]. أي وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا من كسب دينها ودنياها "وما تدري بأي أرض تموت" بل الله تعالى هو المختص بعلم ذلك جميعا "إن الله عليم خبير" محيط بالظواهر والبواطن والخفايا والجنايا والسرائر، ومن حكمته التامة أن أخفى علم هذه الأمور عن العباد: لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في التذكير بالموت: ((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ. يَعْنِي المَوْتَ))[3]، وبيّن أن الموت أقرب ما يكون من الإنسان، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((مَرَّ بي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أُطَيِّنُ حَائِطاً لِي أَنَا وَأُمِّي فقَالَ: مَا هذَا يَا عَبْدَ اللهِ؟ فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَيْءٌ أُصْلِحُهُ، فقَالَ: الأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَاكَ))[4]. أي مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أصلح حائطًا لي بالطين فقال: "الأمر أسرع من ذلك" أي: الموت أسرع من فساد ذلك الحائط الذي تخاف فساده وهدمه لو لم تصلحه[5].

وقد أحسن من قال:

اذكر الموت هاذم اللذات وتجهز لمصرع سوف يأتي

وقال غيره:

---

(١) سورة لقمان، آية: ٣٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠١.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٠٧، وابن ماجة ٤٢٥٨، وقال الألباني حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٧).

(٤) أخرجه أبو داود ٥٢٣٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٦١).

(٥) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٢٢٤.

واذكر الموت تجد راحة ... في ادكار الموت تقصير الأمل

وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك مستعد لذلك[١].

ثانياً- من واجبات المدعو: قصر الأمل في الدنيا والاستعداد للآخرة:

يظهر ذلك في حديث ابن مسعود، قال رسول الله ﷺ: "هذا الإنسان، وهذا أجله محيطاً به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله...". وفي حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((خَطَّ النبيُّ ﷺ خَطاً مُرَبعاً، وخط خَطاً في الوسَطِ خارجاً منه، وخط خُططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسَط من جانبهِ الذي في الوسط فقال: هذا الإنسان؛ وهذا أجَلهُ محيطٌ به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارجٌ أمَله، وهذه الخُططُ الصغارُ الأعراض، فإن أخْطأهُ هذا نهشَهُ هذا، وإن أخطأهُ هذا نهشَهُ هذا))[٢]، قال ابن حجر العسقلاني: (والمراد بالأعراض الآفات العارضة له فإن سلم من هذا لم يسلم من هذا، وإن سلم من الجميع ولم تصبه آفة من مرض أو فقد مال أو غير ذلك بغته الأجل، والحاصل أن من لم يمت بالسبب مات بالأجل، وفي الحديث إشارة إلى الحض على قصر الأمل والاستعداد لبغتة الأجل، وعبر بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلاك، والأحاديث والآثار كلها متوافقة على أن الأجل أقرب من الأمل)[٣].

يعمّر واحد فيغرُّ قوماً ... وينسى من يموت من الشباب

فإنه لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلاً. وإنما يقدم المعاصي ويؤخر التوبة: لطول الأمل، وتبادر الشهوات، وتنسى الإنابة، لطول الأمل[٤]، وقال رسول الله ﷺ: (يهرم

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي ص ٨، ٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤١٧.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٢/١١.

(٤) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٢٧٤.

ابن آدم، وتبقى منه اثنتان: الحرص والأمل)[١]. فعلى المدعو أن يقصر أمله في الدنيا ويستعد للآخرة.

ثالثاً: من مهام الداعية: تنبيه وحث المدعوين على تذكر الموت والتزود للآخرة

وهذا يظهر من عموم الحديثين حيث نبه ﷺ وحث المسلمين على تذكر الموت وحثهم على التزود للآخرة.

وهذا ما يجب أن يكون عليه الداعية فإن هدف الداعية هو حب الخير للمدعو، إذ أن حقيقة الدعوة حب الخير للمدعوين، والحرص على تحقيق المصلحة لهم، وظهور هذا الحرص يجعل النصيحة محل قبول وامتثال[٢].

قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً. وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ. لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا))[٣].

ففيه ترغيب للدعاة إلى الله وحث لهم على مضاعفة جهودهم في دعوة الناس إلى الله، وإرشادهم إلى طريقه والمسارعة إلى مرضاته، ليكون خيرهم موفوراً، وسعيهم مشكوراً. كما فيه تحذير لذوي الأهواء والضلالة من أصحاب الدعوات الهدّامة، والبدع المضلّة التي يضلون بها أنفسهم ويضلون غيرهم فيحملون أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ١١٥/٣ رقم ١٢١٤٢، وقال محققو المسند: صحيح على شرط الشيخين ١٨٩/١٩.

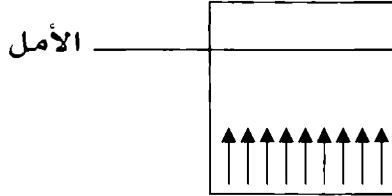
(٢) انظر: النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة ودورها في الدعوة إلى الله، الباز عبدالفتاح الدميري، ص ٦١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٤) نصوص دعوية من أحاديث خير البرية، د. حيدر أحمد الصّافح ص ٤١-٤٢.

الحديث رقم (٥٧٧)

٥٧٧- وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: خَطَّ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم خَطّاً مُرَبَّعاً ، وَخَطَّ خَطّاً في الوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ ، وَخَطَّ خُطَطاً صِغَاراً إِلَى هَذَا الَّذِي في الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي في الوَسَط ، فَقَالَ: ((هَذَا الإنْسَانُ، وَهذَا أجَلُهُ مُحيطاً بِهِ - أَوْ قَدْ أحَاطَ بِهِ - وَهذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أمَلُهُ، وَهذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإنْ أخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا، وَإنْ أخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا)) رواه البخاري[1]. وَهذِهِ صُورَتُهُ:



ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الأعراضُ: جمع عرض، وهو ما ينتفع به في الدنيا في الخير وفي الشر[2].

نَهشَهُ: أصابه[3].

(١) برقم ٦٤١٧. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٠٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٤٢.

(٣) المرجع السابق.

الشرح الأدبي

أراد الرسول ﷺ أن يقرر بطريقة فعلية قولية قرب أجل الإنسان، وبعد أمله وهو متردد بينهما معرض لأحداث الزمان، وهذا الرسم التوضيحي للمعنى في حديث الرسول ﷺ يؤكد بما لا يدع مجالا للشك ويقرر حقيقة واقعة لبعد أمل الإنسان وقصر الأجل إيقاظا للقلوب لتتنبه إلى ما يجب عليها من تقصير الأمل وترقب الآجل، والعمل للآخرة، وتشبيه الرسول ﷺ لحال الإنسان مع أجله، وأمله بالخط المربع، والخط الخارج في وسطه والخطوط الصغار حوله يقرر معنى طول أمل الإنسان وتقاصر الأجل عن استيعابه، والإنسان بينهما عرضة لنهش الأعراض إن نجا من عرض نهشه عرض آخر وإن نجا منها أدركه أجله لا محالة.واستخدام الرسول ﷺ للخط على الأرض يحقق مجموعة من الأغراض :

١- تقرير المعنى في ذهن المتلقي لاعتماده على حاستي البصر مع السمع.

٢- الوصول بالمعنى إلى مختلف الأفهام لاعتمادها على المشاهدة.

٣- تثبيت المعنى في ذهن المتلقي بالإضافة إلى التشويق الذي تحققه الرغبة في رؤية المرسوم والغرض منه.

٤- تشبيه الرسول ﷺ لحال الإنسان مع أمله وأجله بهذه الخطوط يشير إلى عدة معاني منها: أن الإنسان في خطر دائم لا ينفك عنه، ثم إنه محاط بأجله مما يؤكد استحالة الانفلات عن هذه الدائرة الأمر الذي يستلزم الجد وعدم الركون للدنيا، كما يؤكد قصر العمر مما يدعو إلى اليقظة وحسن استغلاله في الباقيات الصالحات.

واستعارة النهش، وهو لدغ ذات السم لحدوث الآفات التي تصيب الإنسان مبالغة في الإصابة. وشدة الألم، وسرعة القضاء على من أدركه هذا العرض لأن الملدوغ يتسارع إليه الفناء.والحديث بتركيبه يقرر المفارقة بين طول الأمل وقصر الأجل،وشدة الغفلة، وعظم الخطر وهو في جملته دعوة إلى الزهد، وعدم الركون إلى الدنيا[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر: أثر البيئة في اتساع مدلول التشبيه النبوي د. ناصر راضي الزهري إبراهيم، بحث منشور في كلية الآداب جامعة سوهاج، العدد السادس والعشرين لسنة ٢٠٠٦م.

(٢) تم ذكرها معنا مع مضامين الحديث رقم (٥٧٦).

الحديث رقم (٥٧٨)

٥٧٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول اللّه ﷺ ، قَالَ: ((**بَادِرُوا بِالأعْمَالِ سَبْعاً، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إلاَّ فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ غِنَىً مُطْغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسداً، أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوْ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أدْهَى وَأَمَرُّ؟!**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بادروا : سابقوا وسارعوا[2].

هرمًا : كِبَرًا[3].

مفنّدًا : مخرفًا ومذهبًا للعقل[4].

مُجْهِزًا : يأتي بغتة من غير أن يُقدر معه على توبة ووصية[5].

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في قصر الأمل، والمبادرة بالعمل أتبع فيه الرسول ﷺ النبرة العالية في الأمر (بادروا) بالمفعول المنكر (سبعا) الذي يشيع حوله عدة معان كالتعظيم، والتحذير، والتشويق زاد هذه السبع تهويلا بالاستفهام (هل تنظرون إلا...؟)

---

(١) برقم ٢٣٠٦ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، قال المنذري: فيه محرر، وهو واهٍ. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩١٣. وتقدم برقم ٩٣.

(٢) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٥١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والقاموس المحيط، الفيروزآبادي في (هـ ر م).

(٤) المرجع السابق في (ف ن د).

(٥)المرجع السابق في (ج هـ ز).

وهو استفهام معناه النفي أي لا تنظرون إلا أحد هذه الأمور ثم بدأ يعدد هذه السبع، ويفصِّل ما أجمله بالعدد (سبعا) بعد أن أيقظ الأسماع وشوق النفوس للخبر بهذا الأسلوب، وأتبع كل نكرة بصفة تزيل إبهامها، وبدأ بـ(الفقر المنسي فقد يكون الفقر أصلح لبعض المؤمنين، ولذلك أتبعه بصفته "منسيا") وبدأ به دون باقي السبع؛ لأن الفقر كان أغلب على حال الناس آنذاك ثم تلاه بضده (غنى مطغيا)، واتبعه بصفة المطغي، لأن هناك غنى محموداً يؤدي صاحبه زكاته، ويصرفه في وجوه الخير، ثم أتبعه بـ (مرضاً مفسداً) ووصف المرض بالإفساد، لأن هناك نوعا من المرض يزيد المؤمن تعلقا بربه أما المفسد، والعياذ بالله فإنه يضيع الدنيا، ويضيع الدين بفساد حال العبد بينه وبين ربه، ثم تلاه بالهرم المفند، ووصف الهرم بالتفنيد؛ لأن بعض الهرم يكون سببا في لجوء العبد لربه لإحساسه بدنو أجله وقرب الرحيل إليه فيزيد من الطاعات، ويستكثر من عمل الخير ثم أتبعها بالموت المجهز، ووصف الموت بأنه مجهز إشارة إلى المباغتة التي لا تعطي مجالا للتوبة لسرعة القضاء، ثم إن الناجي من هذه – ولا ينجو منها أحد- ينتظره الدجال – ووصفه بأنه شر غائب ينتظر لما يتبعه من فساد، وإفساد في الدين، والدنيا ثم الساعة المؤذنة بانقضاء الدنيا، وزوال نعيمها، وما تحمل الساعة من أهوال أدهى. وأمر بصيغة (أفعل) التفضيل إشارة إلى ارتقاء هولها لكل ما سبق ذكره من أهوال، فقد ترقي النبي ﷺ في ذكره للأخطار التي تهدد دين المرء ودنياه من الأدنى إلى الأعلى ليعجل الإنسان بعمل الخير، ولا يسوِّف فيه إذا ما كان عرضة لإحدى هذه الدواهي، والاستفهام المتصدر لهذه الدواهي طرقه بعنف على أبواب القلوب الغافلة والعقول الآفلة تتفتح لها القلوب رغبة في التزود من العمل الصالح، ورهبة من مفاجأة إحدى هذه الدواهي بعد أن نفت عبارة الاستفهام (هل تنظرون إلا ....؟) كل خير ينتظر مع الغفلة عن مفاجأة الدواهي، وتقرر أيضاً قرب هذه الأمور وتجعلها بقليل من التدبر تجوس في حنايا القلوب تهديدا لها لتستفيق من غفلة الهوى ورقدة الأبدان رغبة في رحمة الرحمن أو رهبة من غضبة الديان.

وسياق الحديث سياق ترهيب بدا فيه أثر الاستفهام بمعنى النفي في معنى الحديث

ومغزاه فيما سبق الأداة وما تلاها فقد جاءت عبارة الاستفهام(هل تنظرون إلا....؟)تأكيداً للأمر السابق لها (بادروا بالأعمال سبعا....؟) الذي حمل دفقة مركزة من الترهيب توحي من خلال النكرة (سبعاً) بهول عظيم، وربطت هذه الدفقة بموجات من التحذير تمثلت في النكرات التي تبعتها (فقرا منسيا)، (غنى مطغيا)، (هرما مفندا)، (موتا مجهزا) والتي فسرت كل منها صفة حددت نوعها وقد سرى الاستفهام المنفى خلالها سريانا خفيا ينتقل مع حرف العطف (أو) من خطر أصغر إلى خطر أكبر، فما ثمَّ شيء ينجى إلا التعجيل بصالح العمل لمبادرة هذه الأخطار ثم انتقل إلى الدواهى العامة التي تفاجئ البشر مجتمعين (أو الدجال فشر غائب ينتظر) أو(الساعة فالساعة أدهي وأمر) حتى إذا ما ارتقي النبي ﷺ بأصحابه –عن طريق الأسلوب- أعلى درجات الترهيب – وأنهى موجات التحذير تشعر بأثر الاستفهام (هل....؟) في نفس كل مخاطب ووجدانه يجيب عنه في عالم الشعور المتأجج بحسب حاله، فالذي يخشى الفقر يجيب بنعم لقد أنساني -أو كاد- خوفى من الفقر الإعداد لآخرتي، والغنى يتذكر إغراء ماله وشغله به عما أمر الله به، والذي يخشي المرض كذلك. تخاطب أداة الاستفهام(هل) كلاً منهم بحسب حاله، وهذا منتهى ما يمكن أن يصل إليه بشر في مطابقة الكلام لمقتضي الحال إيفاء بحق البلاغة[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٢).

الحديث رقم (٥٧٩)

٥٧٩- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ)) يَعْنِي: المَوْتَ. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

هذام اللذات: قاطعها بغتةً[2].

الشرح الأدبي

القلوب دائمة التقلب تحتاج إلى الذكرى من وقت لوقت حتى تلين، وتخشع، ومن الأمور التي تجلو عن القلوب صداها، وتذكرها بالمرجع إلى مولاها ذكر الموت لأن الجميع مقرون به مؤمنون، وكافرون، فإذا ما ذكر به المؤمن وجل قلبه، وأناب إلى ربه، ولذلك جاء توجيه الرسول ﷺ (أكثروا ذكر هاذم اللذات) أمر نصح، وإرشاد بكثرة ذكر الموت، وليس بمجرد الذكر يلين القلب بل الأمر يحتاج إلى أكثر من ذلك إلى تكثيف الذكر حتى يظل قريبا من ربه،وقوله (هازم اللذات) كناية عن الموت والتعبير بهذه الكناية يأتي على أكثر ما يشغل الناس فيصوره في صورة المهزوم بالموت حتى لا يغتر الإنسان بطيب الملذات، ولا يركن إلى الدنيا.

---

(١) برقم ٢٣٠٧ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٢٩٩٢، وقال الحاكم ٣٢١/٤: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية ٥٠/٤: حسن. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٨١.

(٢) الوسيط. مجمع اللغة العربية في (هـ ذ م).

فقه الحديث

قال ابن علان: (ومن هذا [الحديث] وأمثاله أخذ أئمتنا قولهم: يسن لكل أحد من صحيح وغيره ذكر الموت بقلبه ولسانه وإلا فبقلبه والإكثار منه حتى يكون نصب عينيه، فإن ذلك أزجر عن المعصية وأدعى إلى الطاعة)(١).

وقال النووي: (يستحبّ لكل أحدٍ أن يكثر ذكر الموت، قال أبو حامد وغيره: وحالة المرض أشد استحباباً، لأنه إذا ذكر الموت رقّ قلبه وخاف فيرجع عن المظالم والمعاصي ويقبل على الطاعات ويكثر منها)(٢).

المضامين الدعوية

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "أكثروا ذكر هاذم اللذات"، حيث أمر بكثرة ذكر الموت.

وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة المهمة التي يستطيع أن يفيد منها الداعية في دعوته حيث إن الداعية يأمر بالمعروف وبعمل الطاعات، وقد أفاد الأمر في هذا الحديث أهمية تذكر المؤمن للموت وضرورة الاستعداد له بالأعمال الصالحة، وتحري مرضاة الله تعالى ورسوله ﷺ.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الإكثار من ذكر الموت والاستعداد للآخرة:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث الإكثار من ذكر الموت والاستعداد للآخرة. يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "أكثروا ذكر هاذم اللذات" فأمر ﷺ بكثرة ذكر الموت.

وأنشد زين العابدين رضي الله عنه:

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٥٣-٨٥٤، وانظر: المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/ ٣٦٠.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/ ٧٠.

فيا عامر الدنيا، ويا ساعياً لها ويا آمناً من أن يدور الدوائر
على خطر تمشي، وتصبح لاهياً أتدري بما ذا لو عقلت تخاطر
تخرب ما يبقى وتعمر فانياً فلا ذاك موفور، ولا ذاك عامر[١]

وكان رسول الله ﷺ يكثر تذكير أصحابه رضي الله عنهم بالموت ويأمرهم بالاستعداد للآخرة، فعن البراء قال: كنا مع رسول الله في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى حتى بلَّ الثرى، ثم قال: (يا إخواني لمثل هذا فأعدوا)[٢].

١-الاستعداد للموت وإعداد الأهبة له، إذ أن ذكر الموت يورث الإنسان استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة ونعمة ومحنة، فإذا كان في حال ضيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه فإنه لا يدوم والموت أصعب منه أو في حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها والسكون إليها لقطعه عنها[٣].

٢-الإتيان بأسباب حسن الخاتمة:

أ-صلاح المعتقد: فالواجب على كل من أراد أن يختم له بخاتمة حسنة عند الممات أن يصحح معتقده وأن يكون في ذلك على عقيدة أهل السنة والجماعة وأن يأخذ في أمور الاعتقاد بأقوال السلف الصالح وأن يحذر من مخالطة فاسدي الاعتقاد وأهل البدع والضلال حتى لا يكون من الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٤].

ب-الاستقامة: فإن تذكر الموت يحمل الإنسان على الاستقامة على المنهج القويم[٥]

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣/٣٢٩.
(٢) أخرجه ابن ماجه ٤١٩٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٨٣).
(٣) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي ص ٢٥، ٢٦.
(٤) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.
(٥) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٢٦-٥٣٣.

والتي يجني ثمارها في الحياة وعند الموت وبعده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[1] حيث يخبر الله سبحانه عن أوليائه.

ومن ضمن ذلك تنشيطهم والحث على الاقتداء بهم فقال: "إن الذي قالوا ربنا الله ثم استقاموا" أي اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى واستسلموا لأمره ثم استقاموا على الصراط المستقيم علمًا وعملاً فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة "تتنزل عليهم الملائكة" الكرام أي يتكرر نزولهم عليهم مبشرين لهم عند الاحتضار "ألا تخافوا" على ما يستقبل من أمركم "ولا تحزنوا" على ما مضى، فنفى عنهم المكروه الماضي والمستقبل "وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون" فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولا[2].

ثالثاً- من مهام الداعية : تحذير المدعوين من الغفلة ودعوتهم لتذكر الموت:

يستنبط هذا من عموم الحديث حيث أمر رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بتذكر الموت، والإكثار من ذلك حتى لا يقعوا في الغفلة ويركنوا إلى الدنيا، لأن الدنيا تلهو الإنسان بمفاتنها فإذا انغمس في شهوات الدنيا غفل عن الآخرة، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[3]. فالداعية ينبغي عليه تحذير المدعوين من الانغماس في شهوات الدنيا

---

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٠-٣٢.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٩٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤.

وتذكيرهم بالموت، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَٰخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٢]. حيث يخبر سبحانه إخبارًا عامًا يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها كثيرها وقليلها، كبيرها وصغيرها فلا يظلم أحدًا مثقال ذرة، "وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز" أي من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" تصغيرًا لشأن الدنيا وتحقيرًا لأمرها وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة[٣]. وإنما وصف عيش الدنيا بذلك لما تمنِّيه لذاتها من طول البقاء وأهل الدوام فتخدعه ثم تصرعه، قال بعض السلف: الدنيا متاع متروك يوشك أن يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم[٤].

ما زال يلهج بالرحيل وذكره ... حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظاً متشمراً ... ذا أهبة لم تلهه الآمال

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد من ذا يصلي عنك بعد الموت من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يرضي عنك ربك بعد الموت، ثم يقول: يا أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باق حياتكم؟ من الموت طالبه والقبر بيته والتراب فراشه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله؟ ثم يبكي

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/١٧٧، ١٧٨.

(٤) نظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢/٤/٢١٦.

حتى يسقط مغشياً عليه... وكان عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه يجمع العلماء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة.

وقال أبو نعيم: كان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياماً فإن سئل عن شيء قال لا أدري... وقال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة: تعجيل التوبة، وقناعة القلب ونشاط العبادة. ومن نسي الموت عوقب بثلاثة: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف والتكاسل في العبادة. فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته وصعوبة كأسه ومرارته. فيا للموت من وعد ما أصدقه ومن حاكم ما أعدله، كفى بالموت مفزعاً للقلوب، ومبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات، وهادماً للذات[1].

(١) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، القرطبي ص ٩.

الحديث رقم (٥٨٠)

٥٨٠- وعن أُبَيٍّ بن كعبٍ رضي الله عنه: كَانَ رسول الله ﷺ إذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ قَام. فَقَالَ: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللهَ**[1]**، جَاءتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ**)) قُلْتُ: يَا رسول الله، إنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْك، فَكَمْ أجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ فَقَالَ: ((**مَا شِئْتَ**)) قُلْتُ: الرُّبُع، قَالَ: ((**مَا شِئْتَ، فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**)) قُلْتُ: فَالنِّصْفَ؟ قَالَ: ((**مَا شِئْتَ، فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**)) قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: ((**مَا شِئْتَ، فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**)) قُلْتُ: أجعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: ((**إذاً تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ**)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبي بن كعب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٧).

غريب الألفاظ:

الراجفة: النفخة الأولى[3].

الرادفة: النفخة الثانية[4].

الشرح الأدبي

والحديث من باب (الترغيب في الصلاة على النبي ﷺ وفضلها) بدأه النبي ﷺ بهذا النداء (يا أيها) كثيف المؤكدات والتنبيهات الذي ينبئ بعظيم يتبعه ثم فعل الأمر (اذكروا) المتعلق بالمفعول لفظ الجلالة، وهو يوحي بعظيم حدث كعادة الإنسان يتذكر ربه عند الشدائد صعَّد معنى الترهيب الخبر الذي تلاه في جملة (جاء الراجفة)

---

(١) عند الترمذي مرّتين.

(٢) برقم ٢٤٥٧ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وقال الحاكم ٢/٥١٣: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٤٨١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٩١٩.

(٤) المرجع السابق ٢/١٩٢٠.

والراجفة النفخة الأولى وتتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية التي يكون عندها البعث، وفي هذا السياق خصيصة تجدر الإشارة إليها وهي كثرة الكلمات الموحية بطبيعتها، والتي تتعامل مع الأرواح مباشرة، وهي عالقة دائما بالقلوب كلفظ (الله - الراجفة - الرادفة - الموت) بمجرد ذكرها تطرق الأسماع، وتسكت الألسنة، وتضطرب القلوب جلالاً وهيبة، ومن الملاحظ أن هذه الألفاظ من سمات الحديث النبوي، وعلامة جلية على صحته فكل سياق يحمل كلمة، أو كلمات من هذه النوعية تفيض جلالا، وقدسية تأتي في حديثه كواسطة العقد حسنا وبهاءً، وتَدَبَّر جملة (جاء الموت). وتصويره حاضراً قد سعى إليهم، وتعلقه بالجار والمجرور (بما) (وفيه) وكثرة الضمائر، والظروف، وحروف الجر توحي بالوجل، والخوف، والاضطراب، وتكرار الجملة ذاتها الذي يلح على تحقق المجيء، وما أثاره التعميم في قوله (بما فيه) دون أن يقول بسكراته، أو آلامه من رؤية ملك الموت، وما يتبعه من عذاب في سؤال الملكين، وفي القبر أو رحمة، كل ذلك، وما يمكن أن يتصوره عقل، ويصل إليه خيال طي عباراته (بما فيه) مع إيجاز عباراته بالتعميم الذي لو أراد تفصيله لما وسعه المقام، ولو وسعهم لما استوعبه المخاطبون كما استوعبوه من هذه اللفظة الموجزة، لاختلاف درجات الفهم بينهم لكن هذه العبارات تعطى كل مستمع القدر الذي يمكن أن يصل إليه خياله في التصور، ولا شك أن ذلك هو عين البلاغة، ومقصدها بخطاب كل إنسان بقدر ما يفهم مع إيجاز واف، وجواب كاف، وعلاج شاف لتحقيق اليقظة المطلوبة للقيام بحق عبادة الله، وترك الغفلة، والكسل

نضيف طرفا من بلاغة النبي ﷺ مع رعاية المقام، ورعاية مقتضى حال المخاطبين وهو رعاية زمان الحديث فكما أخبر أبي بن كعب (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ.....) وهو وقت السكينة، والسكون، والراحة من تعب النهار وكده والنفس بطبيعتها تميل إلى الراحة، والدعة فكان لزاما رعاية للظرف الزمانى – أن يكون الأسلوب مزلزلاً مدوياً يطرد النوم من الأجفان، ويبعث على الذكر، والصلاة ولذلك عبر بالماضي (جاءت الراجفة) عند نفخة الإماتة التي تشبه النوم (فهو موت

أصغر) إشارة إلى تحقيق الموت فهو مصير كل حي حتى يعد كل مستمع نفسه له، وعبر بالمضارع (تتبعها الرادفة) عند نفخة البعث والتي تشبه الاستيقاظ استحضارا للصورة المفزعة بخروج الأموات وهي مشاهد مفزعة تذر القلوب واجفة والأبدان راجفة لا تجد ملجأ إلا الله فتهوى إليه ذكرا، وشكرا، وتقربا رغبة في النجاة، [١] وقول الراوي: (فَكَمْ أجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي ؟) استفهام على حقيقته والمقصود بالصلاة الدعاء له، والصلاة عليه، وقد تدرج معه من الربع إلى الثلث إلى النصف إلى جعل الصلاة كلها دعاء للنبي، وصلاة عليه، وبذلك جوزي من جنس عمله بقوله (إذاً تُكْفى هَمَّكَ، وَيُغْفَر لَكَ ذَنْبكَ).

فقه الحديث

١-جواز ذكر الإنسان صالح عمله:

قال ابن علان: (قوله: "قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك"، فيه جواز ذكر الإنسان صالح عمله إذا أمن العجب لغرض، كالاستفتاء هنا، المدلول عليه بقوله "فكم أجعل لك من صلاتي؟")[٢].

٢-مشروعية الصلاة على النبي ﷺ:

المقصود بالصلاة على النبي ﷺ: **الدعاء له بصيغة مخصوصة والتعظيم لأمره**[٣].

ولا خلاف بين الفقهاء في مشروعية الصلاة على النبي ﷺ، للأمر بها قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[٤].

قال ابن كثير: (والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي

---

(١) انظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ٢٢٠، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٥١.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٣٤/٢٧، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١٤/١٧.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا... وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه، وكيفية الصلاة عليه. قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد... فساق إسناده إلى كعب بن عجرة قال: قيل: يا رسول الله ﷺ أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ فقال: قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"[(1)])[(2)].

وأما ألفاظ الصلاة على النبي ﷺ فقال أبو إسحاق الشيرازي صاحب المهذب: (إن أفضل صيغ الصلاة على النبي ﷺ أن يقول المصلّي عليه "اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد" لما روى كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال ذلك[(3)]، وهناك صيغ أخرى، وأقل ما يجزي هو اللهم صلّ على محمد)[(4)].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٧٩٧، ومسلم ٤٠٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١/٢١٠-٢١١.

(٣) قال النووي في الأذكار ٨٨-٨٩ ط/ مكتبة الصفا: وروينا هذه الكيفية في صحيح البخاري ومسلم عن كعب بن عجرة عن رسول الله ﷺ إلا بعضها، فهو صحيح من رواية غير كعب.

(٤) المهذب وشرحه المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/٣٠٩-٣١١، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٨٨، ١٤٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧/٢٣٧-٢٣٨، وانظر في مواطن وجوب الصلاة على النبي ﷺ واستحبابها. انظر: رد المحتار ١/٣٤٣، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ١/٢٧٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ١/٥٤٣، والمجموع الموضع السابق، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١/٢٦٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢/١٦٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٥٤١، وجلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ص ٢٥١ وما بعدها (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧/٢٣٥-٢٣٩)، وتفسير ابن كثير ١٤/٢١٤-٢٣٧. وسيأتي مزيد من التفصيل في ذلك في كتاب الصلاة على رسول الله ﷺ، وهو الكتاب رقم ١٤ من كتب رياض الصالحين وتحته الباب رقم ٢٤٣ بعنوان: باب الأمر بالصلاة عليه وفضلها وبعض صيغها. الأحاديث: ١٢٩٢-١٤٠٩.

المضامين الدعوية

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية ذكر الله تعالى.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم وأمته من الغفلة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التكرار.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة والدعاء للنبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء والأمر:

يظهر أسلوب النداء في قوله رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس..." والأمر في قوله ﷺ: "اذكروا الله ...".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية ذكر الله تعالى:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس ... اذكروا الله...". وذكر الله تعالى يحي ميت القلوب ويذكي فاتر الهمم، ويحوط المرء بسياج من العصمة، ويقيه نزغات الشيطان، ويباعد بينه وبين المعاصي[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2].

وقال سبحانه مدحاً لأصحاب العقول السليمة: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[3].

وقال رسول الله ﷺ مبيناً أهمية ذكر الله: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[4].

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٠٧.

وقال رسول الله ﷺ: ((ألاَ أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعمالِكُمْ وأزْكاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟ قالُوا بَلَى، قالَ ذِكْرُ الله تَعَالَى» فقالَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ رضي الله عنه ما شَيْءٌ أنْجَى مِنْ عَذَابِ الله مِنْ ذِكْرِ الله))[1].

إن لذكر الله تعالى بين العبادات شأنًا عظيمًا إذ أمر الله تعالى، في غير ما آية من كتابه، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[3] وأثنى على أهله بقوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[4] ولا شك أن من وفقه الله تعالى وجعل لسانه رطبًا بذكر الله تبارك كان من الذاكرين الفائزين بولاية الله ومحبته ورضوانه.

وبين ابن القيم الفارق ما بين الذكر وباقي العبادات فيقول: وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور خراب وهو عمارتها وأساسها وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذ غشيها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقًا، وبالذكر يزول الوقر عن الأسمال والبكم عن الألسن وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته[5].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٧٧. وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٨).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٥) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم، ٢/٤٤٠، ٤٤١.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم وأمته الغفلة وطول الأمل:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة..." أراد به النائمين من أصحابه الغافلين عن ذكر الله ينبههم عن النوم ليشتغلوا بذكر الله تعالى والتهجد[(١)].

فالغفلة من أخطر الآفات على الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ﴾[(٣)].

والإنذار قد ينفع ويوقظ الغافلين المستغرقين في الغفلة كما قال سبحانه: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ﴾[(٤)].

والإنذار لا ينفع قلباً غير مهيأ للإيمان، مشدود عنه، محال بينه وبينه بالسدود والأغلال والأغشية، فالإنذار لا يخلق القلوب، إنما يوقظ القلوب الحية المستعدة للتلقي: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[(٥)].

فعلينا أن نعيش في بيئة الذاكرين لربهم، المستقيمين على منهجه، ونصبر على ذلك؛ لننال الأجر والثواب من الله، ونحذر من أهل الأهواء والغفلة كما قال سبحانه:

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩١٩/٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.

(٣) سورة يونس، آية: ٧.

(٤) سورة يس، آية: ٦.

(٥) سورة يس، آية: ١١.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾(١).

والإنسان كلما غفل قلبه عن ذكر الله، وجد الشيطان طريقه إليه، فيلزمه ويصبح له قرين سوء يوسوس له ويزين له السوء: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾(٢).

ووظيفة قرناء السوء من الشياطين أن يصدوا قرناءهم عن سبيل الله، بينما هؤلاء يحسبون أنهم مهتدون، وهذا أسوأ ما يصنعه قرين السوء بقرينه: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾(٣).

والإنسان إنما يقع في المعاصي بسبب الغفلة عن الله... والغفلة عن أوامر الله... والغفلة عن عقوبة المعصية في الدنيا والآخرة، وعلاج الغفلة بذكر الله كما قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾(٤).

والذين غفلوا عن الله وعن لقائه، ورضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة وغفلوا عن آيات الله الكونية، وآياته القرآنية، هؤلاء مأواهم جهنم، لكفرهم وغفلتهم عن آيات ربهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾(٥)(٦).

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣٦.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٣٧.

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠٥، ٢٠٦.

(٥) سورة يونس، الآيتان: ٧، ٨.

(٦) موسوعة فقه القلوب، محمد إبراهيم التويجري ٤/٣٠٨٨-٣٠٩٢.

ورسول الله ﷺ أحرص الناس على نفع أصحابه وأمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر ويسعى جهده في تنفيركم عنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم) أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم[٢]. لذلك حذر أصحابه رضي الله عنهم وأمته من الغفلة وطول الأمل.

رابعاً- من أساليب الدعوة: التكرار:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "... جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه".

وأسلوب التكرار من الأساليب الدعوية المهمة، لأن التكرار يوضح المعنى المراد من الدعوة، ويبين أهميتها، والدليل على ذلك قول أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ: (أنه كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أعادَها ثلاثاً حتّى تُفهمَ عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلَّمَ عليهم سَلَّم عليهم، ثلاثاً)[٣].

فالتكرار أسلوب من أساليب البلاغة يؤكد المعاني في القلوب بمنهج عال شيق بليغ، واللفظ إن تكرر تقرر في نفس سامعيه، ومتى كانت المعاني الأصيلة المرادة حاصلة في الجُمل والألفاظ فلا يضر بعد ذلك ما يرى في هذه الألفاظ أو الجمل من اختلافات لفظية لا تسيء بأصول المعاني وجواهرها والمراد منها فلا تؤدي إلى تناقض أو اختلاف بل يمكن الجمع والتوفيق بينها، وما كان ذلك إلا للبلاغة، ومن أجل اعتبارات ومناسبات تختلف باختلاف السياق من ناحية إبرازها بوجوه متعددة ولكن الجوهر واحد... ويكرر اللفظ أو الجملة أو الموضوع على صور متعددة فغلب على جميع

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣١٢.

(٣) أخرجه البخاري ٩٥.

وجوهه المختلفة لإظهار ما فيه من عبر متنوعة وعظات متعددة تتأتى من ذلك التعدد، وتتضح في كل مناسبة[(١)].

وقد جاء أسلوب التكرار في كثير من سور القرآن وآياته وكذلك في أحاديث النبي ﷺ. ويذكر الرافعي وهو يوضح بلاغة القرآن وأسلوب التكرار وقيمته فيقول: (إذا كان أبلغ البلاغة في الشعر العبراني القديم أن تجتمع له رشاقة العبارة، وحسن العرض، ووضوح اللفظ، وفصاحة التركيب، وإبانة المعنى، وتكرار الكلام لكل ما يفيده التكرار توكيداً ومبالغة وإبانة وتحقيقاً ونحوها، ثم استعمال الترادف في اللفظ والمعنى، ومقابلة الأضداد وغيرها مما هو في نفسه تكرار آخر للمحسنات اللفظية، وتحسين التكرار المعنوي)[(٢)].

فالتكرار إذن يعد من الأساليب التي صدرت ممن يعلم كل خافية على عباده[(٣)].

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة والدعاء للنبي ﷺ:

يظهر ذلك في قول أُبي بن كعب رضي الله عنه: (يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: "ما شئت" ... قلت أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا تكفي همك، ويغفر لك ذنبك)، والصلاة على النبي ﷺ فضلها عظيم وقد أمر الله عباده بها فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[(٤)].

قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة. وصلاة الملائكة الدعاء، وقال ابن عباس: (يصلون يُبَرِّكُون)[(٥)].

---

(١) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٨٢.

(٢) إعجاز القرآن للرافعي، مصطفى صادق الرافعي ص ١٩٦.

(٣) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٨٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٥) علقة البخاري فوق الحديث ٤٧٩٧، قال ابن حجر: وصله الطبرى "في جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي" من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٣٩٢.

قال ابن كثير: (والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة المقربين تصلي عليه، ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً)[١].

وقال السعدي: ("إن الله" تعالى "وملائكته يصلون على النبي" أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى إياه، ويثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون "يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم... وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة)[٢].

وقال ﷺ مبيناً فضل الصلاة عليه: (من صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشراً)[٣].

فالصلاة والدعاء للنبي ﷺ فضلها عظيم وفوائدها كثيرة عدّها ابن القيم في أربعين فائدة وثمرة منها: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى، وموافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ ... وموافقة ملائكته، وحصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة، ويرفع له عشر درجات، ويكتب للمصلي عشر حسنات، ويمحى عنه عشر سيئات ... إلخ الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥٧/٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦١٨.

(٣) أخرجه مسلم ٤٠٨.

(٤) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم ص ٦١٢-٦٢٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

آفة الإنسان النسيان، وقد يؤدي النسيان إلى غفلة تورد صاحبها موارد الهلاك، ولهذا حرص الإسلام على تذكير الإنسان بمآله وتبصرته بحاله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الانشقاق:٦-١٢].

ورسول الله ﷺ قد حثّ على عدم تناسي الموت ودعا إلى عدم الركون إلى الدنيا ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- أهمية التربية الإيمانية:

"إن مما يدفع الإنسان للعمل الصالح، ويزيده إقبالاً على الآخرة، وزهدًا في تذكر الموت والدار الآخرة ذكر الموت، لذا فقد حث النبي ﷺ على تذكر الموت والدار الآخرة ودعا إلى ذلك، ومن الوسائل التي تحقق ذلك التذكير به والحديث عن الدار الآخرة والاعتناء بتلاوة القرآن وقراءة أحاديث النبي ﷺ التي فيها الحديث عن الآخرة ووصف حال أهلها، ومن ذلك الصلاة على الجنائز وشهودها، واتباع السنة في اتباعها إلى المقبرة، وتذكر حال أهلها" (١).

"ومن هدية ﷺ أنه كان يربي الصحابة الكرام على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم كذلك، كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه للتابعين: لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله ﷺ، ولكنهم كانوا خيرًا منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة، وهذا الزهد في الدنيا هو الذي دفع الصحابة رضي الله عنهم إلى البذل والتضحية وطلب الآخرة، وعدم الاغترار بزينة الدنيا وزخرفها" (٢).

---

(١) تربية الشباب الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش ص٥٠.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، مرجع سابق، ص٢٨٥.

ثانيًا- استعمال الوسائل التوضيحية في التربية:

إن من الأمور المهمة في التربية استعمال الوسائل التوضيحية للمتربين من أجل إقناع المتربي وتفهيمه، وهذا ما يتضح في أحاديث الباب من قول النبي ﷺ: "خط النبي ﷺ خطوطًا..."، وقوله: خط النبي ﷺ خطًا مربعًا، وخط خطًا في الوسط خارجًا منه، وخط خططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط.." ورسْم النبي ﷺ خطوطًا إنما هي بمثابة وسائل إيضاح.

"لقد كان ﷺ يخط أمام أصحابه خطوطًا ليوضح لهم بعض المفاهيم المهمة، ويقرّب إلى أذهانهم بعض التصورات المفيدة، وبين الرسول ﷺ بما رسم على الأرض كيف يُحَالُ بين الإنسان وبين آماله الواسعة بالموت المباغت أو الحوادث النازلة، أو الهرم المضني المقعد، وهذا توضيح جميل من المعلم الأول ﷺ"(١).

إن وسائل الإيضاح من الوسائل التعليمية المهمة في الميدان التربوي "لأنها تسهل عملية التعلم والتعليم وتوضح المعاني وتشرح الأفكار لعلاقتها بإثارة الحواس، والمعلم المسلم لابد أن يوظف الوسائل التعليمية في تدريس التربية الإسلامية لأنها توفر الجهد في التدريس وتخفف العبء عن كاهل المعلم وتسهم في رفع مستوى التعلم في أية مرحلة من المراحل التعليمية، ولقد استخدم النبي ﷺ كل وسيلة من شأنها أن تساعد على الفهم أو توضح صورة معينة رغم أن البيئة في عهده لم تكن لتساعد على توفير الكثير من وسائل التعليم، ومن هذه الوسائل الإشارة بالأصابع أو اليد الواحدة، أو باليدين أو باستخدام الحصى أو العصا أو الرسم على الأرض، أو ما شاكل ذلك"(٢).

ثالثًا- المبادرة بأداء الواجبات:

إن من القيم التربوية التي تتضح من أحاديث الباب أهمية التربية على المبادرة بأداء الواجبات، وخاصة في قول النبي ﷺ: "بادروا بالأعمال سبعًا..."، وقوله: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، وقول ابن عمر رضي الله عنهما: "إذا أمسيت فلا تنتظر

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، مرجع سابق، ٢/٧١٧.

(٢) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى علي جواد الشمري ص١٢٦-١٢٨، بتصرف.

الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ..."، ولاشك أن هذا يدلل على أهمية الوقت في حياة المسلم، وضرورة المبادرة والمسارعة إلى أداء الواجبات خشية العوارض والشواغل الطارئة التي قد تعوق الإنسان عن أداء المطلوب منه.

قال أحد الحكماء: "من أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه أو مجد أثله "أي ورثه" أو حمد حصّله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه فقد عقّ يومه، وظلم نفسه". وقال يحيى بن معاذ: "الفوت أشد من الموت، لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق"، وقال ابن الجوزي: "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة من غير قُربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والفعل" [(١)].

رابعًا- من الأساليب التربوية: الحوار والمناقشة:

وهذا واضح من حديث أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بما فِيهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِني أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، ...)) الحديث، والمناقشة والحوار من الأساليب التدريسية التي يمكن من خلالها تفعيل دور المتعلم وتهيئته لعملية التعليم.



(١) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، مرجع سابق، ٦٠٠/١-٦٠٢.

٦٦- باب استحباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر

الحديث رقم (٥٨١)

٥٨١- عن بُرَيْدَة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**كُنْتُ**[١] **نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوها**)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: هو ابن عبدالله بن الحارث بن الأعرج.

من أكابر الصحابة أسلم قبل بدر، ولم يشهدها.

وقد أسلم حين اجتاز به النبي ﷺ مهاجراً، هو ومن معه، وكانوا زهاء ثمانين بيتاً، فصلى رسول الله ﷺ العشاء، فصلَّوا خلفه. وقيل إنه أسلم بعد انصراف النبي ﷺ من بدر.

وقدم بُريدة على رسول الله ﷺ بعد أُحد، فشهد خيبر، وشهد الحديبية، فكان ممَّن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة، وشهد فتح مكة، وكان معه لواء "أسلم" يومئذ، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه، وكان يحمل لواء أسامة ﷺ حين بعثه النبي ﷺ إلى أرض البلقاء، إثر وفاة رسول الله ﷺ.

وقد ثبت في الصحيحين عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة وكان من سكان المدينة، ثم تحول إلى البصرة، وكان من أمراء عمر بن الخطاب ﷺ في نوبة سَرْغ - وهي أول الحجاز وآخر الشام- وقد غزا خراسان في زمن عثمان بن عفان ﷺ، ثم نزل مرو، ونشر العلم بها.

---

(١) (كنت) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم ٩٧٧/١٠٦ اختصره المؤلف. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٠٤ وعزاه إلى الترمذي.

وقد روى عن النبي ﷺ، جُلة أحاديث بلغت ١٥٠ حديث، وقيل ١٦٧ حديث.

وقد توفي بمرو في خلافة يزيد بن معاوية سنة ٦٢هـ وقيل ٦٣هـ[1].

الشرح الأدبي

أمر الرسول ﷺ فزوروا إباحة لزيارة القبور بعد النهي السابق ارتقى بها أسلوبه الشريف من الإباحة إلى الترغيب بما لها من موعظة، وقوله (كنت نهيتكم) تذكير بالنهي السابق تمهيداً لإبطاله بتقرير الإباحة، واتصال فعل النهي بكاف الخطاب، وميم الجمع لتعميم النهي، ثم إن وصل الأمر بالزيارة بواو الجماعة تعميم للحكم يشمل المخاطبين، ومن بعدهم ليوم القيامة؛ لأن مشهد القبور يذكر الإنسان بمنزله الأخير، فإذا تذكر حاله فيه انقبض قلبه، وخشعت جوارحه، وأناب إلى ربه، ولذلك علل الرسول ﷺ الأمر في الرواية الثانية بقوله (فإنَّهَا تُذَكِّرُنَا الآخِرَةَ) وقول الرسول ﷺ (تذكرنا) بضمير الجماعة يوحي بأن التذكرة بزيارة القبورة تنفع المؤمنين خاصة، وليس عموم الزائرين.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم زيارة القبور: وهي مشروعة للرجال في قول أكثر أهل العلم، وقد حكى الحازمي والعبدري والنووي اتفاق أهل العلم على ذلك، وحكى الشربيني الخطيب الإجماع، وروي عن ابن سيرين والنخعي والشعبي أنها مكروهة مطلقاً.

أما بالنسبة للنساء فقد اختلف فيها الفقهاء: فذهب الحنفية إلى أنه لا بأس

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤/٢٤١-٢٤٣ و٧/٣٦٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١١٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١/٢٦٧-٢٧٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم. ومجدي السيد أمين ١/٣٣٦، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١/٢١٩، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢/٥٠. وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٤٦٩-٤٧١.

بزيارتهن للقبور على الأصح، وذهب المالكية في الأصح إلى التفريق بين الشابة والمتجالة، فقالوا يباح للقواعد ويحرم على الشواب اللاتي يخشى منهن الفتنة، وذهب الشافعية، والحنابلة في المذهب إلى أنه تكره زيارتهن للقبور لما فيهن من رقة القلب وكثرة الجزع وقلة احتمال المصائب[1].

٢-أدب زيارة القبور: ينبغي لمن عزم على زيارة القبور أن يتأدب بآدابها، فيستحب له في قول العلماء جميعاً التسليم على أهلها والدعاء لهم بالعافية.

أما صفة السلام: فقد وردت فيه أحاديث بصيغ كثيرة منها ما أورده المصنف ومنها غيرها، والأمر واسع، والمقصود هو الاجتهاد لهم في الدعاء[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إذن الرسول ﷺ بزيارة القبور بعد النهي عن زيارتها.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تحقيق الغاية من زيارة القبور بتذكر الآخرة والعمل بها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إذن الرسول ﷺ بزيارة القبور بعد النهي عن زيارتها:

لقد نهى النبي ﷺ المسلمين عن زيارة القبور أول الأمر، فلما تمكن الإيمان من قلوبهم ورسخت عقيدة التوحيد في قلوبهم أذن لهم. وهذا واضح من الحديث كله. قال القاضي عياض: (وقوله: "فزوروها" بين في نسخ النهي وفي علة الإباحة أن يكون زيارتها

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٨٢/٥-٣٨٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١٧٠/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٦٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢٧٦/٤.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٨٢/٥، ٣٨٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٥٠/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٦٥/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٧٠/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٧٥/١.

للتذكير والاعتبار لا للفخر والمباهاة ولا لإقامة النوح والمآتم)[١]، وقال ابن عثيمين: (كان النبي ﷺ نهى عن زيارتها، خوفاً من الشرك بأهل القبور، لأن الناس كانوا حديثي عهد بجاهلية، فنهى عنها رسول الله ﷺ سداً لذرائع الشرك، لأن الشرك لما كان أمره عظيماً سد النبي ﷺ كل ذريعة وكل باب يوصل إليه.

وكلما كانت المعصية عظيمة كانت وسائلها أشد منعاً. الزنا مثلاً فاحشة، فوسائله من النظر والخلوة وما أشبه ذلك محرمة. وكذلك فإن الشرك أعظم الظلم كما سئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك)[٢]، فلما كان الناس يعظمون القبور نهاهم النبي ﷺ عن ذلك. فلما استقر الإيمان في قلوبهم أذن لهم فقال: ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة))[٣])[٤].

وقال ابن علان معللاً النهي ثم بعد ذلك الإذن "لقرب عهدهم بالجاهلية وكلماتها القبيحة التي كانوا يألفونها على القبور "فزورها" نسخ لذلك النهي لما تمهدت القواعد واتضحت الأحكام فعلموا ما ينفع وما يضر فحينئذٍ طلبها منهم وعللها كما في رواية أخرى بأنها تذكر الآخرة، أي لأنها ترق القلوب بذكر الموت وأحواله وما بعده، وأكد في تحفظهم على عادة الجاهلية كما صح ((ألا يقولوا هجراً))[٥] أي: باطلاً لأجل ما في ذلك من التذكير بالآخرة خلاف ما هنا، والقاعدة الأصولية أن الأمر بعد الحظر للإباحة على أنه اعتضد بتكرر زيارته ﷺ للأموات وبالإجماع على طلبها، بل حكى ابن عبدالبر عن بعضهم وجوبها)[٦].

وقال عبدالله البسام: (لما رسخت العقيدة في القلوب وفقهوا دينهم وعلموا معنى

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣/٤٥٢، ٤٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٠١، ومسلم ١٤٢، ٨٥.

(٣) أخرجه أحمد ٥/٣٥٥ رقم ٢٣٠٠٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٣٨/١١٤.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/٨٦٠.

(٥) أخرجه النسائي ٢٠٣٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٩٢٢).

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٥٦.

الزيارة نسخ تحريمها، ولم ينسخ إلى الإباحة، وإنما إلى الاستحباب وحكى النووي والموفق الإجماع على استحبابها للذكور دون الإناث)[(١)].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تحقيق الغاية من زيارة القبور بتذكر الآخرة والعمل لها:

علل النبي ﷺ الإذن في زيارة القبور بعد النهى بـ "أنها تذكر الآخرة" وفي حديث أبي هريرة: ((فإنها تذكر الموت))[(٢)] قال ابن عثيمين: (فرفع النبي ﷺ النهى وأباح الزيارة بل رغب فيها لقوله: "فإنها تذكر الآخرة")[(٣)].

وقد قال النبي ﷺ: ((وكُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عن زيارةِ القبورِ ثم بَدَا لِي فَزُوْرُوْهَا فإنَّهَا تُرِقُّ القلبَ وتُدْمِعُ العَيْنَ وتُذَكِّرُ الآخرةَ فَزُوْرُوْا وَلاَ تَقُوْلُوا هُجْراً))[(٤)].

قال عبدالله البسام: (إن الأمر بالزيارة قارنها بيان الحكمة منها وهو تذكرة الآخرة والزهد في الدنيا، وهذان مطلبان أساسيان في الإسلام، فإن الاعتبار والاتعاظ والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة أكبر معين للعبد على تقوى الله تعالى)[(٥)].

وقال الصنعاني: (الحكمة من زيارة القبور أنها للاعتبار، فإنه في لفظ ابن مسعود فإنها عبرة وذكرى للآخرة والتزهيد في الدنيا، فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعاً)[(٦)].

قال ابن عثيمين: (إن الإنسان ينبغي له أن يزور القبور في كل وقت في الليل والنهار في الصباح والمساء في يوم الجمعة وفي غير يوم الجمعة، ليس لها وقت محدد، كلما غفل قلبك واندمجت نفسك في الحياة الدنيا فاخرج إلى القبور وتفكر في هؤلاء القوم الذين

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٦٢/٢.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٦-٩٧٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ٨٦٠/١.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٧٦/١ رقم ٣٤٣٤، وقال محققه: حديث حسن صحيح، والهجر -بالضم- أي الفحش. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ح ش).

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٦٢/٢.

(٦) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ص ٣٣٦ بتصرف.

كانوا بالأمس مثلك على الأرض يأكلون ويشربون ويتمتعون والآن: أين ذهبوا؟ صاروا مرتهنين بأعمالهم لم ينفعهم إلا ما قدموا، كما أخبر بذلك النبي ﷺ حيث قال: ((يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاَثَةٌ. فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ. يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ. فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ))[1])[2].

ثالثاً- من آداب المدعو: الحرص على مباشرة كل عمل يذكره بالآخرة:

بيّن النبي ﷺ الغاية من زيارة القبور وهي التذكير بالآخرة (والذي يذكّر الآخرة ينبغي للإنسان أن يعمل به، لأن القلب إذا نسي الآخرة غفل واشتغل بالدنيا، فأضاع الدنيا والآخرة، لأن من أضاع الآخرة فقد أضاع الدنيا والآخرة)[3].

قال أبو عبدالله القرطبي: (قال العلماء: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية فعلى أصحابها أن يعالجوها بأمور:

أحدها: الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكير والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها.

الثاني: ذكر الموت فيكثر من ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات، وميتم البنين والبنات. قال رسول الله ﷺ ((أكثروا ذكر هاذم اللذات))[4].

قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها.

الثالث: مشاهدة المحتضَرين، فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته مما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الأجفان من النوم والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل ويزيد في الاجتهاد والتعب.

فهذه ثلاثة أمور ينبغي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥١٤ ومسلم ٢٩٦٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٨٦١.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١/٨٦٠.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٤٢٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٣٤).

ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغوائه. فإن انتفع بها فذاك وإن عظم عليه ران القلب[١] واستحكمت فيه دواعي الذنب فزيارة قبور الموتى تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول والثاني والثالث)[٢].

رابعاً- من أساليب الدعوة: النهي والأمر والتعليل:

أما النهي فقوله ﷺ: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور) وأما الأمر فقوله ﷺ: (فزوروها) فجاء الأمر ليلغي النهي السابق وينسخه، أما التعليل فقوله ﷺ: (فإنها تذكر بالآخرة) قال عبدالله البسام: (هذا هو العلة في مشروعية زيارة القبور، والعلة إذا نُصّ عليها فإنها تفيد ثلاث فوائد:

الثالثة: إمكان القياس على الحُكم المنصوص عليه بحُكم لم ينص عليه، بجامع العلة المشتركة بينهما، وفي هذا إثراء للفقه الإسلامي)[٣].

---

(١) ران القلب: الران: الغطاء والحجاب الكثيف. وما غطّى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب. الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٣٨٦.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي ١٢ – ١٣ بتصرف يسير.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٦٣/٢.

الحديث رقم (٥٨٢)

٥٨٢- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ -كلَّما كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رسول الله ﷺ- يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى البَقِيعِ، فَيقولُ: ((**السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَداً مُؤَجَّلُونَ، وَإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

البقيع [بقيع الغرقد]: هو المكان المتسع فيه أشجار مختلفة، وهو: مقبرة أهل المدينة، وهي اليوم داخل المدينة بجوار المسجد النبوي الشريف شرقاً[2].

مؤجلون: أي أتاكم ما مؤجلونه أنتم، والأجل: هو الوقت المضروب المحدد في المستقبل[3].

الغرقد: هو ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك[4].

الشرح الأدبي

قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (كَانَ رسول الله ﷺ) التعبير بكان يدل على أنه من عادته ﷺ زيارة القلوب في هذا التوقيت من الليل يؤكده قولها (كلما كان ليلتها) والفعل المضارع يدل على التجدد، والاستمرار واختيار آخر الليل للزيارة لأنه وقت السكينة، والخشوع، وقوله (السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) دار قوم منصوب على النداء أي يا أهل فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، أو منصوب على

(١) برقم ٩٧٤/١٠٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢٨٨ من رواية أبي هريرة.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٧٧.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤١٧/٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ر ق د).

الاختصاص، ويكمن البعد النفسي لخطاب الموتى بإلقاء السلام عليهم بالشعو بالتواصل معهم، واستشعار عالمهم مما يوقع في النفس الإحساس بقربه الأمر الذ يستلزم الإعداد له، ولذلك ذكَّر بقوله (غَداً مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ) والتعبير بالتأجيل يشير إلى موعد سبق تحديده وإيمان به يجب تجديده، والتقيي بالمشيئة على سبيل التبرك، وامتثال قول الله تعالى ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غد إلا إن يشاء الله﴾ أو أن المشيئة عائدة إلى الكون معهم في تلك التربة، ودعاؤه لهم رحم بهم، واستشعارا لفقرهم وحاجتهم إلى حسنة تأتيهم بعد أن صاروا إلى دار الجزاء الت ليس فيها كسب، وفيه تذكير للأحياء بالاجتهاد في الصالحات الباقيات قبل الفوات.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على زيارة القبور والدعاء لأهلها.

ثانيا: من آداب المدعو : زيارة القبور والالتزام بما جاء عن النبي ﷺ في ذلك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على زيارة القبور والدعاء لأهلها:

كان البقيع مقبرة من مات من الصحابة رضي الله عنهم لذلك كان النبي ﷺ يكث زيارته ويدعو لأهله من الموتى، وهذا واضح جليٌّ في الأحاديث. من ذلك قول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ، كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ، يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فإن لفظ "كلما" يدل على التعميم"[2].

وحديث بريدة رضي الله عنه "كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم..." كل هذا يدل على حرص النبي ﷺ على زيارة القبور والدعاء لأهلها"، وفي حديث لعائشة رضي الله عنها عند مسلم: أن جبريل ﷺ جاء إلى النبي ﷺ بالليل وقال له ((إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ))[3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٨٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٨٣، ٥٨٤).

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٩٦.

(٣) أخرجه مسلم ٩٧٤.

قال عبدالله البسام: (إن كان السلام على أهل البقيع، فيدخل فيه اللحاق بهم في البقعة، فإن النبي ﷺ دعا لأهل البقيع فقال: (اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد)، والدعوة شاملة للأولين والآخرين)[1].

قال ابن القيم: (كان ﷺ إذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم، وهذه هي الزيارة التي سنها لأمته وشرعها لهم وأمرهم أن يقولوا إذا زاروها: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية)[2]. وكان هديه ﷺ أن يقول ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت من الدعاء والترحم والاستغفار، فأبى المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به والإقسام على الله به، وسؤاله الحوائج، والاستعانة به، والتوجه إليه، بعكس هدية ﷺ، فإنه هدى توحيد وإحسان إلى الميت، وهدى هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت وهم ثلاثة أقسام: إما أن يدعوا الميت، أو يدعوا به، أو عنده، ويرون الدعاء عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد، ومن تأمل هدي رسول الله ﷺ وأصحابه، تبين له الفرق بين الأمرين)[3].

ثانياً- من آداب المدعو: زيارة القبور والالتزام بما جاء عن النبي ﷺ في ذلك:

قال عبدالله البسام: (يدل الحديثان [أي حديث بريدة وحديث ابن عباس] على السلام على الموتى من المسلمين والمؤمنين، وسؤال الله تعالى لهم العافية من عذاب القبر وعذاب النار. وعلى استحباب هذا الدعاء والقول لزائر القبور، فإن النبي ﷺ دعا به لأهل البقيع وعلمه عائشة أن تقوله... قال الشيخ صديق بن حسن في السراج الوهاج: وحاصل المسألة أن الزيارة للقبور سنة ثابتة قائمة تذكر الزائر الموت والآخرة، وهذا معظم مقصودها وغاية فعلها، ومن زار قبراً اي قبر كان، وفعل عنده ما لم يرد به دليل من كتاب وسنة صحيحة فقد خالف السنة المطهرة وعكس القضية) اهـ كلامه.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٧٨/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٩٧٥.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٢٦/١-٥٢٧.

والدعاء هنا مناسب للزائر وللموتى. أما الزائر فهو يسأل الله لنفسه العافية من أمراض الأبدان وأمراض القلوب التي هي أشد ضرراً من أمراض الأبدان. وأما الموتى فهو يدعو لهم بالسلامة والعافية من العذاب ويسأل الله تعالى لهم الرحمة والمغفرة[(١)].

وقال القرطبي: (أما زيارة القبور فوجودها أسرع والانتفاع بها أليق من الاعتبار بحال المحتضرين وأجدر، فينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها ويحضر قلبه في إتيانها ولا يكون حظه منها الطواف على الأجداث فقط، فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة.

ونعوذ بالله من ذلك بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى وإصلاح فساد قلبه أو نفع الميت بما يتلوه عنده من القرآن... ويجتنب المشي على المقابر والجلوس عليها إذا دخل المقابر ويخلع نعليه كما جاء في أحاديث[(٢)]، ويسلم إذا دخل المقابر ويخاطبهم خطاب الحاضرين فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، كذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول: وكنى بالدار عن عمارها وسكانها، ولذلك خاطبهم بالكاف والميم، لأن العرب تعبر بالمنزل عن أهله، وإذا وصل إلى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه أيضاً فيقول: عليك السلام... وليأته من تلقاء وجهه في زيارته كمخاطبته حياً، ولو خاطبه حياً لكان الأدب استقباله بوجهه، فكذلك ههنا)[(٣)].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الاعتبار بزيارة القبور والاستعداد للموت:

إنما شرعت زيارة القبور للاعتبار والاستعداد للموت، وقد وضح النبي ﷺ ذلك بقوله فإنها "تذكر الآخرة"[(٤)] وقال ﷺ كذلك: "فإنها تذكر الموت"[(٥)].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٧٨/٢ - ٥٧٩.

(٢) ورد حديث الأمر بخلع النعال عند أبي داود ٣٢٣٠، وابن ماجه ١٥٦٨ من حديث بشير بن الخصاصية وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٧٤)، وهناك أحاديث يفهم منها جواز لبس النعلين وعدم خلعهما. انظر في الجمع بين هذه الأحاديث المجموع شرح المهذب للنووي، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٢٠٥/٥.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، القرطبي ص ١٣، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٠٢/٥، ٢٠٥، والمغني لابن قدامة تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي والدكتور عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٧/٣-٥٢٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٨/٢٤-٩٠.

(٤) أخرجه أحمد ٣٥٥/٥ رقم ٢٣٠٠٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١١٤/٣٨.

(٥) أخرجه مسلم ٩٧٦.

قال عبدالله البسام: (قوله: "وإنا إن شاء الله بكم لاحقون" يدل على أنه يستحب للإنسان أن يوطن نفسه على هذا المستقبل، وأنه لاحِقٌ بهؤلاء الأموات حتى يستعد، فإن في الموت موعظة وذكرى)[1].

قال أبو عبدالله القرطبي عن زائر القبور: (ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الأهل والأحباب بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ودرج من أقرانه الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال كيف انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم أموالهم ومحا التراب محاسن وجوههم وافترقت في القبور أجزاؤهم وترمل بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتم أولادهم واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم، وليتذكر ترددهم في المآرب، وحرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمواتاة الأسباب وركونهم إلى الصحة والشباب، وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم، وأنه لابد صائر إلى مصيرهم وليحضر بقلبه ذكر من كان متردداً في أغراضه وكيف تهدمت رجلاه، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه ويضحك لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه وليتحقق أن حاله كحاله ومآله كمآله.

وعند هذا التذكر والاعتبار يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ويقبل على الأعمال الأخروية فيزهد في دنياه ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه وتخشع جوارحه)[2].

وقال الحسن البصري: (كان رجل من المسلمين يبلغه موت أخ من إخوانه فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون كدت والله أن أكون أنا السواد[3] المختطف فيزيده الله بذلك جداً واجتهاداً فيلبث بذلك ما شاء الله ثم يبلغه موت الأخ من أخوانه فيقول: إنا لله وإنا إليه

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٧٩/٢.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، القرطبي ص ١٣- ١٤.

(٣) السواد: الشخص. الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٤٦١.

راجعون كدت والله أن أكون أنا السواد المختطف، فيزيده الله بذلك جدًّا واجتهاداً. فردّد الحسن هذا الكلام غير مرّة فوالله ما زال كذلك حتى مات موتاً كيساً)[١].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

أما الإخبار فقول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ، كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ، يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: ((السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَومٍ مُؤمِنِينَ وأتانا ...))، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مرّ رسول الله ﷺ بقبور بالمدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: ... وقد استخدم الإخبار كثيراً جداً في نقل أحوال النبي ﷺ من قِبل الصحابة رضي الله عنهم، ليقتدي بها المدعوون ويطبقوها في حياتهم[٢].

خامساً- من وسائل الدعوة: التعليم:

التعليم من وسائل الدعوة التي يفيد منها الداعية في تعامله مع المدعوين، وهذا واضح من قول بريدة رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: ((السلامُ عَلَيْكُمْ أهلَ الديارِ من المؤمنينَ والمسلمينَ، وإنَّا إنْ شاءَ الله بكُمْ للاحقونَ، أسأل الله لنا ولكم العافيةَ)). وفي رواية لمسلم من حديث طويل أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.

قال القاضي عياض: وفي الحديث تعليمه ﷺ لعائشة رضي الله عنها ما تدعو به لأهل القبور، وتعليمه ذلك للناس ما يجب امتثاله واختياره من الدعاء المنصوص لهم[٣].

---

(١) الزهد، أحمد بن حنبل، ٢٧٠.

(٢) انظر فهارس كتب الأحاديث، مثل فهرس مسند أحمد بن حنبل ٤٨/١٤٥-٢٤٧، وموسوعة أطراف الحديث النبوي ٦/٣-٢٨٥.

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣/٤٤٩، ٤٥٠.

وقد استخدم النبي ﷺ وسيلة مرات ومرات، من ذلك التشهد في الصلوات. فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: علمني رسول الله ﷺ التشهد كفي بين كفيه، كما يعلمني السورة من القرآن[١]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن"[٢] ومن هذا القبيل أيضاً دعاء الاستخارة فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن"[٣]، قال ابن حجر: (وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٦٥، ومسلم ٤٠٢.

(٢) أخرجه مسلم ٤٠٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٨٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١٩٠ وانظر: الدعوة الإسلامية: الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان: ٧٥.

الحديث رقم (٥٨٣)

٥٨٣- وعن بريدة رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُهُمْ إذَا خَرَجُوا إِلَى المَقَابِرِ أنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: ((**السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أهلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسلمينَ، وَإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ**[١] **للاَحِقونَ، أسْألُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ**)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨٦).

غريب الألفاظ:

العافية: السلامة من البلايا[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث بيان عملي لكيفية التفاعل مع أهل العالم الآخر بما يجعلنا نشعر بهم ونشعر بعالمهم ذلك العالم المخيف الذي سيصير عالمنا بعد قليل فنشعر بالإنس بدعاء الصالحين، وهداياهم من الصالحات، وقوله (أن يقول قائلهم) فيه جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى تجاوبهم مع إخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان وقوله : (السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أهلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسلمينَ) وعموم الأموات بالسلام استشعار لحاجتهم، ودعاء بسلام روحي يعم المؤمنين، ويتدرج إلى المسلمين ليشمل قطاعا أكبر قد يكون أكثر حاجة إلى تلك الدعوة ممن أعلى منهم رتبة من المؤمنين، وقوله (وَإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ للاَحِقونَ) تقديم الجار والمجرور (بكم) يفيد التخصيص، وتوكيد العبارة تمهيد للنفس النافرة من الفكرة التي تنقبض منها النفوس التي ألفت الدنيا، وتعظيم للخبر بما يليق بجلال الموقف وقوله (أسْألُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ) بدايته بالدعاء للأحياء وهو

---

(١) (بكم) لا توجد عند مسلم، وهي من الجمع للحميدي ١/٢٧٤، رقم ٦٠١.

(٢) برقم ١٠٤/٩٧٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ف و).

فيهم أقرب لإجابة الدعوة من تقديم الأموات، ويستحب أن يجمع الإنسان بينه، وبين إخوانه في الدعاء لأن صلاح بعضهم ينفع بعضاً، والتعبير بالعافية يستوعب السلامة من كل الآفات للأحياء ومن الذنوب وتبعاتها للأموات.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٨٤)

٥٨٤- وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مرَّ رسول الله ﷺ بقُبورٍ بالمدينَةِ فَأقْبَلَ عَلَيْهِمْ بوَجْهِهِ، فَقَالَ: ((**السَّلامُ عَلَيكُمْ يَا أهْلَ القُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحنُ بالأثَرِ**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

سلف الإنسان: من تقدمه بالموت من الآباء وذوي القربى[2].

ونحن بالأثر: أي تابعون لكم من ورائكم لاحقون بكم[3].

الشرح الأدبي

يبدو أن السلام على الأموات في هذا الحديث كان عرضيا، ولم يكن يقصد الزيارة بل كان ماراً عليهم دون قصد يدل على ذلك التعبير بالمرور، وهو فعل السائر العابر كما أنه نكَّر كلمة قبور، وقوله (أقبل عليهم بوجهه) يشير إلى أنه لم يكن متوجها إليه أصلا، وإنما التفت بغرض السلام، كما أنه ناداهم بلفظ أهل، وأضافهم للقبور، ولم يضفهم للمؤمنين، وفي الحديث السابق ناداهم بأهل الديار، وأضافهم للمؤمنين، لأن من بالبقيع من المؤمنين معروفا للرسول ﷺ بعكس غيرهم، ثم إنه في هذا الحديث دعا لهم بالمغفرة، وهناك دعا لهم بالعافية، والعافية أكثر شمولا من المغفرة لأنها تستلزم النجاة من كل مخيف، وقوله (أنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحنُ بالأثَرِ) التعبير بالسالف تشير إلى عموم السابق وقوله (ونحن بالأثر) أي خلفكم دون تخصيص اللحوق

(١) برقم ١٠٥٣ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١١٢/١.

(٣) المرجع السابق ١١٢/١.

بهم هم خاصة، وفي الحديث السابق خصص اللحوق بهم في قوله (وَإنَّا إنْ شَاءَ اللّهُ بكُمْ لاَحِقُونَ) لما علم من حال هؤلاء من المؤمنين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٨٤- مع المضامين للحديث رقم (٥٨٢، ٥٨٣).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

أحوال الناس في التعامل مع الموتى مختلفة، فمنهم المقدس لهم، ومنهم الجاحد لآثارهم ومنهم المتبع لهدي نبيه ﷺ، الذي لم يقدس لهم ولم يجحد ذكرهم وإنما جعلهم مصدر عبرة وعظة وأذن بزيارة القبورومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالممارسة العملية:

إن من أهم الأساليب التربوية التربية بالممارسة العملية، ولقد كان النبي ﷺ نموذجًا حيًا في التطبيق والممارسة العملية، ففي هذا الباب -استحباب زيارة القبور- جاء في أحاديثه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قال: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللّهِ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَىٰ الْبَقِيعِ. فَيَقُولُ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ رَسُولُ اللّه ﷺ بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ. فَأَقْبَلَ عَلَيهِمْ بِوَجْهِهِ فقَالَ «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ ...». وهذا تطبيق عملي في زيارة القبور، وهذه الممارسة العملية تؤثر في نفس المتربي.

"إن أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة، والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية، والدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم، وقائمًا على أساسه، ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة أو ما يتعلق بشؤون الحياة الدنيا، ولقد اهتم الرسول ﷺ باستخدام أسلوب الممارسة العملية والتطبيق العملي لكل تعاليم الإسلام، على شخصه أولاً، وفي تربيته لصحابته ثانيًا"[1].

ثانيًا- أهمية التعليم والتلقين في التربية:

إن التعليم والتلقين من الأمور المهمة في مجال التربية، وفي أحاديث الباب ما يشير

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، مرجع سابق، ص١٧٧-١٧٩.

إلى أن النبي ﷺ كان يحرص على تعليم أصحابه وتلقينهم، فعن بريدة رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: السلام عليكم أهل الديار..."، وعلى المربي استصحاب التلقين في تربية النشء، وتعليمه ما يجهل.

"إن التربية بالموعظة والتلقين هي الطريقة التربوية التي يتحمل فيها الآباء والمربون وحدهم عبء الكلام، والأولاد مستمعون فقط لكنهم واعون لما يستمعون، يتلقون النصائح ويعملون بها، وهذه الطريقة في التربية قديمة قِدَم الإنسان نفسه فقد ارتبطت بالتعليم منذ أقدم العصور، على أساس أن المربي هو الشخص الذي يمتلك المعرفة، والمتعلمون ينتظرون أن يتلقوا بعضًا مما عنده، بهدف إفادتهم ونموهم السوي في كل جوانب حياتهم" [1].



(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١٩٥.

٦٧- باب كراهة تمنّي الموت بسبب ضُرّ نزل بِهِ وَلاَ بأس بِهِ لخوف الفتنة في الدين

الحديث رقم (٥٨٥)

٥٨٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**لا يَتَمَنَّ**[١] **أحَدُكُمُ المَوْتَ، إمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢]، وهذا لفظ البخاري.

وفي رواية لمسلم[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**لاَ يَتَمَنَّ**[٤] **أحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلاَ يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَهُ؛ إنَّهُ إِذَا مَاتَ**[٥] **انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإنَّهُ لاَ يَزِيدُ المُؤمِنَ عُمُرُهُ إلاَّ خَيْراً**)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) لفظ البخاري: (لا يتمنى)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه. قال الحافظ في الفتح ٨٢/١٧: كذا للأكثر بلفظ النفي، والمراد به النهي، أو هو للنهي، وأشبعت الفتحة، ووقع في رواية الكشميهني: (لا يتمنين) بزيادة نون التأكيد.

(٢) ليس هذا اللفظ متفق عليه، بل أخرجه البخاري ٧٢٣٥ وحده. قال الحميدي في جمعه ٢٠٨/٣، رقم ٢٤٥٦: كذا أخرجه البخاري من حديث أبي عبيد، عن أبي هريرة. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٣٢.

(٣) برقم ٢٦٨٢/١٣ من حديث همام بن منبه، عن أبي هريرة. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٣٢.

تنبيه: هذا الحديث أورده الحميدي في جمعه ٢٠٨/٣، رقم ٢٤٥٦ في المتفق عليه، وعزا اللفظ الأول إلى البخاري وحده، واللفظ الثاني إلى مسلم، ففهم المؤلف منه أن اللفظ الأول المتفق عليه، وليس كذلك. وقد يكون المؤلف تبع فيه المنذري في ترغيبه حيث قال: رواه البخاري واللفظ له، ومسلم، ثم قال: وفي رواية لمسلم. فذكره.

(٤) لفظ مسلم: (لا يتمنى) في المطبوع، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨٢/١٧ ووقع في رواية همام الذي أخرجها مسلم: (لا يتمنَّ).

(٥) عند مسلم زيادة: (أحدكم) وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه.

الشرح الأدبي

الحياة هبة من الله وهبها للإنسان، وهو إذا شاء استردها، وليس لإنسان حق في إنهاء هذه الحياة بل، ولا تمنيها وقد جاء نهي النبي ﷺ (لاَ يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلاَ يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ) نهيا عاما عن تلك الأمنية التي تخالف ما قدر الله للعبد، وقد أخذ النهي عمومه من الفاعل (أحد) المضاف لكلف الخطاب، وميم الجمع التي تجعل الجميع تحت مظلة الحكم، كما نهى عن الدعاء بها لأن الأمنية حركة القلب بالرغبة، وإذا قويت تحولت إلى دعاء باللسان فتوافق مع القلب فيها، فإذا مات على هذه الحال مات على معصية لله بمخالفة رسوله ﷺ، وقد علل للنهي بقوله (إِنَّهُ إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلاَّ خَيْراً) وقد بدأ الخبر بالتوكيد بحرف التوكيد، وضمير الشأن المؤذن بتفخيم ما بعده تعظيماً له، وتأكيدا للنفس التي ضجرت من الحياة، وملت البقاء أنه قد يكون خيراً لها لأنه بموته انقطع عمله، والمؤمن يزداد خيرا بكل يوم يعيشه، وإن لم يستطع الحركة فإن الله يجري عليه أجره من العبادات التي كان يؤديها في صحته.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم تمني الموت والدعاء به: اتفق الفقهاء على أنه يكره للمرء تمني الموت لضر أصابه في بدنه، أو ضيق في دنياه، أو محنة من عدو، أو نحو ذلك، فإن خالف ولم يصبر على بلواه فيقل: (اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي).

كما اتفقوا على أنه لا يكره تمني الموت لخوف فتنة في دينه، أو لغرض أخروي كتمني الشهادة في سبيل الله، أو بمكان شريف نحو مكة المشرفة أو المدينة المنورة، بل يندب ذلك، وقد فعله كثير من السلف[(١)].

(١) الجوهرة النيرة ٣٩٩/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٣٥٠/٣، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٠٦/٥-١٠٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٧٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٩٣/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اغتنام الحياة ولحظات العمر في الاستزادة من الإحسان والتوبة والإنابة إلى الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الصبر واحتساب الأجر عند الله تعالى لكل ما يصيب الإنسان.

رابعًا: من مهام الداعية: توجيه المدعو وإرشاده إلى ما ينبغي عليه فعله عند الشدائد.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والتوكيد والقصر.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

وهذا واضح في قوله ﷺ "لا يتمن أحدكم الموت" وفي قوله "لا يتمنين أحدكم الموت". وذلك لينهى عن تمني الموت، وأكد ذلك بأن أدخل نون التوكيد على الفعل المنهي "لا يتمنين" والنهي أسلوب مباشر لطلب الامتثال والانقياد، وقد أفاد في هذا الحديث عدم تمني الموت لما في ذلك من مصلحة للمؤمن.

لأن الحياة هبة من الله تعالى، حدد سبحانه بدايتها ونهايتها، هو المتصرف فيها كيف يشاء، لذا فإن على الإنسان ألا يتمنى الموت بسبب لحقه إلا أن يكون خوفاً على دينه، وذلك واضح في قوله ﷺ: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه"، قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أنه لا يجوز أن يتمنى الموت أحدٌ من أجل ضيق نزل به. لأن طلبه الموت فرار من قدر الله)[1].

وقال النووي: (فيه التصريح بكراهة تمني الموت لضر نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما إذا خاف ضرراً في دينه أو فتنة فيه فلا كراهة فيه لمفهوم هذا الحديث وغيره. وقد فعل هذا الثاني خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم)[2].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٥١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٨٥.

وقال ابن حجر: (لأن في التمني المطلق نوع اعتراض ومراغمة للقدر المحتوم... فإن وجد الضر الأخروي بأن خشي فتنة في دينه لم يدخل في النهى، ويمكن أن يؤخذ ذلك من رواية ابن حبان: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به في الدنيا")[١]. على أن "في" في هذا الحديث سببية: أي بسبب أمر من الدنيا[٢]. وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: ((وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون))[٣].

وقال أبو عبدالله القرطبي: (وروى عن سهل عن عبدالله التستري أنه قال: لا يتمنى الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل بما بعد الموت أو رجل يفر من أقدار الله تعالى عليه أو مشتاق محب لله عز وجل)[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: اغتنام الحياة ولحظات العمر في الاستزادة من الإحسان والتوبة والإنابة إلى الله تعالى:

إن الحياة هي دار العمل، فالعاقل من اغتنم لحظاتها وأوقاتها بالاستزادة من العمل الصالح أو التوبة من الذنوب، ولهذا نهى النبي ﷺ عن تمني الموت. وهذا واضح في قوله ﷺ: "لا يتمن أحدكم الموت إما محسناً فلعله يزداد وإما مسيئاً فلعله يستعتب"، وفي رواية أخرى: "وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً".

قال أبو عبدالله القرطبي: (قوله "لعله أن يستعتب": الاستعتاب طلب العتبى وهو الرضى، وذلك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب، قال الجوهري: استعتب، طلب أن يعتب، تقول: استعتبته فأعتبني: أي استرضيته فأرضاني)[٥].

وقال ابن هبيرة: (ويستعتب: يستفعل من العتبى، فكأنه أشار إلى أنه حيث كان في الإساءة، فإن العتاب متوجه إليه، فلا ينبغي أن يتمنى الموت، فلعله يستعتب، اي يتوب

---

(١) صحيح ابن حبان ٢٩٦٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٢/١٠ بتصرف، وانظر: التذكرة في أحوال الموتى، القرطبي ص ٤، ٥.

(٣) أخرجه الترمذى ٣٢٣٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٨٢).

(٤) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، القرطبي ص ٥.

(٥) المرجع السابق ٥.

إلى ربه ويعود إلى استعطاف المالك المقتدر للعبد الضعيف الجاهل)[١].

وقال ابن حجر: (فيه إشارة إلى أن المعنى في النهي عن تمني الموت والدعاء به هو انقطاع العمل بالموت، فإن الحياة يتسبب منها العمل، والعمل زيادة الثواب ولو لم يكن إلا استمرار التوحيد فهو أفضل الأعمال، ولا يرد على هذا أنه يجوز أن يقع الارتداد والعياذ بالله تعالى عن الإيمان، لأن ذلك نادر والأيمان بعد أن يخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد، وعلى تقدير وقوع ذلك -وقد وقع لكن نادراً- فمن سبق له في علم الله خاتمة السوء فلا بد من وقوعها طال عمره أو قصر، فتعجيله لطلب الموت لا خير له فيه ... ووقع في رواية همام عن أبي هريرة عند أحمد ومسلم "وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً)[٢].

واستشكل بأنه قد يعمل السيئات فيزيد عمره شراً. وأجيب بأجوبة: أحدها: حمل المؤمن على الكامل وفيه بعد. والثاني: أن المؤمن بصدد أن يعمل ما يكفر ذنوبه إما من اجتناب الكبائر وإما من فعل حسنات أخر قد تقاوم بتضعيفها سيئاته. وما دام الإيمان باق فالحسنات بصدد التضعيف والسيئات بصدد التكفير. والثالث: يفيد ما أطلق في هذه الرواية بما وقع في رواية الباب من الترجي، حيث جاء بقوله "لعله" والترجي مشعر بالوقوع غالباً لا جزماً، فخرج مخرج تحسين الظن بالله وأن المحسن يرجو من الله الزيادة بأن يوفقه للزيادة من عمله الصالح وأن المسيء لا ينبغي له القنوط من رحمة الله ولا قطع رجائه. أشار إلى ذلك شيخنا (أي الحافظ العراقي) في "شرح الترمذي")[٣].

وقال ابن تيمية: (المؤمن دائماً في نعمة من ربه تقتضي شكراً، وفي ذنب يحتاج إلى استغفاره)[٤].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٣٢/٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٨٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٦/١٠. وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥١/٥، ٢٣٢/٨.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٦٩/٨.

وقال العز بن عبدالسلام: (الحرص على الحياة إن كان لإكثار الطاعات، فيا حبذا ذلك الحرص، لأن طول عمر المؤمن لا يزيده إلا خيراً، إما محسن فيستكثر، وإما مسيء فيستعتب، وإن كان لإكثار المخالفات فما أقبحه من حرص، وإن كان لنيل الشهوات المباحات، فهو شاغل عن تكثير الحسنات ورفع الدرجات)[(١)].

وقال ابن عثيمين: (والمؤمن يجب عليه الصبر إذا أصابته الضراء، فإذا صبر نال شيئين مهمين: الأول: تكفير الخطايا، فإن الإنسان لا يصيبه همٌّ ولا غم ولا أذى ولا شيء إلا كفّر الله به عنه حتى الشوكة يشاكها، فإنه يكفر بها عنه.

الثاني: إذا وفق لاحتساب الأجر من الله وصبر يبتغي بذلك رحمة الله، فإنه يثاب، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(٢)].

أما كونه يتمنى الموت، فهذا يدل على أنه غير صابر على ما قضى الله عز وجل ولا راضٍ به، وبيّن الرسول ﷺ أنه إما أن يكون من المحسنين، فيزداد في بقاء حياته عملاً صالحاً. ومن المعلوم أن التسبيحة الواحدة في صحيفة الإنسان خير من الدنيا وما فيها، لأن الدنيا وما فيها تذهب وتزول والتسبيح والعمل الصالح يبقى. قال الله عز وجل: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[(٣)] فأنت إذا بقيت ولو على أذى ولو على ضرر، فإنك ربما تزداد حسنات. وإما مسيئاً قد عمل شيئاً، فلعله يستعتب أي يطلب من الله العتبى أي الرضا والعذر، فيموت وقد تاب من سيئاته، فلا تتمن الموت لأن الأمر كله مقضيٌّ، وربما يكون في بقائك خير لك أو خير لك ولغيرك، فلا تتمن الموت، بل اصبر واحتسب، فإن الله سيجعل بعد عسر يسرا)[(٤)].

---

(١) شجرة المعارف والأحوال ١٢٣.

(٢) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/٨٦٣-٨٦٤.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة : الصبر واحتساب الأجر عند الله تعالى لكل ما يصيب الإنسان:

إذا نزل بالمؤمن ضرٌّ، فإن عليه أن يصبر ويحتسب الأجر عند الله تعالى، وذلك واضح من قول النبي ﷺ "لا يتمن أحدكم الموت" وقوله ﷺ: "لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَاعِلا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي".

قال النووي: (فيه التصريح بكراهة تمنى الموت لضر نزل به من مشاق الدنيا ... وفيه أنه إن خالف ولم يصبر على حاله في بلواه بالمرض ونحوه فليقل: "اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي ...". والأفضل الصبر والسكون للقضاء)[1].

وقال ابن حجر: (وهذا يدل على أن النهى عن تمني الموت مقيد بما إذا لم يكن على هذه الصيغة، لأن في التمني المطلق نوع اعتراض ومراغمة للقدر المحتوم. وفي هذه الصورة المأمور بها نوع تفويض وتسليم للقضاء. وقوله: "فإن كان ..."، فيه ما يصرف الأمر عن حقيقته من الوجوب أو الاستحباب، ويدل على أنه لمطلق الإذن، لأن الأمر بعد الحظر لا يبقى على حقيقته)[2].

قال عبدالله البسام: (يدل الحديث وأمثاله على وجوب الصبر وحكاه شيخ الإسلام إجماعاً، وقال: إن الثواب على المصائب معلق على الصبر عليها، وأما الرضا فمنزلة فوق الصبر. فإنه يوجب رضا الله عز وجل، والصبر حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها والشكوى إلى الله تعالى لا تنافي الصبر، وهي مطلوبة شرعاً مندوب إليها إجماعاً ومن شكا إلى الناس وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله لم يكن ذلك جزعاً وجاز)[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٨٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٣/١١.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٦٨/٢.

وقال السعدي في شرحه لحديث الباب: (هذا نهي عن تمني الموت للضر الذي ينزل بالعبد، من مرضٍ أو فقر أو خَوْف أو وقوع في شدة ومهلكة أو نحوها من الأشياء، فإن في تمني الموت لذلك مفاسد منها: أنه يؤذن بالتسخط والتضجر من الحالة التي أصيب بها، وهو مأمور بالصبر والقيام بوظيفته والصبر ينافي ذلك.

ومنها أنه يضعف النفس ويحدث الخور والكسل ويوقع في اليأس. والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به. وذلك موجب لأمرين: اللطف الإلهي لمن آتى بالأسباب المأمور بها. والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه.

ومنها أن تمنى الموت جهل وحمق، فإنه لا يدري ما يكون بعد الموت، فربما كالمستجير من الضرّ إلى ما هو أفظع منه، من عذاب البرزخ وأهواله.

ومنها أن الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها والقيام بها، وبقية عمر المؤمن لا قيمة له، فكيف يتمنى انقطاع عملٍ، الذرة منه خيرٌ من الدنيا وما عليها؟! وخصّ من هذا العموم قيامه بالصبر على الضرّ الذي أصابه، فإن الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب)(١).

رابعًا- من مهام الداعية: توجيه المدعو وإرشاده إلى ما ينبغي عليه فعله عند الشدائد:

إن الداعية بما عنده من علمٍ يوجه المدعوين ويرشدهم إلى ما ينبغي عليهم فعله عند الشدائد والمصائب، وقد نهى النبي ﷺ عن تمني الموت بسبب ضر دنيوي فإنه كان لابد من تمني الموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي.

قال عبدالله البسام: (هذا هو الرخصة، ذلك أن الدنيا دار ممر والأخرى هي المقر، فلا يعلم المبتلى في بدنه أو ماله أو جاهه أو غير ذلك أن ذلك خير له في أخراه إذا صبر واحتسب... فهذا الدعاء لمن أراد تمني الموت تفويض الأمر إلى الله تعالى، فهو جلّ وعلا الذي يعلم مصالح العبد وما هو أولى به في الحياة أو الموت)(٢).

---

(١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص ٢٥١-٢٥٢، نقلاً عن الدعاء مفهومه وأحكامه ص ٧٠-٧١.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٤٦٧ - ٤٦٨.

ومن هذا القبيل ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله واصبري، فقالت إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى"[١].

ومن هذا القبيل أيضاً ما رواه عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ((ألا أُريكَ امرأةً من أهل الجنة؟ قلت: بَلى. قال: هذهِ المرأة السوداءُ أتتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أُصرَعُ وإني أتكشَّفُ، فادعُ الله لي. قال: إن شِئتِ صَبرتِ ولكِ الجنة، وإن شِئتِ دَعَوتُ الله أن يُعافيكِ. فقالت: أصبرُ. فقالت: إني أتكشفُ، فادعُ الله لي أن لا أتكشفَ، فدعا لها))[٢].

قال ابن حجر: (في الحديث فضل من يصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة. وأن الأخذ بالشدة، أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة)[٣].

وقد قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)[٤].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والتوكيد والقصر:

الترغيب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يتمن أحدكم الموت إما محسناً فلعله يزداد وإما مسيئاً فلعله يستعتب). فقد رغب صلى الله عليه وسلم في عدم تمني الموت، نظراً لما في ذلك من خير للمسلم وقد أكّد هذا الترغيب بالتوكيد، "إنه إذا مات انقطع عمله"، وزاده توكيداً بأسلوب القصر: "وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً".

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٣، ومسلم ٩٢٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٥٢، ومسلم ٢٥٧٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٠.

(٤) أخرجه البخاري ٧١٩٩، ٧٢٠٠، ومسلم ١٧٠٩.

الحديث رقم (٥٨٦)

٥٨٦- وعن أنسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ أصَابَهُ، فَإنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أحْيِني مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَت الوَفَاةُ خَيراً لي)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه من حيث الموضوع مع اختلاف بسيط في المعنى، وفي الأسلوب حيث جاء الفعل المنهي عليه مؤكدا تشديدا في النهي، وذكر العلة الباعثة على تمني الموت (لضر أصابه) وقد وضع له علاجا نفسيا يستل من نفسه هذا الشعور اليائس، وهو حمل الأمر في الدعاء على علم الله بالخير الراجح في الحياة أو في الممات وقد صاغ المعنى في ثوب الشرط الذي يعلق الجزاء على الفعل، وقد استخدم أداة الشرط (إن) الدالة على عدم تحقق الشرط؛ لأن إقدام المسلم على هذا الأمر مستبعد لخوفه من الله، وقوله (لا بد) يشير إلى الاضطرار، والتعبير باسم الفاعل الدال على الثبوت، والدوام يؤكده، ويشير إلى أنه ليس له فكاك مما هو فيه إلا بالموت، وقوله (فليقل) أمر في جواب الشرط للتوجيه، والإرشاد إلى القول الذي يرضي الله تعالى ولا يخرج به إلى الحد المنهي عنه، وقوله (اللَّهُمَّ أحْيِني مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَت الوَفَاةُ خَيراً لي) وهو حمل للدعاء على ما في علم الله من الخير العاجل، والآجل، وتفويض له لا يخرج عن سمت الإيمان، وهو علاج نفسي يقرب العبد من ربه.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري ٥٦٧١ واللفظ له، ومسلم ٢٦٨٠/١٠، أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٣٣. وتقدم برقم ٤٠.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٠).

الحديث رقم (٥٨٧)

٥٨٧- وعن قيسِ بن أَبي حازم، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى خَبَّاب (بن الأرَتِّ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نَعُودُهُ وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَقَالَ: إنَّ أَصْحَابَنَا الَّذينَ سَلَفُوا مَضَوْا، وَلَمْ تَنْقُصهُمُ الدُّنْيَا، وَإنَّا أصَبْنَا مَا لاَ نَجِدُ لَهُ مَوْضِعاً إلاَّ التُّرَابَ، وَلولا أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا أنْ نَدْعُوَ بالمَوْتِ لَدعَوْتُ بِهِ. ثُمَّ أتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَهُوَ يَبْنِي حَائِطاً لَهُ، فَقَالَ: إنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إلاَّ فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ رواية البخاري.

ترجمة الراوي:

خباب بن الأرت: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤١).

غريب الألفاظ:

سلفوا: تقدموا وسبقوا[2].

مضوا: ماتوا[3].

لم تنقصهم الدنيا: أي لم تنقص أجورهم بمعنى أنهم لم يتعجلوها في الدنيا بل بقيت موفرة لهم في الآخرة[4].

وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب: أي الإنفاق في البنيان أو ما أصابوه من المال[5].

الشرح الأدبي

الحديث يروي قصة عملية في الصبر على قضاء الله في المرض عن خباب بن الأرت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقول الراوي (نعوده) يشير إلى أنهم مجموعة كما أن التعبير بالعيادة يشير إلى

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٧٢ واللفظ له، ومسلم ٢٦٨١/١٢ مختصرًا. أورده المنذري في ترغيبه ٢٧٩٩ من رواية الترمذي.

(٢) الوسيط. مجمع اللغة العربية في (س ل ف).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٤/١٠.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٦١.

معنى التكرار، والتفقد، وقوله (وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ) يشير إلى مدى المعاناة التي عاناها هذا الصحابي في مرضه والتي أكدها الجناس بين قوله اكتوى، وكيات، وقوله (إنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا، وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا) يقصد بهم الصحابة، وما لاقوا في عهد النبي ﷺ من شدة، وعناء وفقر، وأنهم لم يتمتعوا كما تمتعوا هم بعد الفتوحات وقوله (وَإنَّا أصَبْنَا مَا لاَ نَجِدُ لَهُ مَوْضِعاً إلاَّ التُّرَابَ) كناية عن كثرة المال، والمقصود بالتراب البناء، وقوله (وَلولا أنَّ النبي ﷺ نَهَانَا أنْ نَدْعُوَ بالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بهِ) لولا حرف امتناع لوجود أي امتناع التمني لوجود النهي، والعبارة تعكس ما هو فيه من عناء وتعب، مع خوفه من الانشغال بالدنيا، وقول الراوي (ثُمَّ أتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَبْني حَائِطاً لَهُ) التعبير بثم يشير إلى فترة زمنية فرقت بين الزيارة الأولى، والثانية، وبين قوله ندعوا، وقوله لدعوت جناس يؤكد المعنى المراد ويقرر وقوفه عند نهي رسول الله ﷺ، وعدم تخطيه وقوله (إنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إلاَّ فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ في هَذَا التُّرَابِ) أكد الكلام بكثير من المؤكدات لتعظيم الخبر، وصرف المخاطبين للعناية به، والعبارة تقرر أن المؤمن لا يؤجر في البناء الزائد عن الحاجة بينما يؤجر في كل نفقة ينفقها في غيره.

فقه الحديث

٢-حكم التداوي بالكي: اختلف الفقهاء في حكم التداوي بالكي بالنار، فذهب الجمهور إلى جواز ذلك إذا دعت إليه حاجة أو ضرورة، وكان يقول أهل الخبرة بينما ذهب المالكية في قول ورواية عن الحنابلة إلى كراهة ذلك، لأن الكي فيه تعذيب بالنار، ولا يعذب بالنار إلا رب النار تبارك وتعالى[(١)].

---

(١) شرح معاني الآثار ٤٨٢/٥ وما بعدها، وحاشية الصاوي ٢٩٨/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب. زكريا بن محمد الأنصاري ٢٤١/٥، والفروع، ابن مفلح ١٧٧/٣. وانظر الموسوعة الفقهية. وزارة الأوقاف الكويتية ١١٨/١١.

المضامين الدعوية

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان حال الصحابة رضي الله عنهم ممن ماتوا ولم يدركوا حظاً من الدنيا، ومن عاشوا وأدركوا حظهم منها.

ثالثاً: من آداب المدعو: عدم الدعاء بما نهى النبي ﷺ من الدعاء به.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عيادة المريض:

عيادة المريض من الآداب التي حضّ عليها الإسلام، وحثّ أتباعه على التخلق بها، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون يكثرون من عيادة المريض. يتضح هذا في قول التابعي: "دخلنا على خباب بن الأرت رضي الله عنه نعوده وقد اكتوى سبع كيات. وكذلك قوله: "ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبني حائطاً له".

وقد كان النبي ﷺ يعود المرضى ويأمر الصحابة رضي الله عنهم بذلك؛ لأن عيادة المريض من الآداب الإسلامية التي ينبغي للمؤمن أن يحرص عليها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده قال: وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال له: لا بأس، طهور إن شاء الله"[1].

وقال النبي ﷺ: أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني"[2].

وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما: ((أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ. وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ. أَمَرَنَا بعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ))[3].

وبوب البخاري على هذين الحديثين الأخيرين: باب وجوب عيادة المريض[4]، وقال ابن حجر: (كذا جزم بالوجوب على ظاهر الأمر بالعيادة، وتقدم حديث أبي هريرة في الجنائز: حق المسلم على المسلم خمس[5]، فذكر منها عيادة المريض، ووقع في رواية

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٥٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٤٩.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٥٠، ومسلم ٢٠٦٦.

(٤) من كتاب المرضى رقم ٧٥ والباب برقم ٤.

(٥) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢.

مسلم "خمس تجب للمسلم على المسلم"[١] فذكرها منها. قال ابن بطال: يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية كإطعام الجائع وفك الأسير، ويحتمل أن يكون للندب للحث على التواصل والألفة ... وقال الجمهور: هي في الأصل ندب، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض ويلتحق بعيادة المريض تعهده وتفقد أحواله والتلطف به، وربما كان ذلك في العادة سبباً لوجود نشاطه وانتعاش قوته)[٢].

وقال ابن القيم: (وقد شاهد الناس كثيراً من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورؤيتهم لهم ولطفهم بهم ومكالمتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلق بهم، فإن فيها أربعة أنواع من الفوائد: نوع يرجع إلى المريض ونوع يعود على العائد ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة)[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان حال الصحابة رضي الله عنهم ممن ماتوا ولم يدركوا حظاً من الدنيا، ومن عاشوا وأدركوا حظهم منها:

قال ابن حجر: (قوله "إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا، زاد في الرقاق[٤]: "شيئاً" أي لم تنقص أجورهم، بمعنى أنهم لم يتعجلوها في الدنيا بل بقيت مؤخرة لهم في الآخرة، وكأنه عنى بأصحابه بعض الصحابة رضي الله عنهم ممن مات في حياة النبي ﷺ. فأما من عاش بعده فإنهم اتسعت لهم الفتوح، ويؤيده حديثه الآخر ((هاجرنا مع رسول الله ﷺ فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير، قُتلَ يومَ أحُدٍ وتركَ نَمِرَةً، فكُنَّا إذا غطَّينا بها رأسَهُ بَدَتْ رِجلاهُ، وإذا غطَّينا رجليهِ بدا رأسُه، فأمَرَنا رسولُ اللّهُ ﷺ أن نُغطي رأسَهُ ونجعلَ على رجلَيهِ شيئاً من إذخِر. ومِنَّا مَن أينَعَت له ثمرَتهُ فهوَ يَهدِبُها))[٥].

---

(١) صحيح مسلم ٤-٢١٦٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٧/١٠، ١١٨.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١١٦/٤.

(٤) أي البخاري في كتاب الرقاق ٦٤٣١.

(٥) يهدبها: أي يجتنيها، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٥، والحديث أخرجه البخاري ١٢٧٦. وفي مواضع أخرى، ومسلم ٩٤٠.

ويحتمل أن يكون عنى جميع من مات قبله، وأن من اتسعت له الدنيا لم تؤثر فيه إما لكثرة إخراجهم المال في وجوه البر، وكان من يحتاج إليه إذ ذاك كثيراً فكانت تقع لهم الموقع، ثم لما اتسع الحال جداً وشمل العدل في زمن الخلفاء الراشدين استغنى الناس بحيث صار الغني لا يجد محتاجاً يضع برّه فيه، ولهذا قال خباب "وإن أصبنا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب" أي الإنفاق في البنيان[1].

ثالثاً- من آداب المدعو: عدم الدعاء بما نهى النبي ﷺ من الدعاء به:

إن من آداب المدعو أن يتأسى بالنبي ﷺ ويقتدي به، في صلاته وصومه وحجه ودعائه ونحو ذلك، وهذا ما التزم به الصحابة رضي الله عنهم، وهم خير القرون، وهذا واضح في قول خباب: "ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به".

قال عبدالله البسام: (يكره تمني الموت خشية الوقوع في محنة دنيوية أو خوف من عدو أو مرض نزل به أو فاقة حلّت به ـو نحو ذلك من مشاق الدنيا. والحكمة في هذا أنه منافٍ للصبر الذي أمرنا به. ووعدنا عليه الأجر العظيم، ولأنه يدل على الجزع وعدم الثبات والاحتساب على قضاء الله تعالى. فإن كان غير صابر ولا بد من الدعاء فليقل: "اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي")[2].

قال ابن القيم: (قال الفضيل بن عياض: العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً -لم يقبل. وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة. وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[3]، وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[4]، فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٣٤، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني كذلك ١١/٢٨٣.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٤٦٧.

(٣) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٤) سورة النساء، آية: ١٢٥.

خالصاً لوجهه على متابعة أمره، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يرد عليه أحوج ما هو إليه، هباءً منثوراً. وفي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ "كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد"(١) وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً، فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالآراء والأهواء(٢).

رابعاً- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن من مهام الداعية أن يبين الحقائق للمدعوين حتى يتصرفوا في ضوء هذه الحقائق فيأتي عملهم موافقاً للصواب مبتعداً عن الخطأ ومجانباً له، وقد بيّن خباب بن الأرت رضي الله عنه هذا، فقال: "إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب" قال ابن حجر: (أي الذي يوضع في البنيان، وهو محمول على ما زاد على الحاجة)(٣).

قال ابن عثيمين: (المال الذي يجعل في البناء لا يؤجر الإنسان عليه، اللهم إلا بناء يجعله للفقراء يسكنونه أو يجعل غلته في سبيل الله أو ما أشبه ذلك، فهذا يؤجر عليه، لكن بناء يسكنه هذا ليس فيه أجر، بل ربما إذا زاد الإنسان فيه حصل له وزر مثل ما يفعل بعض الفقراء الآن. الآن عندنا فقراء يستدين الإنسان منهم إلى عشر سنين أو خمسة عشر وإن طال الأجل إلى عشرين سنة، من أجل أن يرصع بنيانه بالأحجار الجميلة ومن أجل أن يضع له أقواساً أو شرفات وهو مسكين يعمل هذا العمل المنهي ويستدين على نفسه الديون الكثيرة. وأما البنيان الذي يكون على حسب العادة، وليس فيه تفاخر ولا سرف ولا استدانة من أحد، فهذا لا بأس به وليس فيه إثم إن شاء الله)(٤).

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/١٧٦ وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/٢٠٥. والذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص ٨٩٤ – ٨٩٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٣٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/٨٦٦.

وقد قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ((مَرَّ بي رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا أُطَيِّنُ حَائِطاً لِي أَنَا وَأُمِّي فقَالَ: مَا هذَا يَا عَبْدَ الله؟ فقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله شَيْءٌ أُصْلِحُهُ، فقَالَ: الأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَاكَ))[(١)].

وأخرج ابن حبان هذا الحديث في صحيحه وجعله تحت عنوان: ذكر الزجر عن أن يطول المرء أمله في عمارة هذه الدنيا الزائلة الفانية"[(٢)]. وقال ابن حجر: " وهذا كله محمول على ما لا تمس الحاجة إليه مما لا بد منه للتوطن وما يقي البرد والحر، وقد أخرج أبو داود[(٣)] أيضاً من حديث أنس رفعه "أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا، إلا ما لا" أي إلا ما لا بد منه"[(٤)].

ومن قبيل بيان الداعية الحقائق للمدعوين ما رواه المستور بن شداد قال: «كُنْتُ مَعَ الرَّكْبِ الذِينَ وَقَفُوا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى السَّخْلَةِ المَيِّتَةِ، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِينَ أَلْقَوْهَا؟ قَالُوا: مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فالدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا))[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٢٣٥، والترمذي ٢٣٣٥، وابن ماجه ٤١٦٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٩١).

(٢) أخرجه ابن حبان ٢٩٩٦، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه أبو داود ٥٢٣٧، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ٢٨٣٠) وكان قد ضعّفه في السلسلة الضعيفة ١٧٦، لكنّه انتهى إلى تصحيحه آخر الأمرين.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٥/١١.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣٢١، وابن ماجه ٤١١١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣١٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

أولاً- تربية النفس على تحمل المكاره:

يأتي هذا الباب في بيان كراهة تمني الموت بسبب ضر نزل بالإنسان، وإن من أهم أهداف التربية الإسلامية تربية النفس على تحمل المكاره والصمود أمامها، وأن يعلم المتربي أن الحياة تسير بين عسر ويسر وشدة ورخاء، فلابد من توطين النفس على ذلك، "ومن هديه ﷺ أنه كان يربي الصحابة على الصبر على البلاء، ويعلمهم أن الابتلاء سُنَّةٌ ماضية، وأن أصحاب الدعوات لابد أن يبتلوا، فإذا صبروا واحتسبوا كانت لهم العاقبة في الدنيا والآخرة"[(١)].

ومن أحاديث الباب التي تؤكد هذا المعنى ما جاء في قوله ﷺ: «لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فإنْ كانَ لا بُدَّ فاعِلاً فَلْيَقُلْ، اللَّهُمَّ أَحْيِني ما كانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لي، وَتَوَفَّني إذا كانَتِ الوفاةُ خَيْرًا لي».

"إن من أبرز مؤشرات التكيف السوي والصحة النفسية السوية هو قدرة الفرد على الصبر والصمود أمام الشدائد والأزمات، فالفرد يتعرض خلال مسيرته في سبيل تحقيق أهدافه ومطامحه، وإشباع حاجاته إلى كثير من الصعوبات، وقد يجد نفسه أمام مشكلات عسيرة الحل، أو يتعرض لأزمات مالية كأن يفقد ثروته أو بيته، أو بعض ممتلكاته أو يفقد عزيزًا أو صديقًا حميمًا، إن هذه المواقف صعبة يحتاج فيها المرء إلى كثير من الاتزان الانفعالي الذي يمكنه من مواجهة المواقف وتخطي الصعوبات والأزمات، لذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى قد وعد الصابرين بمكانة عالية في الجنة لأن الصبر من بين أحسن الخصال التي ينبغي على المؤمن أن يتحلى بها، والفرد الذي لا يملك القدرة على التذرع بالصبر تجده يعاني من القلق والتذمر والشكوى لمجرد مواجهته أية صعوبة أو مشكلة"[(٢)].

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٨٦.

(٢) مبادئ الصحة النفسية، د. محمد خالد الطحان ص١٨٦.

ثانيًا- أهمية التربية الصحية:

إن من أهداف التربية الإسلامية التربية الصحية للمتربي، وهي تتحقق بالاعتناء بالجسد والصحة العامة، والتداوي من المرض، وقد ورد في أحاديث الباب ما يبين اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بالتداوي، فعن قيس بن أبي حازم قال: "دَخَلْنَا عَلَىٰ خَبَّابٍ وَقَدِ اكْتَوَىٰ سَبْعَ كَيَّاتٍ ..."، ولاشك أن الكي وسيلة من وسائل التداوي في عهدهم.

"وتكون تربية الجسد برعايته صحيًا، فالصحة قِيمة من القيم الإنسانية الأساسية، والعمل على ترقية الصحة الطيبة التزام من الالتزامات الخلقية الأساسية، والقيمة الخلقية لصحة الجسد والمحافظة عليه ترتبط بواجب وتكامل الأشخاص تكاملاً يجعل طاقاتهم الإنسانية تعمل وتتآزر إلى أقصى حد في توافق تام مع طبائعهم السليمة. وتهدف التربية الصحية إلى تنمية الثقة بالعلاج والدواء والاعتماد عليه، وتهدف إلى إعطاء الإنسان مقدرة على الوقاية من الأمراض والمعيشة الصحية والفهم الجيد لاستخدام الوسائل والخدمات الصحية"[١].

ثالثًا- التربية على الأمل في الحياة وعدم اليأس:

"إن تقوية الإرادة لا يمكن أن تتحقق بمجرد قرار يتخذه الفرد في نفسه، ولا يمكن أن نغرسه في نفوس أبنائنا بمجرد توجيه أو أمر نصدره إليهم فلابدَّ من تعويد وتدريب للنفس حتى يصبح هذا السلوك سلوكًا طبيعيًا للنفس تؤديه بتلقائية، ومما يعين على ذلك غرس الثقة في النفس؛ فنظرة الإنسان لنفسه تمثل عاملاً مهمًا في حفزه على العمل ورفع همته إليه، ومن ثَمَّ كان للثقة بالنفس أثرها الفعال في قوة الإرادة، فالواثق بنفسه هو الذي يتطلع للنجاح ويتجه للعمل خلافًا للمحبط واليائس. وشعور الإنسان بجوانب من النجاح في حياته، والتعامل مع الخطأ بحكمة مما يعزز ثقته بنفسه ويقوي إرادته" [٢].

وقد حرص الرسول ﷺ على غرس الأمل ونهى عن اليأس من الحياة وبين أن رأس المال الحقيقي هو عمر الإنسان، وعلى الإنسان أن لا يتعجل فناء عمره، بل يغتنم الوقت ويعبد ربه ويزداد.

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٢٧٦، ٢٧٧ بتصرف.

(٢) انظر: تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص٢٣١، ٢٣٢.

فأما خير الدنيا الذي غاب عن كثيرين ففي كونها دار عبادة ودار زيادة في العبادة ودار توبة ودار ابتلاء ودار نماء للحسنات وهي دار الزراعة ومن جنس الزرع يكون الحصاد، مراجعة النفس فيها ممكنة والإقلاع عن الذنوب، بل واستبدالها بالحسنات ممكن، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١).

وأما الفئة الأخرى فإنها تبكي على الدنيا ويتمنون العود إليها من لحظة الاحتضار، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(٢)، ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾(٣).

إن رسول الله ﷺ قد أذن له أن يفرج عن نفسه بكلمات فيها دلائل الإيمان، وذلك بتفويض الأمر لله تعالى ليختار للإنسان ما فيه الخير، وذلك بدعائه ربه بهذا الدعاء: ((اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي))(٤)، فلا جزع ولا تبرم بالقضاء ولا رفض له، بل تفويض وتسليم.

ولهذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يكفُون عن تمني الموت، مهما كان المرض الذي أصابهم أو الألم الذي نزل بهم، وها هو خباب بن الأرتّ رضي الله عنه يعالج بالكي سبع مرات ولا يُقْدم على تمني الموت أو طلبه، ويذكر علة عدم تمني الموت في كونه متبعًا لسنة الرسول ﷺ والذي نهى عن تمني الموت.

رابعًا- التربية على التزام سنة النبي ﷺ:

وهذا واضح من قول خباب بن الأرتّ رضي الله عنه: ((ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٧٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٤٧، ومسلم ٢٦٨٠.

بالموت لدعوت به))، فإنه كان يريد أن يقدم على الدعاء بالموت، ولكن ما منعه وحجزه عن ذلك هو نهي النبي ﷺ عن الدعاء بالموت، وعلى ذلك ينبغي أن يتربى الناشئة والكبار على التزام سنة النبي ﷺ فما أمر به فعلوه وما نهى عنه اجتنبوه ودافعوا عنه، ولم يكتفوا بذلك فحسب وإنما بالدعوة إلى ذلك أيضًا بكل طريق ممكن وعلى سبيل متاح، وبيان أن في ذلك الصلاح والنفع للبشرية جمعاء، لأنه ﷺ ما جاء إلا ليرشد الناس إلى ما فيه نفعهم وخيرهم وينهاهم عما فيه ضررهم ومفسدتهم.



٦٨- باب الورع وترك الشبهات

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[الفجر: ١٤].

الحديث رقم (٥٨٨)

٥٨٨- وعن النعمان بن بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبَهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألاَ وَإنَّ لكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً، ألاَ وَإنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، ألاَ وَإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَت صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألاَ وَهِيَ القَلْبُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١]، وروياه مِنْ طرقٍ بألفَاظٍ متقاربةٍ.

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

مشتبهات: التبس أمرهما فلا يدري أحلال أم حرام[٢].

استبرأ: أي حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي وصان عرضه عن كلام الناس فيه[٣].

عرضه: جانبه الذي يصونُه من نفسه وحسبه ويُحامي عنه أن يُنتقص ويُعاب[٤].

يرتع فيه: يرعى فيه. وفي رواية عند البخاري (٥٢): كراع يرعى حول الحمى يوشك

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩/١٠٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٥٨٥).

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ب هـ).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص (١٠١٣).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ض).

أن يواقعه[١].

الحمى: الموضع فيه كلأ يُحمى من الناس[٢].

مضغة: قطعة من اللحم[٣].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب خبري يتسم بالهدوء والثقة خال من المؤكدات لأن المقام لخالي الذهن؛ ولأنه يقرر حقيقة من الظهور بمكان، بحيث لا يُتوقع لها منكر، وهي قضية ظهور الحلال وظهور الحرام، أيضاً بداية الحديث بجملة اسمية أعطت قضية ظهور الحلال وظهور الحرام ثباتاً دائماً حاصل ما تفيده الجملة الاسمية في قوله: (الحلال بين، والحرام بين)، واستخدم لفظ (بَيِّن) كمسند ولفظ (الحلال) كمسند إليه ثم تكرار لفظ (بيّن) مع كل جملة تأكيد للمعنى وتحقيق للاستقلالية في بيان كل من النقيضين مع ما أضافته المقابلة بين لفظ (الحلال) ولفظ (الحرام) من تأكيد للمعنى وتقريره، وقد وصل بين الجملتين؛ لأن بينهما مناسبة تامة في المعنى لاتفاقهما في الخبرية، وقوله: (وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس) الظرف (بين) المضاف للضمير المثنى العائد على الحلال والحرام يشير إلى مسافةٍ قد تطول، وقد تقصر بين الحلال والحرام يلفها الغموض وتخفى على كثير من الناس تستلزم الحذر هي منطقة الشبهات المحذورة، والمراد من (المشبهات): أي التي شُبِّهت بغيرها مما لم يتبين به حكمها على التعيين.[٤] وقوله: (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه...) أسلوب شرط يربط العاقبة ويعلقها على الفعل ترغيباً في اتقاء الشبهات، وأداة الشرط (من) لعموم من يعقل، وهذا الشرط بتركيبه ينادي كل عاقل بالحذر من الشبهات والحرص على سلامة دينه وحفظ عرضه، وقوله ﷺ: (ومن وقع في

---

(١) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ت ع)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٥٦.

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح م ى).

(٣) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ض غ).

(٤) فتح الباري ١/٢٣٨.

الشبهات...) أسلوب شرط على اعتبار أن (من) شرطية ويكون جواب الشرط محذوفاً تقديره – وقع في الحرام – كما ثبت في رواية أخرى[١]، ولا يخفى أثر المطابقة بين أسلوبي الشرط في قوله: (فمن اتقى الشبهات...) وقوله (ومن وقع في الشبهات...) والتي أوضحت المعنى وقررته ووضعت الاتقاء وحسن عاقبته بإزاء الوقوع وسوء عاقبته. وتكررت (من) التي تنادي من لديه أدنى عقل ليختار فعلاً بعاقبته، وما أجمل المناسبة في المعاني والألفاظ بين فعل الشرط (اتقى) وجوابه (استبرأ)، وتعبيره في الصورة الثانية بالفعل (وقع) وجوابه المتوقع (وقع) التي توحي بالهبوط وتذكر بالهزيمة والخسران، وقوله: (كراع يراعي حول الحمى...) تشبيه تمثيلي لحال من يدخل في الشبهات بحال الراعي الذي يرعى حول المكان المحظور بحيث أنه لا يأمن من الوقوع فيه، وقيل: هو تشبيه ملفوف من حيث شبه المكلف بالراعي والنفس البهيمية بالأنعام، والمشبهات بما حول الحمى، والمحارم بالحمى، وتناول المشبهات بالرتع حول الحمى، ووجه التشبيه حصول العقاب بعدم الاحتراز عن ذلك، كما أن الراعي إذا جره رعيه حول الحمى إلى وقوعه في الحمى استحق العقاب بسبب ذلك فكذلك من أكثر من الشبهات وتعرض لمقدماتها وقع في الحرام فاستحق العقاب بسبب ذلك)[٢] قوله: (ألا وإن لكل ملك حمى) و(ألا) مفتوحة الهمزة واللام حرف استفتاح؛ وفائدة هذا الحرف توكيد مضمون الجملة كأنه مركب من همزة الإنكار، وحرف النفي، والإنكار نفي، ونفي النفي إثبات فركب الحرفان لإفادة التوكيد والتحقيق فصارا بمعنى (إن) وقد تكون حرف تنبيه إذا كان الغرض من إدخاله تنبيه المخاطب لئلا يفوت المقصود بغفلة عنه. وهي في قوله: (ألا وإن لكل ملك حمى...) حرف تنبيه على صحة ما بعدها[٣] مع ما توحي به من أهمية

---

(١) انظر: رواية الدارمي عن أبي نعيم شيخ البخاري فيه، فقال: ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى، فتح الباري، ١/ ٢٣٠.

(٢) انظر: عون الباري ١/١٧٥، ١٧٨.

(٣) المجازات النبوية للشريف الرضي، تحقيق: طه محمد الزيني ص ١٣٨، ط. مؤسسة الحلبي، القاهرة، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ١/ ٤٢٧.

ما يليها، وقوله: (وإن لكل ملك حمى) الواو عاطفة على كلام سابق في النفس طوته هذه الواو، وقامت دليلاً عليه، و(إن) أداة توكيد تزيد الأمر خطورة وتستبعد كل خواطر الشك وتقطع هواجس النفوس عما تسمع، وتقديم متعلق المسند وهو الجار والمجرور (لكل ملك) زيادة في الاهتمام وتربية للمهابة بذكر المضاف إليه، وتنكير كلمة (حمى) يفيد التفخيم.

قوله: (ألا إن حمى الله في أرضه محارمه) (ألا) أداة تنبيه على صحة ما بعدها، وفي إعادتها وتكريرها دليل على عظم شأن مدلولها، و(إن) حرف توكيد يعكس عناية المتكلم بالخبر واهتمامه به ورغبته في نقل هذه العناية وهذا الاهتمام إلى نفس المخاطب، وتنكير كلمة (حمى) للتفخيم وإضافتها (لله) إشعار بالجلال وتربية للمهابة إذ أن المتجرئ على هذا الحمى مرصود بعين لا تغفل ولا تنام، وقوله (ألا إن حمى الله في أرضه محارمه) استعارة تمثيلية حيث شبه المحرمات التي حرمها الله ومن يقع فيها فيستحق العقاب ومن قاربها بالدخول في الشبهات يوشك أن يقع فيها بحال حمى ملوك العرب – على عادتهم – في أنهم يحمون مراعي لمواشيها يتوعدون من يقربها، فالخائف من عقوبة السلطان يبعد بماشيته خوف الوقوع وغير الخائف يقرب منها ويرعى في جوانبها، فلا يأمن من أن يقع فيها من غير اختياره فيعاقب على ذلك[1] فاستعار الحالة الثانية للأولى بجامع استحقاق العقاب بسبب تفريط أو غفلة في ارتكاب محظور في كلٍ.

وهذه الاستعارة التمثيلية التي تصوّر المحرمات بحصن لملك ذي مهابة محاط بحرس لا يغفل تتخطف كل من تجرأ عليه أو حاول الاقتراب منه، تلك الحالة النفسية التي تبنيها العبارة النبوية في وجدان المخاطبين تصبح وتمسي سداً منيعاً بينهم وبين مواقعة حدود الله، ثم تناول الحديث عن القلب، ولعل حديث الرسول ﷺ عن القلب إثر حديثه عن حدود الله؛ لأن القلوب محل استقبال الأمر الإلهي ومنها صدور ردود الأفعال سلباً، أو إيجاباً، وهي محل النزاع بين الخير والشر وموطن الصراع بين الأهواء وتجاذب

---

(١) عمدة القارى شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٤٣٨/١.

الرغبات ومنبت الأحلام والآمال، وقوله: (ألا وإن في الجسد مضغة...) (ألا) أداة تنبيه – كما سبق وأشرنا – تشير إلى أهمية ما يليها، وتكرارها في الحديث يؤكد هذه الأهمية وينادي بضرورة اليقظة والوعي من المخاطبين، وقوله (وإن) الواو عاطفة على كلام مقدر ووجه ذكر الواو في قوله: (ألا وإن في الجسد مضغة) بالنظر إلى وجود المناسبة بين جملتين نظراً إلى أن الأصل في الاتقاء والوقوع هو ما كان بالقلب: لأنه عماد الأمر وملاكه، وبه قوامه ونظامه وعليه تبنى فروعه وبه تتم أصوله، وتقديم الجار والمجرور (في الجسد) يفيد التخصيص إشارة إلى أنه ظرف حاو للقلب والمظروف دائماً أثمن من الظرف وتنكير كلمة: (مضغة) للتقليل،والكلام تعجيب من حال مضغة صغيرة في الجسم بها يتقرر صلاحه أو فساده يرتبط مصيره بمصيرها،والأسلوب بهذا النسق يثير الوجدان ويشوق النفوس لمتابعة الخبر، ولا يخفى جمال المقابلة بين قوله: (إذا صلحت صلح الجسد كله) وبين قوله: (وإذا فسدت فسد الجسد كله) التي توضح المعنى وتؤكده وتضع صورة القلب الصالح وأعضائه إزاء صورة القلب الفاسد وجوارحه حتى يتبين حسن الحسن بجوار قبح القبيح، ولذلك جاءت جملة الختام (ألا وهي القلب) تقرر تقريراً مباشراً حقيقة مبعث الخطأ والصواب حتى يعمل الإنسان على صلاح قلبه وتعهده بما يحفظه من ذكر وقراءة قرآن ودعاء وحسن توكل على الله،وهو بذلك يعالج القضية من جذورها ويصل إلى لبّها وهو القلب الذي بصلاحه يصلح – الجسد كله بل لا أكون مبالغاً إن قلت إن صلاح القلب صلاح المجتمع كله – أليس المجتمع مجموعة أجساد، داخل كل منها قلب إن صلح صلح...؟!

فقه الحديث

الشبهة في الاصطلاح: ما لم يتقين كونه حرامًا أو حلالاً، أو ما جهل تحليله على الحقيقة وتحريمه على الحقيقة أو ما يشبه الثابت وليس بثابت[١].

يدلّ لهذا حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعراض[٢]،

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٠/٤، ٣٣٨/٢٥.

(٢) المعراض: خشبة ثقيلة أو عصًا في طرفها حديدة. وقد تكون بغير حديدة هذا هو الصحيح في تفسيره. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥/١٢/٧.

فقال: إذا أصاب بحدّه فكل وإذا أصاب بعرضه[١] فقتل فلا تأكل، فإنه وقذ[٢]، وسألت رسول الله ﷺ عن الكلب؟ فقال: إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل، فإن أكل منه فلا تأكل، فإنه إنما أمسك على نفسه. قلت: فإن وجدت مع كلبي كلبًا آخر، فلا أدري أيهما أخذه؟ قال: فلا تأكل، فإنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره)[٣].

ويدل له كذلك حديث عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: ان امرأة سوداء جاءت فزعمت أنها أرضعتهما فذكر للنبي ﷺ فأعرض عنه وتبسم النبي ﷺ قال: كيف وقد قيل؟ وقد كانت تحته ابنة أبي إهاب التميمي[٤].

ووجه الدلالة من الحديث قوله ﷺ "كيف وقد قيل؟" مشعر بأنه أمره بفراق امرأته إنما كان لأجل قول المرأة إنها أرضعتهما فاحتمل أن يكون صحيحًا، فيرتكب الحرام فأمره بفراقها احتياطًا.

الثانية: ما أصله الإباحة كالطهارة إذا استوفيت لا ترفع إلا بتيقن الحدث، يدل له حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال: شكى إلى النبي ﷺ الرجل يجد في الصلاة شيئًا أيقطع الصلاة؟ قال: ((لا حتّى يَسْمَعَ صَوْتاً أَوَ يَجِدَ رِيحاً))[٥].

الثالثة: ما لا يتحقق أصله ويتردد بين الحظر والإباحة، فالأولى تركه، يدل له حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إنِّـي لأَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَىٰ فِرَاشِي. ثُمَّ أَرْفَعُهَا لآكُلَهَا. ثُمَّ أَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً. فَأُلْقِيهَا))[٦] وإنما ترك ﷺ أكلها تورعًا وليس بواجب، لأن الأصل أن كل شيء في بيت الإنسان على الإباحة حتى يقوم دليل على التحريم.

---

(١) أي بغير المحدد منه، السابق مج٦٧/١٢/٧.

(٢) الوقذف والموقوذ: هو الذي يقتل بغير محدد من عصا أو حجر وغيرهما. فإنه وقيذ أي مقتول بغير محدد، والموقوذة المقتولة بالعصا ونحوها، وأصله من الكسر والرض. السابق ٦٦/١٢/٧.

(٣) أخرجه البخاري ١٧٥، ومسلم ٢٩٢٩.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٥٢.

(٥) أخرجه البخاري ١٣٧، ١٧٧، ٢٠٥٦، ومسلم ٣٦١.

(٦) أخرجه البخاري ٢٤٣٢، ومسلم ١٠٧٠، ١٦٣.

الخامسة: ما يكره اجتنابه: ومثاله الرخص الشرعية على سبيل التنطع[١].

قال ابن رجب الحنبلي: (واختلف العلماء: هل يطيع والديه في الدخول في شيء من الشبهة أم لا يطيعهما؟ فروى عن بشر بن الحارث قال: لا طاعة لهما في الشبهة. وعن محمد بن مقاتل العبَّاداني قال: يطيعهما. وتوقف أحمد في هذه المسألة، وقال: يداريهما وأبى أن يجيب فيها)[٢].

٣- المصيب في مسائل الحلال والحرام المشتبهة المختلف فيها، واحدٌ عند الله عز وجل:

قال ابن رجب: (كلام النبي ﷺ يدل على أن هذه المشتبهات من الناس من يعلمها، وكثير منهم لا يعلمها، فدخل فيمن لا يعلمها نوعان: أحدهما: من يتوقف فيها لاشتباهها عليه. والثاني: من يعتقدها على غير ما هي عليه.

ودل كلامه على أن غير هؤلاء يعلمها، ومراده أنه يعلمها على ما هي عليه في نفس الأمر من تحليل أو تحريم، وهذا من أظهر الأدلة على أن المصيب عند الله في مسائل الحلال والحرام المشتبهة المختلف فيها واحد عند الله عز وجلّ، وغيره ليس بعالم بها، بمعنى أنه غير مصيب لحكم الله فيها في نفس الأمر، وإن كان يعتقد فيها اعتقادًا يستند فيه إلى شبهة يظنها دليلاً، ويكون مأجورًا على اجتهاده، ومغفورًا له خطؤه لعدم اعتماده)[٣].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار المسمى "حاشية ابن عابدين"، محمد امين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٥١/٣-١٥٣، الإقناع ٨١/٢، وتحفة المحتاج ٣٠٤/٧، والاختيار ٩٠/٤، وفتح المبين ١١٢-١١٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٠/٤-٢٩٥، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل. أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٥٣٠/٢ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٢/٢٥-٢٤٣). وانظر للمزيد من التفصيل: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٩٧/١-٢٠٦ شرح الحديث السادس.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٠٦/١ ط الرسالة.

(٣) السابق ٢٠٣/١.

المضامين الدعوية

أولاً – من أساليب الدعوة: التوكيد:

لقد استخدم النبي ﷺ التوكيد في هذا الحديث فقال: "إن الحلال بين وإن الحرام بين وإن لكل ملك حمى ... وإن حمى الله محارمه. وإن في الجسد مضغة" وكثرة التوكيد في هذا الحديث تدل على أهمية ما ذكر فيه. قال ابن حجر: (وقد عظم العلماء أمر هذا الحديث فعدوه رابع أربعة تدور عليها الأحكام كما نقل عن أبي داود، وفيه البيتان المشهوران، وهما:

عمدة الدين عندنا كلمات ... مسندات من قول خير البرية

اترك المشبهات وازهد ودع ما ... ليس يعنيك واعملن بنية

وأشار ابن العربي إلى أنه يمكن أن ينتزع منه وحده جميع الأحكام، قال القرطبي[١]: لأنه اشتمل على التفصيل بين الحلال وغيره، وعلى تعلق جميع الأعمال بالقلب، فمن هنا يمكن أن ترد جميع الأحكام إليه[٢].

ثانياً – من موضوعات الدعوة: أهمية معرفة الحلال والحرام واتقاء الشبهات:

أحلّ الله الحلال وحرّم الحرام، والمؤمن يأتي الحلال ويجتنب الحرام، فإذا كانت أمور متشابهة فعليه أن يتقيها، وقد بيّن النبي ﷺ ذلك فقال: "إنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ".

قال ابن رجب الحنبلي: (ومعنى استبرأ: طلب البراءة لدينه وعرضه من النقص والشين. والعرض هو موضع المدح والذم من الإنسان، وما يحصل له بذكره بالجميل

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤/٤٩٩-٥٠٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٥٧، وقد ساقه النووي في الأربعين النووية الحديث السادس. انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٩٣، وانظر كذلك: كلام النووي في شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٣.

مدح وبذكره بالقبيح قدح، وقد يكون ذلك تارة في نفس الإنسان وتارة في سلفه أو في أهله، فمن اتقى الأمور المشتبهة واجتنبها فقد حصن عرضه من القدح والشين الداخل على من لا يجتنبها، وفي هذا دليل على أن من ارتكب الشبهات فقد عرض نفسه للقدح فيه والطعن. كما قال بعض السلف: من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن. وفي رواية للترمذي[(١)] في هذا الحديث: "فمن تركها استبرأ لدينه وعرضه فقد سلم" والمعنى: أنه يتركها بهذا القصد -وهو براءة دينه وعرضه من النقص- لا لغرض آخر فاسد من رياء ونحوه)[(٢)].

وقال النووي: (إن الأشياء ثلاثة أقسام: حلال بين واضح لا يخفى حله، كالخبز والفواكه والزيت والعسل ... وغير ذلك من المطعومات وكذلك الكلام والنظر والمشى وغير ذلك من التصرفات [فهي][(٣)] حلال بين واضح لا شك في حله.

وأما الحرام البين كالخمر والخنزير والميتة وكذلك الزنا والكذب والغيبة والنميمة والنظر إلى الأجنبية وأشباه ذلك. وأما المشتبهات فمعناه أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يعلمون حكمها. وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك. فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ولم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي، فإذا ألحقه به صار حلالاً [أو حراماً]، وقد يكون دليله غير خال عن الاحتمال البين فيكون الورع تركه ويكون داخلاً في قوله ﷺ: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)[(٤)].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطر الوقوع في الشبهات:

إن الاجتراء على فعل الشبهات أمر خطير، فقد يؤدي ذلك إلى اقتراف الحرام، فقد قال النبي ﷺ: "وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى،

---

(١) سنن الترمذي ١٢٠٥.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٠٢-٢٠٤.

(٣) في المطبوع: "فيها" وما أثبتناه هو الغالب على الظن أنه صحيح.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٣.

يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللّهِ مَحَارِمُهُ".

قال النووي: (قال العلماء: وسبب عظم موقعه "أي الحديث" أنه ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها وأنه ينبغي ترك المشتبهات، فإنه سبب لحماية دينه وعرضه وحذّر من مواقعة الشبهات وأوضح ذلك بضرب المثل ثم بين أهم الأمور وهو مراعاة القلب)[1].

قال ابن حجر: (حاصل ما فسر به العلماء الشبهات أربعة أشياء : أحدها: تعارض الأدلة. ثانيها اختلاف العلماء. وهي منتزعة من الأولى. ثالثها أن المراد بها مسمى المكروه وأن يجتذبه جانبا الفعل والترك. رابعها أن المراد بها المباح. ولا يمكن لقائل هذا أن يحمله على متساوي الطرفين من كل وجه، بل يمكن حمله على ما يكون من قسم خلاف الأولى بأن يكون متساوي الطرفين باعتبار ذاته راجح الفعل أو الترك باعتبار أمر خارج. ونقل ابن المنير في مناقب شيخه "القباري" عنه أنه كان يقول: المكروه عقبة بين العبد والحرام فمن استكثر من المكروه تطرق إلى الحرام. والمباح عقبة بينه وبين المكروه. فمن استكثر منه تطرق إلى المكروه. وهو منزع حسن. ويؤيده رواية ابن حبان من طريق ذكر مسلم إسنادها ولم يسق لفظها فيها من الزيادة: "اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال، من فعل ذلك استبرأ لعرضه ودينه ومن أرتع فيه كان كالمرتع إلى جنب الحمى يوشك أن يقع فيه)[2]. والمعنى أن الحلال حيث يخشى أن يؤول فعله مطلقاً إلى مكروه أو محرم ينبغي اجتنابه كالإكثار مثلاً من الطيبات، فإنه يحوج إلى كثرة الاكتساب الموقع في أخذ مالا يستحق أو يفضي إلى بطر النفس، وأقل ما فيه الاشتغال عن مواقف العبودية، وهذا معلوم بالعادة مشاهد بالعيان)[3].

وقال عبدالله البسام: (وقد كان السلف رضي الله عنهم يتركون المباحات اليسيرة خوفاً من

---

(١) المرجع السابق ١٠١٣.

(٢) أخرجه ابن حبان ٥٥٦٩، وقال محققه: إسناده حسن.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٥/١ وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٧٠/٦ - ٢٧١.

المكروه والحرام، ذلك أن من لم يتق الشبه في كسبه ومعاشه فقد عرض دينه وعرضه للطعن)[١].

رابعاً- من أساليب الدعوة : التشبيه والتمثيل:

يلجأ الداعية إلى التشبيه والتمثيل ليزيد المعنى وضوحاً وبياناً، وهذا واضح في قوله: "ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، إلا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه" ووقع عند ابن حبان، "وسأضرب لكم في ذلك مثلاً: إن الله حمى حمى ..."[٢].

وقال ابن حجر: (مثل لهم النبي ﷺ بما هو مشهور عندهم)[٣]. وقال عبدالله البسام: (وهو تصوير بديع ومثال قريب)[٤].

قال ابن رجب: (هذا مثل ضربة النبي ﷺ لمن وقع في الشبهات، وأنه يقرب وقوعه في الحرام المحض، وفي بعض الروايات أن النبي ﷺ قال: "وسأضرب لذلك مثلاً" ثم ذكر هذا الكلام، فجعل النبي ﷺ مثل المحرمات كالحمى الذي تحميه الملوك ويمنعون غيرهم من قربانه)[٥].

وقال القرطبي: (هذا مثلٌ ضربه النبي ﷺ لمحارم الله تعالى، وأصله: أنَّ ملوك العرب كانت تحمي مراعي لمواشيها الخاصة بها، وتُحرِّجُ بالتوعد بالعقوبة على من قربها. فالخائف من عقوبة السلطان يبعد بماشيته من ذلك الحمى، لأنه إن قرب منه فالغالب الوقوع وإن كثر الحذر؛ إذ قد تنفرد الفاذَّة[٦]، وتشذُّ الشاذَّةُ[٧] ولا تنضبط،

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٢٧١.

(٢) أخرجه ابن حبان ٧٢١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٥٦.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٢٧١.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٠٧-٢٠٨.

(٦) أي: المنفردة. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي في (ف ذ ذ).

(٧) أي المنفردة أو الخارجة عن الجماعة. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ذ ذ).

فالحذرُ أن يجعل بينه وبين ذلك الحمى مسافة بحيث يأمنُ فيها من وقوع الشاذة والفاذَّة. وهكذا محارمُ الله تعالى، لا ينبغي أن يُحوَّمَ حولها مخافةَ الوقوع فيها على الطريقتين المتقدمتين)[١].

خامساً- من موضوعات الدعوة: بيان منزلة القلب:

للقلب منزلة عظيمة في الإسلام، ولذا فقد عُني الإسلام بسلامة القلب عناية كبيرة وحرص على سلامته من الآفات والعلل والأمراض التي تؤثر عليه كالنفاق والحسد والحقد، وغير ذلك،وما ذلك إلا لأن للقلب أثراً كبيراً جداً على صلاح الإنسان وفساده، وقد وضح النبي ﷺ ذلك فقال: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب".

قال النووي: "في هذا الحديث التأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد... فإنه ﷺ جعل صلاح الجسد وفساده تابعاً للقلب"[٢] وقال ابن حجر: (وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه، والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثراً فيه)[٣].

وقال ابن رجب: (فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقاء الشبهات بحسب صلاح قلبه. فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات. وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع هواه وطلب ما يحبه ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي

---

(١) المفهم ٤/٤٩٣. وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٥٦، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٥٦.

والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب، ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له، منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحاً كانت هذه الجنود صالحة وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المثابة فاسدة)[١].

وقال عبدالله البسام: (إن القلب هو السلطان المدير لملكة الأعضاء وما تأتي من أعمال فعلية مدار فسادها أو صلاحها. فإن صلح القلب فإنه لن يأمر إلا بما فيه الخير، وسيصلح الجسد كله، وإن فسد فسيأمر بالفساد والشر، وتكون الأعمال معكوسة منكوسة)[٢].

سادساً- من مهام الداعية: البيان والإرشاد:

إن من وظائف الداعية ومهامه بيان الحقائق للمدعوين وإرشادهم لما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم، وهذا واضح من عموم الحديث، فقد بين النبي ﷺ وأرشد إلى أن الحلال بين وكذلك الحرام بين، وأرشد أن بينهما أموراً مشتبهة على المسلم أن يتقيها حتى يستبرئ لدينه وعرضه، كما أرشد ﷺ إلى وجوب صلاح القلوب. قال النووي: (أجمع العلماء على عظم وقع هذا الحديث وكثرة فوائده وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام... قال العلماء: وسبب عظم موقعه أنه ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها، وأنه ينبغي ترك المشتبهات، فإنه سبب لحماية دينه وعرضه، وحذر من مواقعة الشبهات. وأوضح ذلك بضرب المثل بالحمى ثم بين أهم الأمور وهو مراعاة القلب... فبين ﷺ أن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد وبفساده يفسد باقيه[٣]).

وقال أبو العباس القرطبي: (إنَّ الإنسان إنما شرفه الله تعالى على سائر الحيوان بهذا القلب، وأن هذا القلب لم يشرف من حيث صورته الشكلية، فإنها موجودةٌ لغيره

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢١٠/٦

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٧١/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٣.

من الحيوانات البهيمية، بل من حيث هو مقرٌّ لتلك الخاصية الإلهية؛ لذا فإنه أشرف الأعضاء، وأعزُّ الأجزاء؛ إذ ليس ذلك المعنى موجوداً في شيء منها. ثمَّ إنَّ الجوارح مسخَّرةٌ لهن ومطيعةٌ، فما استقرَّ فيه ظهر عليها، وعملت على مقتضاه؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وعند هذا انكشف لك معنى قوله: "إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله". ولمَّا ظهر ذلك وجبت العنايةُ بالأمور التي يصلحُ بها القلبُ، ليتَّصف بها، وبالأمور التي تفسد القلب ليتجنبها. ومجموع ذلك علومٌ، وأعمالٌ، وأحوال.

وأما الأحوال: فمراقبة الله تعالى في السرِّ والعلن، والتمكن من الاستقامة على السنن)[١].

وقال عبدالله البسام: (وبالجملة فهذا حديث عظيم جليل وقاعدة من قواعد الإسلام وأصل من أصول الشريعة عليه لوائح أنوار النبوة ساطعة ومشكاة الرسالة مضيئة، فهو من جوامع كلام النبي ﷺ ويحتاج استيفاء الكلام عليه إلى مصنِّف مستقلّ طويل)[٢].

---

(١) المفهم، القرطبي ٤/٤٩٦.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٢٧١.

الحديث رقم (٥٨٩)

٥٨٩- وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ: ((لَوْلاَ أنِّي أخَافُ أنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

أني أخاف) بيانا لامتناع أكل التمرة لوجود الخوف من أن تكون من الصدقة، والصدقة لا تحل للنبي ﷺ، ولا لآل بيته رضي الله عنهم، وتركه لأكل هذه التمرة التي منعه تورعه، وخوفه من أن تكون من الصدقة يحمل عدة دلالات منها شدة تورعه ﷺ الذي جعل أكل التمرة أمرا مستحيلا فاستخدم (لولا) التي تدل على امتناع الوجود مهما كانت بساطة الأمر تورعا يليق به، وأيضاً تواضعا جما عكسته رغبته في أكل تمرة وجدها في الطريق، وتركه للشبهة التي أشار إليها بامتناعه عن طريق (لولا التي هي في الأصل حرف امتناع لوجود.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الصدقة على النبي ﷺ: ذهب جمهور الفقهاء إلى تحريم الصدقة على رسول لله ﷺ لا فرق بين صدقة الفرض والتطوع. وقد نقل الخطابي الإجماع على ذلك[2].

بينما ذهب الشافعية في وجه ورواية عن الإمام أحمد إلى أنه تحرم عليه صدقة الفرض دون التطوع[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٣١ واللفظ له، ومسلم ١٠٧١/١٦٥. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٩٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٤/٣ ط السلفية.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٨٥/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٤/١٠، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٢٢٧/١٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٥١/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٠٧/٥.

٢-حكم الصدقة على آل النبي ﷺ: أما الصدقة على آل النبي ﷺ فقد قال أكثر الحنفية، والشافعية في الصحيح، والحنابلة، يجوز صدقة التطوع لهم دون الفريضة على حين ذهب المالكية إلى جواز صدقة التطوع مع الكراهة.

وقال أبو يوسف وأبو العباس بن سريج، تحرم عليهم أيضاً، لأن الدليل لا يفصل[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: الورع.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: من خصوصيات النبي ﷺ عدم الأكل من الصدقة.

أولاً- من صفات الداعية: الورع:

الورع من الصفات المهمة التي يجب أن يتحلى بها الداعية، لأن هذا يجعله يبتعد عن الأمور المشتبهة كما ينبئ عن إجلاله لله تعالى والخوف منه. وقد كان النبي ﷺ - وهو إمام الدعاة- أشد الناس ورعاً. وهذا واضح من قول النبي ﷺ: "لولا أني أخافُ أن تكونَ منَ الصدقةِ لأكلتُها".

قال النووي: (فيه استعمال الورع، وفيه أن التمرة ونحوها من محقرات الأموال لا يجب تعريفها بل يباح أكلها والتصرف فيها في الحال، لأنه ﷺ إنما تركها خشية أن تكون من الصدقة لا لكونها لقطة وهذا الحكم متفق عليه)[٢].

وقال الطيبي: (فيه تنبيه للمؤمن أن يجتنب عمّا فيه تردد واشتباه، لئلا يقع في الحرام)[٣].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث أن الشيء قد يجوز أن يكون مما لا يصلح فيترك احتياطاً)[٤].

---

(١) المراجع السابقة. وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٣/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٧٦، وانظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٣/٥-١٠٤.

(٣) شرح الطيبي على مشكاةالمصابيح، الطيبي ٤٧/٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٤٤/٥.

بل كان النبي ﷺ يجد التمرة على فراشه فلا يأكلها تورعاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها))(١).

قال ابن حجر: (قال المهلب: إنما تركها ﷺ تورعاً وليس بواجب، لأن الأصل أن كل شيء في بيت الإنسان على الإباحة حتى يقوم دليل على التحريم))(٢).

قال ابن القيم: (الورع أن يتوقى الحرام والشبه، وما يخاف أن يضره أقصى ما يمكنه التوقي... ويكون الباعث على الورع عن المحارم والشبه إما حذر حلول الوعيد وإما تعظيم الرب، وإجلالاً له أن يتعرض لما نهى عنه)(٣).

إن الورع هو أعلى درجات التقوى، وهو أرفع درجة من الزهد، فالزهد هو الامتناع عما لا ينفع إما لانتفاء نفعه أو كونه مرجوحًا لأنه مفوت لما هو أنفع منه أو محصل لما يربو ضرره على نفعه، أما الورع فإنه الإمساك عما قد يضر فتدخل فيه المحرمات والشبهات لأنها قد تضر، فإنه من اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يواقعه.

كما أن الزهد من باب عدم الرغبة والإرادة في المزهود فيه، والورع من باب وجود النفرة والكراهة للمتورع عنه(٤).

وقد جمع النبي ﷺ معاني الورع كلها في نص واحد فقال ﷺ: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))(٥) فهذا يعم الترك لما لا يعني من كلام والنظر

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٣٢، ومسلم ١٠٧٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٥/٤، وانظر جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٩٧/١-١٩٨.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٩٧/٢-١٩٨ بتصرف يسير، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٥/٤٣.

(٤) انظر: الزهد والورع والعبادة، ابن تيمية ص ٥٠-٥٢.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٧).

والاستماع والبطش والمشي والفكر وسائر الحركات الظاهرة والباطنة، فهذه الكلمة شافية في الورع[١].

وقال ابن رجب: (وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعني كله من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها فإن هذا كله لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه وبلغ إلى درجة الإحسان وهو أن يعبد الله تعالى كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه فمن عبد الله على استحضار قربه ومشاهدته بقلبه أو على استحضار قرب الله منه واطلاعه عليه فقد حسن إسلامه ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام ويشتغل بما يعنيه فيه فإنه يتولد من هذين المقامين الاستحياء من الله وترك كل ما يُستحى منه)[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: من خصوصيات النبي ﷺ عدم الأكل من الصدقة:

إن مقام النبوة مقام عظيم، والنبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء، لذا كان مقامه أعظم ومنزلته أكرم، ومن هذا الإكرام أن النبي ﷺ لا يأخذ الصدقة، وهذا واضح من الحديث "لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها".

قال ابن حجر: (وفيه تحريم قليلُ الصدقة على النبي ﷺ، ويؤخذ منه تحريمُ كثيرها من باب أولى)[٣].

وقال النووي: (فيه تحريم الصدقة عليه ﷺ وأنه لا فرق بين صدقة الفرض والتطوع، لقوله ﷺ "الصدقة" بالألف واللام، وهى تعم النوعين ولم يقل الزكاة)[٤].

جاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق العلماء على أن الله تعالى قد حرم علي رسوله ﷺ أخذ شيء من صدقات الناس سواء أكانت مفروضة أو تطوعاً، كالزكاة والكفارة والنذر والتطوع؛ صيانة لمنصبه الشريف، ولأنها تنبئ عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه،

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم، ١٩٥/٢.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٨٩/١.

(٣) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني ٣٤٥/٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٧٥.

وقد أبدل الله تعالى رسوله بها الفيء الذي يؤخذ على سبيل الغلبة والقهر، المنبئ عن عز الآخذ وذل المأخوذ منه. وقال ﷺ: ((إِنَّ الصَّدَقَةَ لاَ تَنْبَغِي لآلِ مُحَمَّدٍ . إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ))[1] هذا وإن تحريم الصدقات على آل البيت إنما هو لقرابتهم منه ﷺ)[2].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٧٢ من حديث عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه. وقال النووي: (ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم كما قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[التوبة: ١٠٣] فهي كغسالة الأوساخ). شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٧٧.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢/٢٦١-٢٦٢. وانظر: غاية السول في خصائص الرسول لابن الملقن، ١٢٥-١٢٧.

الحديث رقم (٥٩٠)

٥٩٠- وعن النَّواسِ بن سمعان رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

النواس بن سمعان: هو النواس بن سمعان الكِلابي ويقال: الأنصاري، له ولأبيه صحبة.

قال ابن عبدالبر: يقال إن أباه سمعان بن خالد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه نعليه، فقَبِلَهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وزَوَّجه أخته فلما دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم تعوَّذت منه فتركها وهي الكلابية.

وقد سكن الشام وروى عنه أبو إدريس الخولاني، وأهل الشام[2].

وهو راوي حديث الدجال المطوّل، وفيه: ((قلنا: يا رسول الله ما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا. اقدروا قدره))[3].

غريب الألفاظ:

حاك في صدرك: تردد فيه[4].

---

(١) برقم ١٤/٢٥٥٣. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٨٧. وسيكرره المؤلف برقم ٦٢٤.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٣٠/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٣١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٤٥/٥ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٣٤٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٦٤/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٤٤/٤.

(٣) أخرجه مسلم ١١٠-٢١٣٧.

(٤) رياض الصالحين ٢٦٧.

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ يوضح، ويحدد مفهوم البر، ومفهوم الإثم اللذين عليهما مدار الحسنة، والسيئة، واللام في لفظ (البر) للجنس حتى يشمل المفهوم جميع أنواع البر، وقد عرفه الرسول ﷺ بكلمة (حسن) واللفظ يوحي بجمال في جودة، وقبول، وإضافته للخلق تضبط حركة البار بميزان المعاملة مع الله، ومع الناس ببذل نفسه في تحمل أذاهم ورده بالمعروف، وقد قابله بالأثم الذي عرفه بأنه (مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)والتعبير بالحياكة لبيان شدة الأثر في القلب مع ما يوحي به من حركة في حنايا النفس، وقوله (وكرهت) يشير إلى الشعور ببغضه، وقبحه، وتوقع رفضه، والتعبير بالإطلاع يوحي بأنه مستور، كما أنه يحتاج إلى تكلف، وتعب لمعرفته، وهذا التحديد للإثم يزيد مفهوم البر وضوحا؛ لأن النفس لا تردد فيه، ولا يكره الإنسان إطلاع الناس عليه، كما أن تعريف البر بالحسن، يتضمن وسم الإثم بالقبيح، ويترك كل مصطلح في تمام الوضوح بإزاء ضده، فإن كثيرا من أصحاب العقول الفاسدة يجد في تزييف المصطلحات، وتلبيسها على الناس سبيلا لتضليلهم، وحملهم على الباطل.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال رسول الله ﷺ عن البر.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: البر وعلاماته والإثم وعلاماته.

رابعاً: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على معرفة الإثم بما يكتنفه من علامات.

خامساً: من مهام الداعية: تقديم الإجابة الواضحة الشافية للمدعو.

سادساً: من موضوعات الدعوة: من خصوصيات النبي ﷺ: جوامع الكلم.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٩٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٩١).

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر:

إن البر من الكلمات الجامعة لمعاني الخير وأنواع الطاعات؛ لذا حرص الصحابة رضي الله عنهم أشد الحرص على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن البر وعن علاماته وعن حَدّه. يتضح ذلك من حديث وابصة بن معبد رضي الله عنه: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "جئت تسأل عن البر؟ "وفي رواية في مسند أحمد بن حنبل، قال: ((أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلاّ سألته عنه وحوله عصابة[1] من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم، فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: دعوني فأدنو منه فإنه أحبَ الناس إليّ أن أدنو منه، قال: دعوا وابصة، ادن يا وابصة ـ مرتين أو ثلاثاً ـ قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، فقال: يا وابصة أخبرك أم تسألني؟ قلت: لا، بل أخبرني؟ فقال: جئت تسألني عن البر والإثم؟ فقال: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في صدري ويقول: يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك ـ ثلاث مرات ـ البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك))[2]. وفي حديث النواس بن سمعان: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البرِّ والإثم؟[3].

قال القرطبي: (أي عمّا يبرّ فاعله فيلحق بالأبرار وهم المطيعون لله تعالى، وعما يأثم فاعله فيلحق بالآثمين)[4].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه: ((أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان؟ قال: إذا سرَّتْك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن، قال: يا رسول الله، فما الإثم؟ قال: إذا حاك في نفسك شيء فدعه))[5].

---

(١) العصابة: الجماعة من الناس. الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ص ب).

(٢) أخرجه أحمد ٢٢٨/٤ رقم ١٨٠٠٦، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف جداً ٥٣٣/٢٩، وانظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٩٤/٢.

(٣) هذا هو أصل الحديث في صحيح مسلم ٢٥٥٣.

(٤) المفهم، القرطبي ٥٢٢/٦.

(٥) أخرجه أحمد ٢٥٢/٥ رقم ٢٢١٦٦، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٤٩٧/٣٦، وانظر أحاديث أخرى في هذا المعنى في: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٩٤/٢-٩٦.

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد أراد وابصة رضي الله عنه أن يسأل رسول الله ﷺ عن البر فقال له النبي ﷺ بصيغة السؤال: "جئت تسأل عن البر؟" فقال: نعم. فأخبره النبي ﷺ عن البر وعن ضده وهو الإثم. وذلك للامتثال والانقياد والطاعة والفعل. فكان ذلك من أساليب الدعوة. قال القرطبي: (فأجابه النبي ﷺ بجواب جُمْليٍّ أغناه به عن التفصيل)(١).

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: البر وعلاماته والإثم وعلاماته:

إن البر له علامات والإثم له علامات، ومن المهم جداً توضيح علامات كل قسم، حتى يعرف المدعو البرّ فيفعله ويعلم الإثم فيجتنبه. وقد قال النبي ﷺ عن البر "البر حسن الخلق" وقال عن علاماته: البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب.

قال القرطبي: (قوله ﷺ "البر حسن الخلق" يعني أن حسن الخلق أعظم خصال البر، ويعني بحسن الخلق: الإنصاف في المعاملة والرفق في المجادلة والعدل في الأحكام، والبذل والإحسان)(٢).

قال ابن رجب: (إن البر يطلق باعتبارين مُعيّنين:

أحدهما: باعتبار معاملة الخلق بالإحسان إليهم، وربما خص بالإحسان إلى الوالدين، فيقال: بر الوالدين، ويطلق كثيراً على الإحسان إلى الخلق عموماً... وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين.

وإذا قرن البر بالتقوى كما في قوله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾(٣)، فقد يكون المراد بالبر معاملة الخلق بالإحسان. وبالتقوى معاملة الحق بفعل طاعته، واجتناب محرماته وقد يكون أريد بالبر فعل الواجبات، وبالتقوى اجتناب المحرمات...

والمعنى الثاني من معنى البر: أن يراد به فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة

(١) المفهم، القرطبي ٥٢٢/٦.

(٢) المرجع السابق ٥٢٢/٦.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢.

كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[١].

فالبر بهذا المعنى يدخل فيه جميع الطاعات الباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والطاعات الظاهرة كإنفاق الأموال فيما يحبه الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد والصبر على الأقدار كالمرض والفقر، وعلى الطاعات كالصبر عند لقاء العدو. وقد يكون جواب النبي ﷺ في حديث النواس شاملاً لهذه الخصال كلها، لأن حسن الخلق قد يراد به التخلق بأخلاق الشريعة والتأدب بآداب الله التي أدب بها عباده في كتابه. كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن"[٣]، يعني أنه يتأدب بآدابه، فيفعل أوامره ويجتنب نواهيه، فصار العمل بالقرآن له خلقاً كالجبلة والطبيعة لا يفارقه، وهذا أحسن الأخلاق وأشرفها وأجملها، وقد قيل: إن الدين كله خلق.

وأما حديث وابصة فقال: "البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس"، وفي رواية: "ما انشرح إليه الصدر" وفسر الحلال بنحو ذلك في حديث أبي ثعلبة[٤] وغيره، وهذا يدل على أن الله فطر عباده على معرفة الحق والسكون إليه وقبوله وركز في

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) اخرجه مسلم ٧٤٦.

(٤) حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه نصه: "قلت يا رسول الله أخبرني بما يحل لي ويحرم عليّ. فقال: البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب، وإن أفتاك المفتون" أخرجه أحمد ١٩٤/٤ رقم ١٧٧٤٢. وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٧٩/٢٩.

الطباع محبة ذلك والنفور عن ضده ... فهذا يدل على أن الحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير بل يعرف الحق بالنور الذي عليه فيقبله قلبه وينفر عن الباطل فينكره ولا يعرفه. ومن هذا المعنى قول النبي ﷺ: ((سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ))[١].

يعني أنهم يأتون بما تستنكره قلوب المؤمنين ولا تعرفه. وفي قوله: "أنتم ولا آباؤكم" إشارة إلى أن ما استقرت معرفته عند المؤمنين مع تقادم العهد وتطاول الزمان فهو الحق، وأن ما أحدث بعد ذلك مما يستنكر فلا خير فيه. فدل حديث وابصة وما في معناه على الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه فما إليه سكن القلب وانشرح إليه الصدر فهو البر والحلال، وما كان خلاف ذلك فهو الإثم والحرام)[٢].

رابعاً- من مهام الداعية: دلالة المدعوين على معرفة الإثم وعلاماته لاجتنابه:

إن على الداعية أن يدل المدعوين على الإثم وعلى علاماته ودلائله حتى يجتنبوه ويبتعدوا عنه، وهذا ما بينه النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم كما هو واضح في الحديثين.

قال القرطبي: (قوله: "والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلَّعَ عليه الناس" أي: الشيء الذي يؤثر نفرة وحزازة في القلب. يقال: حاك الشيءُ في قلبي: إذا رسخ فيه وثبت. ولا يحيك هذا في قلبي، أي: لا يثبتُ فيه، ولا يستقرّ. قال شمرٌ: الكلامُ الحائك: هو الراسخُ في القلب، وإنما أحاله النبي ﷺ على هذا الإدراك القلبيِّ. لما علم من جودة فهمه، وحسن قريحته، وتنوير قلبه، وأنه يدركُ ذلك من نفسه. وهذا كما قال في الحديث الآخر: "الإثم حزَّازُ القلوب"[٣] يعني به القلوبَ المنشرحة للإسلام، المنوَّرة بالعلم

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة ٦.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٩٧-١٠١.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٧٧) عند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه. وقال ابن الأثير: هي الأمور التي تحزّ فيها، أي تؤثر كما يؤثر الحزّ في الشيء، وهو ما يخطر فيها أن تكون معاصي لفقد الطمأنينة إليها، ... ورواه شمر "الإثم حواز القلوب" -بتشديد الواو- أي يحوزها ويتملكها ويغلب عليها. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٢٠٤.

الذي قال فيه مالك: العلمُ نورٌ يقذفهُ اللّهُ تعالى في القلب، وهذا الجوابُ لا يصلح لغليظ الطبع قليل الفهم، فإذا سأل عن ذلك من قلَّ فهمه فصلّت له الأوامر والنواهي الشرعية)[١].

قال ابن رجب: (وقوله ﷺ في حديث النواس: "الإثم ما حاك في الصدر، وكرهت أن يطلع عليه الناس" إشارة إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حرجاً وضيقاً وقلقاً واضطراباً فلم ينشرح له الصدر ومع هذا فهو عند الناس مستنكر، بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه، وهذا أعلى مراتب معرفة الإثم عند الاشتباه، وهو ما استنكره الناس على فاعله وغير فاعله. ومن هذا المعنى قول ابن مسعود رضي الله عنه: ((ما رآه المؤمنون حسناً فهو عندَ اللّهِ حَسن، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح))[٢].

وقوله في حديث وابصة وأبي ثعلبة: "وإن أفتاك المفتون" يعني: أن ما حاك في صدر الإنسان فهو إثم وإن أفتاه غيره بأنه ليس بإثم. فهذه مرتبة ثانية وهو أن يكون الشيء مستنكراً عند فاعله دون غيره، وقد جعله أيضاً إثما، وهذا إنما يكون إذا كان صاحبه ممن شرح صدره بالإيمان، وكان المفتي يفتي له بمجرد ظن أو ميل إلى هوى من غير دليل شرعي، فأما ما كان مع المفتي به دليل شرعي فالواجب على المستفتي الرجوع إليه وإن لم ينشرح له صدره. وهذا كالرخص الشرعية مثل الفطر في السفر والمرض وقصر الصلاة في السفر ونحو ذلك مما لا ينشرح به صدور كثير من الجهال، فهذا لا عبرة به)[٣].

(وأما ما ليس فيه نص من الله ورسوله ولا عمن يقتدى بقوله من الصحابة وسلف الأمة فإذا وقع في نفس المؤمن المطمئن قلبه بالإيمان المنشرح صدره بنور المعرفة واليقين، منه شيء وحك في صدره لشبهة موجودة، ولم يجد من يفتى فيه بالرخصة إلا من يخبر عن رأيه، وهو ممن لا يوثق بعلمه وبدينه، بل هو معروف باتباع الهوى، فهنا يرجع المؤمن

---

(١) المفهم، القرطبي ٦/٥٢٣.

(٢) أخرجه أحمد ١/٣٧٩ رقم ٣٦٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٦/٨٤.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/١٠١-١٠٢.

إلى ما حك في صدره، وإن أفتاه هؤلاء المفتون)[١].

خامساً- من مهام الداعية: تقديم الإجابة الواضحة الشافية للمدعو:

إن الداعية عليه أن يقدم الإجابة الواضحة الشافية للمدعو، وذلك حتى يعرف المدعو ما الذي يفعله وما الذي يتركه، وهو إذ يفعل ذلك يقتدي بالنبي ﷺ كما هو واضح من عموم هذين الحديثين، فقد بيّن النبي ﷺ البر والإثم خير بيان وشفى وكفى.

قال النووي: (قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة. وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق، ومعنى "حاك في صدرك" أي تحرك فيه وتردد ولم ينشرح له الصدر وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنباً)[٢].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: لا تغضب. فردد مراراً قال: لا تغضب"[٣] زاد أحمد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ، ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله[٤].

قال ابن رجب الحنبلي: (وقول الصحابي: ففكرت فيما قال النبي ﷺ فإذا الغضب يجمع الشر كله. يشهد لما ذكرناه أن الغضب جماع الشر. قال جعفر بن محمد، الغضب مفتاح كل شر. وقيل لابن المبارك: اجمع لنا حسن الخلق في كلمة. قال: ترك الغضب)[٥].

سادساً- من موضوعات الدعوة: من خصوصيات النبي ﷺ: جوامع الكلم:

النبي ﷺ أفصح العرب وأبلغهم، آتاه الله تعالى جوامع الكلم، فكان كلامه ﷺ على وجازته يجمع الكثير من المعاني التي تحتاج إلى ألفاظ كثيرة

---

(١) السابق ٢/١٠٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦١١٦.

(٤) أخرجه أحمد ٥/٣٧٣ رقم ٢٣١٧١ وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٨/٢٣٧.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٣٦٣

نشرحها، وذلك واضح في قوله ﷺ: "البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس" وكذلك حديث وابصة.

(إن هذا الحديث من جوامع الكلم، لأن البر كلمة جامعة لجميع أفعال الخير، والإثم كلمة جامعة لجميع أفعال الشر)[١]، وقد جعل النووي هذا الحديث من الأحاديث الجوامع التي يقال: إن مدار الدين عليها وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة، فجعله في الأربعين النووية برقم (٢٧)[٢].

وقال القاضي عياض: (وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع وبداعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معانٍ وقلة تكلف، وأوتي جوامع الكلم)[٣].

وقال الكفوي: (وأسدُّ عبارات الأدباء في حدّ البلاغة وأوفاها بالغرض قولهم: البلاغة هي التعبير عن المعنى الصحيح لما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد على المقصد ولا انتقاص عنه في البيان. فعلى هذا فكلما ازداد الكلام في المطابقة للمعنى وشرف الألفاظ ورونق المعاني والتجنب عن الركيك المستغث كان بلاغته أزيد... ورجحان بلاغة النظم الجليل إنما هو بإبلاغ المعنى الجليل المستوعب إلى النفس باللفظ الوجيز، وإنما يكون الإسهاب أبلغ في كلام البشر الذين لا يتناولون تلك الرتبة العالية من البلاغة)[٤].

---

(١) تطريز رياض الصالحين: فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله آل حمد ص ٢٩٢.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٦/١، ٩٣/٢.

(٣) الشفا ١٥٨/١. وانظر: نضرة النعيم ٤٥٩/١-٤٦١.

(٤) الكليات، معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٢٣٦-٢٣٧.

الحديث رقم (٥٩١)

٥٩١- وعن وَابِصَةَ بن مَعبدٍ رضي الله عنه، قَالَ: أتَيْتُ رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ: ((جئتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ؟)) قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: ((اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البرُّ: مَا اطْمَأنَّت إلَيْهِ النَّفسُ، وَاطْمأنَّ إلَيْهِ القَلْبُ، وَالإثْمُ: مَا حَاكَ في النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإنْ أفْتَاكَ النَّاسُ وَأفْتُوكَ)) حديث حسن، رواه أحمد والدَّارمِيُّ في مُسْنَدَيْهِمَا[1].

ترجمة الراوي:

وابصة بن مَعبد: هو وابصة بن معبد بن عتبة الأسَدَي، قدم على رسول الله ﷺ في عشرة رهطٍ من قومه من بني أسد سنة تسعٍ، ورجع إلى بلاد قومه ثم نزل الجزيرة وسكن الرَّقة.

كان مكثراً من القراءة للقرآن الكريم متدبراً لآياته، كثير البكاء عند قراءته وعظيم الخشية عند تلاوته.

قال عنه أبو راشد الأزرق: كنت آتي وابصة بن معبد وقلّ ما أتيته إلا أصبت المصحف موضوعاً بين يديه ثم إنه كان يبكي حتى أرى دموعه قد بلّت الورق.

وقد قيل في وصفه كذلك: كان قارئاً، بكّاء لا يملك دمعه.

وقد روى أنه كان من أعوان الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز، فقد ذُكر أن عمر بعث إليه بمالٍ يقسمه بين الناس، وقال له: لا تقسمه إلا على نهر جارٍ؛ فإني أخاف أن يعطشوا.

وقد ذكر ذلك أبو علي الحراني في كتابه تاريخ الرقة، ثم قال: ولا أظن هذا إلا وهماً، لأن وابصة ما عاش إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز. وصوّب الحافظ ابن حجر في الإصابة قول أبي علي الحراني.

وقد مات وابصة في الرقة[2].

---

(١) أخرجه أحمد ١٨٠٠١، والدارمي ٢٥٧٥ واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٨٨ وقال: رواه أحمد بإسناد حسن.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٧٦/٧ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٥٦ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٣٩٨/٥ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٣٧٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٤٦/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٠/٤.

الشرح الأدبي

الحديث يحكي حوار طريفا بين الرسول ﷺ، وبين وَابِصَةَ بن مَعبدٍ رضي الله عنه يقرر في نهايته مفهوم البر، ومفهوم الإثم، وكيف يستطيع أن يفصل بينهما، وطرافة الحديث جاءت من إخبار الرسول ﷺ لوابصة رضي الله عنه بما جاء يسأل عنه قبل أن يتكلم فقال له (جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ ؟) وهو استفهام تقريري، وأبرزه في حيز الاستفهام التقريري مبالغة في إيضاح إطلاعه عليه، وإحاطته به، وهو من معجزاته ﷺ لأنه أخبره بما في نفسه، فقال له نعم، وقول الرسول ﷺ (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: مَا اطْمَأَنَّتْ إليه النَّفسُ. وَاطْمأنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ) الاستفتاء هو سؤال المفتي، والمقصود به هو استشعار ما في القلب تجاه الموضوع، والتعبير بالطمأنينة يوحي بالسكينة وعدم القلق وذكر للنفس، والقلب يشير إلى تحقق الطمأنينة الكاملة التي تتمثل في الاقتناع العقلي مع الاقتناع القلبي ثم وضح نقيضه إمعانا في بيانه لأن الضد يصير أكثر تميزا بالمقارنة بضده وهو الإثم والتعبير بالتردد في جانبه يوحي بعدم الاستقرار، وعدم الاقتناع بالأمر وهو حال كثير من الناس في مسائل محرمة تشتهيها نفوسهم فيتردد الواحد بين الناس بين هذا، ويسأل ذاك، وإنما يريد أن يجد من يطيعه في هوى نفسه ويفتيه بالحل حتى وبعضهم يلجأ إلى حكاية موضوع الفتوى بطريقة توهم المفتي حتى يحكم له بما يريد. فيذهب وفي صدره ما فيه مما يريب، وقد حذر الرسول ﷺ(وإن أفتاك الناس، وأفتوك) والجناس يؤكد المعنى، ويشير إلى كثرة المفتين لأنه نسب الإفتاء للمعرف بلام الجنس الشامل للجميع (الناس) وليس أهل العلم (خاصة) دلالة على التخبط الذي لا يسفر عن الوصول لغاية، ولا يعتزم تحقيق الهداية.

فقه الحديث

حجية الإلهام:

الإلهام: أن يلقي الله في النفس أمرًا يبعث على الفعل أو الترك وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده[1].

---

(١) شرح الكوكب المنير ص ٣٢٥ ط/ السنة المحمدية، وشرح جمع الجوامع ٢/ ٣٣٩، ٣٤١ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦/ ١٨٨).

ويتفق الأصوليون على أن الإلهام من الله تعالى لأنبيائه حق، وهو بالنسبة للنبي ﷺ حجة في حقه، كذلك هو في حق أمته، ويكفر منكر حقيقته، ويفسق تارك العمل به كالقرآن.

أما إلهام غير الأنبياء من المسلمين، فإنه ليس بحجة، لأنه من ليس معصومًا لا ثقة بخواطره، لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان فيها، وهو قول جمهور أهل العلم، وهو المختار عند الحنفية، ولا عبرة بما قاله قوم من الصوفية بأنه حجة في الأحكام[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) جمع الجوامع ٣٥٦/٢، والتقرير والتحبير ٢٩٥/٣، ٢٩٦ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٨٨/٦). وانظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٠٣/٢-١٠٤ شرح الحديث ٢٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٩٢)

٥٩٢- وعن أَبي سِرْوَعَةَ -بكسر السين المهملة وفتحها- عُقبَةَ بنِ الحارِثِ رضي الله عنه: أنَّهُ تَزَوَّجَ ابنَةً لأبي إهَابِ بن عزيزٍ، فَأتَتْهُ امْرَأةٌ، فَقَالَتْ: إنّي قَدْ أرضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي قَدْ تَزَوَّجَ بهَا. فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أعْلَمُ أنَّك أرضَعْتِنِي وَلاَ أخْبَرْتِني، فَرَكِبَ إلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ: فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كَيْفَ؟ وَقَد قِيلَ)) فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجاً غَيْرَهُ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو سروعة النوفلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٨).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى ورع الصحابة، ويعرض صورة من صور هذا الورع حدثت مع عقبة بن الحارث رضي الله عنه عندما تزوج، وأتته امرأة فَقَالَتْ: (إنّي قَدْ أرضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي قَدْ تَزَوَّجَ بهَا) وعبارة المرأة مؤكدة ب(إن) ونسبة الفعل لنفسها التي تنفي وهم الظن، أو الخطأ، وتحقيق الفعل بصياغته في الماضي، ودخول حرف التحقيق قد التي تزيده تأكيداً لتوقعها إنكار مضمون الخبر، وقول عقبة رضي الله عنه للمرأة (مَا أعْلَمُ أنَّك أرضَعْتِنِي وَلاَ أخْبَرْتِني) ظاهره إنكار قولها لعدم علمه، وقد أكده بنفي الإخبار قبل الزواج تبرئة لنفسه من التعدي (فَرَكِبَ إلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمَدِينَةِ) كناية عن سفره للقاء الرسول صلى الله عليه وسلم، ويشير إلى مدى عنايته بالأمر، واهتمامه به، لأن الركوب عندهم يكون عند الخطب العظيم، وقوله (بالمدينة) يشير إلى تجشمه المصاعب للوقوف على الحقيقة، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم له: (كَيْفَ؟ وَقَد قِيلَ) استفهام إنكاري بني على الإيجاز أي كيف تستمر في زواجك بها، وقد قيل أنكما أخوان من الرضاعة؟، وقول الراوي (فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجاً غَيْرَهُ) تشير فاء الربط إلى سرعة امتثاله للتوجيه

---

(١) برقم ٨٨.

النبوي المفهوم من الاستفهام، والتعبير بالفراق كناية عن الطلاق، ولكنه أعم منه، والطلاق مختص بفراق الزوجين، ولعله لم يعبر بالطلاق:لأن الفراق لم يكن عن كراهة أو خلاف، وإنما مطلق فراق امتثالا لأمر الشارع وهو من شدة ورعهم رضي الله عنهم.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم شهادة المرأة الواحدة في الرضاع: اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنفية إلى أنه لا يقبل في الرضاع شهادة النساء منفردات، وإنما يثبت بما يثت به المال، وهو شهادة رجلين، أورجل وامرأتين ولا يقبل أقل من ذلك، ولا شهادة النساء بانفرادهن(١).

وذهب الشافعية إلى أنه يقبل في الرضاع شهادة النساء منفردات، ولا يقبل أقل من أربع نسوة، وتجوز شهادة رجلين، أو رجل وامرأتين(٢).

وقال المالكية: يثبت الرضاع بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين مطلقاً قبل العهد وبعده، ويعمل قبل العقد في غير الرشيد بإقرار أحد الأبوين ولو أماً وأولى بإقرارهما معاً، فيفسخ إن وقع، ولا يعتبر إقرارهما بعده، وأما بعد العقد فيقبل شهادة رجل وامرأة أو شهادة امرأتين إن فشا قبل العقد، ولا يقبل شهادة أمرأة واحدة ولو فشا ذلك.

كما يثبت برجل وامرأتين ولا يشترط الفشو في ذلك، أما شهادة المرأة منفردة فلا يثبت بها الرضاع فشا أم لا، حتى لو كانت عدلاً على المشهور(٣).

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٤٠/٦، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٤٣٧/٧.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٤٢/٤، والوسيط، مجمع اللغة العربية ٣٦٦/٧ وما بعدها.

(٣) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢٧٩/١٠.

أما المذهب عند الحنابلة فهو قبول شهادة المرضع المنفردة، وفي رواية: تحلف الشاهدة. وفي ثالثة لا يقبل فيه أقل من امرأتين[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحوار.

ثانياً: من آداب المدعو: الاستفتاء والسؤال عما قد يعرض من الأمور.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الأخذ بالورع.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحوار:

هذا واضح من أن امرأة أتت عقبة بن الحارث رضي الله عنه فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي قد تزوّج بها، فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني، ثم أرسل إلى آل أبي إهاب يسألهم فقالوا: ما علمنا أرضعت صاحبتنا[2]، ثم ركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله: فقال رسول الله ﷺ: كيف وقد قيل؟ فكان الحوار من أساليب الدعوة التي استخدمت هنا لبيان الورع وترك الشبهات.

ثانياً- من آداب المدعو: الاستفتاء والسؤال عما قد يعرض له من الأمور:

إن المدعو يعرض له في حياته ما يحتاج معه إلى سؤال الداعية، ليوضح له الصواب في الأمر، ومن ثم يكون الامتثال والانقياد، وهذا واضح من أن عقبة بن الحارث رضي الله عنه ركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يسأله عما أخبرته به المرأة من كونها أرضعته هو وزوجته. قال ابن حجر: (قوله: فركب، أي: من مكة؛ لأنها كانت دار إقامته)[3].

وقد ساق البخاري هذا الحديث في عدة مواضع من صحيحه أولها في كتاب: العلم، وجعله تحت باب: الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله[4]، وفي رواية للبخاري:

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٧/٣٧٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٠/٢٢٤ وما بعدها.

(٢) هذه رواية عند البخاري ٢٦٤٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ٣، و ٨٨.

فَذَكَرْتُ ذلكَ لهُ، فأَعْرَضَ، فَتَنَحَّيْتُ فَذَكَرْتُ ذلكَ لهُ، فقالَ: ((كيفَ وقدْ زَعَمْتَ أَنَّهَا أَرْضَعَتْكُمَا)) فنهاه عنها[1]. قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث جواز إعراض المفتي ليتنبه المستفتي على أن الحكم فيما سأله الكف عنه، وجواز تكرار السؤال لمن لم يفهم المراد والسؤال عن السبب المقتضي لرفع النكاح)[2].

ومن هذا القبيل - قبيل الاستفتاء والسؤال عما يعرض للمدعو من الأمور- ما روته زينب رضي الله عنها امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: ((تَصَدَّقْنَ. يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حَلْيِكُنَّ)) قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ. فَأْتِهِ فَاسْأَلْهُ. فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يَجْزِي عَنِّي وَإِلاَّ صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ. قَالَتْ: فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ: بَلِ ائْتِيهِ أَنْتِ. قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ. فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللَّهِ. حَاجَتِي حَاجَتُهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ. قَالَتْ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلاَلٌ فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ . فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلاَنِكَ: أَتَجْزِي الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا، عَلَى أَزْوَاجِهِمَا، وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا؟ وَلاَ تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ. قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلاَلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ. فَسَأَلَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : ((مَنْ هُمَا؟)) فَقَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((أَيُّ الزَّيَانِبِ؟)) قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّه. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : ((لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ))[3].

وقال د. فاروق حمادة: "وقد شرعت لنا السنة النبوية الشريفة إذا ما نزلت نازلة في مكان أو جهة ما أو شخص أو جماعة ما من الأمة، ولم تجد لها جواباً، فلا بد لها من تَكلُّف البحث والسعي في حلّ المشكل، ولو تكلف ذلك جهداً ومالاً، وقد بوب البخاري في صحيحه، كما فعل ذلك غيره - باب الرحلة في المسألة النازلة، وساق حديث عقبة بن الحارث رضي الله عنه وركوبه من مكة إلى المدينة ليسأل رسول الله ﷺ عن نازلته التي حلّت به. إن المفكر المسلم وبتوجيه السنة الشريفة باحث عن الحكمة

(١) أخرجه البخاري ٢٦٥٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٨/٥.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٦٦، ومسلم ١٠٠٠.

متطلع إلى آفاقها منقب عن مصادرها ومكامنها متشبع بهداها وآثارها، ولن يشبع من الخير حتى يكون منتهاه الجنة... وإن الأمة التي تتشبع بروح البحث هذه وتعمل بذلك مهما حلّ بها من مشاكل أو ادلهم في طريقها من أحداث لن تتوقف مسيرتها، ولن تعجز عن حلّها، ولن تنزوي في ركن من أركان الحياة. بل ستبقى مسيطرة على مشاكلها، مالكة لزمام أمرها، نافذة في طريقها متجددة تجدد أيام الحياة، فإذا ما ضعفت هذه الروح خارت وتراجعت"[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الأخذ بالورع:

إن الأخذ بالورع في موضعه يدل على صدق الإيمان وخشية الرحمن، كما يجنب الوقوع في الشبهات ومن ثم البعد عن الحرام والزلل، وقد أخذ بذلك عقبة بن الحارث رضي الله عنه، ففي الحديث: (ففارقها عقبة)، قال ابن حجر عن هذا الحديث: "وجه الدلالة من قوله: كيف وقد قيل؟، فإنه يشعر بأن أمره بفراق امرأته إنما كان لأجل قول المرأة إنها أرضعتهما، فاحتمل أن يكون صحيحاً فيرتكب الحرام فأمره بفراقها احتياطاً على قول الأكثر. وقيل: بل قبل شهادة المرأة وحدها على ذلك"[٢].

وقال البغوي: "وقوله صلى الله عليه وسلم: (كيف وقد قيل؟) إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى مفارقتها من طريق الورع، لا من طريق الحكم، أخذاً بالاحتياط في باب الفَرْج، وليس فيه دلالة على وجوب الحكم بقول المرأة الواحدة لأن سبيل الشهادات أن تقام عند الحكام ولم يوجد ههنا إلا إخبار امرأة عن فعلها في غير مجلس الحكم، والزوج مكذب لها، وبمثل هذا لا يثبت الحكم حتى يكون دليلاً على جواز شهادة المرأة الواحدة"[٣].

وقد أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام من طريق عمر والمغيرة بن شعبة وعلي بن أبي طالب وابن عباس أنهم امتنعوا من التفرقة بين الزوجين بذلك، فقال عمر: فرق بينهما إن

---

(١) أسس العلم وضوابطه في السنة النبوية، د. فاروق حمادة ص ١٩ - ٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٣/٤.

(٣) شرح السنة ٨٧/٩ - ٨٨، وفي المسألة خلاف بين الفقهاء، انظر: سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ص ٧١٨، وتوضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٦/٥.

جاءت بينة وإلا فخل بين الرجل وامرأته إلا أن يتنزها، ولو فتح هذا الباب لم تشأ امرأة أن تفرق بين الزوجين إلا فعلت[١]، فقوله: (إلا أن يتنزها)، هو معنى الورع"[٢].

وقال ابن حجر: (قال الخطابي: كل ما شككت فيه فالورع اجتنابه ثم هو على ثلاثة أقسام: واجب ومستحب ومكروه، فالواجب اجتناب ما يستلزمه ارتكاب المحرم، والمندوب اجتناب معاملة من أكثر ماله حرام، والمكروه اجتناب الرخص المشروعة على سبيل التنطع)[٣].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٨/٥.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٨/٤٣، وانظر هناك: نصوص أخرى متعلقة بالموضوع نفسه.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٣/٤.

الحديث رقم (٥٩٣)

٥٩٣- وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما، قَالَ: حَفِظتُ من رسول الله ﷺ: ((دَعْ مَا يريبك إلَى ما لاَ يَريبُكَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

معناه: اتْرُكْ مَا تَشُكُّ فِيهِ، وَخُذْ مَا لاَ تَشُكُّ فِيهِ.

ترجمة الراوي:

الحسن بن علي بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٥).

الشرح الأدبي

حديث الرسول ﷺ مبني على إيجاز القصر يحقق المحافظة على نشاط النفس؛ لأن الكلام الموجز غير المخل المؤدي للغرض، والموصل للمعنى بأقصر عبارة أدعى للمحافظة على نشاط نفس المتلقي في متابعته وإبعاد السأم، والملل عنها؛ ولذلك نجد البلاغيين يؤكدون على هذا البعد النفسي للإيجاز يقول أبو هلال العسكري: (للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى الاستثقال، وصار سبباً للملال) وحديث الرسول ﷺ قليل الألفاظ كثير المعاني لأن المعنى الذي يتناوله يصلح أن يكون قاعدة كلية يتعامل بها الإنسان في مختلف مناحي الحياة، وفي أمور الدين، وقوله: (دَعْ مَا يريبُكَ إلى ما لاَ يَرِيبُكَ) أمر توجيه، وإرشاد والتعبير بالفعل (دع) عن معنى الترك؛ لأنه ترك في هوادة لا تعلق للنفس به، ولا جلبة حوله لأن المريب تكثر حوله الشبهات، والعاقل يستل نفسه مبتعدا عنه من غير تعلق به، وتعريفه بالموصول (ما) للإشارة إلى أن ما يتبعه من صفات حقيق بها، والتعبير بالريبة يشير إلى خفي العواقب مخيفها، وقوله (إلى ما لا يريبك) توجيه لاختيار ما صفى في العادة، والعبادة، والاعتقاد يوفر على العبد طاقته العقلية، ويجنبه خطر المخالفة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٢٥١٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصحّحه أيضًا ابن خزيمة ٢٣٤٨، وابن حبان، الإحسان ٧٢٢. وقال الحاكم ١٣/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص ٩٩/٤: سنده قويٌّ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٩١. وتقدم برقم ٥٥.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث برقم (٥٥).

الحديث رقم (٥٩٤)

٥٩٤- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قالت: كَانَ لأبي بَكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غُلامٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكرٍ يَأكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْماً بشَيءٍ، فَأكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكر. فَقَالَ لَهُ الغُلامُ: تَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بكر: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ، إلاَّ أنّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي، فَأعْطَانِي لِذلِكَ، هَذَا الَّذِي أكَلْتَ مِنْهُ، فَأدْخَلَ أَبُو بَكرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ. رواه البخاري[(١)].

(الخَرَاجُ): شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلَى عَبْدِهِ يُؤدِّيهِ كُلَّ يومٍ، وَباقِي كَسْبِهِ يَكُونُ لِلْعَبْدِ[(٢)].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الخَرَاجَ: هو شيء يجعله السيد على عبده يؤديه كل يوم، وباقي كسبهِ يكونْ للعبد[(٣)].

تكهَّنت: أخبرت بالغيب: ادّعاءً لمعرفته[(٤)].

الشرح الأدبي

التعبير بفعل الكينونة الماضي يضرب في عمق الماضي ليسترد منه قصة واقعية من نماذج الورع العليا في تاريخ الإنسانية توافق غرضا عند المتكلم، وقول أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (كَانَ لأبي بَكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غُلامٌ) أي عبد بينت عمله بالجناس في قولها (يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ) أي يعمل، ويعطي سيده قدرا من المال متفقا عليه، ويأخذ الباقي لنفسه، وقول الغلام (تَدْرِي مَا هَذَا؟) استفهام تنبيه، وإعلام فأجابه بسؤال (ما هو؟) عن حقيقته، وقول الغلام (كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ

---

(١) برقم ٣٨٤٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٩٢.

(٢) بنصه في الترغيب ٥٤٦/٢.

(٣) رياض الصالحين ٢٦٩.

(٤) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك هـ ن).

الكَهَانَةَ.) بين قوله تكهنت، وكهانة جناس يؤكد المعنى ويشير إلى موضع الخطأ، وقوله (وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ) يشير إلى أنها حيلة وخداع أكدها صراحة بقوله (إلاَّ أنّي خَدَعْتُهُ. فَلَقِيَنِي، فَأعْطَانِي لِذلِكَ، هَذَا الَّذِي أكَلْتَ مِنْهُ) والإشارة للقريب تشير إلى الطعام الحاضر الذي تناوله أبو بكر رضي الله عنه وأكده تعريفه بالموصول وقوله (، فَأدْخَلَ أبُو بَكْرٍ يَدَهُ) تعبيره بإدخال اليد مجاز للمبالغة في تصوير الفعل للخلاص من الطعام المشبوه وقوله (فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ) التعبير بكل، وإضافته للنكرة (شيء) تفيد شدة التحري، والمبالغة في تجنب الحرام، وتطهير النفس، وهو نموذج في الورع، والتقوى يرتفع مثالا بين الشرفاء في كل زمان ومكان.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم التكهن وإتيان الكهانة وأخذ العوض عن ذلك: أجمع العلماء على أن التكهن، وإتيان الكهانة، والتنجيم، والضرب بالرمل، وبالشعير، والحصى، والشعوذة، حرام، تعليماً، وتعلماً، وفعلاً، وكذا إعطاء العوض أو أخذه عنها، بالنص الصحيح في حلوان الكاهن، وهو أنه ﷺ (نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن)[1]، والباقي بمعناه.

كما لا يحل لأحد تصديقه لأنه كفر[2]، لقوله ﷺ: ((مَنْ أَتى كَاهِناً أوعَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلى مُحَمَّدٍ))[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٣٧، ومسلم ١٥٦٧ من حديث أبي مسعود البدري.

(٢) شروح مسلم للنووي ٢٣٠/١٠/٥، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٧/٤، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٤٨٨-٤٨٩، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٩٧٦، وروضة الطالبين، الإمام النووي، ٤٠٣/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٤٥/١٦، ورد المحتار على الدر المختار المسمى "حاشية ابن عابدين"، محمد امين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٢٨/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ١٨٦/١٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٣٥/٦ وما بعدها، وشرح منتهى والإرادات ٣٢٣/١١ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٣٥. الكفر المذكور في الحديث قال عنه السندي: هذا إن كان مستحلاً لذلك. وقيل: بل هو تغليظ وتشديد، أي عمل عَمَل من كفر. قاله السندي على حاشية مسند أحمد بن حنل ١٦٦/١٥.

(٣) أخرجه أحمد ٤٢٩/٢ رقم ٩٥٣٦، وقال محققو المسند: حديث حسن ٣٣١/١٥.

المضامين الدعوية

أولاً : من أساليب الدعوة: الحكاية.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: ورع أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

رابعاً: من آداب المدعو : تحري الحلال والبعد عن الشبهات

أولاً- من أساليب الدعوة: الحكاية:

هذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها : كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج... إلخ ، فكانت الحكاية أسلوباً لبيان ورع الصديق رضي الله عنه.

وقد أُستخدم أسلوب الحكاية بكثرة في الدعوة[1] ، ومن ذلك حديث الغلام والساحر والراهب وأوله: ((كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...))[2]. والذي أفاد مدى صدق الغلام وتحمله الأذى من أجل تمسكه بدينه، حتى إنه دلّ عدوه على طريقة قتله من أجل نشر دين الله.

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد وجه الغلام لأبي بكر رضي الله عنه سؤالاً: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ فأجابه الغلام بأنه أجر على كهانته في الجاهلية. فعرف أبو بكر رضي الله عنه عن طريق السؤال والجواب حقيقة ما أكله، فسارع بإخراجه من بطنه تنزهاً وتورعاً أو من باب الحرمة.

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث جواز أكل السيد من غلة المملوك وخراجه، وعلى أن أبا بكر رضي الله عنه لم يسأل عبده هذا، الوجه الذي جاء به حتى ابتدأ العبد فذكر ذلك، فيدل على جواز أكل الرجل من غلة عبده من غير أن يسأله، وعلى ذلك فإن العبد إذا ذكر لسيده الوجه الذي جاءه بذلك منه في المقام المشتبه عليه كهذه الحالة كان العبد بذلك مثاباً عند الله عز وجل)[3].

---

(١) انظر على سبيل المثال: فهارس مسند أحمد بن حنبل ٤٨/١٧٢-١٩٣ ط مؤسسة الرسالة.

(٢) أخرجه مسلم ٣٠٠٥.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٩١/١ - ٩٢.

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: ورع أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لازمه منذ إسلامه حتى وفاته صلى الله عليه وسلم وكان معه في الغار، وهو خليفته، وهو أفضل الصحابة رضي الله عنهم، فلا عجب أن يشتهر بالورع. وهذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها " فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه وقد وقع ذلك لأبي بكر رضي الله عنه غير مرة، قال ابن حجر: (ووقع لأبي بكر مع النعيمان أحد الأحرار من الصحابة قصة ذكرها عبدالرزاق[1] بإسناد صحيح: "أنهم نزلوا بماء، فجعل النعيمان يقول لهم: كذا وكذا فيأتونه بالطعام فيرسله إلى أصحابه، فبلغ أبا بكر خبره فقال: أراني آكل كهانة النعيمان منذ اليوم ثم أدخل يده في حلقه فاستقاءه. وفي الورع لأحمد[2] عن إسماعيل عن أيوب عن ابن سيرين "لم أعلم أحداً استقاء من طعام غير أبي بكر، فإنه أتى بطعام فأكل ثم قيل له: جاء به ابن النعيمان. قال: فأطعمتموني كهانة ابن النعيمان. ثم استقاءه" ورجاله ثقات لكنه مرسل.

ولأبي بكر قصة أخرى في نحو هذا أخرجها يعقوب بن أبي شيبة في مسنده من طريق نبيح العنزي عن أبي سعيد قال: كنا ننزل رفاقاً، فنزلت في رفقة فيها أبو بكر على أهل أبيات فيهن امرأة حبلى ومعنا رجل. فقال لها: أبشرك أن تلدي ذكراً. قالت: نعم فسجع لها أسجاعاً، فأعطته شاة فذبحها وجلسنا نأكل، فلما علم أبو بكر بالقصة قام فتقيأ كل شيء أكله)[3].

وقد يكون من المناسب هنا ذكر ما كان عليه أبو بكر رضي الله عنه في الجاهلية من عفة وصيانة نفس، فقد عنون السيوطي في ترجمته: فصل كان أبوبكر رضي الله عنه أعفَّ الناس في الجاهلية، ساق تحته جملة من الأخبار منها: أخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: والله ما قال أبوبكر شعراً قط في جاهلية ولا إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية.

---

(١) مصنف عبدالرزاق ٢٠٣٤٦/١١.

(٢) الورع، أحمد بن حنبل: تحقيق د. مصطفى الذهبي، مكتبة نزار مصطفى الباز ص ٦٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٩/٧-١٩٠، والقصة بنحوها في الورع لأحمد بن حنبل ص ٦٧.

وأخرج أبو نعيم بسند جيد عنها قالت: لقد كان حرّم أبوبكر الخمر على نفسه في الجاهلية. وأخرج ابن عساكر عن عبدالله بن الزبير قال: ما قال أبوبكر شعراً قط[1].

رابعاً- من آداب المدعو : تحري الحلال والبعد عن الشبهات:

إن على المدعو أن يتحرى الحلال ويبتعد عن الأمور المشتبهة، فإن ذلك أسلم لدينه وأحفظ له، وهذا واضح من استقاءة أبي بكر الطعام، فهذا دعوة للغلام -وهو المدعو- أن يتحرى الحلال ويبتعد عن الشبهات أو المحرمات.

قال ابن حجر: (قال ابن التين: إنما استقاء أبو بكر تنزهاً لأن أمر الجاهلية وضع. ولو كان في الإسلام لغرم مثل ما أكل أو قيمته ولم يكفه القيء. كذا قال. والذي يظهر أن أبا بكر إنما قاء لما ثبت عنده من النهي على حلوان الكاهن[2]. وحلوان الكاهن ما يأخذه على كهانته، والكاهن من يخبر بما سيكون من غير دليل شرعي، وكان ذلك قد كثر في الجاهلية خصوصاً قبل ظهور النبي ﷺ)[3].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه ما يدل على ورع أبي بكر رضي الله عنه ولا سيما في هذه الصورة، فإن أخذ الأجر على الكهانة محرم، ثم الخديعة في ذلك محرمة، فتغلظ الأمر بأنه خدع في الحرام، فبادر أبو بكر رضي الله عنه إلى بذل جهده من كونه أخرج ما حصل في بطنه من ذلك... إلا أن هذا الحديث إن بلي بمثله مؤمن على مثل صورته، فخاف إن هو جاء على نفسه التلف، فلا يتعرض للقئ بل يستغفر الله

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ٣٠.

(٢) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن. أخرجه البخاري ٢٢٣٧، ومسلم١٥٦٧. وجاء في الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية : (أجمع الفقهاء على أن التكهن والكهانة بمعنى ادعاء علم الغيب والاكتساب به حرام، كما أجمعوا على أن إتيان الكاهن للسؤال عن عواقب الأمور حرام، وأن التصديق بما يقوله كفر. ونهى عن أكل ما اكتسبه بالكهانة لأنه سحت، جاء عن طريق غير مشروع... وتشمل الكهانة كل ادعاء بعلم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، ويشمل اسم الكاهن كل من يدعي ذلك من منجم وعراف وضراب بالحصباء ونحو ذلك، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٣٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٠/٧.

تعالى. إذ لا يجوز له التعرض لإتلاف نفسه)[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً. وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[(٢)] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[(٣)]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك)[(٤)].

قال النووي: (وهذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومباني الأحكام. وقد جمعت منها أربعين حديثاً في جزء. وفيه الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من غيره، وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالاً خالصاً لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره)[(٥)].

جاء في الموسوعة الفقهية: (اجتناب الشبهات على مراتب:

الأولى: ما ينبغي اجتنابه لأن ارتكابه يستلزم ارتكاب الحرام وهو ما يكون أصله التحريم كالصيد للشكوك في حل اصطياده فإنه يحرم أكله قبل ذكاته فإذا شك فيه بقي على أصل التحريم حتى يتيقن الحل.

يدل لهذا حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: ((سألتُ رسولَ الله ﷺ عنِ المِعْراضِ[(٦)]، فقال: إذا أصابَ بحَدِّهِ فكُلْ، وإذا أصابَ بعَرْضهِ فقَتلَ فلا تأكُلْ، فإنه

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٩١/١.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٠١٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٤.

(٦) صيد المعراض: موت الحيوان بفعل ضغط الآلة على جسمه لا بالجرح. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي، ٤١٠.

وَقِيذ[١]. قلت: يا رسولَ الله أُرسِلُ كلبي وأُسَمِّي، فأجِدُ معَهُ على الصَّيدِ كلباً آخَرَ لم أُسَمِّ عليه، ولا أدْري أيُّهما أخَذَ. قال: لا تأكُلْ، إنما سمَّيتَ على كلبكَ ولم تُسمِّ على الآخَرِ))[٢].

ويدل له كذلك حديث أبي سروعة عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: ((أنَّ امرأةً سَوداءَ جاءت فزَعمَتْ أنها أرضعَتْهما، فذَكر للنبيِّ ﷺ، فأعرَضَ عنهُ وتَبسَّمَ النبيُّ ﷺ قال: كيفَ وقد قِيلَ؟ وقد كانت تحتَهُ ابنةُ أبي إهابٍ التَّميميّ))[٣]. ووجه الدلالة من الحديث قوله ﷺ "كيف وقد قيل؟" مشعر بأنه أمره بفراق امرأته إنما كان لأجل قول المرأة إنها أرضعتهما فاحتمل أن يكون صحيحاً فيرتكب الحرام فأمره بفراقها احتياطاً.

الثانية: ما أصله الإباحة كالطهارة إذا استوفيت لا ترفع إلا بتيقن الحدث. يدل له حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال: ((شُكِيَ إلى النبيِّ ﷺ الرَّجُلُ يَجدُ في الصلاةِ شيئاً أيَقْطَعُ الصلاةَ؟ قال: لا، حتّى يَسمَعَ صَوتاً أو يَجِدَ رِيحاً))[٤]. ومن أمثلته من له زوجة وشك هل طلق فلا عبرة لذلك وهي باقية على عصمته.

الثالثة: ما لا يتحقق أصله ويتردد بين الحظر والإباحة فالأولى تركه. يدل له حديث أنس رضي الله عنه قال: ((مرَّ النبيُّ ﷺ بتمرةٍ مَسْقوطةٍ فقال: لولا أن تكونَ صَدَقةً لأكَلْتُها))[٥]. وإنما ترك ﷺ أكلها تورعاً وليس بواجب لأن الأصل أن كل شيء في بيت الإنسان على الإباحة حتى يقوم دليل على التحريم.

الرابعة: ما يندب اجتنابه. ومثاله عند بعض الفقهاء اجتناب معاملة مَنْ الأقلُّ من ماله حرام.

الخامسة: ما يكره اجتنابه ومثاله: اجتناب الرخص الشرعية على سبيل التنطع[٦].

---

(١) وقيذ: فعيل بمعنى مفعول، أي موقوذ، والموقوذة: المقتولة بالخشب، كانوا في الجاهلية يضربونها بالعصا. فإذا ماتت أكلوها. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٧٩.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٥٤، ومسلم ١٩٢٩.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٥٢.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٥٦، ومسلم ٣٦١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٠٥٥، ومسلم ١٠٧١.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٢/٢٥-٢٤٣ ومصادرها ومراجعها. والتنطع: تنطع في الشيء: غالى وتكلّف فيه وتعمق. الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ط ع).

الحديث رقم (٥٩٥)

٥٩٥- وعن نافِعٍ: أن عُمَرَ بن الخَطّاب رضي الله عنه كَانَ فَرَضَ لِلمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلافٍ[1]، وَفَرَضَ لابْنِهِ ثَلاثَةَ آلافٍ وَخَمْسَمِئَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنَ المُهَاجِرِينَ فَلِمَ نَقَصْتَهُ[2]؟ فَقَالَ: إنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبُوهُ[3]. يقول: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ. رواه البخاري[4].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

فرض: أي أوجب وقطع من العطاء[5].

الشرح الأدبي

الحديث يعرض صورة من صور ورع أولى الأمر، وعدالتهم، وتحريهم الحق حتى مع أقرب الناس إليهم، وهذه القصة لعمر رضي الله عنه تؤكد ذلك عمليا حيث خالف في فرض ابنه ما فرض للناس نقصا، وليس زيادة، وهو ما أثار سؤال من حوله (هُوَ مِنَ المُهَاجِرِينَ فَلِمَ نَقَصْتَهُ؟) استفهام يبحث عن العلة، ويحمل تعجبا بسبب النقص، وقول عمر رضي الله عنه (إنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبُوهُ) أسلوب قصر يقصر الهجرة به على أبوه لا على نفسه، ويشير إلى أنه كان يوم الهجرة صغيرا دون البلوغ، وبذلك رأى أنه لا يستحق فرض المهاجر بنفسه، وهو ما وضحه بقوله (لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ) لم يسو بين المهاجر بنفسه، والمهاجر تبعا لوالديه، وهذا النموذج في الورع، والتحري لكل من تولى أمرا من أمور المسلمين ألا يميز أولي القرابة عن غيرهم من المسلمين، فإنهم مسئولون عنهم في يوم لا يغني فيه والد عن ولده، ولا مولود عن والده.

---

(١) عند البخاري زيادة: (في أربعة)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه ١٣٨/١، رقم ٧٦.

(٢) عند البخاري زيادة: (من أربعة آلاف).

(٣) لفظ البخاري: (آبواه) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٤) برقم ٣٩١٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ض).

فقه الحديث

يستحبّ للإمام أن لا يخص أحدًا من أهل بيته أو ممن ينتمي إليه بمنفعة من مال الله لمكانة منه. لأن هذا مما ينبغي أن يتورع منه الحاكم ويبالغ في التوقي منه[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل المهاجرين من الصحابة رضي الله عنهم.

ثانياً: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه من الأمور.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: منزلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وورعه.

رابعاً: من صفات الداعية: العدل وعدم المحاباة في الحق.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل المهاجرين من الصحابة رضي الله عنهم:

المهاجرون هم الجيل الأول من الصحابة الذين أسلموا وتحملوا من الأذى ما تحملوا وثبتوا على إسلامهم ثبات الجبال، وضحوا بالأهل والمال من أجل نصرة دين الله، ومن ثم فلا عجب أن كانت لهم المكانة العالية والمنزلة الرفيعة عند الله وعند رسوله ﷺ وعند الخلفاء الراشدين من بعده، وعند المسلمين جميعاً. وهذا واضح من فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمهاجرين الأولين أربعة آلاف. وفي رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أَنَّ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَتَبَ الْمُهَاجِرِينَ عَلى خَمْسَةِ آلافٍ، وَالأَنْصَارَ عَلى أَرْبَعَةِ آلافٍ. وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ بَدْراً مِنْ أَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ عَلى أَرْبَعَةِ آلافٍ))[2].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3]. وقال سعيد بن المسيب عن السابقين الأولين: هم الذي صلُّوا

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي ٣/٤٧٢.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/٢١١ برقم ١٢٩٢٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

القبلتين جميعاً، وهم أهل بدر[١].

وقد قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[٢] قال السعدي: (قد هجروا المحبوبات والمألوفات من الديار والأوطان والأحباب والخلان والأموال رغبة في الله ومحبة لرسول الله ﷺ. فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة والعبادات الشاقة)[٣].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (قال الشافعي: كان المسلمون مستضعفين بمكة زماناً، لم يؤذن لهم فيه بالهجرة منها، ثم أذن الله عز وجل بالهجرة منها...)[٤]. فكانت الهجرة في أول الإسلام مندوباً إليها غير مفروضة (ثم أذن الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، ولم يحرم في هذا على من بقي بمكة المقام بها وهي دار شرك، وإن قلّوا بأن يفتنوا، ولم يأذن لهم بجهادٍ، ثم أذن الله عز وجل لهم بالجهاد، ثم فرض بعد هذا عليهم أن يهاجروا من دار الشرك)[٥].

وقال البغوي: (فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أمروا بالهجر والانتقال إلى حضرته ليكونوا معه، ويتظاهروا إن حزبهم أمر، وليتعلموا منه أمر دينهم، وقطع الله الولاية بين من هاجر من المسلمين وبين من لم يهاجر، كما قال جلّ ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (٤٩٥/٧)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٧، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٨/٨.
وخدمة أتباعه إضافة إلى ما في السخاء من تأليف القلوب وإقبالها على الدعوة وذلك من الأساليب التي انتهجها الإسلام؛ فعن أنس

(٤) الأم، الإمام الشافعي ص ٧٦٠.

(٥) السابق: الموضع نفسه.

يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾[1])[2].

وقد أكد هذا المعنى أبو الوليد بن رشد حيث قال: فكانت الهجرة إلى النبي ﷺ قبل فتح مكة على من أسلم من أهلها واجبة مؤبدة، افترض الله عليهم فيها البقاء مع رسول الله ﷺ حيث استقرّ. والتحول معه حيث تحوّل، لنصرته ومؤازرته وصحبته، وليحفظوا عنه ما يشرعه لأمته. ويبلغوا ذلك عنه إليهم، ولم يرخص لأحد منهم في الرجوع إلى وطنه وترك رسول الله ﷺ ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: ((لا يُقيمَنَّ مُهَاجِر بِمَكَّةَ، بَعْدَ قَضَاءِ نُسُكِهِ، فوق ثَلاَث))[3]، خص الله بهذا من آمن من أهل مكة بالنبي ﷺ وهاجر إليه، ليتم له بالهجرة إليه والمقام معه وترك العودة إلى الوطن الغاية من الفضل الذي سبق لهم في سابق علمه، وهم الذين سماهم الله بالمهاجرين، ومدحهم بذلك، فلا ينطلق هذا الاسم على أحدٍ سواهم)[4].

ثانياً- من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه من الأمور:

إن من طرق العلم السؤال، والمدعو عليه أن يسأل إذا عرض له أمر يشكل عليه ولا يعلم حقيقته، وهذا واضح من قول الراوي: فقيل له: هو من المهاجرين فلم نقصته؟ فقال: إنما هاجر به أبواه. يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه.

وبهذا السؤال زال الإشكال، ووضح عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأساس الذي أنقص به ابنه عبدالله رضي الله عنهما من العطاء. جاء في الموسوعة الفقهية: (السؤال على وجه التبيّن والتعلم عما تمس إليه الحاجة في أمور الدين أو الدنيا مأمور به، أو مباح بحسب حال المسؤول عنه)[5].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٧٢.

(٢) شرح السنة ٣٧٢/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٩٣٣، ومسلم ١٣٥٢ واللفظ له من حديث العلاء بن الحضرمي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "للمهاجر إقامة ثلاث بعد الصدر بمكة" كأنه يقول لا يزيد عليها. وخدمة أتباعه إضافة إلى ما في السخاء من تأليف القلوب وإقبالها على الدعوة وذلك من الأساليب التي انتهجها الإسلام: فعن أنس

(٤) المقدمات الممهدات لابن رشد ١٥٢/٢، نقلاً عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٩/٤٢-١٨٠.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٦/٢٤.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: منزلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وورعه:

عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الفاروق، له المناقب العظيمة والمواقف الشريفة، كان ورعاً أشد ما يكون الورع، أنقص ابنه عبدالله بن عمر عن بقية المهاجرين الأوائل في العطاء معللاً ذلك بقوله: "إنما هاجر به أبواه، يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه" قال ابن حجر: (المراد أنه كان حينئذ في كنف أبيه، فليس هو كمن هاجر بنفسه، وكان لابن عمر حين الهجرة إحدى عشرة سنة)[(١)].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على ورع عمر رضي الله عنه وشدة محاسبته لنفسه في أمر الله عز وجل، فإنه نظر في ذلك من هاجر بنفسه فإن له فضلاً على من هاجر مع أبيه من حيث إنه قد كانت لهجرة أبيه مماسة أو حصة في هجرته فقد قدّرها بسهم من ثمانية... وقيمة ذلك خمسمائة)[(٢)].

وفي أثر أنس بن مالك رضي الله عنه السابق: ((أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه كَتَبَ المهاجرينَ على خَمْسَةِ آلافٍ، والأنصارَ على أربعةِ آلافٍ، ومَنْ لَمْ يَشْهَدْ بدراً من أبناءِ المهاجرينَ على أربعةِ آلافٍ، فكانَ مِنْهُمْ عُمَرُ بنُ أبي سَلَمَةَ بنِ عبدِ الأسد المخزوميُّ وأسامةُ بنُ زيدٍ ومحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ جحشٍ الأَسَدِيُّ وعبدُ الله بنُ عُمَرَ، فقالَ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ: إنَّ عبدَالله ليسَ مثل هؤلاءِ، إن عبدالله من أمره من أمره! فقالَ عبدالله بنُ عُمَرَ لعمر: إنْ كانَ حقاً لِي فأَعْطِنِيهِ، وإلا فلا تعطنيه، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: فاكتبني على أربعة آلاف وعبد الله على خمسة آلاف، والله لا يجتمع أنا وأنت على خمسة آلاف، فقال عبد الله ابن عمر: إن كان حقًا فأعطنيه وإلا فلا تعطنيه))[(٣)].

قال ابن الأثير عن عمر: (وأدرّ العطاء على الناس، ونزل نفسه بمنزلة الأجير وكآحاد المسلمين في بيت المال، ودوّن الدواوين، ورتب الناس على سابقتهم في العطاء

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٢٩٩.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١/١٩٣ - ١٩٤.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، ١٢/٣١١ رقم ١٢٩٢٦.

والإذن والإكرام، فكان أهل بدر أول الناس دخولاً عليه، وكان عليٌّ أولهم وكذلك فعل بالعطاء)[١].

قال السيوطي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أسلم في السنة السادسة من النبوة، وله سبع وعشرون سنة قاله الذهبي: وقال النووي: ولد عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنة. وكان من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم -أو بينهم وبين غيرهم- بعثوه سفيراً، أي رسولاً، وإذا نافرهم منافراً أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً أو مفاخراً. وأسلم قديماً بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة... وهو أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار النبي عليه الصلاة والسلام وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم)[٢].

رابعاً- من صفات الداعية: العدل وعدم المحاباة في الحق:

لقد أنقص عمر بن الخطاب ابنه رضي الله عنهما في العطاء ولم يساوه مع المهاجرين الأولين، وعلل ذلك إنه لم يهاجر بنفسه وإنما هاجر به أبواه، فاعتنيا به وأنفقا عليه، بل رُوي عن عمر أنه فضل أسامة بن زيد في العطاء على ابنه عبدالله رضي الله عنهم، فقال له عبد الله: فرضت لأسامة ثلاثة آلاف وخمسمائة وما هو أقدم مني إسلاماً ولا شهد ما لم أشهد. فقال عمر: لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك وكان أسامة بن زيد أحب إلى رسول الله ﷺ منك، فذلك زدته عليك خمسمائة[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كَانَ عُمَرُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ تَقَدَّمَ إِلَى أَهْلِهِ: فقال: لاَ أَعْلَمَنَّ أَحَداً وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِمَّا نَهَيْتُ عَنْهُ إِلاَّ أَضْعَفْتُ لَهُ الْعُقُوبَةَ))[٤].

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٥٩/٤.

(٢) تاريخ الخلفاء ١٠١-١٠٢.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٣١١/١٢ برقم ١٢٩٢٤ عن ابن جريج.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢٨٩/٣ بإسناد فيه الواقدي.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((فأَمَّر [أي أبوبكر] علينا عمر، فقام فينا بأَمر صاحبيه، لا ننكر منه شيئاً، نعرف فيه الزيادة كل يوم في الدين والدنيا، فتح الله به الأَرضين، ومَصَّرَ به الأَمصار، لا تأْخذه في الله لومة لائم، البعيد والقريب سواءٌ في العدل والحق، وضرب الله بالحق على لسانه وقلبه، حتى إن كنا لنظن أَن السكينة تنطق على لسانه، وأَن ملكاً بين عينيه يُسَدِّده ويوفقه))[1].

قال الدكتور مصطفى السباعي: (ومع شدة عمر في الحق، كانت له رحمة بالشعب، من ضعفاء، وفقراء، وعطف على الرعية، قلَّ أن نجد له مثيلاً في التاريخ. ولما خاف المسلمون من أن يشتد عليهم في ولايته، خطب فيهم فكان مما قاله: اعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت[2]، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والقصد، فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يعتدي عليه، حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق. وإني بعد شدتي تلك أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف.

تلك هي رحمة عمر، رحمة القوي الحازم العادل، بمن يستحق الرحمة، رحمة الحاكم الناصح لأمته ودينه. وبذلك كان يعسُّ في الليل والناس نيام، يتفقد المنقطعين والمعوزين والبائسين. ولعلكم جميعاً تعرفون قصته مع المرأة التي كان تدق لأطفالها الجياع على الحصى، وتوهمهم أنها تطبخ لهم، حتى يسكتوا ويناموا، حتى إذا جاء عمر ورأى ما رأى حمل بنفسه الطحين والسمن، وطبخ بيده الطعام، وأطعم الأولاد حتى شبعوا ولعبوا.

ولعل أروع مآثر عمر في الرحمة بالشعب، موقفه عام الرمادة، وقد كان ذلك في سنة ١٨هـ، إذ أصاب الناس في الحجاز قحط عظيم دام تسعة أشهر، حتى كانت

---

(١) أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة ٤/١٥٦-١٥٧.

(٢) تضاعفت وازدادت.

الوحوش تأوي إلى الناس، وكان الناس يحفرون نفق اليرابيع والجرذان، ليأكلوا ما فيها من حشرات. واستغاث عمر بولاة الأمصار أن يمدوه بالميرة والطعام، ففعلوا، وكانت سنة أصاب عمر من همها وبلائها وحزنها ما نحل معه جسمه، واسودَّ لونه، حتى قالوا: لو لم يرفع الله المحل وعام الرمادة، لظننا أن عمر يموت همًّا بأمر المسلمين.

ولقد كان يؤتى إليه من الأمصار بقوافل الطحين والسمن واللحوم، فيفرقها على المسلمين، ما يأكل منها شيئاً، وإنما كان يأكل الزيت والخبز الأسود، وكان يقول: لقد آليت على نفسي ألا آكل السمن واللحم حتى يشبع منهما المسلمون جميعا)[1].

(١) عظماؤنا في التاريخ، د. مصطفى السباعي ص ١٢٧-١٢٩.

الحديث رقم (٥٩٦)

٥٩٦- وعن عَطِيَّةَ بن عُروة السَّعْدِيِّ الصحابيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لاَ يَبْلُغُ العَبدُ أنْ يَكُونَ منَ المُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأسَ بِهِ، حَذَراً مِمَّا بِهِ بَأسٌ)) رواه الترمذي[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عطية بن عروة السعدي: هو عطية بن عروة السعدي وقيل غير ذلك في اسم أبيه. وهو من بني سعد بن بكر وقيل غير ذلك.

أسلم ووفد مع قومه إلى المدينة وكان أصغرهم، ولاطفه النبي ﷺ، فكلمه بلغة قومه التي تقلب العين نوناً، فتقول في المعطية -المنطية. قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في نفر من بني سعد بن بكر وكنت أصغر القوم، فخلفوني في رحالهم ثم أتوا رسول الله ﷺ فقضى حوائجهم ثم قال هل بقي منكم أحد؟ قالوا: يا رسول الله غلام منا خلفناه في رحالنا فأمرهم أن يبعثوا إليه، فأتوني فقالوا: أجب رسول الله ﷺ فأتيته فلما رآني قال: ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئاً، فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى المنطاة وإن مال الله مسؤول ومنطي. فكلمني رسول الله بلغتنا[٢].

ولما حارب النبي ﷺ قبيلة هوازن في حنين وهزمهم وأسر منهم كلمه عطية في سبيهم أن يطلق سراحهم ويمنَّ عليهم.

نزل الشام، وله ثلاثة أحاديث، وهو جد عروة بن محمد بن عطية كان من ولاة عمر بن عبدالعزيز استعمله على اليمن، وكان من صالح الولاة[٣].

---

(١) برقم ٢٤٥١ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وقال ابن رجب في الفتح ١٦/١: في إسناده بعض مقال. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٩٣.

(٢) أخرجه ابن سعد وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ١١٦٨ والطبراني في الكبير ٤٤٢/١٧ والحاكم ٣٢٧ وابن عبدالبر في الاستيعاب، وحسّنه محقق الاستيعاب.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤٣٠/٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٧٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٣/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٩١٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٨٤/٥)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١١٥/٣).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يقرر معنى لا يتوقع له معارضا في هدوء، وثقة شأن أكثر الأساليب الخبرية، وهو حديث قصير بليغ قام على أسلوب النفي الذي يقرر أن منزلة المتقين لها أعمال ترتقي بها درجة غيرها من المنازل تستلزم درجة من الحساسية تجاه الحرام تجعله دائما تاركا لما فيه أدنى شك فهو لا يبتعد عن الحرام فقط، ولا عن المشتبه بالحرام، بل إنه قد يترك ما هو حلال إذا ظن أنه قد يؤدي إلى الحرام أو المشتبه به، وقد دل على ذلك بقوله (حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأسَ بِهِ، حَذَراً مِمَّا بِهِ بَأسٌ) قوله (ما لا بأس به) كناية عن الحلال البين، والتعبير بـ(حتي) لبيان المدي الذي يصل به العبد هذه الدرجة، وكلمة (حذرا) التي تصور التوجس، والخيفة من الحرام كما يخاف الإنسان وحوش الليل في البرية، قال الطيبي: إنما جعل المتقي من يدع ذلك لذلك لأن المتقي لغة اسم فاعل من وقاه فاتقى، والوقاية فرط الصيانة، وشرعا من يقي نفسه تعاطي ما يستوجب العقوبة من فعل، أو ترك، والحديث بإشارته إلى هذه المنزلة يقرر أن الناس درجات فليس كل الناس مسلمين، وليس كل المسلمين مؤمنين، وليس كل المؤمنين متقين، وليس كل المتقين أبرارا، وليس كل الأبرار مقربين، والمقربون منهم الشهداء، والصديقون، والأنبياء، وكل له مقام معلوم، فأين تتوقع أنت أن تكون منزلتك ؟!

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التقوى.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الورع.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من صفات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

لقد بين النبي ﷺ درجة المتقين، وأن العبد لا يبلغ هذه الدرجة حتى (يترك فضول الحلال -كما قال المناوي- حذراً من الوقوع في الحرام)(١).

(١) كما في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩١٨/٢.

ومن هذا القبيل يمكن الاستشهاد كذلك بقوله ﷺ عن مكان التقوى: ((التَّقْوَى ههُنَا. وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ))[1] قال النووي: (معنى الرواية: أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته، ومقصود الحديث أن الاعتبار في هذا كله بالقلب)[2].

ومن قبيل بيان النبي ﷺ للحقائق ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: ((أصدقُ كلمةٍ قالَها الشاعر كلمةُ لبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خَلا اللّه باطلُ))[3].

قال أبو العباس القرطبي: (الباطل هنا: أراد به: المضمحلّ، المتغيِّر؛ الذي هو بصدد أن يهلك، ويتلف. هذا نحو من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[4]. ولا شكَّ في أنَّ هذه الكلمات أصدقُ ما يتكلَّم به ناظمٌ أو ناثرٌ؛ لأن مقدمتها الكليَّة مقطوعٌ بصحتها وشمولها عقلاً ونقلاً، ولم يخرج من كليتها شيءٌ قطعاً إلا من استثني فيها، وهو: اللّه تعالى: فإنَّه لم يدخل فيها قطعاً؛ فإنَّ العقلَ الصَّريح قد دل على أن كل ما نشاهده من هذه الموجودات ممكنٌ في نفسه، متغيِّرٌ في ذاته، وكل ما كان كذلك كان مفتقراً إلى غيره، وذلك الغير إن كان ممكناً متغيراً كان مثل الأول؛ فلابدَّ أن يستند إلى موجودٍ لا يفتقر إلى غيره، يستحيل عليه التغيُّر، وهو المعبَّر عنه في لسان العقل بواجب الوجود. وفي لسان الشرع: بالصمد المذكور في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[5]، وبقوله: ﴿...ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾[6]. وعند الانتهاء إلى هذا المقام يفهم معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[7])[8].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٢) شرح النووي ١٥٣٨.

(٣) أخرجه البخاري ٣٨٤١، ومسلم ٢٢٥٦.

(٤) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٥) سورة الإخلاص، الآيتان: ١، ٢.

(٦) سورة النور، آية: ٢٥.

(٧) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٨) المفهم ٥/٥٢٧-٥٢٨، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٨٨.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التقوى:

إن منزلة التقوى منزلة لا ينالها إلا المؤمنون الصادقون المخلصون الورعون، الذين قد يدعون ويتركون بعض المباح خوفاً من الوقوع في الحرام، وهذا قد بينه النبي ﷺ بقوله: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس".

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (لا يبلغ العبدُ حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر)[1] وذكر ابن تيمية قول ابن عمر هذا بلفظ: (لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال)[2] قال ابن حجر: (المراد بالتقوى وقاية النفس عن الشرك والأعمال السيئة والمواظبة على الأعمال الصالحة... وقد أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى عن أبي الدرداء قال: تمام التقوى أن تتقي الله حتى تترك ما ترى أنه حلال خشية أن يكون حراماً)[3].

قال الطيبي: (إنما جعل المتقي من يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس؛ لأن المتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم: وقاه فاتقى، والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واقٍ. وهذه الدابة تقي من وجاها، إذا أصابها ضلع من غلظ الأرض ورقةِ الحافر، فهي تقي حافرها أن يصيبها أدنى شيء يؤلمه، وهو في الشريعة: الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك.

وقيل: التقوى على ثلاث مراتب:

الأولى: التوقي عن العذاب المخلد بالتبري من الشرك كقوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[4].

---

(١) علقه البخاري في صحيحه في أول باب في كتاب الإيمان ص ٢٥ وبعده الحديث رقم ٨. وقال الحافظ ابن حجر: ولم أره إلى الآن موصولاً.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٦٢/١٥ دون أن يعزوه لابن عمر.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٣/١.

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٦.

والثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعلٍ أو تركٍ حتى الصغائر عند قوم، وهو المتعارف بالتقوى في الشرع. والمعنيُّ بقوله ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾(١).

والثالثة: أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق، ويتبتل بشراشره(٢) إلى الله. وهو التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾(٣) والحديث وإن استشهد به للمرتبة الثانية، فإنه يجوز أن ينزل على المرتبة الثالثة)(٤).

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الورع:

إن الورع من الوسائل الموصلة إلى التقوى، لذا بيّن الحديث أهمية الورع بأن جعل العبد لا يصل إلى درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس، قال المناوي: (أي يترك فضول الحلال حذراً من الوقوع في الحرام)(٥).

وقال د. الحسيني عبدالمجيد هاشم: (من شرائط التقوى توقي الشبهات وترك الحلال المشتبه فيه إذا جرّ إلى الحرام، أو ارتبط به ارتباطاً وثيقاً، وذلك طريق الارتقاء والكمال. وفي الحديث الحث على كمال المراقبة والابتعاد عن الحرام وما يجرّ إليه)(٦).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون يفعلون ذلك: قال ابن عمر رضي الله عنهما: إني لأحب أن أدع بيني وبين الحرام سترة من الحلال ولا أخرمها(٧). وقال سفيان بن عيينة: لا يصيب العبد حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه(٨).

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٩٦.

(٢) الشراشر: أطراف الأجنحة والجسم بجملته. الواحدة: شُرْشُرَة وقالوا: ألقى عليه شراشره: أعباءه وهمومه أو التي عليه نفسه حرصاً ومحبة. الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤٧٨.

(٣) سورة آل عمران، آية:١٠٢.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٢٤/٦.

(٥) كما في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩١٨/٢.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم ص ٢٧٤.

(٧) كتاب الورع، أحمد بن حنبل ص ٤٨.

(٨) المرجع السابق ٤٧.

وقال الحسن البصري[١]: إن أيسر الناس حساباً يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله في الدنيا فوقفوا عند همومهم وأعمالهم، فإن كان الذي همُّوا به لله مضوا فيه، وإن كان عليهم أمسكوا. وإنما يثقل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور في الدنيا، أخذوها على غير محاسبة فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر. ثم قرأ: ﴿يَـٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلۡكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٢].

وقال ابنُ تيمية مبيناً فائدة ترك بعض الحلال للخروج من التعود على المعصية يقول: (وذلك لأن النفوس إذا اعتادت المعصية فقد لا تنفطم عنها انفطاماً جيداً إلا بترك ما يقاربها من المباح كما قيل: "لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال")[٣].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد رغب رسول الله ﷺ في التقوى والوصول إليها بأن جعل طريق ذلك ترك فضول الحلال حذراً من الوقوع في الحرام والإثم. ولاشك أن المتقين لهم عند الله مكانة كبيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[٤] وجعل الله جزاءهم الجنة: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[٥]. فكان الحديث حضاً وترغيباً على ترك بعض المباح من أجل الوصول إلى درجة المتقين الفائزين في الدنيا والآخرة.

---

(١) السابق ص ٢٩.

(٢) سورة الكهف، آية:٤٩.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٦٢/١٥.

(٤) سورة الحجرات، آية:١٣.

(٥) سورة الرعد، آية:٣٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

أولاً- التربية على الورع وترك الشبهات:

إن التربية على الورع وترك الشبهات من أهم جوانب التربية الخلقية التي تعتني التربية الإسلامية بغرسها في نفوس المتربين،ومن ثَمَّ وجب على المشتغلين بالتربية من الدعاة والمعلمين والآباء الاهتمام بتعميق قيمة الورع وتأصيلها، وأحاديث الباب الذي معنا تؤكد على هذا الجانب، ومنها "إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه..."، وحديث: "دع ما يريبك إلى مالا يريبك"، وحديث: «لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَالاَ بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ البَأْس». وغير ذلك.

"إن الورع هو ترك ما يريبك، ونفي ما يعيبك، والأخذ بالأوثق، وحمل النفس على الأشق. وقيل: هو ترك التسرع إلى تناول أعراض الدنيا.

وقال سفيان الثوري: عليك بالورع يُخفف اللهُ حسابك، ودع ما يريبك إلى مالا يريبك. وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك، وقال يونس بن عبيد الله: الورع الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس في كل طرفة عين، وقال خالد بن معدان: من لم يكن له حِلْم يضبط به جهله، وورع يحجزه عما حرم الله عليه، وحسن صحابة عمن يصحبه فلا حاجة لله فيه" (١).

فالواجب على المربين أن يغرسوا في نفوس المتربين أن الورع وترك الشبهات إنما يكون لأجل الله تعالى، وتعظيمًا له، وخوفًا منه سبحانه.

قال ابن القيم: "والورع أن يتوقى الحرام والشُّبَه، وما يخاف أن يضره أقصى ما يمكنه من التوقي. والتوقي فعل الجوارح، والحذر فعل القلب، ويكون الباعث على الورع عن المحارم والشُّبَه: إما حذر الوعيد وإما تعظيم الرب -جلا جلاله- وإجلالاً له أن

---

(١) الموسوعة "الأم في تربية الأولاد في الإسلام"، د. أحمد مصطفى متولي، ص١/٧٣٥.

يتعرض لما نهي عنه، فقد يتوقى العبد شيئًا لا على وجه الحذر والخوف، ولكن لأمور أخرى، من إظهار نزاهة وعزة وتصوف أو اعتراض آخر كتوقي الذين لا يؤمنون بمعاد ولا جنة ولا نار ما يتوقونه من الفواحش والدناءة تصونًا عنها، ورغبة بنفوسهم عن مواقعتها، وطلبًا للمحمدة ونحو ذلك"(١).

ثانيًا- التربية عن طريق التشبيه:

إن من أساليب التربية المؤثرة في نفوس المتربين التربية عن طريق التشبيه، وفي أحاديث الباب استعمل النبي ﷺ أسلوب التشبيه في إيضاح المقصود، وبيان المراد، وذلك في قوله ﷺ: " وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ...".

وما من شك في "أن الصورة المحسوسة أقرب تصورًا وأسرع فهمًا، وأثبت بقاء لأنها تحدد الأبعاد وتبرز الأجزاء، وتوضح منها ما يخفى، قد تراها بالعين، أو تتخيلها بالخاطر أو تتحسسها باليد، أو تستوعبها بالأذن، وقد يشترك كل أولئك في التقاطها فترتسم واضحة المعالم محددة الأجزاء زاهية الألوان نابضة بالحركة، ولهذا كان أسلوب التشبه من أساليب البلاغة القرآنية أو البلاغة النبوية.

إن الصورة التشبيهية تدع بين يديك وأمام عينيك حالتين متشابهتين لتتفحص كل حالة وتدرسها وتحللها، فإذا حكمت بعد ذلك لإحداهما أو على إحداهما كان حكمك بعيدًا عن الخطأ قريبًا من الصواب" (٢).

ثالثًا- التربية بالقدوة والممارسة العملية:

يعتبر أسلوب القدوة والممارسة العملية من أنجح الأساليب التربوية المؤثرة في سلوك الآخرين، ومن أحاديث الباب التي تبين التربية على الورع وترك الشبهات من خلال أسلوب القدوة والممارسة العملية ما جاء عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وجد تمرة في الطريق، فقال: لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها".

---

(١) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ٢/٢٣.

(٢) التربية الإسلامية "دراسة مقارنة"، د. محمد أحمد جاد صبح، ١/١٢٥.

"والتربية بالقدوة تطبيق عملي يثبت القدرة والاستطاعة الإنسانية على التخلي عن الانحرافات، والتحلي بفضائل الأعمال والأقوال، فهي تنقل المعروف من الحيز النظري إلى الجانب التطبيقي المؤثر فتلامس بها الأبصار والآذان والأفئدة، فيحصل الاقتناع والإعجاب ثم التأسي. والمشاهدة العينية للسلوك المراد تربية الإنسان عليه أقوى وأبلغ في التأثير من أسلوب المقال لأن مشاهدة السلوك تبين وتترجم إمكانية التطبيق وتعطي قناعة بذلك، وتؤكد أهمية الأخذ به"[1].

رابعًا- التربية بالقصة:

من وسائل التربية المؤثرة التربية من خلال القصة لما لها من أثر على النفوس، ومما جاء في أحاديث الباب التربية على الورع وترك الشبهات من خلال القصة، ما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج..." وما جاء عن نافع: "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان فرض على المهاجرين الأولين...".

"إن التربية بالقصة لون آخر من التربية يستخدم الحادث، ولكنه حادث خارجي، يقع لأشخاص غير قارئي القصة أو مستمعيها، ومع ذلك فهو مؤثر في النفس كما لو كان يقع للقارئ أو المستمع ذاته، وقارئ القصة أو مستمعها يضع نفسه مع أشخاص القصة أو يضع نفسه إزاءهم ويظل طيلة القصة يعقد مقارنة خفية بينهم وبينه، ومنهج التربية الإسلامية يدرك الميل الفطري إلى القصة، ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب فيستغلها كوسيلة من وسائل التربية والتقويم"[2].

ويجب على المربين استعمال القصة في توجيه المربين، وغرس القيم والفضائل في نفوس الناشئة، واستغلال تأثيرها على المتلقين.

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت عدة أساليب تربوية، في أحاديث الباب يستفاد منها في التعليم والتربية، ما يلي:

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) انظر: منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص٤٤١، ٤٤٢.

أ-الإلقاء: كقوله ﷺ: ((إنَ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَن كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ...)) الحديث، وأسلوب الإلقاء يمَكِّن المعلم من عرض أكبر قدر من المعلومات على المتعلمين في وقت قصير، وهو يناسب المراحل العليا من التعليم، كالمرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية.

ب-التربية بالمواقف: كما في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وجد تمرة في الطريق، فقال: ((لَوْلاَ أني أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُهَا))، وقد استثمر النبي ﷺ هذا الموقف بأحسن ما يكون وعلّم أصحابه الورع وترك الشبهات. وكذلك على المربي البارع ألا يترك المواقف تمر من بين يديه دون أن يغرس قيمة تربوية مهمة أو يزرع سلوكًا طيبًا في نفوس المتعلمين، وما أكثر المواقف التي تقع في الحياة بصفة يومية، كما أن التربية بالمواقف يظل أثرها باقيًا في نفوس المتعلمين.

ج-المناقشة والحوار: كما في حديث أبي سِرْوعة عقبة بن الحارث رضي الله عنه((أنَه تَزوَّجَ ابنةً لأبي إهابِ بنِ عَزِيزٍ فأَتَتْهُ امرأةٌ فقالَتْ: إنِّي قد أرضَعتُ عُقبة والتي تَزوَّجَ بهَا...)) الحديث، والمناقشة والحوار من الأساليب التي يُفَعَّل فيها دور المتعلم كما أنه أسلوب يتميز بقوة بقاء أثر التعلم في نفوس المتعلمين.

٦٩- باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان

أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[الذاريات: ٥٠].

الحديث رقم (٥٩٧)

٥٩٧- وعن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: ((إنَّ الله يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيّ الْخَفِيَّ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

الغَنيّ: غَنيُّ النَّفسِ[2]. وغنى المال كذلك.

الخفـي: المعتـزل عـن النـاس الـذي يخفـي عليهم مكانـه، فهـو لا يُحـبُّ الظهـور والشُّهْرَة[3]. وهو ينفق المال، حتى يتمنى أن لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

الشرح الأدبي

الحديث يتناول نوعا من العباد اختص بميزة في الدنيا خصته بمحبة الله، وهي أعظم ما يسعى إليه المحبون فكم من محب لحبيب لا يعيره نظرا !، وهؤلاء نالوا محبة الله تعالى التي تعني التوفيق، والتقريب، والحماية من كل ما يخشاه المؤمن في حياته، وبعد مماته وقول الرسول ﷺ (إنَّ الله يُحِبُّ) مؤكدة بحرف التوكيد، واسمية الجملة، تعظيما للخبر، وصرفا للمخاطبين للعناية به، ثم إن تصدر لفظ الجلالة

---

(١) رقم ٢٩٦٥/١١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٢٩.

(٢) رياض الصالحين ٢٦٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ف ي).

الكلام له وقع خاصة لاسيما في نفوس المؤمنين الذين توجل قلوبهم بذكره لأنه يبث في النفوس الهيبة والجلال بقدر صفاء هذه النفوس﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الحج:٣٥] هذا بالإضافة إلى ما يوفره لفظ الجلالة على الحوار من الخضوع، والإذعان، والإنصات المهيأ للقبول، ولهذا اللفظ الأجلّ من الإشعاع ما ليس للفظ غيره من كل ألفاظ كل لغات البشر، وقوله (العبد) اللام فيه للجنس فيشمل كل عبد كانت هذه صفته وجملة الصفات بعده تبين الخصوصية التي أوجبت له المحبة وهي جملة الصفات (التَّقِيَّ الغَنِيِّ الْخَفِيَّ) وليست على انفرادها ؛ لأن التقوى تستلزم مراقبة الله تعالى فتضبط حركته، وسكنته بضابط الشرع، والغنى يستلزم ذله لله وحده، واستغنائه عن الناس، وهو شعور قلبي يجعله يستشعر أنه مالك للدنيا ؛ لأنه يتصرف بحول الله، وقوته فما عساه أن يحتاج من الناس ؟!، وقوله (الخفي) يستلزم الإخلاص، والخمول في الناس، لأنه مشغول بالله عن الناس، ولذلك استحق –تفضلا – هذه المحبة الغالية من ربه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: محبة الله تعالى لعبده التقي غني النفس غني المال من حلال.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل اعتزال الناس عند خوف الفتنة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: كثرة الصفات الطيبة تجلب حب الله للإنسان المسلم.

أولاً– من أساليب الدعوة: التوكيد:

هذا واضح من استخدام النبي ﷺ: "إن" المؤكدة، وذلك ليؤكّد حب الله تعالى لمن اتصف بالتقوى وبغنى النفس وجاد ببعض ما يملك.

ثانياً– من موضوعات الدعوة: محبة الله تعالى لعبده التقي غني النفس غني المال من حلال:

من كرم الله على عباده أن أحبّ بعضهم، فمن هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بتلك

المحبة من اتصفوا بالتقوى وغنى النفس ولم ينسوا عبادته، يتضح هذا من عموم الحديث.

قال الطيبي: (التقي قيل: هو الذي يتقي المحارم والشبهات ويتورع عن المشتهبات)[١].

وقال ابن هبيرة: (يعني بالتقي الورع عن محارم الله تعالى، والغني بالله سبحانه، والخفي يكون حريصاً على إخفاء فقره، فبذلك يكون خفياً، إذ لو كان مثل هؤلاء يظهرون السؤال لم يخف له حال)[٢].

وقال النووي: (المراد بالغنى غني النفس هذا هو الغنى المحبوب لقوله ﷺ: ((وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ))[٣]، وأشار القاضي [أي: عياض] إلى أن المراد: الغنى بالمال. وأما الخفي فمعناه: الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه)[٤].

وقال ابن هبيرة: (أما الغني الحقيقي الذي لا فقر معه فإنه غنى النفس بربها سبحانه وتعالى، لأن النفس ههنا معرفة بالألف واللام لا يشار بها إلى النفس التي لا تحتاج إلى غير ربها، ومن استغنى بربه افتقر إليه كل شيء، فمتى استغنت نفس بربها عز وجلّ عن جميع خلقه، فذاك هو الغنى على الحقيقة، لا وجود شيء يوجب زيادة فقر)[٥].

وقال أبو العباس القرطبي: (الغنى يعنى به: من استغنى بالله، ورضى بما قسم الله له. وقيل يعنى به غنى النفس، والخفي يعنى به الخامل الذي لا يريد العلوّ فيها ولا الظهور في مناصبها)[٦].

وقال الطيبي: (إن الصفات الثلاث الجارية على العبد واردة على التفضيل والتمييز،

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٣٥١/٩ - ٣٥٢.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٥٠/١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٤٦، ومسلم ١٠٥١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١١. وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥١٦/٨.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٤٦/٧.

(٦) المنهم، القرطبي ١٢٠/٧.

فالتقي يخرج للعاصي والغني للفقير والخفي على الروايتين لما يضادهما، فإذا قلنا: إن المراد بـ (الغنى) غنى القلب، اشتمل على الفقير الصابر والغني الشاكر فعمّ وكان أولى وعلى هذا الخفي - بالخاء المعجمة- أنسب؛ لأن الغني حينئذ تكميل للتقي والخفي تتميم للغني، لأن غني القلب مستغن بالله عن الخلق ويؤثر العزلة استيناساً بالله تعالى)[1].

وقال د. عائض القرني عن فوائد العزلة: (وأقصد بها العزلة عن الشرّ وفضول المباح وهي مما يشرح الخاطر ويذهب الحزن، قال ابن تيمية: لابد للعبد من عزلة لعبادته وذكره وتلاوته ومحاسبته لنفسه ودعائه واستغفاره وبعده عن الشر ونحو ذلك.

ولقد عقد ابن الجوزي ثلاثة فصول في "صيد الخاطر"[2] ملخصها أنه قال: ما سمعت ولا رأيت كالعزلة راحة وعزاً وشرفاً. وبعداً عن السوء وعن الشرّ. وصوناً للجاه والوقت وحفظاً للعمر، وبعداً عن الحُسَّاد والثقلاء والشامتين وتفكراً في الآخرة واستعداداً للقاء الله - عز وجل - واغتناماً في الطاعة وجولان الفكر فيما ينفع وإخراج كنوز الحكم والاستنباط في النصوص. ونحو ذلك من كلامه الذي ذكره في العزلة، هذا معناه بتصرف)[3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل اعتزال الناس عند خوف الفتنة:

الحديث في صحيح مسلم نصه كالآتي: (كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاء ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي).

قال النووي: (وفي هذا الحديث حجة لمن يقول: الاعتزال أفضل من الاختلاط...، ومن قال بالتفضيل للاختلاط قد يتأول هذا الاعتزال وقت الفتنة ونحوها)[4]. لما فيه من

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٣٥٢/٩.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ١٣٧، ٣٥٥، ٥١٣.

(٣) لا تحزن ١١٤-١١٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١١.

البعد عن الفتن والمحافظة على سلامة الدين وعدم الخوض مع الخائضين.

وفي الحديث: ((يُوشِكُ أن يكونَ خَيْرَ مالِ المُسْلمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجبالِ، وَمواقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بدِينهِ مِنَ الفِتَنِ))(١).

قال ابن حجر: (والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه، وقد اختلف السلف في أصل العزلة فقال الجمهور: الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم، من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك، وقال قوم: العزلة أولى لتحقيق السلامة بشرط معرفة ما يتعين)(٢).

جاء في الموسوعة الفقهية: (تظاهرت نصوص الكتاب والسنّة على التحذير من الفتن والأمر بتجنبها واعتزالها وعدم الخوض فيها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾(٣)، وما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة ((اللّهمَّ إني أعوذُ بكَ من عذاب القبرِ، وأَعوذ بكَ من فِتنةِ المسيحِ الدَجّالِ، وأَعوذُ بكَ من فتنةِ المحيا وفتنةِ المَماتِ. اللّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِنَ المأْثمِ والمَغْرَمِ))(٤) قال ابن دقيق العيد(٥): فتنة المحيا ما يعرض للإنسان في مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات وأعظمها والعياذ بالله أمر الخاتمة عند الموت)(٦).

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد رغب النبي ﷺ في هذه الصفات: التقوى وغنى النفس والانقطاع إلى العبادة والاشتغال بأمور النفس، وحثّ على اكتسابها بأن أخبر أن الله يحب العبد المتصف

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٨٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦/١٣.

(٣) سورة الأنفال، آية:٢٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٧٧، ومسلم ٥٨٨.

(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ١٦٦.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٨/٣٢.

بهذه الصفات، وإذا أحب الله العبد أكرمه وجزاه خير الجزاء، فكان في هذا الحديث ترغيب للمدعوين أن يسارعوا إلى التحلي بهذه الصفات وتلك الشمائل حتى يكونوا ممن يحبهم الله فينعم عليهم بفضله ومنّه.

خامساً- موضوعات الدعوة: كثرة الصفات الطيبة تجلب حب الله للإنسان المسلم:

إن التقوى تدفع إلى اتباع أوامر الله والغنى يجعل المال في يد العبد وإخراج الحق الشرعي يكون في السر لا في العلن، وذلك مما يكسب الإنسان الصفات الحميدة.

الحديث رقم (٥٩٨)

٥٩٨- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ رَجُلٌ: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ يَا رسولَ اللّه؟ قَالَ: ((**مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ اللهِ**)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((**ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ**[1] **فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ**))[2].

وفي رواية[3]: ((**يَتَّقِي اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[4].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

شِعْبٍ: وهو الطريق في الجبل وما انفرج بين الجبلين، والجمع شِعاب[5].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر فضل الجهاد، والعزلة للعبادة وتقوى الله يقوم على الحوار عن طريق السؤال، والجواب الذي يدل حيوية النص، والتواصل بين المتحاورين، وقد بدأ الحديث بسؤال من رجل (أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ يَا رسولَ الله ؟) والاستفهام ليس عن العمل بل عن صاحبه الذي نال به الأفضلية، وفي هذا تنويه بالعمل، وقول الرسول ﷺ (مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ اللهِ) الكلام فيه إيجاز بالحذف أي أفضل الناس مؤمن ...، وذكر الجهاد بعد الإيمان يشير إلى سبب الأفضلية على عامة المؤمنين، وتقييد الجهاد بالنفس، والمال يعطيه خصوصية يفضل بها كل المجاهدين، وتقييد الجهاد

---

(١) (معتزل) لا توجد عندهما، وهي من الجمع للحميدي ٤٣٢/٢، رقم ١٧٤٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٩٤، ومسلم ١٨٨٨/١٢٢. أورده المنذري في ترغيبه ١٩٥٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٨٦ عن شعيب، عن الزهريّ.

(٤) أخرجه البخاري ٢٧٨٦، و ٦٤٩٤، ومسلم ١٨٨٨/١٢٢ والسياق للحميدي في جمعه ٤٣٢/٢، رقم ١٧٤٦. وسيكرره المؤلف برقم ١٢٩١.

(٥) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ع ب)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٧٤.

بالجار، والمجرور (في سبيل الله) ينص على صفة الإخلاص لله في إتيان العمل، وسؤال الرجل (ثُمَّ مَنْ ؟) سؤال عن مرتبة أسهل في أسبابها، ولعله رأى فيما أجيب به مشقة لا يستطيعها فسئل غيرها كأنه يسأل عن خصوصية له يستطيع أن يأتيها فجاءت إجابة النبي ﷺ (ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ) والربط بـ (ثم) خاص يشير إلى مسافة يعلمها الله بين الاثنين في الأفضلية، وتنكير (رجل) لعدم إرادة التخصيص لتشمل كل رجل على هذه الصفة، وقوله (فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ) جناس يؤكد معنى الاعتزال بانفصال المكان عن الناس، والفعل المضارع في قوله (يعبد الله) يصور التجدد في أنواع العبادات ما بين صلاة، وصيام، وذكر وهو الانقطاع الهادف الموصول بالله،وليس مطلق انقطاع بل إنه لتفريغ القلب، والجوارح للعبادة .

فقه الحديث

حكم العزلة: ذهب العلماء إلى أفضلية العزلة عند ظهور الفتن وفساد الناس، إلا أن يكون للإنسان قدرة على إزالة الفتنة، فإنه يجب عليه السعي في إزالتها بحسب الحال والإمكان[١]. وأما في غير أيام الفتنة فقد اختلف العلماء في المفاضلة بين العزلة والاختلاط ولكلٍّ أدلته[٢].

وذهب بعض العلماء إلى أن حكم العزلة والمخالطة يختلف باختلاف الأشخاص، فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين، ومنهم من يترجّح في حقه أحدهما[٣].

ونقل ابن حجر عن الخطابي: (أن العزلة والاختلاط يختلفان باختلاف متعلقاتهما

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٦٣/١ ط المنيرية، وتفسير القرطبي ٤٨٧/٩، ٢١٦/١٣-٢١٩ ط/ الرسالة، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٣/٣٠.

(٢) انظر: العزلة للخطابي بتحقيق: ياسين محمد ياسين،ص ٥٣، نشر دار ابن كثير، وإحياءعلوم الدين ٢٢٣/٢، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٠/١٣/٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢/١٣-٤٣، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٦٣/١، والآداب الشرعية والمنح المرعية. ابن مفلح ١١٨/٤-١٢٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٣/٣٠-٨٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣/١٣، وانظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٢٠/٤.

فتحمل الأدلة الواردة في الحضّ على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين وعكسها في عكسه، وأما الاجتماع والاقتران بالأبدان، فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة دينه، فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس، شرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد، وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة ونحو ذلك. والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة، لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء، فيقصر منه على ما لا بد له منه فهو أروح للبدن والقلب)(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: السؤال عن أفضل الأعمال وأفضل المؤمنين.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل العزلة عند الفتن.

خامساً: من واجبات المدعو: كف الأذى عن الناس.

أولاً- من آداب المدعو: السؤال عن أفضل الأعمال وأفضل المؤمنين:

من علامات حرص المدعو على الامتثال والتسابق إلى الطاعات السؤال عن معالي الأمور وأحسن الأعمال وأفضل المؤمنين، وذلك ليفعل ما هو أحب إلى الله تعالى وأكثر ثواباً عنده. ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على هذا، فقد سأل الرجل النبي ﷺ فقال: **أي الناس أفضل يا رسول الله؟** ولما أجابه النبي ﷺ سأله عن المؤمن الذي يليه في الفضل.

وهكذا كان حال الصحابة، دوماً يسألون عن أفضل الأعمال وخير المسلمين، وقد اعتنى المحدثون بجمع الأحاديث التي تدل على ذلك، وخاصة مسلم بن الحجاج،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٣٢-٣٣٣، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٠/٨٥.

فقد ساق في كتاب الإيمان من صحيحه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ: أَيُّ الأَعمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بالله قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ))(١).

كما ساق أيضاً حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الإِيمَانُ بالله وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ قَالَ قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنا))(٢).

وساق كذلك حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))(٣).

وقد بوّب النووي على هذه الأحاديث: باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

كما ساق الإمام مسلم حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: ((أَنَّ رَجُلاً سَأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِفْ))(٤).

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: ((أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))(٥).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قلت: ((يا رسولَ اللَّهِ، أيُّ الإِسلام أَفضلُ؟ قال: مَنْ سَلِمَ المسلمونَ مِنْ لِسانِهِ ويَدِهِ))(٦).

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ٨٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

(٣) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٥) أخرجه البخاري ١٠، ومسلم ٤٠.

(٦) أخرجه مسلم ٤٢.

وقد بوّب النووي لهذه الأحاديث: بباب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل وقد نقل النووي أن اختلاف جواب النبي ﷺ على أسئلة الصحابة على (حسب اختلاف الأحوال والأشخاص فإنه قد يقال: خير الأشياء كذا، ولا يراد به خير جميع الأشياء من جميع الوجوه، وفي جميع الأحوال والأشخاص، بل في حال دون حال أو نحو ذلك.

الوجه الثاني: أنه يجوز أن يكون المراد من أفضل الأعمال كذا أو من خيرها أو من خيركم من فعل كذا فحذفت من، وهي مرادة كما يقال: فلان أعقل الناس وأفضلهم ويراد أنه من أعقلهم وأفضلهم... وعلى هذا الوجه الثاني يكون الإيمان أفضلها مطلقاً، والباقيات متساوية في كونها أفضل الأعمال والأحوال، ثم يعرف فضل بعضها على بعض بدلائل تدل عليها وتختلف باختلاف الأحوال والأشخاص)[١].

قال ابن القيم مبيناً أثر الهمة العالية في جعل العبد يطلب المطالب العالية والأمور المهمة، قال: (المطلب الأعلى موقوف حصوله على همّة عالية ونية صحيحة. فمن فقدهما تعذّر عليه الوصول إليه، فإن الهمة إذا كانت عالية تعلقت به وحده دون غيره. وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه. فالنية تفرد له الطريق والهمة تفرد له المطلوب. فإذا توحّد مطلوبه والطريق الموصلة إليه كان الوصول غايته. وإذا كانت همته سافلة تعلقت بالسفليات ولم تتعلق بالمطلب الأعلى. وإذا كانت النية غير صحيحة كانت طريقة غير موصلة إليه. فمدار الشأن على همة العبد ونيته وهما مطلوبه وطريقه، ولا يتم له إلا بترك ثلاثة أشياء:

الأول: العوائد والرسوم والأوضاع التي أحدثها الناس.

الثاني: هجر العوائق التي تعوقه عن إفراد مطلوبه وطريقه، وقطعها.

الثالث: قطع علائق القلب التي تحول بينه وبين تجريد التعلق بالمطلوب.

والفرق بينهما أن العوائق هي الحوادث الخارجية. والعلائق هي التعلقات القلبية بالمباحات ونحوها، وأصل ذلك ترك الفضول التي تشغل عن المقصود من الطعام

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٥.

والشراب والمنام والخلطة. فيأخذ من ذلك ما يعينه على طلبه. ويرفض منه ما يقطعه عنه أو يضعف طلبه)[١].

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد سأل الرجل النبي ﷺ: أي الناس أفضل؟ فأجابه النبي ﷺ بقوله: مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله. ثم سأل الرجل مرة ثانية: ثم من؟ قال: ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه. وفي رواية: يتقي الله ويدع الناس من شرّه.

فكان السؤال والجواب أسلوباً من أساليب الدعوة لبيان فضل المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، وبيان أن الذي يليه في الفضل رجل معتزل في الشعاب يعبد ربه. وكان هذا البيان دعوة للمدعوين للامتثال والعمل والتطبيق.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله:

إن المجاهد يجاهد بماله وبنفسه في سبيل الله، لذا كان من أفضل المسلمين وأعلاهم، ويتضح ذلك من قول النبي ﷺ جواباً لسؤال: أي: الناس أفضل؟ فقال: مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

وقد أخرج البخاري هذا الحديث في كتاب الجهاد تحت باب: أفضل الناس مؤمن بنفسه وماله في سبيل الله [٢].

قال ابن حجر: (كأن المراد بالمؤمن من قام بما تعين عليه القيام به ثم حصل هذه الفضيلة، وليس المراد من اقتصر على الجهاد وأهمل الواجبات العينية، وحينئذ فيظهر فضل المجاهد لما فيه من بذل نفسه وماله لله تعالى، ولما فيه من النفع المتعدي)[٣].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (وأفضل ما يتطوع به الجهاد، وقد قال أحمد بن حنبل: لا أعلم شيئاً بعد الفرائض أفضل من الجهاد. وقد روى هذه المسألة عن أحمد جماعة من

---

(١) الفوائد، ابن القيم ٢١١-٢١٢.

(٢) كتاب: الجهاد رقم ٥٦، ورقم هذا الباب ٢، ورقم الحديث ٢٧٨٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٩/٦.

أصحابه. قال أحمد: الذين يقاتلون العدو هم الذين يدافعون عن الإسلام وعن حريمه، فأي عمل أفضل منه؟ الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مهج نفوسهم)[١].

ومن الآيات الدالة على فضل الجهاد بالنفس والمال قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢].

قال د. صالح الفوزان: (شرع الله الجهاد في سبيله لإعلاء كلمته ونصرة دينه ودحْر أعدائه، وشرعه ابتلاءً واختباراً لعباده ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[٣]. والجهاد في سبيل الله له الأهمية العظيمة في الإسلام، فهو ذروة سنام الإسلام، وهو من أفضل العبادات، وقد عدّه بعض العلماء ركناً سادساً من أركان الإسلام)[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل العزلة عند الفتن:

إن أهم ما يحافظ عليه المسلم دينه، فإنه يحافظ عليه بكل ما أوتي من قوة وبشتى الطرق والوسائل، ومن ذلك العزلة عند الفتن وتكاثرها، فتكون العزلة محمودة حينئذٍ، وهذا واضح من ترتيب النبي ﷺ المؤمن المعتزل بعد المؤمن المجاهد بماله ونفسه في سبيل الله، وذلك من ناحية الأفضلية، قال ابن حجر: (وإنما كان المؤمن المعتزل يتلوه في الفضيلة، لأن الذي يخالط الناس لا يسلم من ارتكاب الآثام فقد لا يفي

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٧/١٦.

(٢) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٢.

(٣) سورة محمد، الآيات: ٤-٦.

(٤) الملخص الفقهي ٤٥٩/١، وانظر: الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة ص ١٩٩.

هذا بهذا، وهو مقيد بوقوع الفتن)[١].

قال أبو العباس القرطبي: (إنه أجابه بقوله: رجل مجاهد بنفسه وماله. ثم ذكر بعده من جاهد نفسه بالعزلة عن الناس، إذ كلٌّ واحد من الرجلين مجاهد. فالأول للعدوِّ الخارجيِّ. والآخر للداخليِّ؛ الذي هو: النفس والشيطان، فجاهدهما بقطع المألوفات، والمستحسنات من الأهل، والقرابات، والأصدقاء، والأوطان، والشهوات المعتادات. وكلُّ ذلك فراراً بدينه، وخوفاً عليه. وهذا هو الجهادُ الأكبر؛ الذي من وصل إليه فقد ظفر بالكبريت الأحمر[٢]. غير أنَّ العزلة إنما تكون مطلوبةً إذا كفى المسلمون عدوهم، وقام بالجهاد بعضُهم. فأمَّا مع تعيُّن الجهاد؛ فليس غيرُه بمرادٍ؛ ولذلك بدأ النبي ﷺ بهذا الحديث بيان أفضلية الجهاد على العزلة)[٣].

قال النووي عن حديث الباب: (فيه دليل لمن قال بتفضيل العزلة على الاختلاط وفي ذلك خلاف مشهور، فمذهب الشافعي وأكثر العلماء أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن، ومذاهب طوائف أن الاعتزال أفضل. وأجاب الجمهور على هذا الحديث بأنه محمول على الاعتزال في زمن الفتن والحروب أو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصبر عليهم أو نحو ذلك من الخصوص. وقد كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وجماهير الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والعلماء والزهاد مختلطين، فيحصلون منافع الاختلاط كشهود الجمعة والجماعة والجنائز وعيادة المرضى وحلق الذكر وغير ذلك)[٤].

وعلى ذلك (فإن العزلة المحمودة في هذا الحديث ليست الرهبانية المذمومة في القرآن، لأن الرهبانية تتضمن إهمال الحقوق الواجبة للنفس والأهل والعباد بخلاف هذه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٦.

(٢) يقال: أعز من الكبريت الأحمر. هذا مثل يضرب في العزة. انظر: لسان العرب، ابن منظور مج١/٢/٣٨١ ٤٤٥/٦/٣، ومختار الصحاح ٥٦٢.

(٣) المفهم، القرطبي ٧٢٢/٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٣.

العزلة، فإن المقصود منها ترك الاختلاط مع الناس مع أداء حقوق النفس والأهل في العزلة)[١].

خامساً- من واجبات المدعو: كف الأذى عن الناس:

إن الإنسان مدني بطبعه لا يعيش إلا في مجتمع من الناس، وهذا الاجتماع يصاحبه في العادة أذىً وإضرار من بعض الناس، لذا كان الواجب على المدعو ألا يكون مصدراً للأذى وإنما يكف أذاه عن الناس، وذلك واضح في قول النبي ﷺ في بيان أفضل الناس بعد منزلة المجاهد بنفسه وماله: ((مؤمنٌ في شِعبٍ منَ الشعابِ يَتَّقي اللَّهَ ويَدعُ الناسَ مِن شَرِّه))[٢]، وفي رواية مسلم: ((مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، يَعْبُدُ اللَّهَ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ))[٣]، قال ابن حجر: (في الحديث فضل الانفراد لما فيه من السلامة من الغيبة واللغو ونحو ذلك)[٤].

وقال النبي ﷺ: ((مِنْ خيرِ معاشِ الناسِ رجلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فـي سبيلِ الله... الحديث)) وفيه: ((وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ. لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إلاَّ فِي خَيْرٍ))[٥].

وسأل أبو ذر رضي الله عنه النبي ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((الإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ)) قَالَ قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَعْلاَهَا ثَمَنا)) قَالَ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: ((تُعِينُ صَانِعا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ)) قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: ((تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ))[٦].

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٣٤٨/٩.

(٢) هذه رواية البخاري ٢٧٨٦.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣ - ١٨٨٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٦.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٨٩.

(٦) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

قال ابن حجر: (قوله: "تدع الناس من الشر"[١] فيه دليل على أن الكف عن الشر داخل في فعل الإنسان وكسبه حتى يؤجر عليه ويعاقب، غير أن الثواب لا يحصل مع الكف إلا مع النية والقصد لا مع الغفلة والذهول قاله القرطبي ملخصاً)[٢].

قال ابن هبيرة: (قوله: "فإنها صدقة منك على نفسك" في هذا من الفقه: أن الإنسان إذا أتى شيئاً من الشر فقد عرض نفسه لاحتمال العقوبة على ذلك الشر، فإذا كفّ عنه فقد تصدق على نفسه بإراحتها من احتمال تلك العقوبة حين لم يمكنه أن يسعى في أن يحصل لنفسه الفوائد والغنائم، فلا أقلّ من أن يتصدق عليها بألا يعرضها من البلاء لما لا تطيقه)[٣].

وقال ابن الجوزي عن فوائد العزلة النافعة: (ما أعرف نفعاً كالعزلة عن الخلق خصوصاً للعالم والزاهد، فإنك لا تكاد ترى إلا شامتاً بنكبة، أو حسوداً على نعمة، أو من يأخذ عليك غلطاتك.

فيا للعزلة ما ألذّها! سلمت من كدر[٤] غيبة، وآفات تُصنع[٥]، وأحوال المداجاة[٦]، وتضييع الوقت.

ثم خلا فيها القلب بالفكر، بعد ما كان مشغولاً عنه بالمخالطة، فدبر أمر دنياه وآخرته، فمثله كمثل الحِمْيَة يخلو فيها المِعَى بالأخلاط فيذيبها.

وما رأيت مثل ما يصنع المخالط، لأنه يرى حالته الحاضرة من لقاء الناس وكلامهم، فيشتغل بها عما بين يديه. فمثله كمثل رجل يريد سفراً قد أزف[٧]،

---

(١) هذه رواية البخاري ٢٥١٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٨/٥. وانظر: المفهم ٢٧٨/١.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٢/٢.

(٤) الكدر: ضد الصفو. نقلاً عن محقق صيد الخاطر، د. عبدالرحمن البر، وما يلي ذلك من تفسيرات لغوية أخذناها عنه، وذلك في نطاق هذا النص المأخوذ من صيد الخاطر.

(٥) التصنع: تكلف حسن السَّمت.

(٦) المداجاة: المداراة. يقال داجاه، أي داراه وساتره العداوة.

(٧) أزِف: دنا وقرب.

فجالس أقواماً، فشغلوه بالحديث، حتى ضرب البوق[١] وما تزود.

فلو لم يكن في العزلة إلا التفكير في زاد الرحيل، والسلامة من شر المخالطة- كفى.

ثم لا عزلة على الحقيقة إلا للعالم والزاهد، فإنهما يعلمان مقصود العزلة وإن كانا لا في عزلة.

أما العالم فعلمه مؤنسه، وكتابه محدثه، والنظر في سير السلف مقومه، والتفكر في حوادث الزمان السابق فرجته. فإن ترقى بعلمه إلى مقام المعرفة الكاملة للخالق سبحانه، وتشبث بأذيال محبته تضاعفت لذاته، واشتغل بها عن الأكوان وما فيها، فخلا بحبيبه، وعمل معه بمقتضى علمه.

وكذلك الزاهد تعبده أنيسه، ومعبوده جليسه، فإن كشف لبصره عن المعمول معه غاب عن الخلق، وغابوا عنه.

إنما اعتزلا ما يؤذي، فهما في الوحدة بين جماعة. فهذان رجلان قد سلما من شر الخلق، وسلم الخلق من شرورهما. بل هما قدوة للمتعبدين وعلم للسالكين، ينتفع بكلامهما السامع، وتجري موعظتهما المدامع، وتنتشر هيبتهما في المجامع.

فمن أراد أن يتشبه بأحدهما فليصابر الخلوة وإن كرهها؛ ليثمر له الصبر العسل.

وأعوذ بالله من عالِم مخالط للعالَم، خصوصاً لأرباب المال والسلاطين يَجتلب ويُجتلب، ويَخْتلب ويُختلَب[٢]، فما يحصل له شيء من الدنيا إلا وقد ذهب من دينه أمثاله.

ثم أين الأنفة من الذل للفساق؟

فالذي لا يبالي بذلك هو الذي لا يذوق طعم العلم، ولا يدري ما المراد به. وكأنه به وقد وقع في بادية جُرُزٍ[٣] وقفر أمل مهلك في تلك البراري.

---

(١) البوق: الذي ينفخ فيه فيصفر، وهو إشارة إلى نداء السفر والرحيل.

(٢) يَخْتلب ويُخْتلَب: يَخدَع، ويُخدَع.

(٣) الأرض الجُرُز: التي لا نبات بها. والقَفْر: المفازة التي لا نبات بها.

وكذلك المتزهد إذا خالط وخلط، فإنه يخرج إلى الرياء والتصنُّع والنفاق، فيفوقه الحظان، لا الدنيا ونعيمها تحصل له، ولا الآخرة.

فنسأل الله عز وجل خلوة حلوة، وعزلة عن الشر لذيذة، يستصلحنا فيها لمناجاته، ويلهم كلاً منا طلب نجاته، إنه قريب مجيب)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (الأذى حرام وتركه واجب بالاتفاق، ما لم يعارض بما هو أشد، فعندئذٍ يرتكب الأذى عملاً بالقاعدة المتفق عليها: يرتكب أخف الضررين لاتقاء أشدهما)[٢].

(١) صيد الخاطر. ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٣٥٥-٣٥٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢/٢٥٦.

الحديث رقم (٥٩٩)

٥٩٩- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**يُوشِكُ أنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بهَا شَعَفُ الجِبَالِ، وَمَواقعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بدينِهِ مِنَ الفِتَنِ**)) رواه البخاريُّ[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

شَعَفُ الجبال: أعلاها[(٢)].

مواقع القَطْر: بطون الأودية، القطر هو الغيث والمطر[(٣)].

الفتن: ما ينال الإنسان من البلاء والاختبار[(٤)].

الشرح الأدبي

التعبير بالفعل الدال على المقاربة (يوشك) يعطي الاستهلال خاصية يتفرد بها عن غيره، وتؤثر على المخاطبين لأنها تشعرهم بقرب طارق لا يعلمونه مما يحدث ترقبا يمهد لاستقبال المعنى، وذكر المسلم لأنه الحريص، والمَعْني بالآخرة، وَقَوْلُهُ ﷺ (خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ) خَصَّ الْغَنَمَ بِذَلِكَ ؛ لأَنَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي صَاحِبِ غَنَمٍ، وَأَمَّا صَاحِبُ الإِبِلِ أَوْ الْخَيْلِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الأَمْوَالِ فَلا يَتَأَتَّى ذَلِكَ فِيهَا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خَصَّهُمْ بِذَلِكَ ؛ لأَنَّ الْكَافَّ عَنْ الْفِتْنَةِ وَالْمُعْتَزِلَ لأَهْلِهَا مُقْتَصِرٌ عَلَى هَذَا النَّوْعِ مِنْ الْمَالِ : لأَنَّهُ لا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْفِتْنَةِ وَلا عَوْنَ مِنْهُ عَلَيْهَا وَمَا يَكَادُ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَيْهَا إلاَّ مُتَقَلِّلٌ مِنْ الدُّنْيَا، فَأَرْعَنُ الْفِتْنَةِ مُقْتَصِرٌ عَلَى مَا يُبْعِدُهُ عَنْهَا، أَوْ يُضْعِفُهُ عَنْ التَّشَوُّفِ

(١) برقم ١٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٢١.

(٢) رياض الصالحين ٢٧٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٨/١، والوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٤٤، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٧٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ت ن)، وغريب القرآن ٣٧٢.

إِلَيْهَا، وقوله (يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ) كناية عن تتبع مواقع الكلأ، والماء، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ) التعبير بالفرار يشير إلى سرعة توحي بشدة الحرص على الدين، وجمع الفتن يشير إلى كثرتها التي تستلزم الفرار، والباء في (بدينه) للسببية، وكلمة من في قوله (من الفتن) ابتدائية تقديره يفر بسبب دينه، ومنشأ فراره الدين ويجوز أن تكون الباء للمصاحبة، والحديث يكشف جانبا من الغيب المنتظر في آخر الزمان، والتي تكشف أكثرها في زماننا .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة الإخبار عما يقع من أمور مستقبلة.

ثانياً: من واجبات الداعية: دلالة المدعوين على طرق النجاة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل العزلة عند الفتن وأهمية الورع والبعد عن الشبهات.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: أهمية طلب السلامة حفاظًا على الدين.

أولاً- من دلائل النبوة: الإخبار عما يقع من أمور مستقبلة:

بعث الله محمداً ﷺ نبياً ورسولاً بالمعجزات والآيات التي تدل على صدق نبوته. وكان من ذلك إخباره ﷺ عما يقع في الزمن المستقبل، كما هو الأمر في هذا الحديث، وقد أخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه في عدة مواضع، منها كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام[1].

وقد ساق ابن كثير هذا الحديث في الفتن والملاحم من البداية والنهاية وساق بعض الأحاديث الأخرى التي في معناه، ثم قال: (وهذه الأحاديث المتقدمة على أنه يأتي على الناس زمان شديد لا يكون فيه للمسلمين جماعة قائمة بالحق، إما في جميع الأرض أو في بعضها)[2].

وقد أفرد الحافظ البيهقي في دلائل النبوة وتبعه ابن كثير في آخر السيرة النبوية

---

(١) الحديث ٣٦٠٠.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٩/ ٤١.

هذه الأخبار تحت عنوان: جماع أبواب إخبار النبي ﷺ بالكوائن بعده وتصديق الله - جل ثناؤه - ورسوله ﷺ في جميع ما وعده[١].

وساقها ابن كثير تحت عنوان: (ومن كتاب دلائل النبوة في باب إخباره عليه الصلاة والسلام عن الغيوب المستقبلة)[٢]، فضلاً عن الكتب الكثيرة المؤلفة تحت عنوان (دلائل النبوة).

وقال ابن تيمية: (وآياته ﷺ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية. وإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة، لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلاً عن غير النبيين. ففي القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير وكذلك في الأحاديث الصحيحة، مما أخبر بوقوعه، فكان كما أخبر.

ففي الصحيحين عن حذيفة قال: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَقَاماً. مَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ. قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَـؤلاَءِ. وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ. كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ. ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ))[٣].

وفي صحيح مسلم عن أبي زيد عمرو بن أخطب قال: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْفَجْرَ. وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ. فَنَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا))[٤].

وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال: ((بَينا أنا عندَ النبيِّ ﷺ إذا أتاهُ رجُلٌ فشَكا إليهِ الفاقَةَ، ثمَّ أتاهُ آخَرُ فشكا إليه قَطعَ السبيل، فقال: يا عَدِيُّ، هل رأيتَ

---

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ٣١٢/٦ وما بعدها.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٦١/٩ وما بعدها.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٨٩١ بنحوه.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٩٢.

الحِيرةَ؟ قلت: لم أرَها، وقد أُنبئتُ عنها. قال: فإن طالتْ بكَ حَياةٌ لتَرَيَنَّ الظَّعينةَ[١] ترتحِلُ منَ الحِيرةِ حتى تَطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ أحداً إلا اللهَ. قلتُ فيما بيني وبينَ نفْسي فأين دُعّارُ طَيِّئٍ[٢] الذينَ قد سَعَّروا البلادَ؟[٣] ولئنْ طالَتْ بكَ حياةٌ لتُفتَحنَّ كُنوزُ كِسرَى. قلتُ: كِسرَى بن هُرمُزَ؟ قال: كِسرَى بنِ هُرمُزَ. ولئنْ طالت بكَ حياةٌ لَتَرَيَنَّ الرجلَ يُخرجُ مِلْءَ كفِّهِ من ذهبٍ أو فضةٍ يَطلُبُ مَن يَقبلُهُ منهُ فلا يَجِدُ أحداً يَقبلُهُ منه. ولَيلقيَنَّ اللهَ أحدُكم يومَ يَلقاهُ وليسَ بينَهُ وبينهُ ترجمانٌ يُترجمُ لهُ، فيقولَنَّ: ألم أبعَثْ إليكَ رسولاً فيُبلِّغكَ؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أُعطِكَ مالاً وأُفْضِلْ عليكَ؟ فيقول: بلى. فيَنظرُ عن يَمينه فلا يَرى إلا جهنَّم، وينظرُ عن يَسارهِ فلا يَرى إلا جهنَم. قال عَديٌّ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: اتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ، فمن لم يَجِدْ شقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيِّبةٍ. قال عديٌّ: فرأيتُ الظعينة ترتحلُ منَ الحِيرةِ حتى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ إلا اللهَ، وكنتُ فيمن افتتحَ كنوزَ كسرَى بنِ هُرمُزَ، ولئنْ طالت بكم حياةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال النبيُّ أبو القاسم ﷺ: يُخرجُ مِلءَ كفه))[٤].

قلت: [القائل ابن تيمية] وهذا الذي أخبر به من خروج الرجل بملء كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله، ظهر كما أخبر، في زمن عمر بن عبدالعزيز)[٥].

ثانياً- من واجبات الداعية: دلالة المدعوين على طرق النجاة:

إن الفتن تكون كقطع الليل المظلم، يلتبس أمرها على كثير من المدعوين، الذين قد يلتبسون بها، فيكونون على خطر من أمر دينهم، ويحاولون النجاة بكل سبيل،

---

(١) أصل الظعينة: الراحلة التي يرحل عليها ويظعن عليها أي يسار بها. وقيل: للمرأة ظعينة لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن. أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت. النهاية في غريب الحديث في (ظ ع ن).

(٢) أي قطاع الطرق. وطيء قبيلة مشهورة، منها عدي بن حاتم المذكور وبلادهم مابين العراق والحجاز، وكانوا يقطعون الطريق على من مرّ بغير جوار، ولذا تعجب عدي كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة. النهاية في غريب الحديث ٣٠٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٠٩/٦.

(٣) أي أوقدوا نار الفتنة. وملؤوا الأرض شراً وفساداً. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٠٩/٦.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٩٥ مطولاً بهذا اللفظ وهو عند مسلم ١٠١٦ مقتصراً على الحث على الصدقة فقط.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم ٧٢٨هـ، تحقيق: د. علي بن حسن بن ناصر، ود. عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر ود. حمدان بن محمد الحمدان ٨٠/٦-٨٣.

وهنا يأتي دور الداعية الذي يبين لهم طرق النجاة، وذلك يستفاد من عموم الحديث كله، وآخره (يفر بدينه من الفتن)، قال الطيبي: (إن المطلوب حينئذٍ الاعتزال وتحري الخير بأي وجه كان)[١]، وقال ابن حجر: (والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه)[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٣].

قال القاسمي: (الفتنة إما بمعنى الذنب، كإقرار المنكر وافتراق الكلمة والتكاسل في الجهاد. وإما بمعنى العذاب، فإن أريد الذنب فإصابته بإصابة أثره وإن أريد العذاب فإصابته بنفسه "ولا تصيبن" جواب للأمر. أي: إن إصابتكم لا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل تشملهم وغيرهم بشؤم صحبتهم وتعدي رذيلتهم إلى من يخالفهم كقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[٤]. قاله القاشاني... قال الكرخي: "ولا يستشكل هذا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٥]، لأن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فالواجب على كل من رآه أن يغيره إذا كان قادراً على ذلك، فإذا سكت فكلهم عصاة، هذا بفعله وهذا برضاه، وقد جعل تعالى الراضي بمنزلة العامل فانتظم في العقوبة.. انتهى"، وذكر القسطلاني: (أن علامة الرضا بالمنكر عدم التألم من الخلل الذي يقع في الدين بفعل المعاصي، فلا يتحقق كون الإنسان كارهاً له، إلا إذا تألم للخلل الذي يقع في الدين كما يتألم ويتوجع لفقد ماله أو ولده، فكل من لم يكن بهذه الحالة فهو راض بالمنكر، فتعمه العقوبة

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٠/٥٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٤٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

(٤) سورة الروم، آية: ٤١.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٦٤، سورة الإسراء، آية: ١٥، سورة الزمر، آية: ٧.

والمصيبة بهذا الاعتبار)[١].

وقد حذّر النبي ﷺ من سكوت عامة المسلمين عن إنكار المنكر الذي تفعله خاصتهم، لأن ذلك يؤدي إلى عذاب العامة والخاصة، فعن عدي بن عميرة الكندي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن اللَّهَ لاَ يُعَذبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوُا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ))[٢].

كما أخبر النبي ﷺ بما يفعله المسلم في الفتن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي. مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ. وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ))[٣]. وفي لفظ: ((تَكُونُ فِتْنَةٌ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ. وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ. وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي. فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً فَلْيَسْتَعِذْ))[٤].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ. أَلاَ ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا. وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلاَ، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلاَ غَنَمٌ وَلاَ أَرْضٌ؟ قَالَ: يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَلْيَدُقَّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ. ثُمَّ لْيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ. اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ. وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ))[٥].

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٦/٨ - ٣٧.

(٢) أخرجه أحمد ١٩٢/٤ رقم ١٧٧٢٠، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٢٥٨/٢٩.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٨١، ومسلم ٢٨٨٦.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٨٢، ومسلم ٢٨٨٦.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٨٧.

قال ابن حجر: (فيه التحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها وأن شرها يكون بحسب التعلق بها، والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل. قال الطبري: اختلف السلف فحمل ذلك بعضهم على العموم وهم من قعد عن الدخول في القتال بين المسلمين مطلقاً كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأبي بكرة وآخرين، وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها، ثم اختلف هؤلاء فقالت طائفة بلزوم البيوت، وقالت طائفة بل بالتحول عن بلد الفتن أصلاً. ثم اختلفوا فمنهم من قال: إذا هجم عليه شيء من ذلك يكف يده ولو قتل، ومنهم من قال: بل يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله وهو معذور إن قتل أو قتل. وقال آخرون إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها ونصبت الحرب وجب قتالها، وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطئ ونصر المصيب، وهذا قول الجمهور، وفصل آخرون فقالوا: كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذ ممنوع، وتنزل الأحاديث التي في هذا الباب وغيره على ذلك وهو قول الأوزاعي.

قال الطبري: والصواب أن يقال إن الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه، فمن أعان المحق أصاب ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها. وذهب آخرون إلى أن الأحاديث وردت في حق ناس مخصوصين، وأن النهي مخصوص بمن خوطب بذلك. وقيل إن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما هي في طلب الملك)[1].

وقال النووي: (وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام: يجب نصر المحق في الفتن، والقيام معه بمقاتلة الباغين كما قال تعالى: ﴿فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ الآية[2]. وهذا هو الصحيح. وتَتَأوّل الأحاديث على من لم يظهر له المحق، أو على طائفتين

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٣٤-٣٥.

(٢) سورة الحجرات، آية:٩.

ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما. ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد واستطال أهل البغي والمبطلون)[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل العزلة عند الفتن وأهمية الورع والبعد عن الشبهات:

إن العزلة في موضعها تكون مطلوبة حينما تقع الفتن، ويجد المدعو نفسه معرضاً للوقوع فيها والتلبس فيها، فيعتزلها حتى يحمي دينه ويحفظه من النقص والضياع، وهذا واضح من عموم الحديث. قال ابن حجر: (الخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه، وقد اختلف السلف في أصل العزلة)[٢]، وبوّب البخاري في كتاب الرقاق، باب العزلة راحة من خلاط السوء وساق تحته هذا الحديث[٣].

وقال ابن حجر: (قال ابن المبارك في "كتاب الرقائق" عن شعبة عن خبيب بن عبدالرحمن عن حفص بن عاصم قال: قال عمر: خذوا حظكم من العزلة، وما أحسن قول الجنيد: "مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة"، وقال الخطابي: (لو لم يكن في العزلة إلا السلامة من الغيبة ومن رؤية المنكر الذي لا يقدر على إزالته - لكان ذلك خيراً كثيراً. وفي معنى الترجمة ما أخرجه الحاكم[٤] من حديث أبي ذر مرفوعاً بلفظ: "الوحدة خير من جليس السوء"، وسنده حسن لكن المحفوظ أنه موقوف عن أبي ذر أو عن أبي الدرداء، وأخرجه ابن أبي عاصم)[٥].

قال د.عائض القرني: (للعزلة عزٌّ لا يعلمه إلا الله، ففي العزلة استثمار العقل وقطف جني الفكر وراحة القلب وسلامة العرض وموفور الأجر، والنهي عن المنكر واغتنام

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٧٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦/١٣.

(٣) الحديث رقم ٦٤٩٥.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٤٢/٣ رقم ٥٥١٧، وقال محققه: قال الذهبي: لم يصح ولا صححه الحاكم.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٩/١١.

الأنفاس في الطاعة، وتذكر الرحيم وهجر الملهيات والمشغلات والفرار من الفتن، والبعد عن مداراة العدوِّ، وشماتة الحاقد ونظرات الحاسد ومماطلة الثقيل والاعتذار إلى المعاتب، ومطالبة الحقوق ومداجاة المتكبر والصبر على الأحمق، وفي العزلة ستر للعورات عورات اللسان وعثرات الحركات وفلتات الذهن ورعونة النفس)[(١)].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: أهمية طلب السلامة حفاظًا على الدين:

إن أهم الأمور في هذه الحياة المحافظة على الدين وعدم التعرض لما يخلّ به أو يكون سبباً في ضعفه أو ذهابه في النفوس. وهذا يستفاد من عموم الحديث. قال ابن حجر: (وذكر الخطابي في "كتاب العزلة" أن - حكم - العزلة والاختلاط يختلف باختلاف متعلقاتها، فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين وعكسها في عكسه. وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة دينه فالأولى الانكفاف عن مخالطة الناس بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحابة لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء فيقتصر منه على ما لا بد منه فهو أروح للبدن والطلب)[(٢)].

وقال ابن كثير: (وقد اعتزل جماعة من السلف الناس والجمعة والجماعة - وهم أئمة كبار- كأبي ذر وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وسلمة بن الأكوع في جماعة من الصحابة، حتى اعتزلوا مسجد النبي ﷺ الذي الصلاة فيه بألف صلاة... وكذلك اعتزل سفيان الثوري وخلق من التابعين وتابعيهم لما شاهدوه من الظلم والشرور والفتن خوفاً على إيمانهم أن يسلب منهم)[(٣)].

---

(١) لا تحزن ١١٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٤٠.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٩/٤٠.

وقال ابن القيم: (طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره. وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته. وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات.

فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه. ومتى لم يصبر على هذين الحبسين، وفرَّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا؛ فكل خارج من الدنيا، إما متخلص من الحبس، وإما ذاهب إلى الحبس)[١].

وقال ابن القيم كذلك: (العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافرٌ فيها إلى ربه، ومدة سفره هي عمره الذي كتب له، فالعمر هو مدة سفر الإنسان في هذه الدار إلى ربه تعالى، ثم قد جعلت الأيام والليالي مراحل لسفره، فكلّ يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزالُ يطويها مرحلةً بعد مرحلةٍ حتى ينتهي السفر.

فالكيِّسُ الفطن هو الذي يجعلُ كل مرحلة نصب عينيه، فيهتم بقطعها سالماً غانماً، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه، ولا يطول عليه الأمد فيقسو قلبه، ويمتد أمله، ويحصر بالتسويف والوعد والتأخير والمطل، بل يعد عمره تلك المرحلة الواحدة، فيجتهد في قطعها بخير ما بحضرته، فإنه إذا تيقن قصرها وسرعة انقضائها هان عليه العمل، فطوَّعت له نفسه الانقياد إلى التزود، فإذا استقبل المرحلة الأخرى من عمره ليستقبلها كذلك، فلا يزال هذا دأبه حتى تطوى مراحل عمره كلها فيحمد سعيه، ويبتهج بما أعدّه ليوم فاقته وحاجته. فإذا طلع صبحُ الآخرة وانقشع ظلام الدنيا فحينئذ يحمد سُرَاه، وينجاب عنه كِرَاه، فما أحسنَ ما يستقبل يومه وقد لاح صباحه واستبان فلاحه)[٢].

---

(١) الفوائد ٨٣.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ٧٥١هـ. تحقيق: يوسف علي بديوي ص ٣٣٧.

الحديث رقم (٦٠٠)

٦٠٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**مَا بَعَثَ اللهُ نَبيّاً إلاَّ رَعَى الْغَنَمَ**)) فَقَالَ أصْحَابُهُ: وأنْتَ؟ قَالَ: ((**نَعَمْ، كُنْتُ أرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ**)) رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

القيراط: هو جزء من الدينار أو الدرهم[(٢)].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول حرفة الرعي وعمل الأنبياء بها، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة هذه الحرفة التي تعلم الإنسان الصبر، والتأمل، والصفاء، والوضوح للتأثر بطبيعة المكان بين السماء، والأرض، كما أنها تعلم حسن التدبير، واختيار الأصلح، ورعاية الضعيف وسط الأقوياء، ثم إن كونها بهائم خرساء لا تستطيع أن تعبر عن حاجتها، احتاجت إلى مزيد تفقد، وتفرس لأفرادها ثم إنها ضعيفة تحتاج إلى من يدفع عنها الذئاب، ومراتع الهلاك، فهي مدرسة في صورة مهنة، ولا يدرك عظيم فوائدها إلا من مارسها، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (مَا بَعَثَ اللهُ نَبيّاً إلاَّ رَعَى الْغَنَمَ) أسلوب قصر يقصر كل نبي مبعوث على صفة الاشتغال برعي الغنم، وتنكير (نبيا) يفيد العموم، واختيار الغنم لأنه أضعف، وتحتاج إلى مزيد عناية لكثرة الوحوش التي تستطيع افتراسها، ورِعاءُ الغنم وأربابها أرقُ قلوباً، وأبعد من الفظاظة والغلظة،وأقرب للتواضع وقول الرسول ﷺ (نَعَمْ، كُنْتُ أرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ) يقرر المعنى السابق، ويؤكده والتعبير بالرعاية

---

(١) برقم ٢٢٦٢. وسيكرره المؤلف برقم ٦٠٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١٦/٤.

يشير إلى العناية، والحفظ، والحنو، والأنبياء رعاة الأمم فكان تدريبهم على الصبر، والرحمة، والتفقد، والاحتمال وغيرها من معان عن طريق تلك المهنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحكمة من رعي الأنبياء الغنم.

رابعاً: من آداب المدعو: السؤال والتثبت.

خامساً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرفة لأجل الكسب الحلال.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد قال النبي ﷺ: "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم"، فأخبر ﷺ أن الأنبياء قد رعوا جميعاً الغنم وأنهم اشتغلوا بذلك وعالجوه. ومن قبيل الإخبار قوله ﷺ: ((ما منْ نبيٌ إلا أنذرَ أمتَه الأعورَ الكذَّاب، ألا إنَّه أعورُ، وإنَّ ربَّكم ليسَ بأعوَرَ، مكتوبٌ بينَ عينيه كافر))[1].

ومن الملاحظ أن هذا الإخبار جاء بصيغة القصر، ليدل على أن جميع الأنبياء وقع منهم ذلك. وأن هذا أمر من الأمور المشتركة بينهم صلى الله عليهم وسلم.

ثانياً- من صفات الداعية: التواضع:

جبلت النفوس على حب من تواضع والنفور ممن تكبر وطغى، والداعية لا نجاح له إلا بحب الناس له، لذا كان التواضع من الصفات المهمة للداعية، ومحمد ﷺ وهو إمام الدعاة كان رأس المتواضعين، مع أنه ﷺ أفضل الخلق على الله. وذلك واضح في قوله ﷺ: "كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة"، قال ابن حجر: (وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله بيان لما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء)[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٣١، ومسلم.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١٧/٤.

وقال الله تعالى مخاطباً رسوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(١)، فالله سبحانه وتعالى (أمره أن يلين جانبه للمؤمنين وأن يعطف عليهم ويطايبهم ليرسخ الإيمان في قلوبهم ويسلموا من غائلة الردة فيما لو عُوملوا بالقسوة والشدة وهم في بداية الطريق إلى الله تعالى)(٢). وقال الطاهر بن عاشور: (وخفض الجناح مثل للمعاملة باللين والتواضع)(٣).

قال ابن القيم عن تواضع النبي ﷺ: (وكان ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير ويأكل مع الخادم ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء، وكان ﷺ هيّن المؤنة، ليّن الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساماً متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب رحيماً بكل مُسلم، خافض الجناح للمؤمنين، ليّن الجانب لهم)(٤).

(إن التواضع من أخلاق الأنبياء، وهو من أسباب الرفعة والعزة وفي ترك التواضع وقوع التشاحن)(٥).

وقال ابن القيم عن الفرق بين التواضع والمهانة: (والفرق بين التواضع والمهانة أن التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها، فيتولد من بين ذلك كله، خلقٌ هو التواضع. وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة بعباده فلا يرى له على أحد فضلاً ولا يرى له عند أحد حقاً بل يرى الفضل للناس عليه

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري ٣/٦٨٨.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٩/٢٠٢.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/١١٢.

(٥) معالم في طريق طلب العلم، عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان ص ١٦٦.

والحقوق لهم قبله وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه.

وأما المهانة فهي: الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السفل في نيل شهواتهم، وتواضع المفعول به للفاعل، وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه فهذا كله ضعة لا تواضع، والله سبحانه يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة. وفي الصحيح عنه ﷺ وأوحي إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)[(١)].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحكمة من رعي الأنبياء الغنم:

إن أهل الحق دائمون معرضون لأن يعاديهم كثير من الناس وأن ينفر عنهم خلق كثير، لذا كان من الصفات الواجب توافرها في أهل الحق الحلم والصبر على دعوة الناس وتبليغها لهم، والشفقة على المؤيدين منهم والمعارضين، ولاشك أن هاتين الصفتين تحتاجان في الأغلب إلى تمرين وتدريب، قبل أن يتوجهوا إلى الناس بدعوتهم، وهذا ما يفسر قول النبي ﷺ: "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم"، قال ابن حجر: (قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره - كالسارق - وعلموا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل، مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم. وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة. ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها)[(٢)].

---

(١) الروح: ابن القيم: محمد بن أبي بكر ٧٥١هـ، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ ص ٢٣٣. والحديث أخرجه مسلم ٦٤-٢٨٦٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١٦/٤ - ٥١٧.

وقال الشيخ محمد أبو شهبة: (هذا إلى ما في رعى الغنم من قضاء نهاره وبعض ليله في البادية، فيتمتع بالسماء الصافية والشمس المشرقة والهواء النقي ويطيل التأمل والنظر في السماء ذات الأبراج، والأرض ذات الفجاج، والجبال ذات الألوان، وبذلك يصير التأمل والتدبر ملكة من ملكات النفس)[1].

وقال د. عبدالعزيز بن إبراهيم العمري: (ولقد امتاز رعاة الغنم عن غيرهم من الرعاة بالحساسية والخبرة، فقد كانت طبيعة الأغنام تتطلب من الرعاة نوعاً من الحذر المتمثل في معرفة أنواع الأعشاب التي ترعاها هذه الأغنام، فإن بعض الأعشاب سام ويقتل الغنم بمجرد أن تأكله، بل إن بعضاً منها يقتل الغنم بمجرد أن تشم رائحته... كما أن هنالك بعض الأعشاب تصيب الأغنام بأمراضٍ معينة أو تتسبب في رمي الحوامل منها لحملها. إضافة إلى ذلك فإن الأغنام لا تستطيع مقاومة السباع كالذئب وغيره بعكس الإبل، فالرعاة للأغنام دائماً يُجنّبُون أغنامهم المواطن التي تسكنها الذئاب خصوصاً في الليل... كما أن الغنم تحتاج إلى الماء باستمرار فراعي الغنم لا يستطيع أن يبتعد بها عن الماء كثيراً وإلا هلكت من العطش... إضافة إلى ذلك فإن راعي الغنم يجب أن تكون لديه القدرة على التصرف السريع في كثير من الحالات التي تواجهه)[2].

رابعاً- من آداب المدعو: السؤال والتثبت:

يحتاج المدعو أن يسأل الداعية عن بعض الأمور التي يريد أن يتأكد منها. هذا واضح في قول أصحابه ﷺ لما أخبرهم ﷺ بأن جميع الأنبياء قد رعَوَا الغنم - فقالوا له: وأنت؟ قال: نعم. ومن هذا القبيل ما كان من شأن الصحابي عُمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه في غزوة بدر لما سمع النبي ﷺ يقول لأصحابه: ((قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ)) قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((مَا يَحْمِلُكَ عَلَى

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة ١/ ٢١٠.

(٢) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ ص ٦٩-٧٠.

قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ)) قَالَ: لاَ. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: ((فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)) فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ[1]. فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ. ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ[2].

فلما تأكد عمير بن الحمام من أن جزاء من يستشهد الجنة أقدم فقاتل حتى قُتل، وقد ذكر ابن جرير الطبري أن عميراً قاتل وهو يقول:

ركضا إلى الله بغير زاد ... إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد ... فكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد[3]

خامساً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرفة لأجل الكسب الحلال

من المهم بمكان أن يعمل الإنسان عملاً يكتسب به قوته، لأن في ذلك من الفوائد ما لا يخفى، لذا كان الأنبياء صلوات الله عليهم يعملون بأيديهم، وكذلك كان أفضلهم محمد ﷺ يعمل. وذلك واضح في قول النبي ﷺ: (كُنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)، وفي رواية ابن ماجه[4] عن سويد بن سعيد عن عمرو بن يحيى: (كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط، قال سويد: "يعني كل شاة بقيراط"، قال ابن حجر: (يعني القيراط الذي هو جزء من الدينار أو الدرهم)[5].

قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: (أما إقباله على رعي الأغنام لقصد اكتساب القوت والرزق ففيه ثلاث دلالات هامة:

---

(١) جعبة النشاب والنبل. انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٩٠١.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤٤٨/٢، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٠٧/٥، والمنتظم، قافية الدال ١٠٨/٣.

(٤) سنن ابن ماجه ٢١٤٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٧٤٥).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١٦/٤.

الأولى: الذوق الرفيع والإحساس الدقيق اللذان جمّل الله تعالى بهما نبيه محمداً ﷺ. لقد كان عمه يحوطه بالعناية التامة، وكان له في الحنّو والشفقة كالأب الشفوق، ولكنه ﷺ ما إن آنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب، ويجهد جهده لرفع بعض ما يمكن رفعه من مؤونة الإنفاق عن عمه. وربما كانت الفائدة التي يجنيها من وراء عمله الذي اختاره الله له، فائدة قليلة غير ذات أهمية بالنسبة لعمه أبي طالب، ولكنه على كل تعبير أخلاقي رفيع عن الشكر، وبذل للوسع، وشهامة في الطبع، وبرّ في المعاملة.

الثانية: وتتعلق ببيان نوع الحياة التي يرتضيها الله تعالى لعباده الصالحين في دار الدنيا. لقد كان سهلاً على القدرة الإلهية أن تهيئ للنبي ﷺ، وهو في صدر حياته، من أسباب الرفاهية ووسائل العيش ما يغنيه عن الكدح ورعاية الأغنام سعياً وراء القوت.

ولكن الحكمة الإلهية تقتضي منا أن نعلم أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بكدّ يمينه ولقاء ما يقدمه من الخدمة لمجتمعه وبني جنسه، وشر المال ما أصابه الإنسان وهو مستلق على ظهره دون أن يرى أي تعب في سبيله، ودون أن يبذل أي فائدة للمجتمع في مقابله.

الثالثة: إن صاحب أي دعوة، لن تقوم لدعوته أي قيمة في الناس إذا ما كان كسبه ورزقه من وراء دعوته أو على أساس من عطايا الناس وصدقاتهم. ولذا فقد كان صاحب الدعوة الإسلامية أحرى الناس كلهم بأن يعتمد في معيشته على جهده الشخصي أو مورد شريف لا استجداء فيه حتى لا تكون عليه لأحد من الناس منة أو فضل في دنياه فيعوقه ذلك عن أن يصدع بكلمة الحق في وجهه غير مبال بالموقع الذي قد تقع من نفسه.

وهذا المعنى وإن لم يكن قد خطر في بال الرسول ﷺ في هذه الفترة، إذ إنه لم يكن يعلم بما سيوكل إليه من شأن الدعوة والرسالة الإلهية، غير أن هذا المنهج الذي هيأه الله له ينطوي على هذه الحكمة ويوضح أن الله تعالى قد أراد أن لا يكون في

شيء من حياة الرسول قبل البعثة ما يعرقل سبيل دعوته أو يؤثر عليها أي تأثير سلبي، فيما بعد البعثة)[١].

وقد قال النبي ﷺ: ((مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ))[٢].

قال ابن حجر: (المراد بالخيرية ما يستلزم العمل باليد من الغنى عن الناس. وفي الحديث فضل العمل باليد وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله تعالى، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل، ولهذا أورد النبي ﷺ قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد)[٣].

قال ابن الجوزي: (إن كمال العز وبعد الرياء إنما يكون في البعد عن العمّال الظلمة، ولم نر من صح له هذا إلا في أحد رجلين: إما من كان له مال كسعيد بن المسيب، كان يتجر في الزيت وغيره، وسفيان الثوري كانت له بضائع وابن المبارك. وإما من كان شديد الصبر قنوعاً بما رزق وإن لم يكفه، كبشر الحافي وأحمد بن حنبل. ومتى لم يجد الإنسان كصبر هذين، ولا كمال أولئك، فالظاهر تقلبه في المحن والآفات، وربما تلف دينه. فعليك يا طالب العلم بالاجتهاد في جمع المال للغنى عن الناس، فإنه يجمع لك دينك. فما رأينا في الأغلب منافقاً في التدين والتزهد والتخشع ولا آفة طرأت على عالم إلا بحّب الدنيا، وغالب ذلك الفقر)[٤]. (فأسعد الناس من له قوت دارٌ بقدر الكفاية، لا مِنْ مِنَنَ الناس وصدقاتهم وقد قنع به. وأما إذا لم يكن له قوت

---

(١) فقه السيرة، د. محمد بن عيد رمضان البوطي ٧٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٧٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٨/٤.

(٤) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢٣٩.

يكفي فالهمُّ الذي يريد اجتماعه في تلك الأمور يتشتت ويصير طالباً للتحيل في جمع القوت، فيذهب العمر في تحصيل قوت البدن الذي يريد من بقائه غير بقائه. ويفوت المقصود ببقائه، وربما احتاج إلى الأنذال)[1].

(١) المرجع السابق ٤٠٣.

الحديث رقم (٦٠١)

٦٠١- وعنه، عن رسول الله ﷺ، أنَّه قَالَ: ((مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ في سَبِيلِ الله، يَطيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزعَةً، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ، أَوْ المَوْتَ مَظَانَّه، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ في رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطنِ وَادٍ مِنْ هذِهِ الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يأتِيَهُ اليَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إلاَّ فِي خَيْرٍ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

العنان: سَير اللّجَام الذي تُمسك به الدابة[٢].

يَطيرُ: يُسْرِعُ[٣].

متنه: ظَهْرُهُ[٤].

الهيعةُ: الصوت للحرب[٥].

الفزعة: الصوت للحرب[٦].

مظان الشيء: المواضعُ التي يُظنُّ وجودُهُ فيها[٧].

غُنَيمَةٍ: تصغير الغنم[٨].

الشعفةُ: أعلى الجبل[٩].

---

(١) برقم ١٨٨٩/١٢٥. وسيأتي برقم ١٣٠١، أورده المنذري في ترغيبه ١٨٤٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ن ن).

(٣) رياض الصالحين ٢٧٠.

(٤) رياض الصالحين ٢٧٠.

(٥) المرجع السابق ٢٧٠.

(٦) المرجع السابق ٢٧١.

(٧) المرجع السابق ٢٧١.

(٨) المرجع السابق ٢٧١.

(٩) المرجع السابق ٢٧١.

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم رجل) ورجل بالابتداء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي معاش رجل هذا شأنه من خير معاش الناس وقوله (لهم) أي معاش الناس الكائن لهم لا عليهم أي هو من خير معاشهم النافع لهم، وقوله (مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله) كناية عن دوام الاستعداد للجهاد في سبيل الله في كل وقت، وذكر العنان يشير إلى تمام السيطرة، والفرس لتمام إعداد العدة ، وآلة الحرب، والتعبير بالطيران يشير إلى الخفة في إجابة الداعي الأمر الذي يوحي بمحبته للجهاد ، لأن النفس تخف إلى ما تحب وتثقل عندما تكره ، وقوله (على متنه) يشير إلى التمكن، والتعبير بـ(كلما) يشير إلى العادة في الفعل وقوله (هَيْعَةً أَوْ فَزعَةً، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ، أَوْ المَوْتَ مَظَانَّه) كناية عن شجاعته ، ورغبته فيه، والهيعة والفزع صوت المنادي للحرب ، والمستغيث، والتعبير بالماضي الدال على التحقق يؤكد السرعة في التلبية ، وتمام الاستعداد رغبة في الشهادة، ومظان الموت أماكن غلب الظن على وقوعه فيها ، (أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هذِهِ الشَّعَفِ) والشعفة أعلى الجبل ، والإشارة (هذه) في هذه العبارة والتي تليها للتحقير ؛ لأنه لا يبحث عن ترف ، و تصغير غنيمة للتحقير الذي يوحي بأن الرجل لم يسع إلى طلب دنيا بل سعى إلى عزلة لتفريغ القلب للعبادة وهو ما صورته الأفعال في صورة المضارع الدال على التجدد ، والاستمرار (يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ) إلى الغاية المنتظرة (حَتَّى يأتِيَهُ اليَقِينُ) لا يوذي الناس ، ولا يؤذونه .

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

ثانياً : من موضوعات الدعوة: فضل العزلة عند الفتنة وفساد الناس.

ثالثاً : من واجبات المدعو: إمساك الأذى عن الناس وجلب الخير لهم.

رابعاً : من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

إن الجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال وأعلاها، فمن قام به فقد ضحّى بنفسه وماله، وهذا واضح في قوله ﷺ: "من خير معاش الناس رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل أو الموت مظانه"، قال النووي: (المعاش هو العيش وهو الحياة، وتقديره - والله أعلم - من خير أحوال عيشهم رجل ممسك [عنان فرسه] يسارع على ظهره وهو متنه، كلما سمع هيعة، وهي الصوت عند حضور العدو... والفزعة - بإسكان الزاي - النهوض إلى العدو... ومعنى "يبتغي القتل مظانه": يطلبه في مواطنه التي يرجى فيها لشدة رغبته في الشهادة، وفي هذا الحديث فضيلة الجهاد والرباط والحرص على الشهادة)(١).

وقد قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ المُجَاهِدِ في سبيلِ الله مَثَلُ الصائم القائم الذي لا يَفْتُرُ مِنْ صلاةٍ ولا صِيَامٍ، حتى يَرْجِعَ))(٢).

قال ابن عبدالبر: (هذا أفضل حديث وأجله في فضل الجهاد، لأنه مثله بالصلاة والصيام وهما أفضل الأعمال، وجعل المجاهد بمنزلة من لا يفتر عن ذلك ساعة: فأي شيء أفضل من الجهاد؟ يكون صاحبه راكباً، وماشياً، وراقداً، ومتلذذاً بكثير من حديث رفيقه وأكله وشربه، وغير ذلك مما أبيح له؛ وهو في ذلك كله كالمصلي التالي للقرآن في صلاته الصائم مع ذلك المجتهد، إن هذا لغاية في الفضل وفقنا الله برحمته.

ولهذا ومثله قلنا: إن الفضائل لا تدرك بقياس ونظر والله المستعان، وحسبك من فضل الجهاد بقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(٣))(٤).

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٧٧، ومسلم ١٨٧٨.

(٣) سورة الصف، آية: ١٠-١١.

(٤) فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر، رتبه محمد بن عبدالرحمن المغراوي ١١/ ٣٢.

جاء في الموسوعة الفقهية: (فضل الجهاد عظيم، وحاصله بذل الإنسان نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى، وتقرباً بذلك إليه سبحانه وتعالى... وأفضل ما يتطوع به الجهاد، وقد قال أحمد بن حنبل: لا أعلم شيئاً بعد الفرائض أفضل من الجهاد، وقد روى هذه المسألة عن أحمد جماعة من أصحابه، قال أحمد: الذين يقاتلون العدو هم الذين يدافعون عن الإسلام وعن حريمه، فأي عمل أفضل منه؟ الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مهج أنفسهم. والأحاديث متظافرة بذلك"[1].

قال ابن القيم: (وأما الجهاد فناهيك به من عبادة هي سنام العبادات وذورتها وهو المحكّ والدليل المفرق بين المحب والمدعي، فالمحب قد بذل مهجته وماله لربه وإلهه متقرباً إليه ببذل أعز ما بحضرته يودّ لو أن له بكل شعرة نَفْساً يبذلها في حبه ومرضاته ويود أن لو قتل فيه ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي ثم قتل فهو يفدي بنفسه حبيبه وعبده ورسوله، ولسان حاله يقول:

يفديك بالنفس صبٌّ لو يكون له أعز من نفسه شيء فداك به [2]

فهو قد سلّم نفسه وماله لمشتريها وعلم أنه لا سبيل إلى أخذ السلعة إلا ببذل ثمنها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ﴾[3])[4].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل العزلة عند الفتنة وفساد الناس:

أعز ما يملك المسلم في هذه الدنيا دينه، يحافظ عليه بالغالي والنفيس، ويستعين على ذلك بكل الوسائل والطرق المشروعة، وقد تكون العزلة أفضل هذه الطرق كما هو واضح في قوله ﷺ: "من خير معاش الناس" ثم ذكر: "أو رجل في غنيمة في رأس

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٧/١٦، وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥/٣.

(٢) محاضرات الأدباء ٥٨/٢، المستظرف قافية الحاء ٣٩٤/٢، ونسبه الشاعر الوأواء الدمشقي - العصر العباسي.

(٣) سورة التوبة، آية:١١١.

(٤) مفتاح دار السعادة ٤/٢.

شعفة من هذه الشعف أو بطن من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين".

ذكر الطيبي عن هذا الجزء من الحديث أنه جاء (وصفاً لقناعة هذا الرجل بأنه سكن في أحقر مكان ويجتزئ بأدنى قوت، واعتزال الناس بكفه شره عنهم ويستكفي شرهم عنه ويشتغل بعبادة ربه حتى يجيئه الموت. وعبّر عن الموت باليقين ليكون نصب عينيه مزيداً للتسلي فإن في ذكر هازم اللذات ما يعرضه عن أغراض الدنيا ويشغله عن ملاذها بعبادة ربه. ألا ترى كيف سلّى حبيبه صلوات الله عليه حين لقى ما لقى من أذى الكفار بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[1].

... وفي تخصيص ذكر المعاش تلميح، فإن العيش المتعارف بين أبناء الدهر هو استيفاء اللذات والانهماك في الشهوات كما سميت البيداء المهلكة بالمفازة والمنجاة، واللديغ بالسليم، وتلميح إلى قوله ﷺ: ((اللّهمَّ لا عَيشَ إلا عَيشُ الآخرهْ))[2]، وفيه أن لا عيش ألذ وأمرأ وأشهى وأهنأ مما يجد العبد من طاعة ربه ويستروح إليها حتى يرفع تكاليفها ومشاقها عنه. بل إذا فقدها كان أصعب عليه مما إذا وتر أهله وماله... وجماع معنى الحديث: الحث على مجاهدة أعداء الدين، وعلى مجاهدة النفس والشيطان والإعراض عن استيفاء اللذات العاجلة)[3].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ذهب العلماء إلى أفضلية العزلة عند ظهور الفتن وفساد الناس، إلا أن يكون الإنسان له قدرة على إزالة الفتنة فإنه يجب عليه السعي في إزالتها بحسب الحال والإمكان. وأما في غير أيام الفتنة فقد اختلف العلماء في المفاضلة بين العزلة والاختلاط)[4].

(١) سورة الحجر، الآيات: ٩٧ – ٩٩.

(٢) أخرجه البخاري ٣٩٣٢، ومسلم ٥٢٤، وعندهما: (اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة).

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/٢٧١.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/٨٣.

وقال د. عائض القرني: (للعزلة فوائد كثيرة ومنافع وفيرة، منها جمع القلب على طاعة الرب، وكف اللسان عن الغيبة واللغو ورديء القول والبعد عن الحاسد والشامت، ومتتبع السقطات، والفارح بالغلطات، والجامع للزلات ومفارقة الثقيل، والبعد عن سوء الظن، والسلامة من ضياع الزمان الذي هو أشرف العطايا، واليأس مما في أيدي الناس، وحبس الفكر على استجلاء الفكر، والبعد عن كل مشوش، والأمان من لدغ الأقران، ومنة الإخوان، وحقوق الخلان، ومطالب الجيران، والابتعاد عن النظر إلى زينة الدنيا والاستحسان لما ذمه الله من زخرفها وعابه من زبرجد غرورها، والنأي عن منافسة أهلها ومباراة خدامها ومعاداة أبنائها ومحاكات أخدانها في طمعهم وجشعهم.

وفي العزلة خلوة للقلب من الهموم، وحمية البال من الغموم، وسلامة الخاطر من الكدر، ومطالعة العقل للعبر.

وفي العزلة الاستعداد للموت، والتأهب للفوت، وتدبير أمر القوت، والنجاة من الغوغاء، وأقاويل الدهماء، وأراجيف الأعداء، وفضول الثقلاء.

وفي العزلة الأمان من حيف السلطان؛ لأن في الخلطة فرصة للنمام لنقل الكلام، وعدم التحرز من اللسان عن العوام، فرب كلمة سقط معها الرأي أو وقع على النفس منها بأس. سببها مجالسة الناس.

وفي العزلة التحفظ من الاسترسال في حال الغفلة والانبساط في أحاديث يطير بها الناس فتحمل على غير محملها، ويتأولونها على غير تأويلها وتجر على صاحبها الويلات والأمور المدلهمات.

وفي العزلة حفظ الأنفاس مع نفائس وتلقيح الفهوم بقطوف الحكمة وثمار المطالعة وأبكار الأفكار، ونتائج القراءة ودرر الاستنباط وبدائع التأمل، ومجالسة من سلف مع كتبهم وعلومهم وكنوز ميراثهم.

وفي العزلة الابتعاد عن أسباب قسوة القلب، من كثرة الكلام، وفضول النظر والخلطة، والمزاح، والتهتك في الضحك، ومجاراة السفهاء، ومداهنة الكبراء، ومنافسة الأغنياء، ومجادلة الأغبياء.

وفي العزلة حفظ الجاه، وصون العرض من التبذل.

وفي العزلة تعلو قيمة المرء كاختفاء الشمس حتى يعرف نفعها، واحتجاب القمر حتى تظهر فائدته، فما رفع الدر في النحور إلا لأنه اختفى في البحور.

وفي العزلة إقامة ناموس الهيبة، وإقامة دولة العز في النفس والناس، وحبس الطبع عن سرقة العادات، فإن الطبع لص يَسْرق والنفس تهوى التقليد، فمن جلس مع أبناء الزمان، وضيع العمر مع من يسمَّوْن بالإخوان، سرق منهم سقوط الهمم، وموت الذمم وبرود العزائم، وكثرة الأماني، وسماع الأراجيف، ونشر المعائب، والاشتغال بالتوافق، والإقبال على ما يشغل وترك المهمات وهجران الصالحات، وحب البطالة والكسل في العبادة، والإعراض عن العلم، وإزجاء الوقت في قيل وقال، وبيع الأيام في سوق الأماني، ومشاركتهم في مقاصدهم، ومصاحبتهم في مكاسبهم)[(١)].

ثالثاً- من واجبات المدعو: إمساك الأذى عن الناس وجلب الخير لهم:

ما أجمل أن يكون المدعو جالباً الخير للناس وممسكاً الشر عنهم، مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، فإن من تحلّى بذلك فإنه يكون ذا منزلة طيبة ومكانة عالية، وبهذا وصف النبي ﷺ الرجل المعتزل بأنه "ليس من الناس إلا في خير" وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رجل: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: ((رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، يَعْبُدُ اللَّهَ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ))[(٢)].

قال ابن هبيرة عن حديث الباب: (هذا الحديث يدل على أن خير الكسب الجهاد، لأنه يكون فيه إرغام أعداء الله وإعزاز أوليائه، وعلى هذا القياس كل كسب يكون في فروض الكفايات وتحمل بعض أعباء الخلق، كالزراعة والتجارة في جلب الأشياء النافعة لعموم الناس وغير ذلك، فإنه تكون من أطيب الكسب الذي يجمع فيه

---

(١) هكذا حدثنا الزمان، د. عائض بن عبدالله القرني ص ٩-١١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٨٦، ومسلم ١٨٨٨.

الكاسب بين الارتزاق ونفع الخلق)[(١)].

وقد قال النبي ﷺ: ((تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ))[(٢)].

ويوضح النبي ﷺ أن المسلم جالب للخير لنفسه ولأهله ومجتمعه فيقول: ((كلُّ سُلامي[(٣)] منَ النَّاس عليه صدقةٌ كلَّ يومٍ تطلُعُ فيه الشَّمسُ: يَعْدِلُ بينَ الاثنَينِ صدقةٌ، ويُعينُ الرَّجلَ على دابَّتِه فيَحمِلُ علَيها أوْ يَرفعُ علَيها مَتاعَه صَدقةٌ، والكلمَةُ الطيِّبةُ صدقةٌ، وكلُّ خُطوَةٍ يَخطُوها إلى الصَّلاةِ صَدقةٌ، ويُميطُ الأذى عنِ الطريقِ صدقةٌ))[(٤)].

جاء في الموسوعة الفقهية: (ينبغي للعبد -إذا آثر العزلة- أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره. ولا يقصد سلامته من شر الخلق، فإن الأول نتيجة استصغار نفسه، والثاني شهود مزيته على الخلق، ومن استصغر نفسه فهو متواضع، ومن رأى لنفسه مزية على أحدٍ فهو متكبر)[(٥)].

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب

لقد رغّب النبي ﷺ في الجهاد في سبيل الله وحب الاستشهاد واعتزال الناس عند خوف الفتنة، بأن أخبر أن ذلك من خير معاش الناس وأشرفه[(٦)]، أي من خير أحوال عيشهم في الدنيا والآخرة، قال الطيبي: (وجماع معنى الحديث: الحث على مجاهدة أعداء الدين، وعلى مجاهدة النفس والشيطان والإعراض عن استيفاء اللذات العاجلة)[(٧)].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٧/٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

(٣) السلامي: المفصل، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤١.

(٤) أخرجه البخاري ٢٨٩١، ٢٩٨٩، ومسلم ١٠٠٩.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٥/٣٠.

(٦) انظر: المفهم، القرطبي ٧٢٣/٣.

(٧) شرح الطيبي على المشكاة ٢٧١/٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الأصل في العلاقات الإنسانية التعارف والتآلف لا التباغض والتنافر، فإذا ترتب على ذلك ما لا يحمد فقد وجبت العزلة أحياناً وصارت مستحبة أحياناً أخرى، بحسب مقتضى الحال ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية الوقائية:

إن العزلة عن كل ما يشغل عن الخير والطاعة دواء عزيز جرّبه أطباء القلوب فنجح أيما نجاح. والاجتماع المحمود والاختلاط الممدوح في الصلوات والجُمَع ومجالس العلم والتعاون على الخير، أما مجالس البطالة والعطالة فحذارِ حذار، ولذا فالواجب عليك إقبالك على شأنك والانزواء في غرفتك إلا من قول الخير أو فعل خير حينها تجد قلبك عاد إليك، فسلم وقتك من الضياع، وعمرك من الإهدار، ولسانك من الغيبة، وقلبك من القلق، وأذنك من الخنا ونفسك من سوء الظن، ومن جَرَّب عرف" (١).

إن أحاديث الباب ترشد المسلم إلى اعتزال الفتن حفاظًا على الدين، والمتأمل لأحاديث الرسول ﷺ ومواقف السلف أيام الفتن يجد فيها التحذير الشديد من المشاركة فيها بأي نوع من أنواع المشاركة وضرورة اعتزالها وأهلها ففي ذلك النجاة بإذن الله تعالى، وفي ذلك العافية والسلامة في الدنيا والآخرة، ما نقل إلينا من مواقف السلف، ومَنْ بعدهم شاهدة بذلك، فما من أحد اختار لنفسه العزلة أيام الفتن إلا كان محمود العاقبة، قال ابن تيمية: ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجرى بين المسلمين تبين له أنه ما دخل فيها أحد فحمد عاقبة دخوله لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه، ولهذا كانت من باب المنهي عنه والإمساك عنها من المأمور به" (٢).

ثانيًا- التربية بالعزلة والمخالطة:

"إن العزلة تعني اعتزال الفرق الضالة وعدم ألفة الفاسدين، وهي دواء للنفس والقلب

---

(١) لا تحزن، د. عائض القرني، ٣٠، ٣١.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ٥٦١/٣.

ونجاة للإنسان من الشرور والآثام، ووسيلة للحفاظ على القلب من الضياع، ومعايير العزلة ألا تكون على حساب الوقت وآدابه، ولا تؤدي إلى تضييع حق، أو ضياع علم أو ضياع رزق، ومن لزم العزلة والخلوة يكون أقل عرضة لفضيحته في الدنيا. والعزلة نوعان فريضةٌ، وهي الاعتزال عن الشر وأهله، وفضيلةٌ وهي العزلة عن الفضولِ وأهله والفتن لا تظهر إلا بالخلطة" (١).

ومن فوائد العزلة في التربية الذاتية "التفرغ للعبادة والتفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق، وكذلك اعتزال أهل الفسق والباطل ومفاصلتهم وخاصة أثناء مقارفتهم للمعاصي والمنكرات كي يسلم المرء من أذاهم وباطلهم، ومن فوائد العزلة الابتعاد عن المعاصي التي يتعرض لها الإنسان غالبًا بالمخالطة مثل الغيبة والنميمة والرياء والتربية للناس، وإذا تخلصت الذات من شرورها وسلبياتها أصبحت قوة فعّالة واتجهت للبناء والتنمية والسمو بالذات إلى مراتب الكمال، ومن فوائدها الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها" (٢).

وجماع ذلك: أن «المخالطة» إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف والاستسقاء ونحو ذلك هو مما أمر الله به ورسوله ﷺ.

فاختيار المخالطة مطلقا خطأٌ، واختيار الانفراد مطلقا خطأٌ. وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا وما هو الأصلح له في كل حال فهذا يحتاج إلى نظر خاص" (٣).

لقد حثت نصوص السنة على الترابط الاجتماعي، وعلى فعل الخير بأسلوب مطلق ففي الحديث: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ والمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى

---

(١) محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٧١.

(٢) انظر: التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هاشم علي أحمد، ص١٢٩، ١٣٠.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، ١٠/٤٢٥ بتصرف.

دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ))[1]، كل ذلك يدل على التفاعل الاجتماعي بين المسلم وغيره ومن السنن النبوية ما يؤكد قوة الرابطة بين المسلم وغيره، فلا يوجد نص يدعو إلى العزلة مطلقًا إلا لضرورة تقدر بقدرها.

فمما أمرنا به: اتباع الجنائز وعيادة المريض ورد السلام وتشميت العاطس وبذل المعروف وإلقاء السلام وإغاثة الملهوف وإعانة الآخرين على دوابهم والأخذ بيد العاجز والإقراض للفقير والإنساء للمدين المعسر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فهل يكون ذلك كله إلا في إطار العلاقات الاجتماعية.

إن الارتباط والاختلاط هو الأصل في الإسلام، وإن حقوق الوالدين أو الزوجة والأولاد والجيران والرحم المحرم وذوي القربى والمسلمين لتوجب هذا الارتباط والاختلاط.

إن أداء التكاليف الشرعية مدعاة إلى إحياء هذه الروح، فالصلاة في جماعة وشهود الجنائز وصلاة العيدين والاستسقاء والخسوف والكسوف فضلاً عن الجمعة كل هذا داعٍ إلى الاختلاط والارتباط.

كما أن الصبر على أذى الآخرين، وتحمل المكاره، والعفو عن الزلات والهفوات كل هذا مما يكسب أجرًا ويعلي قدرًا.

إن العزلة في الإسلام مقيدة بالخوف على الدين، وذلك عند اليقين من كون الاختلاط مفسدة، ويفضي إلى غير محمدة.

وقد وردت في الأحاديث بعض الأساليب التربوية التي يمكن أن يستفاد منها في العملية التعليمية، منها:

١- الإلقاء: كما في حديث سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه مرفوعًا: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ)) والإبقاء يكون بقيام المعلم بعرض معلومات أمام المتعلمين، في وقت وجيز، فَضْلاً عن كونه مناسبًا لمن تقدم في التعليم كالمتعلمين في المدارس

---

(١) أخرجه البخاري، ١٠، ٦١١٩، ومسلم، ٤١.

الثانوية والجامعات.

٢- الحوار والمناقشة: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((ما بَعثَ اللهُ نبيًّا إلاَّ رَعَى الغنَمَ. فقال أصحابهُ: وأنتَ؟ فقال: نعم...)) والحوار والمناقشة من الأساليب التي تتميز بتفعيل دور المتعلم التعليمية وتتميز بقوة بقاء أثر التعلم.

٣- التربية على إتيان أفضل الأعمال: وهذا واضح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((قال رجل أي الناس أفضل؟ قال: مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَال: ثُمَّ مَنْ؟...)). وقوله صلى الله عليه وسلم: ((مِنْ خيرِ معاشِ الناسِ رجلٌ مُمْسِكٌ عِنَانِ فَرَسِهِ فِي سبيلِ الله يطيرُ على مَتْنِهِ كُلَّما سَمِعَ هَيْعَةً أو فَزْعَةً طارَ...)) الحديث.



٧٠- باب فضل الاختلاط بالناس وحضور جُمَعِهم وجماعاتهم، ومشاهد الخير، ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم، وحضور جنائزهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم، وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر عَلَى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء وصبر عَلَى الأذى

اعْلم: أنَّ الاختلاط بالنَّاسِ عَلَى الوجهِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ هُوَ المختارُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء صلواتُ اللهِ وسلامه عَلَيْهِمْ، وكذلك الخُلفاءُ الرَّاشدون، ومن بعدَهُم مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، ومن بَعدَهُم من عُلَماءِ المُسلمين وأَخْيَارِهم، وَهُوَ مَذْهَبُ أكثرِ التَّابعينَ وَمَنْ بَعدَهُمْ، وبه قَالَ الشافعيُّ وأحمدُ وأكثرُ الفقهاءِ رضي اللهُ عنهم أجمعين. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢٠] والآيات في معنى مَا ذكرته كثيرة معلومة.

٧١- باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. وقال تَعَالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٨-٤٩].

الحديث رقم (٦٠٢)

٦٠٢- وعن عِيَاضِ بنِ حمارٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **((إنَّ الله أوْحَى إلَيَّ أنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أحَدٌ عَلَى أحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أحَدٌ عَلَى أحَدٍ))** رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

عياض بن حِمار: هو عياض بن حِمار بن أبي حمار بن ناجية المجاشعي التميمي.

كان صديقًا قديمًا لرسول الله ﷺ قبل أن يبعث. وكان إذا قدم مكة لا يطوف إلا في ثياب رسول الله ﷺ، لأنه كان من الذين لا يطوفون إلا في ثوب أحمسي[(٢)].

ولما بعث النبي ﷺ ظل عياض على شركه وأهدى للنبي ﷺ هدية فلم يقبلها منه وقال له: إنا لا نقبل زَبْد المشركين؟ فاستفسر فقال: وما زَبْد المشركين؟ قال: رِفْدُهُم، هديتهم[(٣)]. ثم أنعم الله عليه بالإسلام، وقد سأل النبي ﷺ عن الرجل من قومه يشتمه وهو أقل منه مكانةً: هل عليه من بأس إن رد عليه وانتصر لنفسه؟ فقال ﷺ (المستبَّان شيطانان يتهاذيان ويتكاذبان)[(٤)].

نزل العراق فسكن البصرة وتوفي في خلافة علي بن أبي طالب أو ما بعدها[(٥)].

غريب الألفاظ:

لا يبغي: لا يعتدي[(٦)].

---

(١) برقم ٢٨٦٥/٦٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٢٦٥.

(٢) الأحمسي من الحُمْس وهم أهل قريش، سموا لذلك لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح م س).

(٣) أخرجه أحمد ١٦٢/٤ رقم ١٧٤٨٢ وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٩/٢٩-٣٠. وهناك خلاف في قبول هدايا المشركين، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/٥.

(٤) أخرجه أحمد ١٦٢/٤ رقم ١٧٤٨٣ وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٠/٢٩-٣١.

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٦/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٧١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣١١/٤ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٠٢٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٣٦/٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٥٢/٣.

(٦) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ع ي).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول نوعا من العباد اختص بميزة في الدنيا خصته بمحبة الله، وهي أعظم ما يسعى إليه المحبون فكم من محب لحبيب لا يعيره نظرا !، وهؤلاء نالوا محبة الله تعالى التي تعني التوفيق، والتقريب، والحماية من كل ما يخشاه المؤمن في حياته، وبعد مماته وقول الرسول ﷺ (إنَّ الله يُحِبُّ) مؤكدة بحرف التوكيد، واسمية الجملة، تعظيما للخبر، وصرفا للمخاطبين للعناية به، ثم إن تصدر لفظ الجلالة الكلام له وقع خاصة لاسيما في نفوس المؤمنين الذين توجل قلوبهم بذكره لأنه يبث في النفوس الهيبة والجلال بقدر صفاء هذه النفوس﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الحج: ٢٥]. هذا بالإضافة إلى ما يوفره لفظ الجلالة على الحوار من الخضوع، والإذعان، والإنصات المهيأ للقبول، ولهذا اللفظ الأجلّ من الإشعاع ما ليس للفظ غيره من كل ألفاظ كل لغات البشر، وقوله (العبد) اللام فيه للجنس فيشمل كل عبد كانت هذه صفته وجملة الصفات بعده تبين الخصوصية التي أوجبت له المحبة وهي جملة الصفات (التَّقِيَّ الغَنِيّ الْخَفِيَّ) وليست على انفرادها؛ لأن التقوى تستلزم مراقبة الله تعالى فتضبط حركته، وسكنته بضابط الشرع، والغنى يستلزم ذله لله وحده، واستغنائه عن الناس، وهو شعور قلبي يجعله يستشعر أنه مالك للدنيا؛ لأنه يتصرف بحول الله، وقوته فما عساه أن يحتاج من الناس؟!، وقوله (الخفي) يستلزم الإخلاص، والخمول في الناس، لأنه مشغول بالله عن الناس، ولذلك استحق - تفضلا - هذه المحبة الغالية من ربه.

فقه الحديث

بوّب النووي على هذا الحديث في الأذكار: باب النهي عن الافتخار[(١)].

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٩٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل التواضع وعدم التعالي.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل.

رابعًا: من آداب المدعو: التواضع وعدم الكبر والبغي.

خامسًا: من أهداف الدعوة: تعميق المحبة والمودة بين الناس.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر النبي ﷺ عن أن الله عز وجل "أوحى إليَّ" أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد. فأخبر ﷺ أن الله عز وجل أمر بالتواضع، لأن ذلك يؤدي إلى ألا يظلم أحد أحدًا، ولا يفخر إنسان على غيره.

وهذا الحديث في صحيح مسلم مطول، قد جاء بصيغة الإخبار: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ((أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي، يَوْمِي هَذَا. كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ. وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ. وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ. وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ...)) الحديث[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل التواضع وعدم التعالي:

خلق الله الناس سواسية لا فضل لأحد على أحدٍ إلا بالتقوى والعمل الصالح، لذا أمر سبحانه وتعالى بالتواضع وعدم التعالي، كما أخبر بذلك النبي ﷺ فقال: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد". قال القرطبي: (وقوله: "إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد" التواضع نقيض التكبر، والتكبر: هو الترفع على الغير، فالتواضع: هو الانخفاض للغير، وحاصله أن المتكبر يرى لنفسه مزيَّةً على الغير تحمله على احتقاره، والمتواضع لا يرى لنفسه مزية، بل يراها لغيره بحيث يحمله ذلك على الانخفاض له مراعاة لحقه. ولاشك أن الكبرَ مذموم، فمنه

---

(١) أخرجه مسلم ٦٣ - ٢٨٦٥.

كفر، وهو الكبر على الله، وعلى أنبيائه، وماعداه من الكبائر. والتواضع أيضًا منه أعلى وأدنى، والأعلى: هو التواضع لله تعالى، ولكتابه، ولرسوله، والأدنى ما عداه والله أعلم)[١].

وقال ابن عثيمين: (قوله ﷺ: "إن الله أوحى إلى أن تواضعوا" يعني أن يتواضع كل واحد للآخر ولا يترفع عليه، بل يجعله مثله أو يكرمه أكثر، وكان من عادة السلف أن الإنسان منهم يجعل من هو أصغر منه مثل ابنه، ومن هو أكبر منه مثل أبيه، ومن هو مثله مثل أخيه، فينظر إلى من هو أكبر منه نظرة إكرام وإجلال، وإلى من هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلى من هو مثله نظرة مساواة، فلا يبغي أحد على أحد وهذا من الأمور التي يجب على الإنسان أن يتصف بها، أي بالتواضع لله عز وجل ولإخوانه من المسلمين)[٢]. فلا يفخر أحد على أحد مما امتحنه الله به من المال الوافر أو الحسب الفاخر أو المنصب العريض، ولا يظلم الناس أو يعتدي عليهم مستندًا إلى ذلك، فأما التذلل لأهل الدنيا والتدلي عن العزة الإسلامية والركون إلى الجبن والخور في مواقف الجد والحزم فليس من قبيل التواضع في نظر الإسلام. والتواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض في الحكم وإظهار الذل لمن يراد تعظيمه وقبول الحق من كل من قاله ولو خالف الهوى ورفعة المنصب[٣].

لذا كان التواضع من صفات عباد الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[٤].

قال القاسمي: (أي هينين أو مشيًا هينًا، أي بسكينة وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون نعالهم أشرًا وبطرًا، "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا"، أي إذا خاطبهم

---

(١) المفهم، القرطبي ٧/١٤٠-١٤١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٨٨٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٢٧٧.

(٤) سورة الفرقان، آية:٦٣.

السفهاء بالقول السيئ لم يقابلوهم بمثله بل قالوا كلامًا فيه سلام من الإيذاء والإثم سواء كان بصيغة السلام كقولهم: "سلام عليكم"، أو غيرها مما فيه لطف في القول أو عفو أو صفح وكظم للغيظ، دفعًا بالتي هي أحسن)[1].

وقال ابن القيم: (إن الله سبحانه مدح عباده الذين ذكرهم في هذه الآيات بأحسن أوصافهم وأعمالهم فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ فـ"سلامًا" هنا صفة لمصدر محذوف هو القول نفسه أي قالوا قولاً سلامًا، أي سدادًا وصوابًا وسليمًا من الفحش والخنا، ليس مثل قول الجاهلين الذين يخاطبونهم بالجهل. فلو رفع السلام هنا لم يكن فيه المدح المذكور بل كان يتضمن أنهم إذا خاطبهم الجاهلون سلّموا عليهم، وليس هذا معنى الآية ولا مدح فيه، وإنما المدح في الإخبار عنهم بأنهم لا يقابلون الجهل بجهل مثله بل يقابلونه بالقول السلام فهو من باب دفع السيئة بالتي هي أحسن التي لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم، وتفسير السلف وألفاظهم صريحة بهذا المعنى.

وتأمل كيف جمعت الآية وصفهم في حركتي الأرجل والألسن بأحسنها وألطفها وأحكمها وأوقرها فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي بسكينة ووقار. والهون بفتح الهاء من الشيء الهين وهو مصدر هان هونًا أي "سهل"، ومنه قولهم: يمشي على هينته، ولا أحسبها إلا مولدة. فوصف مشيهم بأنه مشيُ حلم ووقار وسكينة لا مشي جهل وعنف وتبختر ووصف نطقهم بأنه سلام فهو نطق حلم وسكينة ووقار لا نطق جهل وفحش وخنا وغلظة فلهذا جمع بين المشي والنطق في الآية فلا يليق بهذا المعنى الشريف العظيم الخطير أن يكون المراد منه: سلام عليكم. فتأمله)[2].

وقال ابن القيم كذلك: (قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾[3] أي سكينة ووقارًا متواضعين، غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين، قال

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي مج٧/١٢/٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) بدائع الفوائد ٢/١٥٨-١٥٩.

(٣) سورة الفرقان، آية:٦٣.

الحسن: علماء حلماء.

وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون. وإن سفه عليهم حلموا. "والهون" بالفتح في اللغة الرفق واللين. و"الهُون" بالضم: الهوان. فالمفتوح منه: صفة أهل الإيمان. والمضموم: صفة أهل الكفران وجزاؤهم من الله النيران)[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل:

أما الأمر فقوله ﷺ: "أوحى إليّ أن تواضعوا"، فالحديث أوله في صحيح مسلم: ((إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي))[2]. أما التعليل فقوله ﷺ "حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد" فقد علل النبي ﷺ الأمر بالتواضع؛ لمنع الفخر والظلم والعدوان.

وينبغي على الداعية أن يقتدي بالقرآن والسنة في تعليل الأحكام، وبيان حكمها وثمراتها في الأنفس والحياة وربطها بالفلسفة العامة للإسلام، حتى تقع من النفس موقع القبول.

وقد وجدنا القرآن الكريم يذكر الحكم والمنافع من وراء العبادات ذاتها مع أن الأصل فيها التعبد والامتثال لأمر الله تعالى لقوله في الصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾[3] وفي الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[4] وفي الصيام: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5] وفي الحج: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ﴾[6].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٠٨/٣.

(٢) صحيح مسلم ٦٣ - ٢٨٦٥.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٦) سورة الحج، آية: ٢٨.

فإذا كان هذا في الأمور التعبدية، فكيف بغيرها من المعاملات وشؤون الحياة؟ فهذا مطلوب في كل حين، ولكن لبه في عصرنا ألزم، والحاجة إليه أوكد، لأن كثيرًا من الناس لم يعد يغلب عليهم التسليم، وإنما يغلب عليهم البحث والتساؤل لمعرفة الأسرار والعلل، ورحم الله امرءًا عرف زمانه، وخاطب أهله بما يعرفون[(١)].

رابعًا- من آداب المدعو: التواضع وعدم الكبر والبغي:

إن التواضع خلق جميل يقرب صاحبه من الناس ومن قلوبهم، لأنه يحمله على عدم الظلم والبغي والافتخار. وهذا واضح من الحديث كله، وقد قال الله تعالى حكاية عن لقمان وهو يوصي ابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[(٢)].

قال القاسمي: (ولا تصعر خدك للناس"، أي: لا تعرض بوجهك عنهم إذا كلمتهم أو كلموك احتقارًا منك لهم واستكبارًا عليهم، ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم كما جاء في الحديث: ((وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ))[(٣)]، "ولا تمش في الأرض مرحًا"، أي خيلاء متكبرًا "إن الله لا يحب كل مختال"، أي معجب في نفسه "فخورًا" أي على غيره)[(٤)].

قال ابن القيم: (التواضع انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده، فلا يرى له على أحدٍ فضلاً، ولا يرى له عند أحدٍ حقًا بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه)[(٥)].

---

(١) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٨٣.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٧٠، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا: (كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك)، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٠٥).

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي مج٨/١٣/٢٠٢.

(٥) الروح ٢٣٣.

وقال عبدالله البسام: (التواضع هو التذلل والاستسلام للحق فيما بين العبد وبين ربه، وفيما بينه وبين الناس، وبهذا فهو أعمّ من الخشوع الذي لا يكون إلا لله. وإذا اتصف الناس بهذا الخلق الكريم، فإنه لن يتكبر أحد على أحد، لأن التواضع ضد الكبر، ولن يبغى أحد على أحد، لأن المتواضع لا يرى لنفسه مزية على أحد فيتكبر عليه أو يبغى عليه، وإنما البغي والكبر ينشآن ممن يرى نفسه فوق الناس، وله ميزة عليهم تحمله على الكبر عليهم والبغي عليهم)[١].

وقد قال رسول الله ﷺ رؤيا عن ربه: ((الْعِزُّ إِزَارُهُ. وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ. فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ))[٢]. قال ابن هبيرة: (كذا فيما رأيناه في نسخ كتاب مسلم، وأخرجه البرقاني "يقول الله: العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيئًا منهما عذبته").

قال الخطابي: (معنى هذا الحديث أن الكبرياء والعظمة صفتان لله عز وجل اختص بهما لا يشركه فيهما أحد، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل، وإنما ضرب الرداء والإزار مثلاً، يقول: -والله أعلم- كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحد فلا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق)[٣].

وأقول: إن متن الحديث قوله: "العز إزاره، والكبرياء رداؤه" وهذا العز معرفة، يعني أنه العز الذي لا ينبغي لغيره. فأما العزُّ فإن المؤمن إذا اعتز بالله كان في الحسن على نحو الخضوع لهيبة الله، وليس الاعتزاز بالله منازعة له سبحانه في العز، بل إيمان بأن العزة له، وثقةً بأنه يُعزُّ حزبَهُ، وينصر عباده، قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤]. وأما قوله: "والكبرياء رداؤه" فإن ذلك مما ينبغي لكل أحد أن يخرج الكبرياء من جميع أجزائه؛ لأن العبودية منافية للكبرياء، بل يخضع العبد لربه ويذل لسيده)[٥].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٣٨٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٢٠.

(٣) معالم السنن للخطابي ٦/٥٣-٥٤.

(٤) سورة المنافقون، آية: ٨.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨/٥٢-٥٣.

خامسًا- من أهداف الدعوة: تعميق المحبة والمودة بين الناس:

هذا واضح من الأمر بالتواضع وعدم التعالي، وذلك منعًا للظلم والبغي والعدوان، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

قال ابن القيم: (لما كان الذل منهم رحمة وعطف وشفقة وإخبات عدّاه بأداة "على" تضمينًا لمعاني هذه الأفعال، فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل، وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول؛ فالمؤمن ذلول كما في الحديث: ((المؤمن كالجمل الذلول والمنافق والفاسق ذليل))[2]. وأربعة يعشقهم الذل أشد العشق: الكذاب والنمام والبخيل والجبار، وقوله "أعزة على الكافرين"، هو من عزة القوة والمنعة والغلبة، قال عطاء رضي الله عنه: "للمؤمنين كالوالد لولده، وعلى الكافرين كالسبع على فريسته"، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[3].

فالشريعة الإسلامية تدعو إلى كل ما يعمق المحبة والمودة بين المسلمين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[4].

قال النووي: (فيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف. والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة. وفي إفشائه

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٢) قال محقق مدارج السالكين: لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد ورد بلفظ: (... فإنما المؤمن كالجمل الأنف، حينما قيد انقاد...) رواه أحمد ١٧١٤٢/٢٨، وابن ماجه ٤٣، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٤١).

(٣) سورة الفتح، آية: ٢٩. والنص من مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٠٨/٣ - ١٠٩.

(٤) أخرجه مسلم ٥٤.

تكمن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين... وفيها لطيفة أخرى وهي أنها تتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه ولايخص أصحابه وأحبابه به)[١].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

الحديث رقم (٦٠٣)

٦٠٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ،وَمَا زادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أحَدٌ للهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر فضل الجهاد، والعزلة للعبادة وتقوى الله يقوم على الحوار عن طريق السؤال، والجواب الذي يدل حيوية النص، والتواصل بين المتحاورين، وقد بدأ الحديث بسؤال من رجل (أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ يَا رسولَ اللهِ؟) والاستفهام ليس عن العمل بل عن صاحبه الذي نال به الأفضلية، وفي هذا تنويه بالعمل، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبيلِ اللهِ) الكلام فيه إيجاز بالحذف أي أفضل الناس مؤمن...، وذكر الجهاد بعد الإيمان يشير إلى سبب الأفضلية على عامة المؤمنين، وتقييد الجهاد بالنفس، والمال يعطيه خصوصية يفضل بها كل المجاهدين، وتقييد الجهاد بالجار، والمجرور (في سبيل الله) ينص على صفة الإخلاص لله في إتيان العمل، وسؤال الرجل (ثُمَّ مَنْ؟) سؤال عن مرتبة أسهل في أسبابها، ولعله رأى فيما أجيب به مشقة لا يستطيعها فسئل غيرها كأنه يسأل عن خصوصية له يستطيع أن يأتيها فجاءت إجابة النبي صلى الله عليه وسلم (ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ) والربط بـ (ثم) خاصة يشير إلى مسافة يعلمها الله بين الاثنين في الأفضلية، وتنكير (رجل) لعدم إرادة التخصيص لتشمل كل رجل على هذه الصفة، وقوله (فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ) جناس يؤكد معنى الاعتزال بانفصال المكان عن الناس، والفعل المضارع في قوله (يعبد الله) يصور التجدد في أنواع العبادات ما بين صلاة، وصيام، وذكر وهو الانقطاع الهادف الموصول بالله، وليس مطلق انقطاع بل إنه لتفريغ القلب، والجوارح للعبادة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٢٥٨٨/٦٩. وتقدم برقم ٥٥٥.

(٢) تتدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٥٥).

الحديث رقم (٦٠٤)

٦٠٤- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّهُ مَرَّ عَلَى صبيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كَانَ النبيُّ ﷺ يفعله. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

التعبير بالفعل الدال على المقاربة (يوشك) يعطي الاستهلال خاصية يتفرد بها عن غيره، وتؤثر على المخاطبين لأنها تشعرهم بقرب طارق لا يعلمونه مما يحدث ترقبا يمهد لاستقبال المعنى، وذكر المسلم لأنه الحريص، والمَعْني بالآخرة، وَقَوْلُهُ ﷺ (خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غنَمٌ) خَصَّ الْغَنَمَ بِذَلِكَ؛ لأَنَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي صَاحِبِ غَنَمٍ، وَأَمَّا صَاحِبُ الإِبِلِ أَوْ الْخَيْلِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الأَمْوَالِ فَلا يَتَأَتَّى ذَلِكَ فِيهَا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خَصَّهُمْ بِذَلِكَ؛ لأَنَّ الْكَافَّ عَنْ الْفِتْنَةِ وَالْمُعْتَزِلَ لأَهْلِهَا مُقْتَصِرٌ عَلَى هَذَا النَّوْعِ مِنْ الْمَالِ؛ لأَنَّهُ لا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْفِتْنَةِ وَلا عَوْنَ مِنْهُ عَلَيْهَا وَمَا يَكَادُ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَيْهَا إِلاَّ مُتَقَلِّلٌ مِنْ الدُّنْيَا، فَأَرْعَنُ الْفِتْنَةِ مُقْتَصِرٌ عَلَى مَا يُبْعِدُهُ عَنْهَا، أَوْ يُضْعِفُهُ عَنْ التَّشَوُّفِ إِلَيْهَا، وقوله (يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ) كناية عن تتبع مواقع الكلأ، والماء، وَقَوْلُهُ ﷺ (يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ) التعبير بالفرار يشير إلى سرعة توحي بشدة الحرص على الدين، وجمع الفتن يشير إلى كثرتها التي تستلزم الفرار، والباء في (بدينه) للسببية، وكلمة من في قوله (من الفتن) ابتدائية تقديره يفر بسبب دينه، ومنشأ فراره الدين ويجوز أن تكون الباء للمصاحبة، والحديث يكشف جانبا من الغيب المنتظر في آخر الزمان، والتي تكشف أكثرها في زماننا.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٧ واللفظ له، ومسلم ٢١٦٨/١٥. وسيكرره المؤلف برقم ٨٦٣.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه استحباب السلام على الصبيان المميزين ... واتفق العلماء على استحباب السلام على الصبيان... ولو سلم الصبي على رجل لزم الرجَل ردُّ السلام)[١].

قال ابن حجر: (ويستثنى من السلام على الصبي ما لو كان وضيئًا وخشي من السلام عليه الافتتان فلا يشرع، ولا سيما إن كان مراهقًا منفردًا)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل أنس بن مالك رضي الله عنه.

ثانيًا- من وسائل الدعوة: إفشاء السلام.

ثالثًا- من آداب المدعو: التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل أنس بن مالك رضي الله عنه:

كان أنس بن مالك رضي الله عنه من أعلام الصحابة رضي الله عنهم، صحب النبي صلى الله عليه وسلم وجاهد معه وروى حديثه، وكان مثل كل الصحابة متبعًا لسنته. فقد مرّ أنس رضي الله عنه على صبيان فسلّم عليهم وقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله، قال الذهبي عنه: (الإمام المفتي المقرئ المحدث راوية الإسلام أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، آخر أصحابه موتًا، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم علمًا جمًا... وكان أنس يقول: (قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ. وَمَاتَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ. وَكُنَّ أُمَّهَاتِي يَحْثُثْنَنِي عَلَىٰ خِدْمَتِهِ)[٣]، فصحب أنس نبيه صلى الله عليه وسلم أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر إلى أن مات وغزا معه غير مرة وبايع تحت الشجرة)[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٥/١٤/٧ ط/ دار الكتب العلمية، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٨ ط/ مكتبة الصفا، والمجموع شرح المهذب. الإمام النووي ٣٢٥/٤-٣٢٦.

(٢) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني ٣٣/١١ ط/ السلفية.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٢٩.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٩٥/٣ - ٢٩٧.

ودعا النبي ﷺ له فقال: ((اللّهمَّ ارزُقْهُ مالاً ووَلدًا، وبارِكْ لهُ))، فقال أنس رضي الله عنه: (فإني لمن أكثر الأنصار مالاً)[(١)].

قال عبدالحميد طهماز: (هو أحد كبار رواة الإسلام من الصحابة الكرام، الذين قام بهم صرح السنة المطهرة، والذين شرفُوا بتلقيها من النبي ﷺ، فحفظوها وعلموها تلاميذهم من علماء التابعين، كانت قلوبُهم الأرضَ الطيبةَ التي بذر فيها النبيُ ﷺ بذور الخير بيده المباركة، فأعطت بعد زمن يسير عطاء خيّرًا طيبًا لم تعرف الإنسانية أنبل وأطيب منه، ولا زالت وستبقى إلى قيام الساعة تنتشي بعبيره وتستضيء بنوره.

وقد كان أنس رضي الله عنه من هؤلاء الحفظة النقلة، الذين اختارهم الله سبحانه ليكونوا أساتذة الإسلام، والأمناء عليه بعد رسول الله ﷺ، بل كان رضي الله عنه من كبار حفاظهم، فلم يسبقه في رواية السنّة سوى اثنين منهم، وهما: أبو هريرة وعبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فهو ثالث الصحابة حفظًا للسنة ورواية لها.

ووراء كثرة روايته للسنة عاملان هامان:

أولهما: ملازمته للنبي ﷺ أثناء خدمته له مدة عشر سنوات، مما ساعده على أن يتلقى الكثير من السنة عنه ﷺ مباشرة.

وثانيهما: امتداد عمره رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ الذي أعطاه فسحة زمنية كبيرة لتعليم السنة وتحفيظها للناس، فقد عاش بعد النبي ﷺ نيفًا وثمانين سنة، قضى العشرين الأولى منها متنقلاً في ميادين الجهاد أثناء حروب الردة والفتح، ثم استقر بعد ذلك في البصرة، فمكث فيها مدة تزيد على ستين سنة، وهويعلم الناس سنة رسول الله ﷺ. وتمكن خلال هذه المدة من تكوين طبقة من العلماء في البصرة يعتبرون سادة علماء التابعين! كان لهم أثر كبير في تاريخ الإسلام الفكري منهم، الحسن

---

(١) أخرجه البخاري١٩٨٢، ومسلم ٢٤٨٠، وعنده: (فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادّون على نحو المائة يوم).

البصري، وسليمان التيمي، وثابت البُناني، ومحمد بن سيرين، وحُميد الطويل، وغيرهم)[١].

ثانيًا- من وسائل الدعوة: إفشاء السلام:

قد مرّ أنس رضي الله عنه على صبيان فسلّم عليهم وقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: في السلام على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة، وفيه طرح الأكابر رداء الكبر وسلوك التواضع ولين الجانب، قال أبو سعيد المتولي في التتمة: من سلم على صبي لم يَجْب عليه الرد، لأن الصبي ليس من أهل الفرض، وينبغي لوليه أن يأمره بالرد ليتمرن على ذلك)[٢].

وقال ابن هبيرة: (وفي هذا الحديث دليل على استحباب تسليم الرجل على الصبيان إذا مرّ عليهم، وإذا سلم عليهم قال: سلام عليكم يا صبيان، والمراد من التسليم عليهم أنه لا يحقر الصبي، ربما خرج عالمًا أو عابدًا، وكأن المسلم رأى بعين إيمانه منتهى أحدهم، ثم إن ذلك يكون سببًا لتعلم الصبي ذلك، فكأنه أودع تلك السنة من يغلب على ظنه أنهم أطول منه عمرًا)[٣].

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: ((ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصافُ من نفسك، وبذلُ السلام للعالَمِ، والإنفاقُ من الإقتار))[٤].

قال النووي: (قد جمع في هذه الكلمات الثلاث خيرات الآخرة والدنيا، فإن الإنصاف يقتضي أن يؤدي إلى الله تعالى جميع حقوقه وما أمره به، ويجتنب جميع ما نهاه عنه، وأن يؤدي إلى الناس حقوقهم ولا يطلب ما ليس له، وأن ينصف أيضًا نفسه فلا يوقعها في قبيح أصلاً، وأما بذل السلام للعالَم فمعناه لجميع الناس فيتضمن أن لا

---

(١) أنس بن مالك الخادم الأمين والمحب العظيم، عبدالحميد طهماز، سلسلة أعلام المسلمين رقم ٧ ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥/١١.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٠٤/٥.

(٤) علقه البخاري في كتاب الإيمان: باب إفشاء السلام من الإسلام، فوق الحديث ٢٨، وانظر من وصله في: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٤/١.

يتكبر على أحد، وأن لا يكون بينه وبين أحد جفاء يمتنع من السلام عليه بسببه. وأما الإنفاق من الإقتار، فيقتضي كمال الوثوق بالله تعالى، والتوكل عليه والشفقة على المسلمين إلى غير ذلك)[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ومن معاني السلام السلامة والأمن والتحية، ولذلك قيل للجنة: دار السلام لأنها دار السلامة من الآفات كالهرم والأسقام والموت. قال تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[2] والسلام اسم من أسماء الله تعالى.

والسلام يطلق عند الفقهاء على أمور منها: التحية التي يحيى بها المسلمون بعضهم بعضًا، والتي أمر الله سبحانه وتعالى بها في كتابه حيث قال: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[4] ذلك أن للعرب وغيرهم تحيات خاصة بهم، فلما جاء الإسلام دعا المؤمنين إلى التحية الخاصة وهي قول: "السلام عليكم" وقصرهم عليه وأمرهم بإفشائه.

والسلام أيضًا تحية أهل الجنة قال سبحانه: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[5].

وقد اختير هذا اللفظ دون غيره، لأن معناه الدعاء بالسلامة من الآفات في الدين والنفس، ولأنه في تحية المسلمين بعضهم لبعض بهذا اللفظ عهدًا بينهم على صيانة دمائهم وأعراضهم وأموالهم)[6].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٤، وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٤٠٧ - ٤١٠، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٠٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٢٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) سورة النور، آية:٦١.

(٥) سورة الرعد ،آية: ٢٣-٢٤.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٥٥-١٥٦ ومراجعها ومصادرها.

ثالثًا- من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

بعث الله محمدًا نبيًا ورسولاً، وأمر بطاعته واتباعه، وهذا لا يكون إلا بالتأسي والاقتداء به، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على هذا، كما يتضح في هذا الحديث. فقد سلّم أنس رضي الله عنه على الصبيان لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك. وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه عن أنس: (ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله من ابن أم سليم يعني أنس بن مالك)[1].

وقد بلغ من شدة اتباع الصحابة النبي ﷺ وتأسيهم به ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: (اتخذَ النبيُّ ﷺ خاتمًا من ذَهبٍ فاتخذَ الناس خَوَاتيم من ذهب، فقال النبيُّ ﷺ: إني اتخذتُ خاتمًا من ذهبٍ فنَبَذَه وقال: إني لن ألبَسَهُ أبدًا، فنَبذَ الناسُ خواتيمهم)[2].

قال النووي: (فيه بيان ما كانت الصحابة رضي الله عنهم عليه من المبادرة إلى امتثال أمره ونهيه ﷺ والاقتداء بأفعاله)[3].

(ولقد كان اقتداء الأمة الإسلامية بنبيها ﷺ بعد عصر الصحابة النابع من أحكام دينها، وتأثرها بشخصيته وأخلاقه الكريمة، دافعًا كبيرًا لها إلى الاستقامة على أمر الدين على بصيرة من أمرها.

ولم تزل سيرة نبيها ﷺ تمثّل لها أنبل الصفات والأعمال والأخلاق. وتجسّم المثل والمبادئ الإسلامية أمام أنظارها، فتعمل بدينها حق العمل، اقتداء بتلك السيرة العطرة.

ولم تزل تلك السيرة تبدع في الأمة أجيالاً من البطولات. تحقق القدوة بالنبي ﷺ بدرجة عالية، في صبرها وبلائها ويقينها بالله، وفي تواضعها وزهدها وصدقها مع الله، وفي معاملة الناس، مع الصدق في العمل بدين الله وإيصال منافعه إلى البشر.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٧/٢٠ - ٢١، وقال محققو السير ٣/٤٠٠: رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٩٨، ومسلم ٢٠٩١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٣.

وقد كان لتلك الشخصيات العظيمة الأثر البعيد في جذب الناس إلى الإسلام، واقتناعهم به، ورغبتهم في الدخول فيه والعمل به، ما لم تؤثره الخطب والمواعظ والأقوال البليغة. لأنهم يرون بأعينهم، ويلمسون بأيدهم، مدى الإخلاص والتفاني في حب الله، ومقدار النفع الحاصل بتلك الشموس المضيئة)[1].

وقال الشافعي مبينًا فضل النبي ﷺ على أمته الواجب عليها اتباعه: (فصلّى الله على نبينا كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، وصلّى عليه في الأولين والآخرين أفضل وأكثر وأزكى ما صلّى على أحد من خلقه، وزكانا وإياكم بالصلاة عليه أفضل ما زكّى أحدًا من أمته بصلاته عليه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته، وجزاه الله عنا أفضل ماجزى مرسلاً عمن أرسل إليه، فإنه أنقذنا من الهلكة وجعلنا في خير أمة أخرجت للناس، دائنين بدينه الذي ارتضى واصطفى به ملائكته ومن أنعم عليه من خلقه فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت نلنا بها حظًا في دين ودنيا أو دفع بها عنّا مكروه فيهما وفي واحدٍ منهما إلا ومحمد ﷺ سببها القائد إلى خيرها والهادي إلى رشدها الذائد عن الهلكة وموارد السوء في خلاف الرشد، المنبه للأسباب التي تورد الهلكة القائم بالنصيحة في الإرشاد والإنذار فيها، فصلّى الله على محمد وعلى آل محمد، كما صلّى على إبراهيم وآل إبراهيم إنه حميد مجيد)[2].

---

(١) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، د. محمد سليمان الأشقر ٢/٧٥.

(٢) الرسالة، الشافعي: محمد بن إدريس ٢٠٤هـ، تحقيق: خالد السبع العلمي، وزهير شفيق الكبّي ص ٤٥.

الحديث رقم (٦٠٥)

٦٠٥- وعنه، قَالَ: إن كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إمَاءِ أهل المَدينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبيِّ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءتْ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الأَمَةُ: أي المرأة المملوكة خلاف الحرة[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يدل دلالة قطعة على مدى تواضع النبي ﷺ ودماثة خلقه، ومحبته، ورحمته بالصغار، وقوله (إن كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إمَاءِ المَدينَةِ) الفعل الماضي يدل على ما وقع، وثبت، واللام في لفظ (الأمة) للجنس أي أمة شاءت وتكرار لفظ الأمة يحدث جناسا مع الفظة السابقة التي تقرر المعنى، ولفظ الجارية يدل على حداثة السن، مما يشير قمة التواضع من النبي ﷺ ثم إن إقدام الأطفال على مثل هذه الأفعال يشير إلى أنهم عرفوا الرحمة في خلق النبي، وأحبوه، وقد كان أهل الجاهلية من قريب يمر الواحد في طريق فيسلك الصبيان طريقا آخر من الخوف منهم، أو من بغضهم فتأمل الموقفين، وتأمل قوله (لتأخذ بيد) والتعبير بالأخذ باليد دلالة على شدة القرب، وعلى السيطرة، وسهولة الحركة لما كان بيديه ﷺ معهم من لين يشجعهم على ذلك، وقوله (فتنطلق) يصور سرعة حركة الجارية مع سهولة الحركة، والسلاسة في الانقياد من النبي ﷺ مع هذه الصغيرة، وتأمل التعبير بفعل المشيئة المسبوق بالظرف حيث الذي يحرر الحركة حتى تنقاد خلف مشيئة الصغيرة، وهو خير خلق الله ﷺ إنه مثال للتواضع، والرحمة يرغم أنوف المتكبرين في كل زمان، ومكان.

---

(١) برقم ٦٠٧٢ معلقًا. راجع: تغليق التعليق ٩٥/٥، والفتح ٤٩٠/١٠.

(٢) الوسيط. مجمع اللغة العربية ٢٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ.

ثانيًا: من صفات الداعية: لين الجانب والتباسط مع المدعو.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: السعي في قضاء حوائج الناس.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ:

لقد كان النبي ﷺ رأس المتواضعين، فكان يتواضع مع جميع المسلمين، الضعفاء وعلية القوم، ذلك واضح من قول أنس بن مالك رضي الله عنه: "إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت". قال ابن حجر: (قوله "فتنطلق به حيث شاءت"، في رواية أحمد[١]، فتنطلق به في حاجتها، وله[٢] من طريق علي بن زيد عن أنس إن كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت، وأخرجه ابن ماجه[٣] من هذا الوجه.

والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت، وبقوله: "حيث شاءت"، أي من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة، والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعد على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ)[٤].

قال عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: (وإذْ حرَّمَتِ النصوص الإسلامية الاستكبار بغير حق، وأبانت أن الكبر من قبائح أخلاق الإنسان، حثّت على التواضع

---

(١) مسند أحمد ٩٨/٣ رقم ١١٩٤١.

(٢) مسند أحمد ١٧٤/٣ رقم ١٢٧٨٠.

(٣) سنن ابن ماجه ٤١٧٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٥/٩ - ٥٠٦، وانظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١١١/٣ - ١١٣.

ابتغاء مرضاة الله ورغبت فيه، وأبانت أن من تواضع الله كافأه الله على تواضعه بالرفعة: ((وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله))[١]. وهذا من سنن الله في عباده، كما أن من استكبر وتعالى على خلق الله أذلّه الله.

ومن الملاحظ أن الناس يحبون المتواضع ويألفونه، ويكرهون المستكبر ويأنفون عنه ولا يألفونه، والسر في ذلك أن المتواضع ينزل نفسه إلى مستوى جلسائه فيعيش معهم بوداعة وانطلاق، ويعيشون معه بمثل ذلك، فيتم بينه وبينهم الإلف والوئام، وذلك يولد المحبّة، بخلاف المستكبر، فإنه يرفع نفسه فوق مستوى جلسائه، فيعيش وحده في جوّه النفسي المتعاظم، ويحيط نفسه بسياج شائك، لا وداعة فيه ولا انطلاق، وحين يرى جلساؤه ومعاشروه ذلك منه يبتعدون عنه بنفوسهم فلا يألفونه، ويرونه يضع نفسه فوقهم فيكرهونه، فكلتا الثمرتين من النتائج الطبيعية لكلا العملين.

يضاف إلى ذلك أن المتواضع لا يثير في الناس دافع المنافسة فيكون مألوفًا محبوبًا، بخلاف المستكبر فهو يثير في الآخرين دافع المنافسة بقوة، فيكون مكروهًا غير مألوف للنفوس، ولا سيما إذا كان هو في نظرهم دون المكانة التي يرفع نفسه إليها.

ولما كان التواضع من الأخلاق التي تملك القلوب بالمحبة، أمر الله رسوله بأن يخفض جناحه للمؤمنين، مع أنه ﷺ رفيع المكانة في نفسه، عظيم المنزلة عند الله فقال الله له: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

فكان صلوات الله وسلامه عليه يخفض جناحه للمؤمنين، فلا يتعاظم عليهم ولا يستكبر، ويجلس بينهم كواحد منهم، حتى يدخل عليه وهو في أصحابه من لا يعرفه فيقول: أيُّكم محمد؟

وربما كانت توقفه الأمة وتأخذ بيده ليقضي حاجة لها؛ روى البخاري عن أنس قال: إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ لتنطلق به حيث شاءت.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

وكان من تواضعه تحبُّبه إلى الصغار بالسلام عليهم والمسح على رؤوسهم ووجوههم، روى البخاري ومسلم عن أنس، أنه مرّ على صبيان فسلّم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله[١].

وروى مسلم عن جابر بن سمرة قال: ((صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلاَةَ الأُولَى "أي الظهر" ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ. فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ. فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا. قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي. قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ))[٢]. من جؤنة عطار: أي من السلّة التي يضع فيها متاعه وعطره.

ولما للتواضع من أثر اجتماعي كبير أوحى الله إلى رسوله بأن يأمر المسلمين بأن يتواضعوا. روى مسلم عن عياض قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ))[٣][٤].

ثانيًا- من صفات الداعية: لين الجانب والتباسط مع المدعو:

إن لين الجانب من قبل الداعية من الأسباب التي تقربه إلى المدعوين وتجعل العلاقة بينه وبينهم عامرة، فيستطيع الداعية أن ينقل دعوته إلى المدعوين الذين يتقبلونها ويؤمنون بها، كما أن لين الجانب يجعل المدعوين يقصدون الداعية لقضاء حوائجهم كما هو واضح في هذا الحديث. وقد قال ابن القيم عن تواضع النبي ﷺ ولين جانبه - وهو إمام الدعاة-: (وكان ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير، ويأكل مع الخادم ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شيء، وكان ﷺ هين المؤنة، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسامًا متواضعًا من غير ذلة، جوادًا من غير سرف، رقيق القلب، رحيمًا بكل مسلم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٧، ومسلم ٢١٦٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٢٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٤) الوجيز في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢٩٧ - ٣٠١.

خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم... وكان ﷺ يعود المريض ويشهد الجنازة ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد. وكان يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل ليف عليه إكاف[١] من ليف)[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ. فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلاَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا. فَرُبَّمَا جَاءُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا))[٣].

قال النووي: (في هذه الأحاديث بيان بروزه ﷺ للناس وقربه منهم ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم ويرشد مسترشدهم، ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيقتدى بها وهكذا ينبغي لولاة الأمور، وفيها صبره ﷺ على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين وإجابته من سأله حاجة أو تبريكًا بمس يده وإدخالها في الماء كما ذكروا)[٤].

وقد رغّب النبي ﷺ في لين الجانب مع الناس، فقال: ((حُرِمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِنٍ لَيِنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ))[٥] وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر البيان بأن المرء إذا كان هينًا لينًا قريبًا سهلاً قد يرجى له النجاة من النار بها[٦]. كما أخرج قبله حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ، فَلايِنِ النَّاس وَوَجْهُكَ إِلَيْهِمْ مُنْبَسِطٌ))[٧] وبوّب عليه: ذكر الأمر بالملاينة للناس في

---

(١) الإكاف: البردعة، الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٢٢.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١١٢/٢، وانظر: تخريج ما في هذا النص من أحاديث في حواشي المحقق على مدارج السالكين.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٢٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٣٢.

(٥) أخرجه أحمد ٤١٥/١ رقم ٣٩٣٨، وقال محققو المسند: حسن بشواهده، وانظر هناك تتمة تخريجه ٥٢/٧-٥٣.

(٦) صحيح ابن حبان ٢١٥/٢ الحديث ٤٦٩.

(٧) أخرجه ابن حبان ٤٦٨ وقال محققه: حديث صحيح.

القول مع بسط الوجه لهم[١]. وقال السندي: (قوله "كل هين": يريد حسن الأخلاق حميد الخصال مقبولاً عند الناس محبوبًا لديهم كذلك)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: السعي في قضاء حوائج الناس:

إن السعي لقضاء حوائج الناس من معالي الأخلاق ومحاسنها، والنبي ﷺ أكمل الناس خلقًا وأحسنهم أدبًا، لذا كان يسارع إلى قضاء حوائج الناس، هذا واضح من الحديث، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: ((يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ» فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ[٣]. حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا))[٤].

وقد قال النبي ﷺ: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))[٥].

قال العز بن عبدالسلام: (هذا أمر بصيغة الإخبار، لينزل المؤمن نفسه في الشدِّ من أخيه في النوائب بمنزلة البنيان الذي يدعم بعضه بعضًا، فلا يتماسك بعضه إلا ببعض، وفيه أمر بالمساعدة والمعاضدة من الطرفين)[٦].

قال ابن حبان: (الواجب على المسلمين كافة نصيحة المسلمين والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم، لأن من نفس كربة من كرب الدنيا عن مسلم نفس الله عنه

---

(١) صحيح ابن حبان ٢/٢١٤.

(٢) حاشية السندي على مسند أحمد ٧/٥٣-٥٤.

(٣) قال النووي: "أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية، فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها لكن لا يسمعون كلامها، لأن مسألتها مما لا يظهره -والله أعلم-، شرح مسلم ١٤٣٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣٢٦.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٩٩ مطولاً.

(٦) شجرة المعارف والأحوال ٢٢٤.

كربة من كرب يوم القيامة، ومن تحرّى قضاء حاجته ولم يُقضَ قضاؤها على يديه فكأنه لم يقصر في قضائها، وأيسر ما يكون في قضاء الحوائج استحقاق الثناء. والإخوان يعرفون عند الحوائج. كما أن الأهل تختبر عند الفقر، لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء، وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة كما أن شر البلاد بلدة ليس فيها خصب ولا أمن)[1].

قال محمد بن إبراهيم النعيم: (إن بعض الناس من يتأفف من لجوء الناس إليه لقضاء حوائجهم خاصة إذا كان ذا وجاهة أو سعة من المال. ولا يدري أن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، وأن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه. فلئن تقضي لأخيك حاجة كأن تعلمه أو ترشده أو تحمله أو تقرضه أو تشفع له في خير أفضل عند الله من ثواب اعتكافك شهرًا في المسجد النبوي فكيف لو كنت تسعى لحاجة والديك؟

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا أَوْ تَطْرُدَ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رِضىً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَتِهِ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ))[2].

إن مجرد أن تقضي لأخيك حاجة قد لا يستغرق أداؤها أحيانًا نصف ساعة، فإنه يسجل لك بها ثواب شهر واحد. فتخيل لو أردت اعتكاف شهر كامل كم ستحتاج من مجاهدة للنفس بترك أعمالك الخاصة وبقائك في المسجد ثلاثين يومًا ذاكرًا لله وساجدًا وقارئًا للقرآن؟ ولكن خلال دقائق معدودة تنجز فيها لأخيك حاجته أو تسعى

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ٢٤٦-٢٤٧.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٦٤٦/١٢ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٩٠٦.

فيها لأرملة، يسجل في صحيفتك كأنك اعتكفت شهرًا كاملاً، فكم سَنَةً لم تُحيها في الواقع سيسجل لك ثوابُها إذا سخرت جزءًا من وقتك لخدمة إخوانك المسلمين؟

إن جلوس الموظف الذي يقابل الجمهور على مكتبه ليخدم إخوانه وينجز لهم معاملاتهم لو استحضر هذا الحديث واحتسب عمله، فكم من السنوات سيسجل له ثواب اعتكافها يا ترى؟ إن بعض هؤلاء الموظفين تجدهم يشغلون أنفسهم عن المراجعين بأحاديث جانبية مع زملائهم في الوظيفة أو يتغيبون عن مكاتبهم، وبعضهم يتعمد تعطيل المراجعين وتأخير معاملاتهم، ولو علم بمثل هذه الأحاديث النبوية لما بدر منه مثل هذه التصرفات.

فاحرص أخي القارئ على قضاء حوائج إخوانك المسلمين، وبادر بذلك للذين تصيبهم جوائح الحروب والكوارث، ولا تدعهم عرضة لفتن المنظمات المعادية للإسلام التي تتسابق فيما بينها على تقديم المساعدات الإنسانية لأولئك المنكوبين وذلك لتكسب ودهم وتستدرجهم إلى دينها تحت وطأة الجوع والمرض والحاجة، وعليك أن تتعلم حسن مساعدة الناس وقضاء حوائجهم وليس فن التفلت من ذلك. واعلم أنه كلما كانت العبادة يتعدى نفعها إلى غيرك كان أجرها أعظم إذا احتسبتها عند الله.

رحم الله حكيم بن حزام كان يحزن على اليوم الذي لا يجد فيه محتاجًا ليقضي له حاجته حيث قال: ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها. وقضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه فجاء يكافئه بهديه. فقال ما هذا؟ قال لما أسديته إلي، فقال خذ مالك عافاك الله. إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده من الموتى)[1].

---

(١) كيف تطيل عمرك، محمد بن إبراهيم النعيم ص ٧١-٧٣ بتصرف. وانظر: مراجعه ومصادره.

الحديث رقم (٦٠٦)

٦٠٦- وعن الأَسْوَدِ بن يَزِيدَ، قَالَ: سُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها مَا كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قالت: كَانَ يَكُون في مِهْنَةِ أهْلِهِ -تعني: خِدمَة أهلِه- فإذا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ، خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ. رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

عائشة بنت أبي بكر: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

بناء الفعل (سئلت) لما لم يسم فاعله إما للجهل باسمه، أو عدم تعلق غرض بذكره، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أعلم الناس بأحواله، وأكثرهم فقها بكلامه ﷺ. وهذا السؤال المطروح لا يستطيع أن يجيب عنه إلا أحد من آل بيته

يحيا معه لأن السؤال عن حاله في بيته ما كان يصنع؟ ومن الواضح من السؤال أنه لا يسأل عن عبادته، لأن دلالة كلمة (يصنع) تشير إلى عمله في حاجة أهل بيته، ولذلك كانت الإجابة (كَانَ يَكُون في مِهْنَةِ أهْلِهِ - يعني: خِدمَة أهلِه -) والتعبير بـ (كان) قبل (يكون) للدلالة على العادة الغالبة، وقولها (في مهنة أهله) يشير إلى تواضع النبي ﷺ، ورحمته، وحسن خلقه، وتعاونه البناء الذي يدعم المحبة الأسرية، ويجعل أفراد الأسرة في تعاون، ومحبة، مهما كانت الأعمال بسيطة فإن لها فرقة كبيرا في تنمية المودة بين الزوجين، وهو درس غال لكل زوج يتكبر على إعانة أهله، وقولها (فإذا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ، خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ) يشير إلى قضاء غالب وقته في البيت في مساعدة أهله لا يتركهم في عمل لأنه ساعد في آخر بل إنه في عونهم ما بقي في المنزل، وهذه منتهى الرحمة، والمودة التي تشعر المرأة بقرب زوجها، ومحبته.

---

(١) برقم ٦٧٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل عائشة رضي الله عنها.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان تواضع النبي صلى الله عليه وسلم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: المحافظة على أداء الصلاة جماعة في المسجد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل عائشة رضي الله عنها:

عائشة رضي الله عنها من أعلم الصحابيات وأفقههن وزوج النبي صلى الله عليه وسلم، لذا كان الصحابة رضي الله عنهم وكثير من التابعين يسألونها من أجل معرفة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم كما في هذا الحديث. قال الذهبي: (بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر رضي الله عنه... القرشية التيمية المكية النبوية، أم المؤمنين، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، أفقه نساء الأمة على الإطلاق... هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبي الله صلى الله عليه وسلم قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا، وقيل: بعامين. ودخل بها في شَوّال سنة اثنتين، مُنصَرفه - عليه الصلاة والسلام - من غزوة بدر وهي ابنة تسع، فروت عنه علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه. وكانت امرأة بيضاء جميلة ومن ثم يقال لها: الحميراء، ولم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بكرًا غيرها ولا أحب امرأة حبها، ولا أعلم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بل ولا في النساء مطلقًا امرأة أعلم منها... نشهد أنها زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فهل فوق ذلك مفخر؟... وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم بها إثر وفاة خديجة رضي الله عنها، فتزوج بها وبسودة رضي الله عنها في وقت واحد، ثم دخل بسودة، فتفرد بها ثلاثة أعوام حتى بنى بعائشة في شوال بعد وقعة بدر. فما تزوج بكرًا سواها وأحبها حبًا شديدًا كان يتظاهر به، بحيث إن عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الناس أحبّ إليك يا رسول الله؟ قال: (عَائِشَةُ. قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: أَبُوهَا)[1]. وحبه عليه السلام لعائشة رضي الله عنها كان أمرًا

(١) أخرجه البخاري ٣٦٦٢، ومسلم ٢٣٨٤.

مستفيضًا، ألا تراهم كيف كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقربًا إلى مرضاته)[١].

وقال ابن كثير عنها: (ولم يتزوج بكرًا سواها، ولم يأته الوحي في لحاف امرأة من نسائه سواها، ولم يحب أحدًا من النساء مثلها وقد كانت لها مآثر وخصائص ذكرت في القرآن والسنة، ولا يعلم في هذه الأمة امرأة بلغت من العلم مبلغها، وتوفيت سنة سبع وقيل ثمانٍ وخمسين)[٢].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد سأل الأسود بن يزيد عما كان النبي ﷺ يصنع في بيته، وذلك ليُعرف فعل النبي ﷺ في منزله، وذلك من باب الاقتداء والاتباع، فأجابت عائشة رضي الله عنها بأنه "كان يكون في مهنة أهله -يعني: خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة"، فعن طريق السؤال والجواب عرفنا ما الذي يصنعه النبي ﷺ في بيته، فكان هذا دعوة لأن يقتدي به المدعوون ويتخذونه مثلاً لهم في بيوتهم.

لذا كان السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفيد العمل الدعوي إفادة بالغة، إذ أنه يساعد على إثارة الأسئلة من قبل المدعو وإجابة الداعية لها، كما أن السؤال قد يكون من الداعية حتى يتضح له الأمر، وتكون دعوته على صواب.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان تواضع النبي ﷺ:

إن منزلة النبوة منزلة عظيمة، ومحمد ﷺ هو أفضل الأنبياء وأعلاهم قدرًا، ومع ذلك لم تمنعه مهام النبوة وأعباؤها الجسام من أن يخدم أهله، وقد بينت ذلك عائشة رضي الله عنها بقولها: "يكون في مهنة أهله -يعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة"، وقد ورد هذا الحديث بروايات أخرى: فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئِلَتْ: (مَا كَانَ النبيُّ يَعْمَلُ في بَيْتِهِ؟ قالتْ: كان يَخِيطُ ثَوْبَهُ، ويَخْصِفُ نَعْلَهُ، ويَعْمَلُ ما يَعْمَلُ الرِّجالُ في بُيوتِهِمْ)[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/١٣٥-١٤٢.

(٢) الفصول في سيرة الرسول ﷺ، ابن كثير، تحقيق: د. محمد العيد الخطراوي ود. محيي الدين مستو ص ٢٤٤.

(٣) أخرجه أحمد ٦/١٢١ رقم ٢٤٩٠٣، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٤١/٣٩٠.

وعن الزهري عن عروة قال: (قُلْتُ لِعائشة: يا أمَّ المؤمنين أيَّ شيءٍ كان يَصْنَعُ رسول الله إذا كانَ عِندَك؟ قالتْ: ما يَفْعَلُ أَحَدُكُمْ في مِهْنَةِ أهلهِ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، ويَخِيطُ ثَوْبَهُ، ويَرْقَعُ دَلْوَهُ)[(١)].

وعن عمرة عن عائشة أنها سئلت ما كان عمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: (ما كانَ إلا بَشَرًا مِنَ البَشَرِ، كانَ يَفْلِي ثَوْبَهُ، ويَحْلُبُ شَاتَهُ، ويَخْدِمُ نَفْسَهُ)[(٢)]. قال ابن حجر: (وفيه الترغيب في التواضع وترك التكبر وخدمة الرجل أهله)[(٣)].

وقال الطيبي: (قولها: "كان بشرًا" تمهيدًا لما تقوله بعده، لأنه لما رأت اعتقاد الكفار أن النبي ﷺ لا يليق بمنصبه أن يفعل ما يفعل غيره من عامة الناس، وجعلوه كالملوك فإنهم يترفعون عن الأفعال العادية الدنية تكبرًا، كما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾[(٤)] فقالت: إنه ﷺ كان خلقًا من خلق الله تعالى، وواحدًا من أولاد آدم شرفه الله بالنبوة، وكرمه بالرسالة، وكان يعيش مع الخلق بالخلق، ومع الحق بالصدق فيفعل مثل ما فعلوا ويعينهم في أفعالهم تواضعًا وإرشادًا لهم إلى التواضع ورفع الترفع، وتبليغ الرسالة من الحق إلى الخلق كما أمر تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[(٥)])[(٦)].

ونقل ابن حجر عن ابن بطال قوله: (من أخلاق الأنبياء التواضع والبعد عن التنعم وامتهان النفس ليستن بهم، ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة، وقد أشير إلى ذمها بقوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾[(٧)])[(٨)]. وقال الشيخ عبدالرحمن

---

(١) أخرجه أحمد ١٦٧/٦ رقم ٣٥٢٤١، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٠٩/٤٢.

(٢) أخرجه ابن حبان ٥٦٧٥، وقال محققه: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩١/٢.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٧.

(٥) سورة فصلت، آية: ٦.

(٦) شرح الطيبي على المشكاة ٣٧/١١.

(٧) سورة المزمل، آية: ١١.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٦/١٠.

حسن حبنكة الميداني: (ومن تواضع الرسول وسماحة نفسه صلوات الله عليه أنه كان يشارك أهله في البيت مهنتهن وأعمالهن)[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: المحافظة على أداء الصلاة جماعة في المسجد:

إن إقامة الصلاة والمحافظة عليها من علامات صدق الإيمان، وقد كان النبي ﷺ - وهو أعبد العابدين- أشد ما يكون حرصًا على أداء الصلاة في أوقاتها جماعة في المسجد مع كامل الخشوع والخضوع، وهذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها: "فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة".

قال د. صالح الفوزان: (شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، هي صلاة الجماعة في المساجد، فقد اتفق المسلمون على أن أداء الصلوات الخمس في المساجد من أوكد الطاعات وأعظم القربات، بل هي أعظم وأظهر شعائر الإسلام، فقد شرع الله لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة، منها ما هو في اليوم والليلة كالصلوات الخمس، فإن المسلمين يجتمعون لأدائها في المساجد كل يوم وليلة خمس مرات، ومن هذه الاجتماعات ما هو في الأسبوع مرة كالاجتماع لصلاة الجمعة، وهو اجتماع أكبر من الاجتماع للصلوات الخمس... وإنما شرعت هذه الاجتماعات العظيمة في الإسلام لأجل مصالح المسلمين ليحصل التواصل بينهم بالإحسان والعطف والرعاية ولأجل التوادد والتحابب بينهم في القلوب ولأجل أن يعرف بعضهم أحوال بعض... ومن فوائد صلاة الجماعة: تعليمُ الجاهل ومضاعفة الأجر والنشاط على العمل الصالح عندما يشاهد المسلم إخوانه المسلمين يزاولون الأعمال الصالحة فيقتدى بهم)[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾[٣] وقال ابن كثير: (يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وحفظ حدودها

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣٠٠.

(٢) الملخص الفقهي، د. صالح بن فوزان الفوزان ١/١٩١-١٩٢، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/١٣١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

وأدائها في أوقاتها)[(١)].

وقال الطاهر بن عاشور: (والمحافظة عليها هي المحافظة على أوقاتها من أن تؤخر عنها والمحافظة تؤذن بأن المتعلق بها حق عظيم يخشى التفريط فيه. والمراد: الصلوات المفروضة وهي الصلوات الخمس المتكررة، لأنها التي تطلب المحافظة عليها)[(٢)].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلاَةِ إلاَّ مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ. أَوْ مَرِيضٌ. إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلاَةَ. وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنَا سُنَنَ الْهُدَى. وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى الصَّلاَةَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ)[(٣)]، وفي رواية: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى الله غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ. فَإِنَّ الله شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى. وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ. وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ. وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هذِهِ الْمَسَاجِدِ إلاَّ كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً. وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً. وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً. وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إلاَّ مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)[(٤)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٤٥/١، وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٧/١٢/٦ ٢٩٢/١٨/٩.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشورمج١/٢/٤٦٦-٤٦٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٦ - ٦٥٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٧ - ٦٥٤.

الحديث رقم (٦٠٧)

٦٠٧- وعن أَبي رِفَاعَةَ تَميم بن أُسَيْدٍ ﷺ، قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسولِ الله ﷺ وَهُوَ يخطب، فقلت: يَا رسول الله، رَجُلٌ غَريبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عن دِينهِ لا يَدْرِي مَا دِينُهُ؟ فَأَقْبَلَ عَليَّ رسولُ اللهِ ﷺ، وتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسيٍّ[1]، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

تميم بن أسيد: هو أبو رفاعة العدوي، تميم بن أسيد بن عدي بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة المضري من فضلاء الصحابة.

وكان ذا تعبُّد وتهجد، وكان يقول: ما عَزَبَتْ عني سورةُ البقرة منذ علّمنيها رسول الله ﷺ، وأخذت معها ما أخذتُ من القرآن، وما وُجِعَ ظهري من قيام الليل قط.

وكان إذا صلّى ففرغ من صلاته ودعائه كان آخر ما يدعو به اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي فإذا كانت الوفاة فتوفني وفاة طاهرة طيبة يغبطني بها من سمع بها من إخواني المسلمين من عفّتها وطهارتها وطيبها، واجعل وفاتي قتلاً في سبيلك، فخرج في جيش عليهم عبدالرحمن بن سُمرة، فبات تحت حصن يُصلي ليلة، ثم توسد تُرْسه، فنام، وركب أصحابه وتركوه نائمًا، فبصُر به العدوُّ، فنزل ثلاثةُ أعلاجٍ[3]، فذبحوه ﷺ وكان ذلك في كابل عندما غزا سجستان.

وكانت وفاته سنة ٤٤هـ[4].

---

(١) عند مسلم زيادة: (حسبت قوائمه من حديد).

(٢) برقم ٦٠/٨٧٦.

(٣) العلج في لغة العرب: من ليس بعربي (مادة: ع ل ج).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٦٨/٧-٦٩، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٧-٩٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٢٧/١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٤٧١، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١٤/٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٠٩/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/٤.

الشرح الأدبي

قول الراوي (انتهيت إلى) يوحي ببلوغه غايته كما يوحي بأنه جاء قاصدا النبي ﷺ، ولعله جاء من مسافة بعيدة أشار إليه التعبير بالانتهاء المسبوق بابتداء يتخلله قصد، وعزم، ويؤكدها قوله (رَجُلٌ غَريبٌ جَاءَ يَسْأَلُ) وقوله (وهو يخطب) يشير إلى أنه لم ينتظر، وقاطعه في أثناء الخطبة، وقوله (يَسْأَلُ عن دِينِهِ لا يَدْرِي مَا دِينُهُ؟) يفصح عن غرضه، وغايته التي حركته من موطنه وقوله (فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ) يشير إلى سرعة استجابته، والتعبير بالإقبال يشير إلى القبول، والبشاشة ما لم يقيد بما يعطي دلالة مخالفة، وقوله (وترك خطبته حتى انتهى إليَّ) يشير إلى اهتمامه به، وعنايته بتحقيق غرضه والتعبير بالانتهاء إليه يؤكد حفاوته به، وأهمية ما جاء يسئل عنه، وقوله: (فأتى بكرسي فقعد عليه) يشير إلى تواضعه ومودته، وتقريبه لهذا السائل الغريب؛ لأنه مسلم جاء يسأل عن دينه فهو قريب حبيب للرسول ﷺ فلما اقترب الرجل بغايته من الرسول ﷺ قربه الرسول ﷺ في مكانه، واحتفى به، وعلمه ما يريد، والربط بالفاء بين الجمل يشير إلى هذه الحفاوة، والتقريب الذي يحتاج إليه طالب العلم، وقوله (يعلمني.. مما علمه) جناس يؤكد تحقيق المعنى الذي جاء ساعيا إليه.

فقه الحديث

١- استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم: قال النووي: (قوله: "رجل غريب يسأل عن دينه لا يدري ما دينه"، فيه استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم)[1].

٢- إجابة من سأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام على الفور: قال النووي: (فيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور، فأهمها ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور)[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٤/٦/٣.

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

٣- وقوع الفصل في الخطبة: قال النووي: (يحتمل أن هذه الخطبة التي كان النبي ﷺ فيها خطبة أمر غير الجمعة، ولهذا قطعها بهذا الفصل الطويل، ويحتمل أنها كانت الجمعة واستأنفها، ويحتمل أنه لم يحصل فصل طويل، ويحتمل أن كلامه لهذا الغريب كان متعلقًا بالخطبة فيكون منها، ولا يضر المشي في أثنائها)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو: السؤال عن أمور دينه.

ثانيًا: من آداب الداعية: الإقبال على المدعو.

ثالثًا: من فقه الداعية: مراعاة الأولويات.

رابعًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

خامسًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

أولاً- من واجبات المدعو: السؤال عن أمور دينه:

إن السؤال المباشر من أسرع الوسائل التي يستخدمها المدعو وأنجحها لمعرفة أمور دينه، وقد وقع السؤال من الصحابة رضي الله عنهم كثيرًا من أجل هذه الغاية النبيلة. وهذا واضح من قول أبي رفاعة تميم بن أسيد رضي الله عنه: (يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه؟).

قال النووي: (فيه استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم)[٢]، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣].

وعن أبي جمرة قال: كنت أترجم بين يديْ ابن عباس وبين الناس، فأتته امرأة تسأله عن نبيذ الجرّ. فقال: إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: من الوفد؟ أو من القوم؟ قالوا: ربيعة. قال: مرحبًا بالقوم، أوْ بالوفد غير

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٧٠.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٣، وسورة الأنبياء، آية: ٧.

خزايا ولا الندامى. قال: فقالوا: يا رسول الله إنا نأتيك من شقة بعيدة وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام. فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة. قال: فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع قال: أمرهم بالإيمان بالله وحده...) الحديث[1].

قال النووي: (أما الجرّ فبفتح الجيم وهو اسم جمع الواحدة: جرة. ويجمع أيضًا على جرار وهو هذا الفخار المعروف. وفي هذا دليل على جواز استفتاء المرأة الرجال الأجانب وسماعها صوتهم وسماعهم صوتها للحاجة... وفي حديث الباب من الفوائد أنه لا عتب على طالب العلم والمستفتي إذا قال للعالم: أوضح لي الجواب ونحو هذه العبارة)[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: (نعم النِّسَاءُ نِسَاء الأنْصَارِ، لَمْ يَكُنَّ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أنْ يَسْأَلْنَ عن الدِّينِ وَأنْ يَتَفَقَّهْنَ فِيهِ)[3].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (زيادة العلم الابتغاء ودرك العلم السؤال، فتعلم ما جهلت واعمل بما علمت)[4].

وقال الزهري: (العلم خزانة مفتاحها المسألة)[5].

ثانيًا- من آداب الداعية: الإقبال على المدعو:

من آداب الداعية أن يقدم دعوته بما يجعل المدعو يقبل دعوته ويستجيب له ومن الصفات التي تعينه على ذلك أن يُقبل على المدعو ويهتم به ويوليه العناية التي تلائمه وتناسبه وهذا يؤخذ من قول الصحابي أبي رفاعة رضي الله عنه: (فأقبل عليّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إليّ فأتى بكرسي فقعد عليه وجعل يعلمني مما علمه الله).

قال النووي: (فيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم وخفض جناحه

---

(١) أخرجه البخاري ٥٣، ومسلم ١٧ واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٩٣، ٩٦.

(٣) أخرجه مسلم ٦١-٣٣٢، وأبو داود ٣١٦، وهذا لفظه.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٣٧٤ رقم ٥٢٣.

(٥) المرجع السابق ٥٢٤.

لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي)[١].

وقال عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني عن هذا الحديث: (ومن تواضع الرسول ﷺ أنه قطع خطبته مرة لتعليم جاهل غريب، وأقبل عليه، حتى إذا انتهى منه عاد إلى ما كان فيه)[٢].

ومن هذا القبيل حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللّهِ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللّهِ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللّه مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: ((إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ))[٣].

قال النووي: (قوله: "فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه" فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه)[٤].

(لأن طالب العلم [ومثله الداعية] كالمورد يرد الناس عليه وعنه يصدرون، فلابد أن يوطِّن نفسه على حسن مقابلتهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وليحذر من تنفيرهم وإظهار التضجر والملل، فإن ذلك يحملهم على البعد عن أهل العلم، بل وإلى تعميم الحكم عليهم جميعًا. ولذا كان سلفنا الصالح أرحب الناس صدرًا لعوام المسلمين، فنفع الله بهم القاصي والداني. والأمر يسير على من يسّره الله عليه)[٥].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٧٠.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣٠٠.

(٣) أخرجه مسلم ٥٣٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٠٩.

(٥) معالم في طريق طلب العلم، عبدالعزيز بن محمد السدحان، ١٧٢.

ثالثًا- من فقه الداعية: مراعاة الأولويات:

عندما تتزاحم الأمور أوتتعارض فإن حسن الفهم يقتضي تقديم الأهم فالأهم، وهذا واضح من ترك النبي ﷺ الخطبة وإقباله على تعليم الصحابي أمور دينه.

قال النووي: (وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها. ولعله قد سأل عن الإيمان وقواعده المهمة. وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور وقعوده ﷺ على الكرسي ليسمع الباقون كلامه ويروا شخصه الكريم ﷺ ويحتمل أن هذه الخطبة التي كان النبي ﷺ فيها خطبة أمر غير الجمعة، ولهذا قطعها بهذا الفصل الطويل، ويحتمل أنها كانت الجمعة واستأنفها، ويحتمل أنه لم يحصل له فصل طويل، ويحتمل أن كلامه لهذا الغريب كان متعلقًا بالخطبة فيكون منها ولا يضر المشي في أثنائها)[١].

(فيحسن بالداعية أن يعنى بالأهم فالمهم فالأقل أهمية، وينبغي أن يعنى الداعية بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به ويحملهم على قبوله، فإذا استقر في القلوب واستجابت له النفوس انتقل إلى ما هو دون ذلك من أمور)[٢].

قال ابن القيم عن أهمية حفظ مراتب الأعمال ومعرفتها: (فهذا أصل نافع جدًا يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها، لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيربح إبليس الفضل الذي بينهما، أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها إن كان ذلك وقته، فتفوته مصلحته بالكلية لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا. وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها. وفقه في إعطاء كل عمل منها حقه. وتنزيله في مرتبته وتفويته لما هو أهم منه. أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل لإمكان تداركه والعود إليه، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه، فالاشتغال به أولى. وهذا كترك القراءة لرد السلام وتشميت العاطس. وإن كان القرآن أفضل، لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلى الفاضل. بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطش. وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت)[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٧٠.

(٢) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ١٠٩.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٣٧٢ (مجموعة الحديث).

رابعًا- من وسائل الدعوة: التعليم:

هذا واضح من قول الصحابي: "وجعل يعلمني مما علمه الله"، وقد كان التعليم من وسائل الدعوة التي استخدمها النبي ﷺ بكثرة[١]. وقد بوّب النووي على هذا الحديث باب حديث التعليم في الخطبة[٢].

من ذلك حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، إن رسول الله ﷺ خطبنا فبيّن لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال: ((إِذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ. ثُمَّ لْيَؤُمَّكُمْ أَحَدُكُمْ. فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا. وَإِذَا قَالَ: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ. فَقُولُوا: آمِينَ. يُجِبْكُمُ اللهُ. فَإِذَا كَبَّرَ وَرَكَعَ فَكَبِّرُوا وَارْكَعُوا. فَإِنَّ الإِمَامَ يَرْكَعُ قَبْلَكُمْ وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ)) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: ((فَتِلْكَ بِتِلْكَ. وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. يَسْمَعُ اللهُ لَكُمْ...))[٣].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾[٤] قال: علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم[٥].

جاء في الموسوعة الفقهية: (قال النووي: تعليم الطالبين فرض كفاية، فإن لم يكن هناك من يصلح إلا واحد تعين عليه. وإن كان جماعة يصلحون، فطلب ذلك من أحدهم فامتنع فهل يأثم؟ يجري في ذلك وجهان. والأصح: لا يأثم.

هذا ويلزم تعليم العلم اللازم تعليمه، كاستعلام كافر يريد الإسلام عن الإسلام، أو استعلام حديث عهد بالإسلام عن صلاة حضر وقتها، وكالمستفتي في الحلال

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، إعداد: مجموعة من المستشرقين ٢٢١/٤ - ٢٢٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٧٠.

(٣) أخرجه مسلم ٤٠٤.

(٤) سورة التحريم، آية:٦.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٢/٢٣، والحاكم في المستدرك ٤٩٤/٢ رقم ٣٨٧٩، وصححه على شرط الشيخين. ولتتمة تخريجه انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٩٠/١٤.

والحرام فإنه يلزم في هذه الأمور الإجابة، ومن امتنع كان آثمًا.

وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها.

قال ابن الحاج: ينبغي للعالم، أو يتعين عليه: إذا رأى الناس قد أعرضوا عن العلم أن يعرض نفسه عليهم، لتعليمهم وإرشادهم وإن كانوا معرضين.

وقد حث الشرع على تعليم العلوم التي تحتاجها الأمة في دينها ودنياها، وجاءت الآيات والأحاديث والأخبار بذلك)[1].

خامسًا- من وسائل الدعوة: الخطبة:

هذا واضح من قول الصحابي عن الرسول ﷺ: (وهو يخطب.. وترك خطبته... ثم أتى خطبته فأتمّ آخرها).

قال د. توفيق الواعي: (تظهر أهمية الخطابة الدينية من تتبعنا لتاريخ الإنسانية حيث نشاهد صرعى الأهواء والشهوات وقتلى الظلم والبغي وهلكى الضياع والعصيان لتنكب هذه الإنسانية طريق الصواب وبعدها عن الخالق الباري جل وعلا.

كما نجد أن الرواد الذين قاموا بتغيير هذا الدمار كانوا خطباء دينيين أخذوا العقول والنفوس إلى رحاب الله وإلى هديه وصراطه المستقيم، لهذا ترجع أهمية الخطابة الدينية في الإسلام إلى ما يلي:

١- الدعوة إلى الإسلام وإلى تعاليمه ومبادئه، وإلى سيادته في الأرض لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

٢- الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلى إنشاء المجتمع الذي يمثل تعاليم الإسلام حية عملية واقعية في دنيا الناس.

٣- تغذية الشعور وإنارة الحماس وبعث الهمم حتى تستطيع الإنسانية أن تحقق أشواقها ورغباتها في هذه الحياة)[2].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/٧ ومراجعها ومصادرها.

(٢) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ٤٢-٤٣.

الحديث رقم (٦٠٨)

٦٠٨- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا أكَلَ طَعَامًا، لَعِقَ أصَابِعَهُ الثَّلاَثَ. قَالَ: وقال: ((**إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِط عنها الأذى، وليَأكُلْها وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطان**)) وأمرَ أن تُسلَتَ القَصْعَةُ، قَالَ: ((**فإنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ فِي أيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَة**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

لعق أصابعه: لحس أصابعه[2].

يُميط: يزيل وينحى[3].

تسلت القصعة: أي تلعق[4].

القصعة: وعاء يؤكل فيه[5].

الشرح الأدبي

ذكرنا مرارا أن قول الراوي عن الرسول ﷺ (كان) يشير إلى العادة الغالبة وقوله (كَانَ إِذَا أكَلَ طَعَاماً، لَعِقَ أصَابِعَهُ الثَّلاَثَ) يشير إلى أنه اعتاد لعق أصابعه بعد الأكل كما يؤكد ذلك أسلوب الشرط الذي يدل على التلازم بين الفعل، الجزاء أي بين الأكل، واللعق، وقوله (إذا وقعت لقمة) نسب فعل الوقوع إلى اللقمة وهي في الحقيقة مفعولاً والفاعل هو الآكل الذي أوقعها إشارة إلى أن المسلم لا يلقي بطعامه وإن لم

---

(١) برقم ٢٠٣٤/١٣٦. وسيكرره المؤلف برقم ٧٥١.

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية ٨٢٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٨٧.

(٥) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ص ع).

يكن له به حاجة، فلابد أن أحد إخوانه في حاجة إليه، ولذلك رتب الرسول ﷺ على وقوع اللقمة بالفاء المؤذنة بالسرعة أخذها، ثم إصلاحها، ثم استخدامها مرة أخرى، انظر كيف يعلمنا الرسول ﷺ المحافظة على أموالنا، وألا نترك منها قليلاً، ولا كثيراً يضيع هباءً، ثم إن في المسألة بُعداً آخر، وهو عدم تركها للشيطان ليتقوى بها علينا، ألا يعلمنا ذلك أن إهدار مال المسلمين إضعاف لهم، وقوة لأعدائهم؟ لذلك جاء نهي الرسول ﷺ (ولا يدعها للشيطان) إشارة إلى ذلك، وقوله (فَإِنَّهُ لا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ) الفاء للتعليل، والجملة تعليل للأمر السابق بسلت القصعة، وتتبع بقايا الطعام فيها، وترغيب فيه. وجملة السنن التي يتناولها هذا الحديث، وإن كانت تبدو سهلة بسيطة في تنفيذها إلا أن أثرها عظيم، إذا طُبقت، وصارت سلوكاً في مختلف التعاملات في الحفاظ على نعمة الله التي سنسئل عنها.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-الأكل بثلاثة أصابع: السنة الأكل بثلاثة أصابع، ويكره الأكل بأكثر منها، لأنه من الشره، وسوء الأدب، ولأنه غير مضطر لذلك لجمعه اللقمة، وإمساكها من جهاتها الثلاث، إلا أن يضطر إلى الأكل بأكثر من ثلاثة أصابع، لخفة الطعام مثلاً، وعدم تلفيقه بالثلاث، فيدعمه بالرابعة أو الخامسة[١]. هذا إن أكل بيده، ولا بأس باستعمال الملعقة ونحوها[٢].

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٢/٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٧/٥. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١٦/١٣/٧، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٦٣٧، ١٦٣٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢١/٦.

٢-أكل اللقمة الساقطة: يستحب عند جمهور الفقهاء إذا وقعت اللقمة أن يميط الآكل عنها الأذى، ويأكلها، ما لم تتنجس، ولا يدعها للشيطان، لأنه لا يدري موضع البركة في طعامه، وقد يفوّت تركها على المرء بركة الطعام. فإن تنجست غسلها، فإن تعذر أطعمها حيوانًا ولا يتركها للشيطان.

بينما ذهب ابن حزم إلى وجوب ذلك[١].

٢-لَعْق الإناء والأصابع: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه من السنة للآكل لعق أصابعه قبل غسلها، أو مسحها، تحصيلاً لبركة الطعام، وكذلك يسن له لعق الإناء وتتبع ما بقي فيه من طعام[٢]. وذهب ابن حزم إلى وجوب لعق الأصابع ولعق الصحفة[٣].

وهل لِلعْق الأصابع صفة واردة؟

ورد عند الطبراني في الأوسط من حديث كعب بن عجرة قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث، الإبهام والتي تليها والوسطى، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاثة قبل أن يمسحها، ويلعق الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام[٤].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٩٢/٢٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٤١٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٣/٥، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٦٨/٩، والمحلى، ابن حزم ١١٧/٦. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١٦/١٣/٧، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٦٣٧.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٩٢/٢٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٤١٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٣/٥، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٦٨/٩.

(٣) المحلى. ابن حزم ١١٧/٦ ص ٩٢٨.

(٤) المعجم الأوسط ١٦٩/٤ ح ١٧٠٩. وقال الهيثمي في المجمع فيه الحسين بن إبراهيم الأذني ومحمد بن كعب بن عجرة، ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٢٩/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على بيان هدي النبي ﷺ في أكل الطعام.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع وصيانة النعم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار والشرط والأمر والتعليل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على بيان هدي النبي ﷺ في أكل الطعام:

لقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل أحوال النبي ﷺ أشد ما يكون الحرص، وذلك للاقتداء والتأسي به، فنقلوا جميع أحواله كلها حتى آداب قضاء الحاجة، ومن ذلك حرصهم على نقل هديه في الطعام، وهذا واضح في قول الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاثة..).

ومن هذا القبيل ما ذكره ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية من أحاديث فصل آداب الأكل والشراب[1].

من ذلك حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: كُنْتُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللّهِ. وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ. فَقَالَ لِي: ((يَا غُلاَمُ سَمِّ اللّهَ. وَكُلْ بِيَمِينِكَ. وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)). فما زالت تلكَ طِعمتي بعدُ))[2].

قال النووي: (في هذا الحديث بيان ثلاث سنن من سنن الأكل وهي: التسمية، والأكل باليمين، والثالثة الأكل مما يليه، لأن أكله موضع يد صاحبه سوء عشرة وترك مروءة فقد يتقذره صاحبه لا سيما في الأمراق وشبهها، وهذا في الثريد والأمراق وشبهها، فإن كان تمرًا أو أجناسًا فقد نقلوا إباحة اختلاف الأيدي في الطبق ونحوه،

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٥٩/٣ - ٢٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

والذي ينبغي تعميم النهي حملاً للنهي على عمومه حتى يثبت دليل مخصص)[١].

ولقد بلغ الأمر أن رأي بعض العلماء من زواج النبي ﷺ بأكثر من امرأة أن الحكمة من ذلك هو نقل جميع أحوال النبي ﷺ.

قال محمد سليمان الأشقر: (قال السبكي في ترشيح التوشيح عن والده: إن السر في نكاح النبي ﷺ أكثر من أربعة نسوة، أن الله أراد نقل بواطن الشريعة وظواهرها، وما يُستحيا من ذكره وما لا يُستحيا. وكان رسول الله ﷺ أشد الناس حياء. فجعل الله له نسوة ينقلن من الشرع ما يرينه من أفعاله، ويسمعنه من أقواله التي قد يستحيا من ذكرها بحضرة الرجال، فيكتمل نقل الشريعة. وكثر عدد النساء كتكثير الناقلين لهذا النوع. ومنهن عرف غالب مسائل الغسل والحيض والعدة وغيرها. وأيضًا فقد نقلن ما لم ينقله غيرهن مما رأينه في منامه وحالة خلوته، من الآيات البينات على نبوته)[٢].

ثانيًا- من صفات الداعية: التواضع وصيانة النعم:

إن تواضع الداعية لا يكون مع الناس فقط، بل يكون أيضًا بتعامله مع النعم التي أنعم الله عليه بها، فيكون محافظًا عليها ولا يحاول أن يضيع جزءًا منها ولو بسيطًا ،وهذا يستفاد من الحديث.

قال ابن هبيرة: "في لعق الأصابع معانٍ منها: زوال الكبر وحفظ بعض أجزاء الزاد وإن قلّ، لأن الكثير يجتمع من القليل، ومتى لم يلعق الأصابع ويمسح القصعة ضاع ما فيها، وقد نهى عن إضاعة المال[٣]. وقوله في اللقمة: (فيلمط عنها الأذى)، وذلك لئلا يكون مضيعًا للمال من جهة أن تلك اللقمة قد تكون سادة جوع مسلم أو مثقلة للميزان.

---

(١) شرح مسلم ١٢٨١.

(٢) قال د. الأشقر: نقله عبدالحي الكتاني في الترتيبات الإدارية ٢/٢٣٦، ومنه نقلناه. أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية ٧٢/١، وانظر: هذا الكتاب فإنه قيّم في بابه.

(٣) أخرج البخاري ٥٩٧٥، ومسلم ٥٩٣ كتاب الأقضية، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعًا: إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعًا وهات. وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال.

ميزان متصدق بها أو ببعضها، فلا معنى في إضاعتها، فربما تكون ميزانه في القيامة قد وقفت على أن ترجح تلك اللقمة. وإذا رجحت بها دخل الجنة. وإن لم تكن اللقمة فرجحت سيئاته دخل النار. فيكون إهماله لتلك اللقمة تكبره عن أن يزيل عنها الأذى قد أدخله النار، ولو فعل لأدخله الجنة. وهذه اللقمة أمر ظاهر وميزانها مكشوف والوزن فيها بيّن وكم فيها من ذرة. وقد قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1]"[2].

وقال القرطبي: (قوله: "ليأكلها" أمر على جهة الاحترام لتلك اللقمة، فإنها من نعم الله تعالى، لم تصل للإنسان حتى سخر الله فيها أهل السماوات والأرض. وقوله: "ولا يدعها للشيطان" يعني أنه إذا تركها ولم يرفعها فقد مكّن الشيطان منها. إذ قد تكبّر عن أخذها ونسي حق الله تعالى فيها، وأطاع الشيطان في ذلك، وصارت تلك اللقمة مناسبة للشيطان، إذ تُكبر عليها، وهو متكبر فصارت طعامه. وهذا كله ذم لحال التارك وتنبيه على تحصيل غرض الشيطان من ذلك"[3]، وقال ابن القيم في منزلة التواضع من مدارج السالكين: (وكان النبي ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم، وكانت الأمة تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، وكان ﷺ إذا أكل لعق أصابعه...)[4].

ولا يمنع الإسلام من استخدام الوسائل الحديثة لنظافة الأيدي، ويبقى عدم إضاعة شيء من الطعام أمرًا وجوبيًا يسأل عنه المسلم.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الإخبار والشرط والأمر والتعليل:

لقد أخبر أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاثة، قال ابن هبيرة: (في لعق الأصابع معانٍ منها: زوال الكبر وحفظ بعض أجزاء

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٢٧٠.

(٣) المفهم، القرطبي ٥/٣٠١ - ٣٠٢.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/١١١.

الزاد وإن قلّ)[1]، وأما الشرط فقوله ﷺ: "إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى"، قال ابن هبيرة: (وذلك لئلا يكون مضيعًا للمال من جهة أن تلك اللقمة قد تكون سادة جوع مسلم أو مثقلة للميزان)[2]، وأما الأمر فقوله ﷺ: "وليأكلها"، قال القرطبي: (أمر على جهة الاحترام لتلك اللقمة)[3]، وكذلك الأمر في قول أنس رضي الله عنه: "وأمر أن تسلت القصعة"، وقد اتبع هذا الأمر بالتعليل: "فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة"، قال ابن هبيرة: (وهذا لأن البركة ربما تكون في الجزء الملقى)[4].

فهذه الأساليب الدعوية تفيد الداعية في دعوته إذ هي بمثابة أدواته التي يبلغ بها الدعوة، ويثير بها رغبة المدعوين في قبولها والعمل على تحقيقها.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التأسي بالنبي ﷺ:

لقد ساق مسلم في صحيحه عدة أحاديث أخرى في معنى هذا الحديث، وقال النووي: (في هذه الأحاديث أنواع من سنن الأكل منها: استحباب لعق اليد، محافظة على بركة الطعام، وتنظيفًا لها، واستحباب الأكل بثلاثة أصابع ولا يضم إليها الرابعة والخامسة إلا لعذر، بأن يكون مرقًا وغيره مما لا يمكن بثلاثة، وغير ذلك من الأعذار. واستحباب لعق القصعة وغيرها، واستحباب أكل اللقمة الساقطة بعد مسح أذى يصيبها، هذا إذا لم تقع على موضع نجس، فإن تعذر أطعمها حيوانًا ولا يتركها للشيطان)[5].

ولا يمنع الإسلام من استخدام الوسائل الحديثة في تناول الطعام، بل هي الأولى، سلامة ليده وصونًا لشعور غيره من الأذى.

هذا في جانب آداب الطعام وسننه، ويتعدى هذا إلى أفعاله ﷺ وأقواله الأخرى،

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٣٦٩.

(٢) المرجع السابق ٥/٣٧٠.

(٣) المفهم، القرطبي ٥/٣٠١.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٣٧٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٥.

وتكمن أهمية التأسي به ﷺ في سبب هذا التأسي ومبعثه، (فمبعث التأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب، ويلامس شغافها ويأخذ بمجامعها. وذلك لأنه رسول الله ﷺ اصطفاه الله للهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه والتأسي به واقتفاء آثاره، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وحبه ﷺ على هذا الوجه المقدم على حب الولدان والوالدين والناس أجمعين أمارة بينة على كمال الإيمان، وفي هذا يقول النبي ﷺ: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى أكونَ أَحَبَّ إليهِ مِنْ والِدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاس أَجْمَعين))[2].

والسبب في هذا الحب العظيم الذي يوليه المسلم لنبيه المصطفى ﷺ هو أنه رسول يوحي إليه)[3].

قال د. مصطفى السباعي: (إن محمدًا عبد الله ورسوله، أما محمد الرسول ﷺ فلن يفكر أحدٌ أن يكون مثله أو قريبًا منه، في إشراق روحه واتصاله بالملأ الأعلى، يتلقى الوحي ويتنزل عليه الهدى آيات بينات، لن يصل أحد إلى هذا ولا قريب منه، لأن الله ختم بنبوته النبوات وبشريعته الشرائع. وأما محمد الإنسان فهو الذي يحرص كل مسلم على أن يكون ظله في الأرض، يتخلق بخلقه ويهتدي بهديه، ويتأسى[4] به في صبره وجهاده وزهده وعبادته وتضحيته وإيثاره، ومأكله وملبسه. وما أعتقد أن الله أكرم رسوله الإنسان بمدح أعلى من هذا المديح: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[5])[6].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) أخرجه البخاري ١٥، ومسلم ٤٤.

(٣) صفات الدعاة، د. عبد الرب بن نواب الدين ص ٥٩ - ٦٠.

(٤) في المطبوع: ويأتي. وما أثبتناه أوضح.

(٥) سورة القلم، آية: ٤.

(٦) عظماؤنا في التاريخ ٤٩.

الحديث رقم (٦٠٩)

٦٠٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**مَا بَعَثَ الله نَبِيًّا إلاَّ رَعَى الغَنَمَ**)) قَالَ أصْحَابُهُ: وَأنْتَ؟ فَقَالَ: ((**نَعَمْ، كُنْتُ أرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ**)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

قراريط: جمع قيراط، جزءٌ من الدرهم[2].

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٢٣٦٢، وتقدم برقم ٦٠٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٥١٦.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٠٠).

الحديث رقم (٦١٠)

٦١٠- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إِلَيَّ ذراعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبلْتُ)) رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

كُراعٍ: هي قوائم الدابة أو ما دون الركبة إلى الكعب[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى خلق التواضع ممثلا في شخص النبي ﷺ يبدو خلف عبارته التي تربِّت على قلوب الفقراء الذي لا يجدون مالاً يقيم عظيم الولائم، ثم إنه يعلم أمته ألا ينظر الإنسان إلى الداعي من حيث الشرف، والوضاعة فيلبي دعوة الشريف، ولا يعير غيره اهتماما؛ لأن هذا يجعل الأمة طبقات تشتعل بينه البغضاء بينما أراد الله بما وضع لها في منهجها أن تكون طبقة واحدة متحابة متكافلة على قلب رجل واحد أغنياء، وفقراء شرفاء، ووضعاء، والافتراض الذي فرضه الرسول ﷺ بـ (لو) وهو أشرف الأمة يقدم النموذج العملي لذلك، ويغرس البذرة المباركة لشجرة الخلق الكريم لتستظل بها الأمة، وتقتدي به في فعله فنجد دعوة المسلم تجمع كل إخوانه دون نظر لغنى، أو فقر، أو شرف، وغيره، وكذلك دعوة الفقراء تجمع الأمة في صورة مصغرة بكل فئاتها، وبناء الفعل في الحديث للمجهول (دعيت - أهدي) يشير إلى عدم النظر لشخص الداعي مادام مسلما تقياً، وقوله (كراع، أو ذراع) يشير إلى عدم النظر إلى المدعو إليه من حيث نوع الطعام، كما يشير اتصال الفعلين (لأجبت - لقبلت) إلى العزيمة الماضية،

---

(١) برقم ٢٥٦٨.

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ر ع).

والنية الصادقة لذلك، وهو لون من راعية أحاسيس الناس ليس غريبا على أعظم القلوب، ولكنها دعوة للأمة كلها لتنمية الروابط الأخوة، والمحبة بينهم.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-الحكم التكليفي لدعوة الآخرين إلى طعام: ذهب الحنفية إلى أنها سنة، وذهب المالكية إلى أنها مندوبة، وذهب الشافعية في الأصح إلى أنها مستحبة، وذهب الحنابلة إلى أنها جائزة، إلا وليمة العرس فهي سنة مؤكدة، والعقيقة فهي سنة، والوضيمة[١] فإنها مكروهة[٢].

٢-حكم إجابة الدعوة: ذهب الجمهور إلى أن الدعوة إذاكانت إلى وليمة عرس فهي واجبة، أما ما عداها، كما لو كانت لبناء أو ولادة أو ختان أو غير ذلك، فقد اختلفوا فيها: فذهب الحنفية والشافعية والحنابلة: إلى أن إجابتها سنة مستحبة، إن لم يكن هناك مانع من منكر أو بدعة، فلا يستحب إجابتها حينئذ. وذهب المالكية إلى أن إجابة الدعوة لغير العرس مباحة، إلا العقيقة فهي مندوبة[٣].

٣-الحكم التكليفي لتقويم الهدية: اتفق الفقهاء على أن الهدية مندوب إليها[٤]،

---

(١) الوضيمة: طعام المأتم. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ض م).

(٢) مجمع الأنهر، داماد أفندي ٢٠٢/٨، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٩٠/٨، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٤/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٥/٥، ١٨٨.

(٣) الاختيار ٣٦/٤، ٣٧، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٤١٣/٨، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٤/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٥/٥.

(٤) بدائع الصنائع ٩٢/٨، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٢١٦/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٩٦/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٢١/٦.

لأنها خلق من أخلاق الإسلام، تؤلف القلوب وتنفي سخائم الصدور، حث عليها المصطفى بقوله ﷺ ((تهادوا تحابوا))[١].

٤-حكم قبول الهدية وردها: اتفق الفقهاء أيضًا على أنه يكره رد الهدية وإن قلَّت، ويندب قبولها لغير الحاكم، لأن القصد من قبولها تأليف القلوب، وإحكام المحبة، وبالرد يحدث النفور والعداوة[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ.

ثانيًا: من آداب الداعية: إجابة الدعوة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: قبول الهدية.

رابعًا: من أهداف الدعوة: نشر الود والتآلف بين الناس.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ:

لقد بلغ من تواضع الرسول ﷺ أنه ما كان يستكبر عن طعام يُدعى إليه مهما قلّت قيمته، تألفًا لقلوب المؤمنين وتكريمًا لهم وتربية لهم على فضيلة التواضع، وتعظيمًا لنعمة الله[٣]، وهذا واضح من عموم الحديث، قال ابن حجر: (وفي الحديث دليل على حسن خلقه ﷺ وتواضعه وجبره لقلوب الناس وعلى قبول الهدية وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل)[٤].

ونقل الطيبي القول في معنى الحديث: (يعني لو دعاني أحد إلى ضيافة كراع غنم لأجبته، هذا إظهار للتواضع وتحريض عليه)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٩٤، وحسنه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٦٢).

(٢) المبسوط ٧٢/١٦، والقوانين الفقهية ٣١٥، والبيجرمي على الخطيب ٤٤٥/١٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٨٨/٤.

(٣) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣٠١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٤/٩.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٥٠/٤.

وقال ابن هبيرة: (هذا الحديث يتضمن الندب إلى إجابة الدعوة، ويدل على حسن أخلاق رسول الله ﷺ وتواضعه ويندب إلى قبول الهدية)[١]، (إن الله تعالى علّم نبيه ﷺ كل ما يجعل منه الداعية الأول في العالم، وكان من جملة ما أرشده إليه قوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢]، إن التواضع - فوق أنه تعبير دقيق عن العظمة الحقيقية- قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعملي، فالمتواضع يبدو دائمًا أقل من حقيقته، وبذا فإنه يظل يكبر في أعين الناس دون جهد يبذل، كلما كشفت لهم الأيام عن جواهره المخبوءة)[٣].

"ومما يروع[٤] في سيرة رسول الله ﷺ أنّه ظل هو الإنسان المتواضع تواضع الأنبياء العظماء في مختلف مراحل دعوته حين كان مضطهدًا، وحين كان منتصرًا، وحين كان وحيدًا، وحين كان سيد الجزيرة العربية المطاع، حين كان في أشد المحن وحين كان في أوج المجد والانتصار، وما عهدنا بمثل هذا في تاريخ العظماء وما كان محمد عظيمًا فحسب ولكنه رسول الله أيضًا... وظلّ رسول الله ﷺ يستمع إلى العبد والعجوز والأرملة والمسكين، يقف في الطريق لكل من يستوقفه، ويصافح كل من يلقاه، فلا يترك يده حتى يكون الذي استوقفه هو الذي يترك يده، يتفقد أصحابه ويزور مرضاه ويشهد جنائزهم، ويستمع إلى مشاكلهم ويشاركهم أحزانهم وأفراحهم"[٥].

ثانيًا- من آداب الداعية: إجابة الدعوة:

حضّ الإسلام على إجابة الدعوة لما في ذلك من فوائد ومنافع، كما أن الداعية

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٦٥/٧.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٣) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم بكّار ص ١٢٥.

(٤) يقال: راع الشيء فلانًا: أعجبه. يقال: راعني جماله وراعني كلامه فهو رائع. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٣٨٢.

(٥) عظماؤنا في التاريخ، د. مصطفى السباعي ص ٦١ - ٦٢.

يجني من وراء هذه الإجابة ما يقربه ويقرب دعوته إلى المدعوين، ولهذا حثّ النبي ﷺ على الإجابة، وهذا واضح من الحديث: "لأجبت"، قال ابن حجر: (في الحديث دليل على قبول الهدية وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل، قال المهلب: لا يبعث على الدعوة إلى الطعام إلا صدق المحبة وسرور الداعي بأكل المدعو من طعامه والتحبب إليه بالمؤاكلة وتوكيد الذمام[1] معه بها، فلذلك حض النبي ﷺ على الإجابة ولو نزر[2] المدعو إليه)[3].

وعن نافع مولى ابن عمر قال: سمعت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: ((أَجِيبُوا هَـٰذِهِ الدَّعْوَةَ إِذَا دُعِيتُمْ لَهَا)) قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَأْتِي الدَّعْوَةَ فِي الْعُرْسِ وَغَيْرِ الْعُرْسِ. وَيَأْتِيهَا وَهُوَ صَائِمٌ[4].

وقال النبي ﷺ: ((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ))[5].

ولذا كان النبي ﷺ يجيب الدعوة، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (إنَّ خَيّاطًا دَعا رسولَ اللّهِ ﷺ لطَعامٍ صنَعهُ، قال أنسُ بنُ مالكٍ: فذهَبتُ معَ رسولِ اللّهِ ﷺ فرأيتُ النبيَّ ﷺ يَتتبَّعُ الدُّبّاءَ[6] مِن حَوالَيِ القَصعةِ. قال: فلم أزَلْ أُحِبُّ الدُّبّاءَ مِن يومِئذٍ)[7].

قال ابن حجر: (في الحديث جواز أكل الشريف طعام من دونه من محترف وغيره وإجابة دعوته، ومؤاكلة الخادم، وبيان ما كان في النبي ﷺ من التواضع واللطف بأصحابه وتعاهدهم بالمجيء إلى منازلهم، وفيه الإجابة إلى الطعام ولو كان قليلاً... وفيه

---

(١) الذمام: العهد والأمان والكفالة والحق والحرمة، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص٣١٥.

(٢) نزر الشيء: قلّله. ونزر فلانًا: احتقره واستقلّه، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص٩١٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٤/٩.

(٤) أخرجه البخاري ٥١٧٩، ومسلم ١٠٢ - ١٤٢٩.

(٥) أخرجه مسلم ١٤٣٠.

(٦) الدُّباء: القرع. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢٦٨.

(٧) أخرجه البخاري ٥٣٧٩ واللفظ له، ومسلم ٢٠٤١.

الحرص على التشبه بأهل الخير والاقتداء بهم في المطاعم وغيرها، وفيه فضيلة ظاهرة لأنس لاقتفائه أثر النبي ﷺ حتى في الأشياء الجبلية، وكان يأخذ نفسه باتباعه فيها رضي الله عنه)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (لا ينبغي أن يكون فقر الداعي أو خفة شأنه أو قلّة الطعام مانعًا من إجابة الدعوة، فإن ذلك من الكبر، والدعوة مشروعة لإحياء المودة بين المسلمين ومزيد التآلف)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: قبول الهدية:

إن التهادي وقبول الهدية من الوسائل التي تنشر المودة والتآلف بين أفراد المجتمع لذا حث النبي ﷺ على قبول الهدية، وهذا واضح من عموم الحديث، قال ابن حجر: (وفيه الحض على المواصلة والتحاب والتآلف وإجابة الدعوة لما قلّ أو كثر وقبول الهدية كذلك)[٣].

ونقل ابن حجر قول ابن بطال: (أشار ﷺ بالكراع والفرسن إلى الحض على قبول الهدية ولو قلت؛ لئلا يمتنع الباعث من الهدية لاحتقار الشيء فحض على ذلك لما فيه من التألف)[٤].

والإشارة إلى الفرسن وردت في حديث النبي ﷺ: ((يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا. وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ))[٥].

قال ابن حجر: (وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير، لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت، وإذا تواصل اليسير صار كثيرًا، وفيه استحباب المودة وإسقاط التكلف)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٦/١٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٣٨/٢٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٤/٣ - ١٥٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/٥.

(٥) أخرجه البخاري ٢٥٦٦، ومسلم ١٠٣٠.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٥/٥.

وقال أبو عبدالله القرطبي: (الهدية مندوب إليها، وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة؛ وعلى الجملة: فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية، وفيه الأسوة الحسنة. ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تزيل حزازات النفوس، وتكسب المهدي والمهدَى إليه رنّة[١] في اللقاء والجلوس. ولقد أحسن من قال:

هدايا الناس بعضهم لبعض ... تُولِّد في قلوبهمُ الوِصَالاَ

وتزرعُ في الضمير هَوًى ووُدًّا ... وتُكسبهمْ إذا حضروا جَمالاَ[٢]

وآخر:

إنّ الهدايا لها حظٌّ إذا وَرَدتْ ... أحظى من الابن عند الوالد الحدب[٣]

وجاء في الموسوعة الفقهية: "لا خلاف بين الفقهاء في مشروعية الهدية بل ولا خلاف في استحبابها في الأصل إلا لعارض، ودليل مشروعيتها الكتاب والسنة المطهرة وإجماع المسلمين.. وصرفها إلى الجيران والأقارب أفضل منه إلى غيرهم. ولا يحتقر المُهْدي والمُهْدَى إليه القليل فيمتنع الأول من إهدائه والثاني من قبوله)[٤].

رابعًا- من أهداف الدعوة: نشر الود والتآلف بين الناس:

إن الإسلام جاء لصلاح المجتمع الإنساني، ومن طرقه في ذلك نشر الود والتآلف بين الناس، وهذا مستفاد من الحديث، قال ابن حجر: (وفيه الحض على المواصلة والتحاب والتآلف)[٥]، وقد قال النبي ﷺ: ((تهادُوا تَحَابُّوا))[٦]، قال الطيبي: (إن السخط جالب للضغينة والحقد، والهدية جالبة للرضا، فإذا جاء سبب الرضا ذهب سبب السخط)[٧].

---

(١) قال محققو تفسير القرطبي: هكذا في النسخ. ولم يتضح لنا معناها، ولعلها: رغبة.
(٢) الشعر: تاريخ دمشق ٢٥٦/١٧، قافية الألف.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦١/١٦.
(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٤/٤٢ - ٢٥٥.
(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٤/٩.
(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٩٤، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٦٢).
(٧) شرح الطيبي، على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٧/٦.

قال العز بن عبد السلام مبينًا الإحسان في الهدايا وغيرها من الهبات إعطاء وقبولاً مما ينعكس على المجتمع كله بالمودة والتآلف وذلك بأن يوليها الأبرار الصلحاء والأعفّاء من الأقارب والأجانب مقدمًا لمن اشتدت فاقته وعظمت ضرورته خلية من العيوب والشبهات غير مكدرة بمنة ولا أذية ولا إظهار ولا طلب مكافأة... وإحسان القابل لذلك بأن يكافئه بمثله أو أفضل منه، فإن عجز عن ذلك فبالدعاء له"[١].

وقد قال النبي ﷺ: ((تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجسَدِ. إِذَا اشْتَكَى عضوًا، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى))[٢].

قال النووي: (هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه)[٣].

وقال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب المحبة كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضا كما يعطف الثوب عليه ليقويه)[٤].

وقال ابن تيمية: (من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلّم باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ... الذين كانوا يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك؛ ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام، وحسن الجوار،

---

(١) شجرة المعارف والأحوال ١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٥٣ - ٤٥٤.

والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك؛ وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق؛ ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفسافها. وكل ما يقولونه، أو يفعلونه من هذا أو غيره: فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة)[١].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢/١٠٢ - ١٠٥ بتصرف.

الحديث رقم (٦١١)

٦١١- وعن أنس ﷺ ، قَالَ: كَانَتْ نَاقَةُ رسول الله ﷺ العَضْبَاءُ لاَ تُسْبَقُ، أَوْ تَكَادُ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أعْرَابيٌّ عَلَى قَعودٍ لَهُ، فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ، فَقَالَ: ((**حَقٌّ عَلَى اللهِ أنْ لاَ يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ وَضَعَهُ**)) رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

العضباء: هو اسم ناقة للنبي ﷺ. قال ابن الأثير: هو علم لها منقول من قولهم: ناقة عضباء، مشقوقة الأذن، ولم تكن مشقوقة الأذن[٢].

القعود من الدواب: ما يَقْتعِده الرجل للركوب والحمل ولا يكون إلا ذَكَرًا[٣].

حتى عَرَفَهُ: عرف أثر المشقة[٤].

وَضَعَهُ: خفضه[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى عميق في حوار بسيط هادف قرر خلاله الرسول ﷺ معنى ارتباط البداية بالنهاية فكل شيء من متاع الدنيا له بداية، ولابد، وأن تكون له نهاية، وما حدث في القصة من سبق قعود الأعرابي، وهو الجمل الذكر للعضباء ناقة الرسول ﷺ يشير إلى تصرف عفوي خال من الرياء، والتملق في سباق هو ترفيه مشروع

---

(١) برقم ٢٨٧٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ض ب)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ٨٨٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ع د)، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٧/٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٧/٦.

(٥) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ض ع).

من جهة، وهو تقوية لأسباب القوة التي تتصدى به الأمة لأعدائها وقت الخطر، كما أنه ينمي روح التنافس الشريف في قلوب المؤمنين بغض النظر عن الرابح، أو غيره، وقول الرسول ﷺ (حَقٌّ عَلَى اللهِ أنْ لاَ يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ وَضَعَهُ) أسلوب قصر يقصر ارتفاع الشيء في الدنيا على وضعه لا يتعداه للبقاء على حال الرفعة، وهو توكيد للمعنى سبقه توكيد بقوله (حق) أي لازم حتم، والجار، والمجرور (على الله) الذي يشير إلى استحالة تخلف هذا الحق لتعلقه بالله ثم الطباق بين الارتفاع، والوضع الذي يؤكد تبدل الأوضاع وتغير الأحول فيعلم كل من على حال من الشر، أو الخير أنها إلى تحول فيستعد لما بعدها، وأن الشيء إذا ما بلغ التمام فقد بدأ النقصان، وقد صاغه الأديب الشهير أبي البقاء صالح بن شريف الرندي في قوله:

لكـــل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول ... مـــن ســـره زمن ساءته أزمان
وهـــذه الدار لا تبقي على أحد ... ولا يـدوم عـلى حـال لها شان

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-الحكم التكليفي للمسابقة: أجمع المسلمون على جواز المسابقة في الجملة، لأنها ليست من العبث بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى تحصيل المقاصد في الغزو، والانتفاع بها عند الحاجة.

٢-ما تقع عليه: إن كانت بغير عوض فقد وقع اتفاق الفقهاء على جوازها مطلقًا من غير تقييد بشيء معين.

أما إن كانت بعوض، فقد اختلفوا فيما تجوز المسابقة عليه، فذهب المالكية والحنابلة والشافعية في وجه إلى أنها لا تجوز إلا في النصل والخف والحافر لا غير، وذهب الحنفية والشافعية في الأظهر إلى أنها تجوز في كل شيء، هذه الثلاثة. وعلى الأقدام، والمصارعة، ورفع الأحجار ليعرف الأشد، وغير ذلك أيضًا.

٣-حكم بذل العوض فيها: لا يخلو الحال أن يكون العوض من المتسابقين أو من

غيرهما، فإن كان من غيرهما فقد اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أنه إذا كان العوض من غير المتسابقين جاز، سواء أكان الباذل له الإمام أم غيره، وذهب المالكية إلى أنه لا يجوز بذل العوض من غير الإمام.

أما إن شرط من المتسابقين فهو قمار حرام بالإجماع، إلا أن يكون بينهما محلل لا يبذل عوضًا، وإنما بفرس كفء لفرسيهما، أو ببعير كفء لبعيريهما، أو كان يكافئ رميه رميهما، فهو جائز في قول الجمهور، وذهب المالكية إلى أنه لا يجوز بذل المال منهما وإن دخل محلل.

فإن كان العوض من أحد المتسابقين فقط دون صاحبه، كأن يقول إن سبقتني فلك مائة درهم، وإن سبقتك فلا شيء عليك، فذهب الجمهور إلى جوازه، وذهب المالكية إلى أنه لا يجوز أيضًا لأنه قمار(1).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية ترك المفاخرة والتعصب.

ثالثًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وحرصه على تطييب نفوس الصحابة رضي الله عنهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الصحابي عن ناقة النبي ﷺ وأن اسمها العضباء ومن صفتها أنها لا تُسبَق ثم حدث بعد ذلك أن سُبِقَتْ وأن ذلك شق على المسلمين، وظهر منهم ذلك للنبي ﷺ فبين لهم رسول الله ﷺ سنة من سنن الله الكونية في خلقه وهي: عدم

---

(1) الاختيار ٤/٢٦ وما بعدها، والقوانين الفقهية ١٣٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤/٣١١ وما بعدها، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٩/٤٦٦ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤/٥٦ وما بعدها.

دوام الحال فإذا ارتفع شيء وعلا فإنه معرض حتمًا للنزول والهبوط وعلو غيره عليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية ترك المفاخرة والتعصب:

إن المفاخرة والمباهاة والتعصب من الصفات التي تدل على الإقبال على الدنيا وعدم الانشغال بالآخرة وهذا نقص في التدين والتفقه في الدين، لذا حض النبي ﷺ على ترك المفاخرة وعدم الوقوع في شرك التعصب. وذلك واضح في قول النبي ﷺ "حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه".

قال ابن حجر: (فيه إشارة إلى الحث على عدم الترفع والحث على التواضع والإعلام بأن أمور الدنيا ناقصة غير كاملة، قال ابن بطال: فيه هوان الدنيا على الله والتنبيه على ترك المباهاة والمفاخرة، وأن كل شيء هان على الله فهو محل الضعة فحق على كل ذي عقل أن يزهد فيه ويقل منافسته في طلبه. قال الطبري: في التواضع مصلحة الدين والدنيا، فإن الناس لو استعملوه في الدنيا لزالت بينهم الشحناء ولاستراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة)[1].

وقال ابن قدامة عن الكبر: (واعلم أن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات" ثم ذكر الدرجة الثالثة وهي: "أن يظهر الكبر بلسانه كالدعاوى والمفاخر وتزكية النفس وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2] وكذلك التكبر بالمال والجمال والقوة وكثرة الأتباع ونحو ذلك)[3].

وقال ابن القيم: (وأما الكبر فأثر من آثار العجب والبغي من قلب قد امتلأ بالجهل

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٤٩.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٤.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ١/٢٤٩.

والظلم ترحلت منه العبودية ونزل عليه المقت فنظره إلى الناس شزر[١] ومشيه بينهم تبختر ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف ذاهب بنفسه تيهًا لا يبدأ من لقيه بالسلام وإن ردّ عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه، لا ينطلق لهم وجهه ولا يسعهم خلقه ولا يرى لأحد عليه حقًا ويرى حقوقه على الناس ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم لا يزداد من الله إلا بعدًا ومن الناس إلا صغارًا أو بغضًا)[٢].

وقال ابن الجوزي: (الكبر تعظيم شأن النفس واحتقار الغير وذلك يكون بسبب الترفع على من هو دونه إما في النسب أو المال أو العلم أو العبادة أو غير ذلك. وعلامة الكبر: الأنفة ممن يتكبر عليه والاختيال والفخر ومحبة تعظيم الناس له، وعلاج ذلك نوعان: جملي وتفصيلي: فأما الجملي فنوعان: علمي وعملي: فالعلمي في الأدلة السمعية والعقلية على رذائل الكبر، وأما العملي فصحبة المتواضعين وسماع أخبارهم، وأما التفصيلي فإنه ينظر إلى رذائل النفس وأن يعلم أن ما يتكبر به، إن كان مالاً فهو مأخوذ منه عن قريب. والفضل إنما يكون في الغنى عن الشيء لا به، لأن الغني بالشيء فقير إليه، وإن كان علمًا فقد سبقه خلق كثير أعلم منه ثم علمه ينهاه عن حالته فهو حجة عليه، كذلك إن كان عملاً ثم رؤيته للعمل بعين التمام نقصية)[٣].

ثالثًا- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن الداعية بما عنده من علم يبين الحقائق للمدعوين حتى تتضح لديهم، ومِن ثَمَّ تأتي أفكارهم وأعمالهم في ضوئها. وقد وضح النبي ﷺ حقيقة أن الله قدر أنه ما من شيء في الدنيا ارتفع إلا قد وضعه الله وأنزل مكانته. وهذه سنة من سنن الله في كونه وخلقه ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[٤].

---

(١) الشزر نظرة الإعراض أو الغضب أو الاستهانة. يقال نظر إليه شزرًا. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ز ر).

(٢) الروح، ابن القيم، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ ص ٢٣٤.

(٣) الطب الروحاني، ابن الجوزي، تحقيق: محمد السعيد زغلول ص ٢١-٣٢.

(٤) سورة الفتح، آية:٢٣.

قال ابن هبيرة: (فيه دليل على أن كل شيء يرتفع من الدنيا فإن حقًا على الله أن يضعه. يرتفع في كلام العرب يفتعل. ولم يقل في هذا الحديث: ما رفع الله شيئًا إلا وضعه. لأن ما رفعه الله فلا واضع له في الدنيا ولا في الآخرة)[1].

وقد قال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ. وإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ))[2].

قال ابن حجر: (فيه الاعتبار بأحوال من مضى من الأمم ولا سيما من خالف أمر الشرع)[3].

ومن أعلى درجات بيان الحقائق بيان السنن الربانية، لما في ذلك من أهمية كبيرة، (لأنه من خلال السنن في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نفهم التاريخ على حقيقته ونعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والتقدم وعوامل الهدم والخوف والانحطاط والتخلف. على أن هذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي، والطاعة والمعصية والإيمان والكفر والتوحيد والشرك، فالإنسان إذا أتى الأمر واجتنب النهي ووقف عند حدود الله، أصاب خير السنة الربانية، وإذا أهمل الأمر وخالفه وارتكب المنهي عنه ووقع في حدود الله أصاب شر السنة الربانية)[4].

ومن هذا القبيل -قبيل بيان الحقائق للمدعوين- ما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: ((انكسفَتِ الشمسُ يومَ ماتَ إبراهيمُ، فقال الناسُ انكسفَتْ لموتِ إبراهيمَ، فقال رسولُ الله ﷺ: إنَّ الشمسَ والقمرَ آيَتانِ من آياتِ الله، لا ينكسِفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى يَنجليَ))[5].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٠٩/٥.

(٢) أخرجه البخاري ٦٧٨٨، ومسلم ١٦٨٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٨/١٢.

(٤) العلم بالسنن الربانية، د. محمد أمحزون، مجلة البيان، العدد ١١٥ ص ٥١.

(٥) أخرجه البخاري ١٠٦٠، ومسلم ٩١٥.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وحرصه على تطييب نفوس الصحابة رضي الله عنهم:

بعث محمد ﷺ إلى العالم كافة، فبعث إلى الحضري والأعرابي، والغني والفقير والسيد والمسود، والأشراف والأتباع، وكان في تعامله ﷺ معهم، المثل الأعلى للتواضع والحرص على تطييب نفوس أصحابه.

ذلك واضح من أنه لما شق على المسلمين أن يسبق أعرابي ناقة رسول الله ﷺ قال لهم ﷺ "حق على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه" والحديث رواه أبو الشيخ بلفظ: ((كانت ناقة رسول الله ﷺ تسمى العَضْباء وكانت لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسبق، فشقّ ذلك على المسلمين، فقال: ما لكم؟ فقالوا: سبقت العضباء. فقال: إنه حق على الله عز وجل ألا يرتفع شيء في الدنيا إلا وضعه))[1]. قال ابن حجر: (وفيه الحث على التواضع، وفيه حسن خلق النبي ﷺ وتواضعه وعظمته في صدور أصحابه)[2].

وقال كذلك: (وفيه أيضًا حسن خلق النبي ﷺ وتواضعه، لكونه رضي أن أعرابيًا يسابقه)[3].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو مسعود رضي الله عنه قال: ((أَتَى النَّبِيَّ رَجُلٌ. فَكَلَّمَهُ. فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ[4]. فَقَالَ لَهُ: هَوِّنْ عَلَيْكَ. فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ. إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ))[5].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ وآدابه ٤٦٤ ومن طريقه البغوي في شرح السنة ٢٦٥٢/١٠. وقال محققا شرح السنة: إسناده صحيح.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٧/٦.

(٣) المرجع السابق ٣٤٩/١١.

(٤) الفرائص: المفرد: الفريصة: لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع وهما فريصتان. الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ر ص).

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٣١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٦٧٧).

(والقديد: اللحم المملوح المجفف في الشمس، فعيل بمعنى مفعول)[١].

وعن الصعب بن جثامة رضي الله عنه ((أنهُ أهدَى لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم حماراً وَحشيًا وهوَ بالأبْواءِ - أو بوَدّانَ - فردَّهُ عليهِ، فلما رأى ما في وَجهه قال: إنا لَمْ نَرُدَّهُ عليكَ إلا أنّا حرُم))[٢].

قال ابن حجر: (في حديث الصعب الاعتذار عن رد الهدية تطييبًا لقلب المهدي)[٣].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق د د).

(٢) أخرجه البخاري ١٨٢٥، ومسلم ١١٩٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩/٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

حفلت أحاديث الباب بعدد من المضامين التربوية ومن أبرزها ما يلي:

أولاً- غرس خلق التواضع:

إن من أهم أهداف التربية الإسلامية تأصيل التربية الخلقية في نفوس المتربين، ومن موضوعات التربية الخلقية خلق التواضع، وأحاديث الباب تؤكد هذا المعنى، وتدعو إلى غرس خلق التواضع، ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: "إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا..."، وقوله ﷺ: "... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله".

"إن التواضع دليل على كِبَر النفس وعلو الهمة، وهو -في الوقت نفسه- سبيل لاكتساب المعالي، والترقي في الكمالات، فهو خلق يرفع من قدر صاحبه، ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم، ويبعثه على الاستفادة من كل أحد، وينأى به عن الكِبْر، والاستنكاف عن قبول الحق والأخذ به، ومن هنا يكمل السُّؤْدد، ويعلو القدر، ويتناهى الفضل. والمتواضع يرفع من أقدار الناس، وينزلهم منازلهم، ويشعر النوابغ بقيمتهم واستعدادهم كي يكونوا من ذوي الشرف والمروءات:

وأحسن أخلاق الفتى وأتمُّها ... تواضعه للناس وهو رفيع"[1]

"إن المعلم القدير هو الذي يتواضع للطلبة ولا يتعالى أو يتكبر عليهم، ويعاملهم بالرفق والملاطفة ولين الجانب ويسعى للتقرب إليهم ومحادثتهم خارج الصف، وهذا ما يجعلهم يثقون به ويتقبلون منه النصح والإرشاد، ويبادلونه الوُدَّ والاحترام ويقبلون على الدرس برغبة ورضا وسعادة، أما المعلم المتعالي المتكبر فإنه لا يحظى باحترام طلبته ولا بثقتهم فيه"[2].

ثانيًا- التربية بالترغيب:

إن من أساليب التربية النافعة التربية بالترغيب، ومن أحاديث الباب التي ترغب في

---

(١) الهمة العالية، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٨٦، ١٨٧.

(٢) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس للآباء والدعاة والمعلمين ومن يهمه تربية أبناء المسلمين، د. محمد بن صالح بن علي جان، ص١١٧، ١١٨.

التواضع قوله ﷺ: "... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"، والتربية بالترغيب تحفظ المتربي إلى الإقدام على فعل الصالحات، وترك المنهيات.

"إن لاستخدام أسلوب الثواب في التربية الإسلامية مسوغات تجعل من الضروري المصير إليه في العملية التربوية المستمرة، لما له من الآثار الإيجابية الفاعلة في تحقيق تربية إسلامية مستدامة لدى الفرد المسلم لاسيما وأن مفردات الثواب في التربية الإسلامية مستمدة من النصوص الشرعية والهدي النبوي الشريف، ومنهج السلف الصالح، ترتبط لدى المربي برضا الله عز وجل، وترتبط لدى الناشئ بحصول الأجر ثم المصلحة"(١).

ثالثًا- التربية بالممارسة العملية:

إن من أساليب التربية الناجحة التربية بالممارسة العملية، وذلك لأن المربي يطبق عمليًا ما يدعو المتربي إليه، وفي أحاديث الباب جاء ما يثبت الممارسة العملية لخُلُق التواضع، ومن ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، وقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لما سئلت ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله..."، وقول أبي رفاعة رضي الله عنه "... فأقبل عليّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إليّ فأتى بكرسي فقعد عليه وجعل يعلمني مما علمه الله ..."، وقول أنس رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاثة ...".

"إن الإسلام يرى أن القدوة هي أعظم طرق التربية، ويقيم منهجه التربوي على هذا الأساس، فلابد للطفل من قدوة في والديه ومدرسته كي يتشرب المبادئ الإسلامية ويسير على نهجها، ولابد للناس من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وتقاليده النظيفة، ولابد للمجتمع من قدوة في قيادته بحيث يتطلع إليها ويسير على منوالها، ولابد أن تكون قدوة الجميع هي شخصية الرسول ﷺ التي تتمثل فيها كل مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه"(٢).

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص١٩٥.

(٢) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، ص٤٣٠.

إن التواضع في الإسلام قلبي وليس شكليًا، والأحاديث قد دعت المسلمين إلى التواضع ورسمت بعض السبل التي تحققه وبينت الآثار المترتبة عليه، وضرب الرسول ﷺ المثل بنفسه في تحقيق هذا الخلق.

١) التصريح بوحدة المنشأ والأصل الإنساني، والنص على ذلك في كثير من آي القرآن وأحاديث النبي ﷺ.

٢) النص على أن المصدر الأول والثاني، مما يزدري أو يحتقر، ولم يعرف البشر لهما ثقل في المعيار أو الثمن، فالمصدر الأول "تراب" والثاني "ماء مهين".

٣) بيان معيار الفضل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١].

٤) التصريح بالأخوة الإنسانية بالنسبة للبشرية جمعاء أو الأخوة في الدين بالنسبة للعلاقة بين المسلمين، وكلاهما لا يأذن بالتعالي أو التكبر.

٥) النص على الأوامر الإلهية الصادرة بحق المسلمين من قِبَل الحق "أن تواضعوا" وأن لا يكتفى بالقول بل بتحريم الاعتداء والتفاخر بالأموال.

٦) تصحيح مفهوم التواضع، والدعوة إلى نتائجه "وما تواضع أحد إلا رفعه الله".

٧) الحرص على الاقتداء بالرسول ﷺ فمع سمو مكانته وعلو منزلته كان مضرب المثل في التواضع ومن مظاهر ذلك:

أ. تسليمه على صغار السن، وهو أمر يأنفه العرب ويأنفه كثيرون الآن لأنه من وجهة نظرهم يشكل ضياع هيبة الرجال، ويدعو إلى إسقاط الرهبة فكان فعله ﷺ دليلاً عمليًا على استحباب ذلك.

ب. سَيْره مع مَنْ تسأله وإتباعه إما حلاً لمشكلة أو إجابة على سؤال أو رعاية لمصلحة، والتعبير بأمَةٍ فيه دلالة على وضعها الاجتماعي والذي لم يأخذ به الرسول ﷺ من أجل إحياء روح التواضع.

جـ. قيامه ببعض الأعمال المنزلية، لمساعدة أهل بيته، وهو أمر لو قام به

---

١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

أحد في هذا الزمان لأنكره الناس عليه، لأن هذا خارج عن سمة الرجولة بمفاهيم الجاهلية، وهو لون من ألوان ائتلاف القلب وتقوية المودة والمحبة.

د. إخباره ﷺ عن نفسه أنه كان يرعى الغنم، ومثل هذا الإخبار يدل على الثقة في الله تعالى والثقة في النفس، لأن كثيرين إذا أعطاهم الله تعالى تنكروا لتاريخهم وتناسوا ماضيهم ونظروا إلى زمن الفقر ومرحلة العوز على أنها عار ينبغي ستره، وأما الواثق في ربه الواثق في نفسه فإنه لا يخجل إلا مما خالف الشرع فإن لم تكن مخالفة فلا حرج، بل هو تحدث بنعمة الله تعالى. وبخاصة أن مهنة الرعي مما يقوم بها الأُجراء، وقد نص ﷺ على قلة الأجر الذي كان يتقاضاه "قراريط" أو المسافة التي يرعى الغنم فيها، فالكل محتمل.

هـ ومن باب التبسط في العيش، وعدم إجهاد المُكرِم لغيره، أعلن ﷺ أنه لا يفاضل في الأطعمة ولا يفاوت في المقدم إليه، بل إنه ليقبل الهدية من الذراع أو الكراع، وإن دعي إلى تناول طعام أعد منهما ما تردد عن قبول الدعوة، ومثل هذا النوع من الأطعمة كان العرب يأنفون تناوله "الكراع" وإنما يأكلون من صفوة الطعام.

و. ومن هديه ﷺ دخوله السَّبق بنفسه أو بدابته، فقد سابق عائشة رضي الله عنها فسبقته وسابقها ثانية فسبقها، وكانت ناقته العضباء لا تُسبق، حتى جاء أعرابي بقعود -فتى الإبل- فسابقها فسبقها، وعز ذلك على المسلمين، فقال ﷺ: (حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه)، والنص عام فكأن كل من رأى في نفسه ما لم ير في غيره، حق على الله تعالى أن يذهب ما به في يوم ما.

ز. ومن تواضعه ﷺ أنه كان يلقي درسًا، فجاء أعرابي فقطع عليه درسه وأعلن عن رغبته في تعلم الدين، فتوجه الرسول ﷺ إليه، وأُتِيَ له بكرسي ليجلس عليه وبدأ يعلم الأعرابي.

رابعًا- تدريب الصبيان على آداب الشريعة:

من أبرز الأهداف التربوية تدريب الصبيان على آداب الشريعة وغرس قيم الإسلام في نفوسهم وتنشئتهم عليها، ومن أحاديث الباب التي تؤكد هذا المعنى "ما جاء عن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلّم عليهم، وقال: كان النبي ﷺ يفعله".

ومن الأمور التي درّب رسول الله ﷺ الأطفال عليها سنة إلقاء السلام وإفشائه.

"إن السلام هو التحية الإسلامية بين المسلمين، والطفل يتعرض للقاء الناس على اختلاف مستوياتهم فهو يحتاج لمعرفة مفتاح الكلام معهم، لذلك فإن النبي ﷺ كان يعلم الصبيان السلام بطريق غير مباشر، وذلك أن يبادئهم بالسلام حتى يتعودوه، واقتدى الصحابة رضي الله عنهم بذلك، وكذلك وجّه رسول الله ﷺ الأطفال إذا دخلوا بيوتهم أن يُسلّموا على أهليهم، وذلك زيادة في حصول البركة، وبالجملة فالتوجيه الخاص للطفل أن يُعلّم السلام، وأن يبدأ من هو أكبر منه تمثلاً لأمر رسول الله ﷺ"[(١)].

إن مرحلة الطفولة هي المرحلة الملائمة لغرس الكثير من آداب الشريعة في نفوس الناشئة لتكوين شخصية مسلمة بناءة نافعة.

"إنه لا تغيير للواقع الفاسد المنحرف عن منهج الله تعالى من غير قوة، ولا قوة من غير بناء، ولا بناء من غير إعداد وتكوين وتربية، وإن أخصب مجال للبناء التربوي مرحلة الطفولة، وتتميز الطفولة البشرية بالمرونة والصفاء والفطرية، وهي تمتد زمنًا طويلاً يستطيع المربي خلال هذه الفترة الطويلة أن يغرس في نفس الطفل ما يريد، وأن يوجهه حسبما يرسم له من خطة، ويتعرف إلى إمكاناته، ويتنبأ بمستقبله قدر المستطاع، وكلما تدعم بناء الطفولة بالرعاية والإشراف والتوجيه كانت أثبت وأرسخ أمام الهزات المستقبلية التي ستعترض الطفل في مستقبل شبابه، ومن ثمَّ فإن فكرة استصغار الطفل وإهمال توجيهه تعتبر باطلة، وإنما من بداية الفطام يبدأ التوجيه والإرشاد والأمر والنهي والترغيب والترهيب والتحبيب والتقبيح وهكذا"[(٢)].

---

(١) انظر: بناء شخصية الطفل المسلم، محمد عثمان جمال، ص٦٩، ٧٠.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٧٩، ١٨٠.

خامسًا- من الأساليب التربوية: الإلقاء والأسئلة والمناقشة والحوار:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يمكن أن يستفاد منها في التعليم والتربية، منها:

أ-الإلقاء: كحديث: ((إنَّ اللّهَ أَوحى إليَّ أَنْ تواضَعُوا حتى لا يَفْخر أَحدٌ على أحدٍ ولا يَبْغي أَحدٌ على أَحدٍ)) والإلقاء أسلوب تعليمي يستخدم مع المتعلمين الكبار السن، والمتعلمين في المراحل السنية المتقدمة، كالتعليم الثانوي والجامعي، وهو يناسب الموضوعات التي تتناول القيم والعلوم الإنسانية، ولا يحول صغر السن دون ذلك.

ب-استخدام الأسئلة: كما في حديث أبي رفاعة تميم بن أُسيد رضي الله عنه وفيه: ((يَا رَسُولَ اللّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ)) والأسئلة تستخدم في طلب تعلم المعارف المختلفة التي تخص المسلم في دينه ودنياه، وفي التقويم وفي معالجة بعض السلوكيات غير السليمة التي تصدر من المتعلمين.

ج-المناقشة والحوار كما في حديث أبي رفاعة تميم بن أُسيد رضي الله عنه: ((فقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم وأجابه صلى الله عليه وسلم)).

د-التلقين: وهو موجود أيضًا في حديث أبي رفاعة تميم بن أُسيد رضي الله عنه: ((فَأُتِيَ صلى الله عليه وسلم بِكُرْسِيَ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ الله)) والتلقين من الأساليب التي تناسب المتعلمين عند دراستهم للجديد من المعارف والعلوم، كما أنها تكون مناسبة في تعليم العلوم التي تحتاج إلى التلقين، مثل قراءة القرآن الكريم.

سادسًا- التربية الصحية:

كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاَثَة ...)) الحديث، وهذا يدخل في نطاق التربية الصحية للمسلم، فلقد أثبتت بعض الدراسات الحديثة في مجال الصحة أن لِلَعق الأصابع كثيرًا من الفوائد الصحية، ولكن لابد من المحافظة على السلوكيات الإسلامية في النظافة من حيث غسل اليدين قبل تناول الطعام وبعده، وكذلك الحرص على سنن الفطرة والتي من جملتها تقليم الأظافر، وهذا هدي نبوي رائع في مجال التربية الوقائية، لأن إطالة

الأظافر وعدم تقليمها يساعد على تكوّن الجراثيم والميكروبات، ويضر بالإنسان ضررًا بالغًا فلا يُمْكن لإنسان بهذا الشكل المزري من عدم النظافة أن يلعق أصابعه.

وهذا من المباح الذي لا يجب فعله ولا يحرم تركه، وقد استخدم الرسول ﷺ السكين في قطع اللحم، واستعان ببعض الوسائل التي تستخدم في الموائد الآن.



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــــوع	الصفحة